
بهجة الناظرين

المكتبة الفلسفية



للإمام العالم مرعي بن يوسف بن أبي بكر المقدسي الحنبلي الكرمي
(ت ١٠٣٣ هـ)

تحقيق
محمد عثمان

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
1430هـ-2009

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بورسعيد – القاهرة
25922620-25938411 / فاكس: 25936277
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مرعى الكرمى ، مرعي بن يوسف بن ابى بكر ،00-01624
القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ،2009
بهجة الناظرين وايات المستدلين لمرعي بن يوسف بن ابي بكر
المقدسي الحنبلى الكرمى
600ص ، 24 سم
تدمك : 3-421-341-977
ا- علم الكلام
- العنوان

ديوى:240

رقم الايداع: 2009-8002

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، المبعوث بالدين القويم، والمنهج المستقيم، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجةً على الخلائق أجمعين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢]. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد؛ فقد مَنَّ الله علينا بهذا الكتاب الكريم، وأن نكون أول من يقدمه للأمة الإسلامية؛ لفائدته العظيمة، وتعدد مواضيعه التي تهم المسلمين جميعا.

فقد قسمه مؤلفه رحمه الله إلى عشرة أبواب، ما بين العالم العلوي والعالم السفلي، والإنس والجن، والموت والمحشر، وأشراط الساعة، والجنة والنار. مقسما كل باب إلى فصول متنوعة، مستندا بذلك على الأحاديث الصحيحة والحسنة، والأحاديث الموقوفة، والآثار؛ لتتم بذلك الفائدة.

ومن نهل من نبع هذا الكتاب أحس أن بين يديه جملة من كتب التفاسير، وكتب الحديث، وكتب التاريخ،.... إلخ.

وأخيرا ندعو الله أن يوفقنا لما فيه الخير.....

مقدمة في العلوم الإسلامية

تنقسم العلوم الإسلامية إلى صنفين:

١- صنف طبيعي: يهتدي إليه الإنسان بفكره.

٢- وصنف نقلي: يأخذه عمن وضعه.

والأول: هي العلوم الحكمية الفلسفية، وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها، حتى يقفه نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

والثاني: هي العلوم النقلية الوضعية، وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي، إلا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الأصل وهو نقلي، فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه.

وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي: الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي نهيئها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملكة وبه نزل القرآن.

وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة؛ لأن المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالإلحاق، فلا بد من النظر في الكتاب ببيان ألفاظه أولا وهذا هو: علم التفسير، ثم بإسناد نقله وروايته إلى النبي صلى الله عليه وسلم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو: علم القراءات، ثم بإسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم بعلم ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي: علوم الحديث، ثم لا بد في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني يفيد العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو: أصول الفقه، وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين وهذا هو: الفقه، ثم إن التكاليف منها: بدني، ومنها: قلبي، وهو المختص بالإيمان، وما يجب أن يعتقد وما لا يعتقد وهذه هي: العقائد الإيمانية، في الذات والصفات وأمور الحشر والنعيم والعذاب والقدر، والحجاج عن هذه بالأدلة العقلية هو: علم

الكلام، ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية؛ لأنه متوقف عليها وهي أصناف فمنها: علم اللغة، وعلم النحو، وعلم البيان، وعلم الأدب، حسبما نتكلم عليها كلها.

واختلف العلماء اختلافا عظيما في تعيين العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف، أعني: الذي يتضمنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"(١). وهو أكثر من عشرين قولا، وحاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده.

قال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة؛ إذ بهما يتوصل إلى سائر العلوم، وهو الحق الذي لا محيد عنه ولا مصير إلا إليه، وعليه جمهور المحققين من السلف والخلف بلا خلاف بينهم.

وقال الفقهاء: هو العلم بالحلال والحرام، ويسمى بـ(علم الفقه)، وهذا يندرج في الأول كما هو الظاهر.

وقال المتكلمون: هو العلم الذي يدرك به التوحيد، الذي هو أساس الشريعة، ويسمى بـ(علم الكلام)، وهذا أيضا داخل في الأول؛ لأن مسائل التوحيد مبينة فيهما بيانا شافيا، وليس وراء بيان الله ورسوله بيان. وأما الكلام الذي اختص به المتكلمون وخلطوا فيه المنطق والفلسفة، فليس هو من هذا الباب.

وقال الصوفية: هو علم القلب ومعرفة الخواطر، لأن النية التي هي شرط الأعمال لا تصح إلا بها، وهذا شعبة من شعب السنة المطهرة؛ فإن العلم بها عالم به على الوجه الأتم الأكمل.

وقال أهل الحق: هو علم المكاشفة، ولا وجه للتخصيص به، ولم يدل عليه نص ولا برهان.

وقيل: إنه العلم الذي يشتمل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: " بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ..."(٢). الحديث؛ لأنه الفرض على عامة المسلمين، وهو اختيار الشيخ أبي طالب أكملي.

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك (٢٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٣٧)، والبزار في البحر الزخار(٦٧٤٦)، والطبراني في مسنده (٢٠٨٤).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر (٨)، وأخرجه مسلم (١٦).

وزاد عليه بعضهم: أن وجوب المباني الخمسة إنما هو بقدر الحاجة مثلا من بلغ ضحوة النهار يجب عليه أن يعرف الله سبحانه وتعالى بصفاته استدلالا، وأن يتكلم كلمتي الشهادة مع فهم معناهما، وإن عاش إلى وقت الظهر يجب عليه أن يتعلم أحكام الطهارة والصلاة، وإن عاش إلى رمضان يجب أن يتعلم أحكام الصوم، وإن ملك مالا يجب أن يتعلم كيفية الزكاة، وإن حصل له استطاعة الحج يجب أن يتعلمْ أحكام الحج ومناسكه، هذه هي المذاهب المشهورة في هذا الباب. والأول أولاها فإن هذه كلها تدخل فيه ولا تخرج عنه حتى يحتاج إليه.

فهذه العلوم كالفروع فإن الأصل هو: العلم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأئمة، وآثار الصحابة، والتعلم بعلم اللغة التي هي: آلة لتحصيل العلم بالشرعيات، وكذا العلم بالناسخ والمنسوخ، والعام والخاص مما في علم الفقه وعلم القراءة ومخارج الحروف، والعلم بالأخبار وتفاصيلها، والآثار وأسامي رجالها ورواتها، ومعرفة المسند والمرسل والقوي والضعيف منها، كلها من فروض الكفاية، وكذا معرفة الأحكام لقطع الخصومات وسياسة الولاة.

وهذه العلوم إنما تتعلق بالآخرة؛ لأنها سبب استقامة الدنيا، وفي استقامتها استقامتها، فكان هذا علم الدنيا بواسطة صلاح الدنيا بخلاف علم الأصول من التوحيد وصفات الباري وهكذا علم الفتوى من فروض الكفاية.

أما علم الكلام فالسلف لم يشتغلوا به، حتى إن من اشتغل به نسب إلى البدعة والاشتغال بما لا يعنيه.

قال الإمام الغزالي في خزانة الرواية في "السراجية": تعلم الكلام والمناظرة فيه قدر ما يحتاج إليه غير منهي.

وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في "أعلام الهدى": إن عدم الاشتغال بعلم الكلام إنما هو في زمان قرب العهد بالرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الذين كانوا مستغنين عن ذلك بسبب بركة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، ونزول الوحي، وقلة الوقائع والفتن بين المسلمين.

وصرح به السيد الشريف، والعلامة التفتازاني، وغيرهما من المحققين المشهورين بالعدالة: أن الاشتغال بالكلام في زماننا من فرائض الكفاية. وقال التفتازاني: إنما المنع لقاصر النظر والمتعصب في الدين.

علم الكلام

قال أبو الخير في الموضوعات: هو علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها ودفع الشبه عنها، وموضوعه: ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته عند المتقدمين. وقيل: موضوعه الموجود من حيث هو موجود.

وعند المتأخرين موضوعه: المعلوم من حيث ما يتعلق به من إثبات العقائد الدينية متعلقا قريبا أو بعيدا، أو أرادوا بالدينية المنسوبة إلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. والكتب المؤلفة فيه كثيرة ذكرها صاحب كشف الظنون.

وللسيد الإمام العلامة محمد بن الوزير كتاب: "ترجيح أساليب القرآن لأهل الإيمان على أساليب اليونان وبيان ذلك بإجماع الأعيان بأوضح التبيان"، وكتاب: "البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع"، رد في هذين الكتابين على المتكلمين والكلام، وأثبت أن جميع مسائل هذا العلم تثبت بالسنة والقرآن، ولا يحتاج معهما إلى قوانين المتكلمين وقواعد الكلام، وهما نفيسان جدا.

وما أحسن ما قال الغزالي في "الإحياء": وحاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه، وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع، وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين، ولم يكن شيئا منها مألوفا في العصر الأول، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع. انتهى.

قال ابن خلدون: علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد.

فلنقدم هنا لطيفة في برهان عقلي يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمآخذ، ثم نرجع إلى تحقيق علمه، وفيما ينظر ويشير إلى حدوثه في الملة، وما دعا إلى وضعه.

فنقول: إن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات، أو من الأفعال البشرية، أو الحيوانية، فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها، تقع في مستقر العادة، وعنها يتم كونه، وكل واحد من هذه الأسباب حادث أيضا، فلا بد له من أسباب أخر، ولا تزال تلك الأسباب مرتقية حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب، وموجدها وخالقها سبحانه لا إله إلا هو، وتلك

الأسباب في أرتقائها تتفسح وتتضاعف طولا وعرضا، ويحار العقل في إدراكها وتعديدها، فإذا لا يحصرها إلا العلم المحيط سيما الأفعال البشرية والحيوانية، فإن من جملة أسبابها في الشاهد المقصود والإرادات؛ إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه.

والقصود والإرادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة، يتلو بعضها بعضا، وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل، وقد تكون أسباب تلك التصورات تصورات أخرى، وكل ما يقع في النفس من التصورات مجهول سببه، إذ لا يطلع أحد على مبادئ الأمور النفسانية، ولا على ترتيبها، إنما هي أشياء يلقيها الله في الفكر يتبع بعضها بعضا، والإنسان عاجز عن معرفة مباديها وغاياتها، وإنما يحيط علما في الغالب بالأسباب التي هي طبيعية ظاهرة، يوقع في مداركها على نظام وترتيب؛ لأن لا طبيعة محصورة للنفس وتحت طورها.

وأما التصورات فنطاقها أوسع من النفس؛ لأنها للعقل الذي هو فوق طور النفس فلا تدرك الكثير منها فضلا عن الإحاطة بها، وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر إلى الأسباب والوقوف معها، فإنه واد يهيم فيه الفكر، ولا يخلو منه بطائل ولا يظفر بحقيقة ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:٩١] وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء إلى ما فوقه فزلت قدمه وأصبح من الضالين الهالكين، نعوذ بالله من الحرمان والخسران المبين.

ولا تحسبن أن هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك واختيارك، بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من الخوض في الأسباب على نسبة لا نعلمها؛ إذ لو عملناها لتحرزنا منها، فلنتحرز من ذلك بقطع النظر عنها جملة، وأيضا فوجه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسبباتها مجهول؛ لأنها إنما يوقف عليها بالعادة لاقتران الشاهد بالاستناد إلى الظاهر، وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥] فلذلك أمرنا بقطع النظر عنها وإلغائها جملة، والتوجه إلى مسبب الأسباب كلها وفاعلها وموجدها؛ لترسخ صفة التوحيد في النفس على ما علمنا الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا وطرق سعادتنا لاطلاعه على ما وراء الحس، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ"(١). فإن وقف عند تلك الأسباب فقد انقطع وحقت عليه كلمة الكفر، وإن سبح

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك (١١٩٢٣)، والنسائي في السنن الكبرى(١٠٩٠٥).

في بحر النظر والبحث عنها وعن أسبابها وتأثيراتها واحدا بعد واحد فأنا الضامن له أن لا يعود إلا بالخيبة، فلذلك نهانا الشارع عن النظر في الأسباب وأمرنا بالتوحيد المطلق: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

ولا تثقن بما يزعم لك الفكر من أنه مقتدر على الإحاطة بالكائنات وأسبابها والوقوف على تفصيل الوجود كله، وسفه رأيه في ذلك، واعلم أن الوجود عند كل مدرك في بادئ رأيه منحصر في مداركه لا يعدوها، والأمر في نفسه بخلاف ذلك، والحق من ورائه ألا ترى الأصم كيف ينحصر الوجود عنده في المحسوسات الأربع والمعقولات، ويسقط من الوجود عنده صنف المسموعات، وكذلك الأعمى أيضا يسقط عنده صنف المرئيات، ولولا ما يردهم إلى ذلك تقليد الآباء هذه الأصناف لا بمقتضى فطرتهم وطبيعة إدراكهم، ولو سئل الحيوان الأعجم ونطق لوجدناه منكرا للمعقولات، وساقطة لديه بالكلية، فإذا علمت هذا فلعل هناك ضربا من الإدراك غير مدركاتنا؛ لأن إدراكاتنا مخلوقة محدثة وخلق الله أكبر من خلق الناس، والحصر مجهول الوجود أوسع نطاقا من ذلك، والله من ورائهم محيط، فاتهم إدراكك ومدركاتك في الحصر واتبع ما أمرك الشارع به من اعتقادك وعملك، فهو أحرص على سعادتك، واعلم بما ينفعك؛ لأنه من طور فوق إدراكك، ومن نطاق أوسع من نطاق عقلك، وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه، بل العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره؛ فإن ذلك طمع في محال.

ومثال ذلك: مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدرك على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره، حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته؛ فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه، وتفطن في هذا الغلط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا، وقصور فهمه واضمحلال رأيه، فقد تبين لك الحق من ذلك.

إذا تبين ذلك فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا خرجت عن أن تكون مدركة. فيضل العقل في بيداء الأوهام ويحار وينقطع، فإذا التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيرها وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها؛ إذ لا فاعل غيره،

وكلها ترتقي إليه وترجع إلى قدرته، وعلمنا به إنما هو من حيث صدورنا عنه، وهذا هو معنى ما نقل عن بعض الصديقين: العجز عن الإدراك إدراك.

ثم إن المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي؛ فإن ذلك من حديث النفس، وإنما الكمال فيه حصول صفة منه تتكيف بها النفس، كما أن المطلوب من الأعمال والعبادات أيضا حصول ملكة الطاعات والانقياد وتفريغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود، حتى ينقلب المريد السالك ربانيا.

والفرق بين الحال والعلم في العقائد فرق ما بين القول والاتصاف، وشرحه: أن كثيرا من الناس يعلم أن رحمة اليتيم والمسكين قربة إلى الله تعالى مندوب إليها، ويقول بذلك ويعترف به، ويذكر مأخذه من الشريعة، وهو لو رأى يتيما أو مسكينا من أبناء المستضعفين لفر عنه واستنكف أن يباشره، فضلا عن التمسح عليه للرحمة، وما بعد ذلك من مقامات العطف والحنو والصدقة.

فهذا إنما حصل له من رحمة اليتيم مقام العلم ولم يحصل له مقام الحال والاتصاف، ومن الناس من يحصل له مع مقام العلم والاعتراف بأن رحمة المسكين قربة إلى الله تعالى مقام آخر أعلى من الأول وهو الاتصاف بالرحمة وحصول ملكتها، فمتى رأى يتيما أو مسكينا بادر إليه ومسح عليه والتمس الثواب في الشفقة عليه، لا يكاد يصبر عن ذلك ولو دفع عنه، ثم يتصدق عليه بما حضره من ذات يده، وكذا علمك بالتوحيد مع اتصافك، وليس الاتصاف ضرورة هو أوثق مبني من العلم الحاصل قبل الاتصاف.

وليس الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة، فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف بحاصل عن مجرد العلم، حتى يقع العمل ويتكرر مرارا غير منحصرة فترسخ الملكة ويحصل الاتصاف والتحقيق، ويجيء العلم الثاني النافع في الآخرة فإن العلم الأول المجرد عن الاتصاف قليل الجدوى والنفع، وهذا علم أكثر النظار والمطلوب إنما هو العلم الحالي الناشئ عن العادة.

واعلم أن الكمال عند الشارع في كل ما كلف به إنما هو في هذا، فما طلب اعتقاده فالكمال في العلم الثاني الحاصل عن الاتصاف، وما طلب عمله من العبادات فالكمال فيها في حصول الاتصاف والتحقق بها، ثم إن الإقبال على العبادات والمواظبة عليها هو المحصل لهذه الثمرة

الشريفة، قال صلى الله عليه وسلم في رأس العبادات: "جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاةِ"[١]. فإن الصلاة صارت له صفة وحالا يجد فيها منتهى لذته وقرة عينه، وأين هذا من صلاة الناس؟ ومن لهم بها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤-٥] اللهم وفقنا واهدنا الصراط المستقيم، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

فقد تبين لك من جميع ما قررنا أن المطلوب في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس، يحصل عنها علم اضطراري للنفس، هو التوحيد، وهو العقيدة الإيمانية، وهو الذي تحصل به السعادة، وإن ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية، ويتفهم منه أن الإيمان الذي هو أصل التكاليف وينبوعها هو بهذه المثابة ذو مراتب:

أولها: التصديق القلبي الموافق اللسان.

وأعلاها: حصول كيفية من ذلك الاعتقاد القلبي وما يتبعه من العمل مستولية على القلب، فيستتبع الخوارج وتندرج في طاعتها جميع التصرفات، حتى تنخرط الأفعال كلها في طاعة ذلك التصديق الإيماني.

وهذا أرفع مراتب الإيمان، وهو الإيمان الكامل الذي لا يقارف المؤمن معه صغير ولا كبيرة، إذ حصول الملكة ورسوخها مانع من الانحراف عن مناهجه طرفة عين.

ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء وألف المتكلمون في التنزيه حدثت بدعة المعتزلة في تعميم هذا التنزيه.

فقضوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والإرادة، والحياة زائدة على أحكامها لما يلزم على ذلك من تعدد القديم بزعمهم، وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها.

وقضوا بنفي السمع والبصر؛ لكونهما من عوارض الأجسام، وهو مردود لعدم اشتراط البينة في مدلول هذا اللفظ، وإنما هو إدراك المسموع أو المبصر.

وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصر، ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس، فقضوا بأن القرآن مخلوق، بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة،

---

(١) أخرجه النسائي من حديث أنس بن مالك (٣٩٣٩)، وأخرجه أحمد في مسنده (١١٨٨٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٢/ ١٦٠.

ولقنها بعض الخلفاء عن أئمتهم، فحمل الناس عليها، وخالفهم أئمة السلف، فاستحل لخلافهم أيسار كثير منهم ودماءهم، كان ذلك سببا لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد دفعا في صدور هذه البدع.

وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين، فوسط بين الطرق، ونفي التشبيه وأثبت الصفات المعنوية، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف، وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه، فأثبت الصفات الأربع المعنوية، والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل، ورد على المبتدعة في ذلك كله، وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والأصلح، والتحسين والتقبيح، وكمل العقائد في البعثة، وأحوال الجنة والنار، والثواب والعقاب، وألحق بذلك الكلام في الإمامة لما ظهر حينئذ من بدعة الإمامية، من قولهم: أنها من عقائد الإيمان، وأنه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له وكذلك على الأمة.

وعلى الجملة فينبغي أن يُعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام ضروري لهذا العهد على طالب العلم والمسلمين بوجه عام؛ لكثرة الملاحدة، والمبتدعة،ومن ينكر الحساب، ومن ينكر عذاب القبر؛ إذ لا يحسن بحامل السنة الجهل بالحجج النظرية على عقائدها، والله تعالى ولي المؤمنين.

ترجمة المصنف[١]

اسمه ونسبه:

مرعي الكرمي: هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي ثم المقدسي، الفقيه الحنبلي، المتوفى في ربيع الأول سنة ١٠٣٣ ثلاث وثلاثين وألف، وكانت وفاته بمصر.

(الكرمي): نسبة لطور كرم، قرية بنابلس.

وهو أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، كان إمامًا، محدثًا، فقيهًا، ذا إطلاع واسع على نقول الفقه، ودقائق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة.

ولد في فلسطين، وانتقل إلى القدس، ثم دخل مصر وتوطنها، وأخذ بها عن الشيخ الإمام محمد حجازي الواعظ، والمحقق أحمد الغنيمي، وكثير من المشايخ المصريين، وأجازه شيخه، وتصدر للإقراء والتدريس بجامع الأزهر، ثم تولى المشيخة بجامع السلطان حسن، ثم أخذها عنه عصريه العلامة إبراهيم الميموني، ووقع بينهما من المفاوضات ما يقع بين الأقران، وألف كل منهما في الآخر رسائل، وكان منهمكاً على العلوم انهماكا كليًا، فقطع زمانه بالإفتاء والتدريس والتحقيق والتصنيف، فسارت بتآليفه الركبان، ومع كثرة أضداده وأعدائه ما أمكن أن يطعن فيها أحد، ولا أن ينظر بعين الإزراء إليها، فمنها كتاب غاية المنتهى في الفقه قريب من أربعين كراسًا، وهو متن جمع من المسائل أقصاها وأدناها، مشى فيه مشي المجتهدين في التصحيح والاختيار والترجيح.

شيوخه:

١- محمد المرداوي.

٢- يحيى الحجاوي.

٣- محمد حجازي الواعظ.

٤- أحمد الغنيمي.

---

(١) هدية العارفين ٢/ ١٧٣، إيضاح المكنون ١/ ٢٠٣، خلاصة الأثر ٤/ ٣٥٨، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٠، مرآة الزمان ٨/ ١٦٢، الأعلام ٨/ ٨٨، معجم المؤلفين ١٢/ ٢١٨.

مصنفاته:

له من التصانيف والمؤلفات الكثير جدا، منها:

١- إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد:٣٩].

٢- أحكام الأساس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:٩٦].

٣- إخلاص الوداد في صدق الميعاد.

٤- الأدلة الوفية بتصويب قول الفقهاء الصوفية.

٥- إرشاد ذوي الإفهام لنزول عيسى عليه السلام.

٦- إرشاد ذوي العرفان في العمر من الزيادة والنقصان.

٧- إرشاد من كان قصده لا إله إلا الله وحده.

٨- أرواح الأشباح في الكلام على الأرواح.

٩- أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة.

١٠- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات.

١١- الآيات المحاكمات والمتشابهات.

١٢- إيقاظ العارفين على حكم أوقاف السلاطين.

١٣- بديع الأشياء والصفات في المكاتبات والمراسلات.

١٤- البرهان في تفسير القرآن.

١٥- بشرى ذوي الإحسان لمن يقضي حوائج الأخوان.

١٦- بشرى من أستبصر وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

١٧- بهجة الناظرين في آيات المستدلين.

١٨- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان.

١٩- تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف.

٢٠- تحقيق الرجحان بصوم يوم الشك من رمضان.

٢١- تحقيق الظنون بأخبار الطاعون.

٢٢- تحقيق المقالة هل الأفضل في حق النبي الولاية أو النبوة والرسالة.

٢٣- تسكين الأشواق بأخبار العشاق.

٢٤- تسليك المريدين.

٢٥- تشويق الأنام إلى حج بيت الله حرام.

٢٦- تلخيص أوصاف المصطفى وذكر من بعده من الخلفاء.

٢٧- تنبيه الماهر على غير ما هو المتبادر من أحاديث الواردة في الصفات.

٢٨- تنوير البصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين.

٢٩- توضيح البرهان في الفرق بين الإسلام والإيمان.

٣٠- توفيق الفريقين على خلود الله الدارين.

٣١- تهذيب الكلام في حكم أرض مصر والشام.

٣٢- الحجيج المبنية في إبطال اليمن مع البينة.

٣٣- الحكم الملكية والكلم الأزهرية.

٣٤- دفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر.

٣٥- دليل الحكام في الوصول إلى دار السلام.

٣٦- دليل الطالب في الفقه.

٣٧- دليل الطالبين لكلام النحويين.

٣٨- رفع التلبيس عمن توقف فيها كفرية إبليس.

٣٩- روض العارفين.

٤٠- الروض النظر في الكلام على الخضر.

٤١- رياض الأزهار في حكم السماع والأوتار والغناء والأشعار.

٤٢- السراج المنير في استعمال الذهب والحرير.

٤٣- سلوك الطريقة في الجمع بين كلام أهل الشريعة والحقيقة.

٤٤- سلوان المصاب بفرقة الأحباب.

٤٥- شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور.

٤٦- غاية المنتهى في الفقه.

٤٧- فتح المنان بتفسير آية الامتنان.

٤٨- فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر.

٤٩- الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة.

٥٠- قرة عين الودود بمعرفة المقصور والممدود.

٥١- قلائد العقيان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠].

٥٢- قلائد العقيان في فضائل سلاطين آل عثمان.

٥٣- قلائد المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن.

٥٤- القول البديع في علم البديع.

٥٥- الكلمات السنيات في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة:٢٥].

٥٦- الكواكب الدرية في مناقب ابن تيمية المعارف.

٥٧- اللفظ الموطأ في بيان الصلاة الوسطى.

٥٨- ما يفعله الأطباء والداعون لدفع شر الطاعون.

٥٩- محرك سواكن الغرام إلى حج بيت الله الحرام.

٦٠- مرآة الفكر في المهدي المنتظر.

٦١- المسائل اللطيفة في فسخ الحج إلى العمرة الشريفة.

٦٢- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف الحسب.

٦٣- المسرة والبشارة في فضل السلطنة والوزارة.

٦٤- مقدمة الخائض في علم الفرائض.

٦٥- منية المحبين وبغية العاشقين.

٦٦- النادرة الغريبة والواقعة العجيبة في الشكوى من الميموني والحط عنه.

٦٧- نزهة المتفكر.

٦٨- نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين.

٦٩- نزهة الناظرين في فضائل الغزاة والمجاهدين.

٧٠- ديوان شعر، منه قوله:

يا ساحر الطرف يا من مهجني سحراً ... كم ذا تنام وكم أسهرتني سحرا

لو كنت تعلم ما ألقاه منك لما ... أتعبت يا منيتي قلباً إليك سرى

هذا المحب لقد شاعت صبابته ... بالروح والنفس يوماً بالوصال شرى

يا ناظري ناظري بالدمع جاد وما ... أيقنت في مقلتي يا مقلتي نظرا

يا مالكي قصتي جاءت ملطخة ... بالدمع يا شافعي كدرتها نظرا

عساك بالحنفي تسعى على عجل ... بالوصل للحنبلي يا من بدا قمرا

يا من جفا ووفى للغير سوعده ... يا من رمانا ويا من عقلنا قمرا

الله منصفنا بالوصل منك على ... غيظ الرقيب بمن قد حج واعتمرا

يا غامر الكئيب بالصدود كما ... إن السقام لمن يهواك قد غمرا

قل الصدود فكم أسقيت أنفسنا ... كأس الحمام بلا ذنب بدا وجرى

وكم جرحت فؤادي كم ضنى جسدي ... أليس دمعي حبيبي مذ هجرت جرى

فالشوق أقلقني والوجد أحرقني ... والجسم ذاب لما قد حل بي وطرا

والهجر أضعفني والبعد أتلفني ... والصبر قل وما أدركت لي وطرا

أشكوك للمصطفى زين الرجود ومن ... أرجوه ينقذني من هجر من هجرا

وقوله:

بروحي من لي في لقاه ولائم ... وكم في هواه لي عذول ولائم

على وجنتيه وردتان وخاله ... كمسك لطيف الوصف والثغر باسم

ذوائبه ليل وطلعة وجهه ... نهار تبدى والثنايا بواسم

بديع التثني مرسل فوق خده ... عذاراً هوى العذري لديه ملازم

ومن عجب أني حفظت وداده ... وذلك عندي في المحبة لازم

وبيني وبين الوصل منه تباين ... وبيني وبين الفصل منه تلازم

وقوله:

ليت في الدهر لو حظيت بيوم فيه أخلو من الهوى والغرام

خالي القلب من تباريح وجد وصدود وحرقة وهيام

كي يراح الفؤاد من طول شوق قد سقاه الهوى بكأس الحمام .

وله:

يعاتب من في الناس يدعى بعبده ويقتل من بالقتل يَرضى بعمده

ويشهر لي سيفاً ويمرح ضاحكاً فيا ليت سيف اللحظ تم بغمده

فلله من ظبي شرود ونافر يجازي جميلاً قد صنعت بضده

يبالغ في ذمي وأمدح فعله فشكراً لمن ما جار يوماً بصده

وله:

لئن قلد الناس الأئمــــة إنني لفي مذهب الحبر ابن حنبل راغب

أقلد فتواه وأعشق قولــــــه وللناس فيما يعشقــون مذاهب

وصف النسخة الخطية

تقع المخطوطة في (٢٣٤) لوحة، وهي موجودة بدار الكتب في قسم علم الكلام برقم (١٧٠١)، وتاريخ النسخ عام ١٠٢٢هـ أي قبل وفاة المؤلف بإحدى عشر عاما تقريبا، وعدد الأسطر في الصفحة ١٩سطرا.

وقد كُتبت المخطوطة بخط واضح، مع مراعاة النقط فيه، فالمخطوطة بحالة جيدة.

وقد قسم المؤلف الكتاب إلى عشرة أبواب، وكل باب مقسم إلى غدة فصول، ووضع فهرس للكتاب في بداية المخطوطة بأسماء الأبواب والفصول.

عملنا في هذا الكتاب

أحمد الله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً على إنهاء العمل بهذا الكتاب الطيب المبارك، وأكثر ما كان يشغلنا في هذا الكتاب هو الأحاديث الشريفة، فقد كان يشير المؤلف إلى تخريج الحديث، بعدة ألفاظ فأحيانا يقول: أخرجه الشيخان. قاصدا البخاري ومسلم، وإن كان في بعض الأحيان القليلة كان يطلقها ولا نجد الحديث إلا عند أحدهما فقط. وأحيانا يشير لأحدهما فقط، ونجده عند الآخر. وأحيانا يقول: في الصحيح، قاصدا بقية الكتب الستة، وأحيانا يذكر بعض المؤلفين بأسمائهم كالبيهقي والطراني وأبو نعيم، دون ذكر لاسم الكتاب مما كان يجعلنا نبحث في كل كتبهم التي بين أيدينا.

وقد حاولنا جاهدين إخراج هذا الكتاب بالشكل الذي يرضي الله عنا، فقمنا بالعمل على هذا النحو:

١- قمنا بنسخ النسخة الخطية.

٢- ثم قمنا بمطابقة النص مرتين.

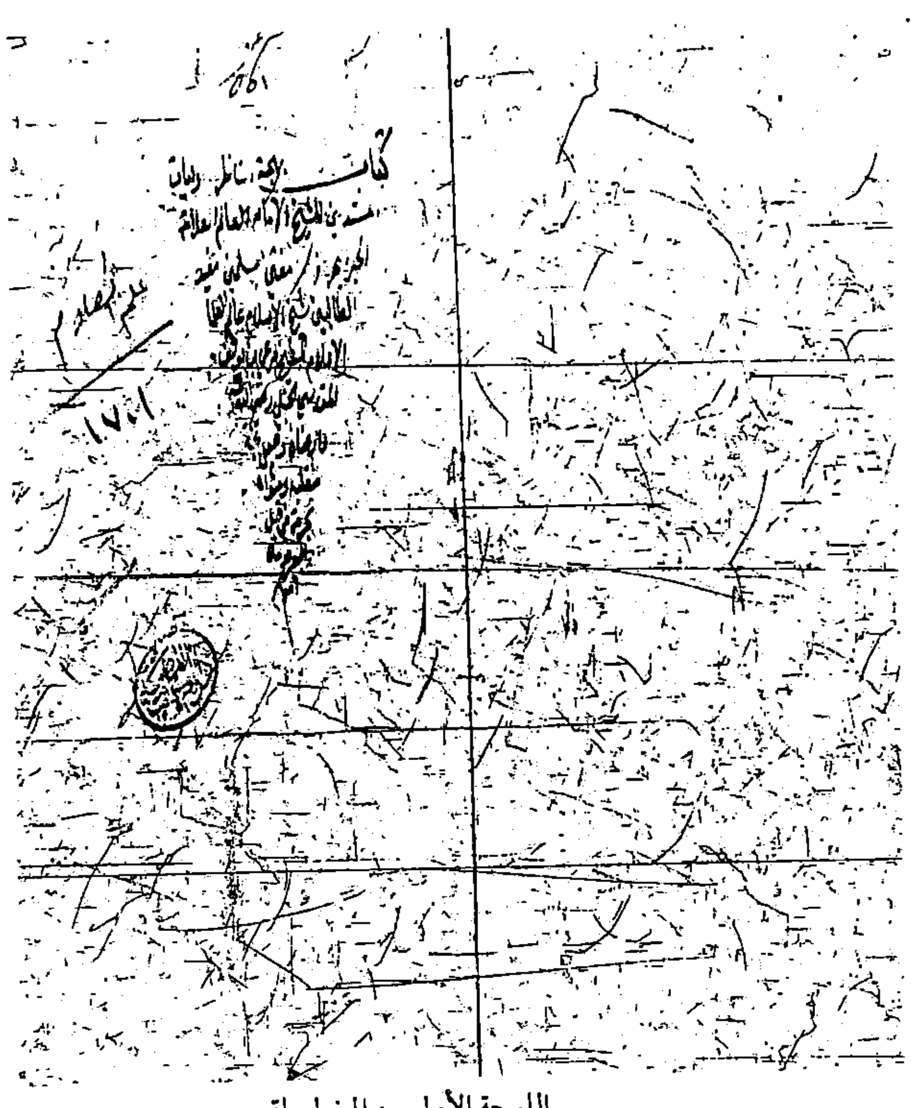
٣- ثم قمنا بمراجعة النص لغويا وضبط بعض الكلمات المشكلة.

٤- ثم قمنا بتخريج الآيات وضبطها، والأحاديث.

فإن كان من صواب فمن فضل الله -ﷻ- ومنّته، وإن كان من تقصير فمنّا ومن الشيطان، ونسأل الله التوفيق وأن يجعله في ميزان حسناتنا.

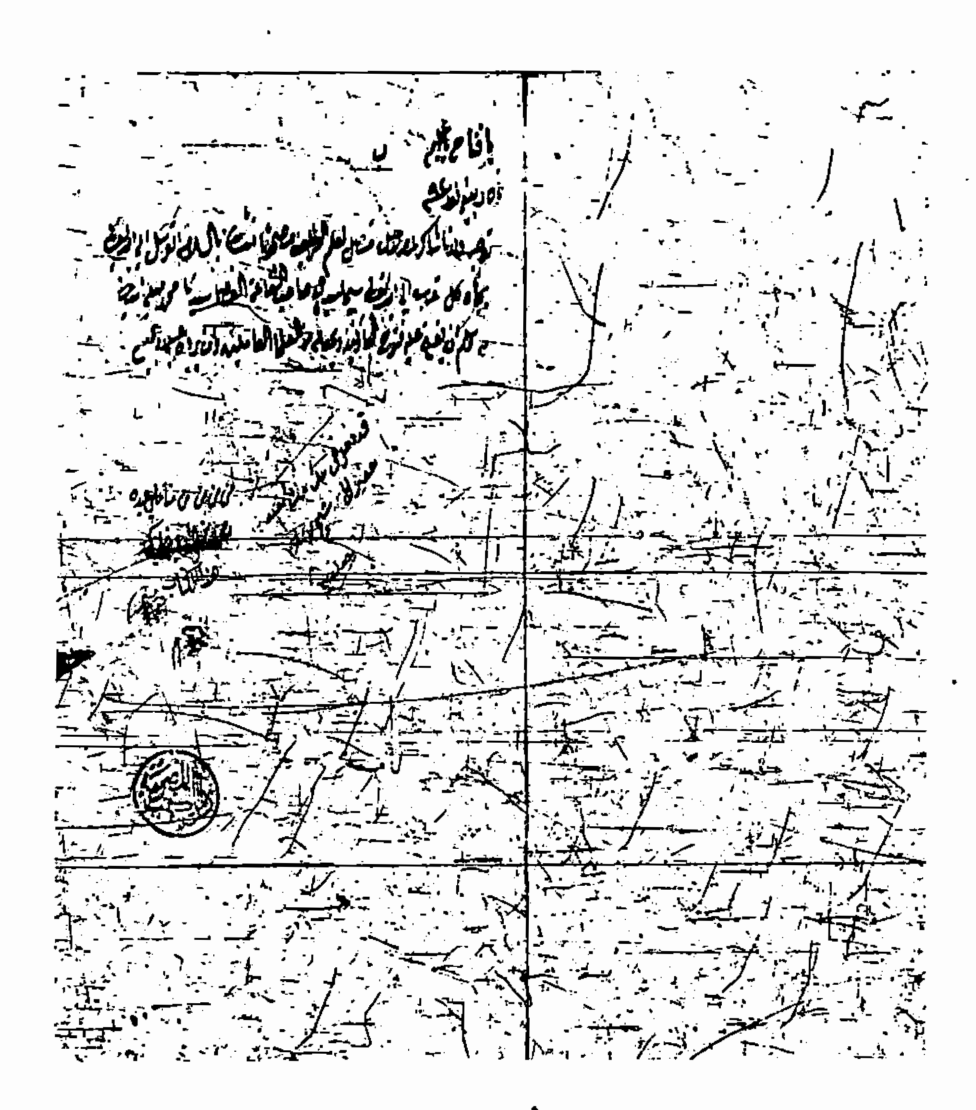
وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.





اللوحة الأولى من المخطوطة

اللوحة الثانية من المخطوطة



اللوحة الأخيرة من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

[تمهيد]

ربنا آتنا من لدنك رحمة، وهيئ لنا من أمرنا رشدا، نحْمَد من شرح صدورنا، ونوّر قلوبنا للنظر في عجائب الملكوت، ونوحِّد من توحَّد في ملكه فأوجد العالم، وجعل أوله إيجادًا نور سيد بني آدم، وخلق الموت والحياة، ولا يلحقه العدم والموت، ونمجد من خلق اللوح والقلم، ونقدس من أوجد العرش والكرسي وغيرهما من العدم، ونتوكل على الحي الذي لا يموت، ونشهد بالربوبية لخالق الأرض والسماء، ومسخر السحاب ليحمل الماء، ومرسل الرياح لواقح للمزن والشجر والنبات والقوت.

ونشهد بالرسالة لسيد العالمين وأشرف المرسلين، المخبر لنا بما غاب عنا من حشر ونشر وجنة ونار إخبار كشف ويقين وثبوت، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي البصيرة والحقيقة والشريعة، الذين حازوا أجلَّ الأوصاف والشرف المنعوت وسلَّم تسليمًا.

وبعد؛ فيقول أحقر الورى وأذلُّ الفقراء مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي: اعلم أن من أجلِّ العلوم في القدر والشأن، وأعظمها في السر والبرهان علم النظر والاستدلال والتفكر في قدرة الكبير المتعال، فبالنظر في مصنوعات الصانع يستدل عليه، والنظر في عجائب الملكوت يرشد إليه؛ فالناظر يطلع على الأسرار الإلهية والبدائع الربانية، ويحصل له زيادة الكشف واليقين والمعارف الجمة، والخير المبين، ويرتقي من عالم الأكدار إلى عالم الأنوار، ولا يصير مقلدًا في معرفة الواحد القهار، والمقلد قد اختلف في صحة إيمانه، وتكلم أهل الكلام في حاله وشأنه، وقد صنف العلماء في عجائب الملكوت كتبًا جمة، وأبدعوا فيها الغرائب إرشادًا للأمة، وقد وقفت منها على ما يسر بالوقوف عليه مولاي المعين، وتأملت معانيها فإذا هي بدور سوافر للناظرين: إلا أن منها ما هو الموجز المخل، والمطنب الممل، لم يف بالمقصود، ولم يستوعب المطلوب المحمود، ومنها ما فيه المقبول والمردود، ولم يحرر فيها غالبًا على سنن المحدثين، ويتمسكون بنقول المؤرخين وأقوال الوضاعين، فلما رأيت ذلك ووقفت على ما هنالك، دعاني داعي المشيئة والإلهام إلى جمع مؤلف فريد في هذا المقام، متكلمًا فيه على العالم

العلوي والسفلي من لدن مبتداه إلى آخر منتهاه، وماذا يصير له أولى وأخرى جانحا في ذلك لنقول المفسرين وأقوال المحدثين وسنة سيد المرسلين، ومجانبا غالبا لأقوال المؤرخين ونقول الوضاعين، وقد نقل ما في هذا المؤلف الفريد والجمع الحسن المفيد من زهاء خمس مائة مؤلف أو تزيد، باعتبار مواد أصوله وقد اجتهدت في تحرير نقوله، وبيان طريق تسهيله، وإيضاح أبوابه وفصوله فأصبح كاسمه: " بهجةُ النَّاظِرِينَ وآياتُ المُستَدِلِّينَ "، فهاك كتابًا لم يسمح الزمان في هذا الفن بمثله، ولم ينسخ الناسخ على منواله وشكله، ودونك مؤلفًا موضح المسائل، محرر الدلائل، سهل العبارات، بيِّن الإشارات، وعباراته فائقة، وألفاظه رائقة، جمع الفوائد من الكتب الصحيحة فأوعى، وأبدع الغرائب وترك الأقوال المرجوحة، فصار من أكثر كتب هذا الفن نفعًا، ولعمري؛ إنه لجدير بأن يرسم بماء العيون ومداد الذهب، وحقيق أن يرقم في صحائف الورق فضلا عن الورق بأحسن خط من كتب، فإنه جنة فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وروضة تكل عن وصفها الشفاه والألسن، وليس الخبر كالعيان، وستُقِرُّ به بعد التأمل العينان، فما كل من صنَّف أجاد، ولا كل من قال وفَّى بالمراد، والفضل مواهب، والناس في الفنون مراتب، والخلائق يتفاوتون في الفضائل، وقد يظفر الأواخر بما ترك الأوائل، وكم لله على خلقه من لُطف وجود، وكل ذي نعمة محسود والحسود لا يسود.

هذا والفقير معترِف بقصر الباع، مغترِف من بحر غيره للانتفاع، مقر بقصور عبارته وحجاه، وسماعك بالمعيدي خير من أن تراه[1].

وهذا المؤلف في الحقيقية لا بُدَّ أن يقع لأحد رجلين: إما عالم محب منصف فيدعو لي بالحسنى ويدفع بالتي هي أحسن بما هو من صفته، وإما جاهل مبغض متعسف فلا اعتبار بموافقته ولا بمخالفته، وإنما الاعتبار بموافقة المحب المنصف لا بالمبغض المتعسف. [كما قال الشاعر][2]: [الطويل][3]

---

(١) قال ابن الكلبي: أنَّ هذا المثل إنّما ضرب للقصعب بن عمرو النهدي، قال فيه النعمان بن المنذر، وهذا على المعنى من قال: قضاعة بن معد، لأن نهدًا من قضاعة: وأما المفضل فحكي عنه إنّه قال: للمنذر بن ماء السماء، قاله لشقة بن ضمرة التميمي ثم أحد بني نشهل بن دارم وكان سمع بذكره، فلما رآه اقتحمته عينه، فقال: "أنْ تسمع بالمعيدي خير من أنْ تراه" فأرسلها مثلا. [الأمثال لأبي عبيد ابن سلام]

(٢) في الأصل: " شعر ".

(٣) البيت لأبي العيناء وهو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر الهاشمي ولاءً. أديب فصيح من ظرفاء العالم، ومن أسرع الناس جوابًا اشتهر بنوادره ولطائفه، وكان ذكيًا جدًا، حسن الشعر، ملح الكتابة، خبيث

إِذا رَضِيَتْ عَنِّـي كِرامُ عَشيرَتِي فَلا زالَ غَضْبانًا عَلَيَّ لِئامُهـــا

وسميته: " **بهجة الناظرين وآيات المستدلين** " جعله الله خالصًا لوجهه الكريم وسببًا للفوز لديه بجنات النعيم، وصب عليه قبول القبول؛ فإنه أكرم مسئول وأعز مأمول، وقد جعلته عشرة أبواب؛ ليكون أسهل لطريق الصواب، وعلى الله الكريم اعتمادي وركني، وإليه فوضت أمرى في حركتي وسكوني.

تنبيه: نقل ما في هذا الكتاب من كتاب الله الذي جمع علم الأولين والآخرين، ومن تفسير الثعلبي، وتفسير الزمخشري، وتفسير الإمام فخر الدين الرازي، وتفسير مكي، وتفسير ابن عطية، وتفسير الكواشي، ومن البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان، وابن منده، وابن منصور، وابن جريج، وابن المبارك، وابن راهويه، وابن عساكر، وابن المنذر، وابن مردويه، والطبراني، والبيهقي، والحاكم، والبزار، والدارقطني، ومسند أحمد، والطيالسي، وابن أبى شيبة، وابن أبى حاتم، وابن أبى الدنيا، والموطأ، وأبو داود، وأبو يعلى وأبو الشيخ، وأبو نعيم، ونعيم بن حماد، والديلمي، وهناد، والأصبهاني، والخطابي، والخطيب، والإحياء للغزالي، والدرة الفاخرة له.

ومن كتب التاريخ كمسالك البكري، وبهجة النفس، والجعفرية، وخريدة العجائب، ومن الهبة السنية للحافظ السيوطي، وشرح الصدور له، والبدور السافرة له، ومن شرح البخاري للحافظ ابن حجر، والروح لابن القيم، وبحر الكلام للنسفي، وشرح العقائد للنسفي، ومن تذكرة القرطبي، ومن كنز الأسرار ولواقح الأفكار، وهو أجلُّ كتب هذا الفن، إلى غير ذلك من التصانيف المفيدة والرسائل العديدة، فصار مجتمعًا في هذا المؤلف ما هو مفترق في كتب كثيرة غيره، والله أسأل أن لا ينساني من بره وخيره إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير.

= =

اللسان في سب الناس والتعريض بهم. كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره. أصله من اليمامة، ومولده بالأهواز، ومنشؤه ووفاته في البصرة.

قال المتوكل: لو لا أنه ضرير لنادمته، فنقل إليه ذلك فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة فإني أصلح للمنادمة وتوفي عام ٢٨٣هـ.

لطيفة: قد أحببت أن أذكر في صدر هذا الكتاب ما يسر ذوي الفضائل والألباب ممن بلغ في الرتبة لأن يجدوا بها يرتدع به الحسود ويكمد.

- روى القاسم بن أصبغ، وأبو بكر بن أبي شيبة، بإسنادهما عن الزبير بن العوام رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَا أَقُولُ إنها تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلك؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ ". ورواه أيضًا الترمذي وأحمد وهو حديث صحيح(١).

وفي الحديث: " الْغِلُّ وَالْحَسَدُ يَأْكُلانِ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ "(٢).

وعن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا "(٣).

وفي الحديث:" إن لنعم الله تعالى أعداء، قيل: من أعداء نعم الله تعالى يا رسول الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله".

وعن معاوية: أنه قال لابنه: (يا بني؛ إياك والحسد فإنه يتبين فيك قبل أن يتبين في حاسدك).

وقال بعض الحكماء: (إياكم والحسد؛ فإن الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء، وأول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض). يشير إلى إبليس وقابيل.

ورُوِيَ عن الأحنف بن قيس قال: (لا راحة لحسود، ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب، ولا سؤدد لسيئ الخلق).

وقال ابن سيرين: (ما حسدت أحدًا على شيء في الدنيا؛ فإن كان من أهل الجنة فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة؟! وإن كان من أهل النار فكيف أحسده وهو صائر إلى النار؟!).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وأخرجه أحمد في مسنده (١٤١٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (١٦٨)، والطيالسي في مسنده (١٩٠)، والبيهقي في السنن الكبرى ج١٠/ ٢٣٢.

(٢) ذكره هناد في الزهد مرسلا من حديث الحسن البصري (١٣٩١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في التوبيخ والتنبيه من حديث أنس بن مالك (٧٣).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٦٠٦٦)، ومسلم (٢٥٦٤).

وقال الحسن البصري: (يابن آدم؛ لِمَ تحسد أخاك؟ فإن كان الذي أعطاه الله عز وجل لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله؟! وإن كان غير ذلك فلا ينبغي لك أن تحسد من مصيره إلى النار).

وقال بعضهم: (ليس شيء أضر من الحسد، يصل إلى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود: غم لا ينقطع، ومصيبة لا يؤجر عليها، ومذمة لا يحمد بها، ويسخط عليه الرب، وتغلق عنه أبواب التوفيق).

وقد ورد في ذم الحاسد آثار كثيرة وأخبار شهيرة، ولقد أحسن بعض الفضلاء حيث قال[1]:[المتقارب]

أَلا قُل لمن كان لي حاسِدًا ... أَتَدري على من أَسَأت الأَدَب

أَسَأتَ عَلى الله في حكمه ... كأنك لم تَرضَ لي ما وَهَب

فجازاك عني بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب

واعلم أن من أشد الناس تحاسدًا العلماء لا سيما في زماننا هذا، ابتلاهم الله بذلك نعوذ بالله من ذلك.

روى ابن السكن بإسناده عن ابن عباس قال: (استعملوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده؛ لهم أشد تغايرا من التيوس في زربها).

وروى مقاتل، وابن حبان، وعطاء الخراساني، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، قال: (خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم علي بعض، فإنهم يتغايرون تغاير التيوس في الزريبة).

وعن مالك بن دينار قال: (يؤخذ بقول القراء والعلماء في كل الأقوال إلا قول بعضهم علي بعض، فلهم أشد تحاسدًا من التيوس، تنصب لها الشاة الصارف فيقتلها هذا من هنا وهذا من هنا).

---

(١) الأبيات من شعر منصور بن إسماعيل الفقيه. وهو شاعر وفقيه شافعي، ضرير، أصله من رأس العين (بالجزيرة) سافر إلى بغداد في شبابه، ومدح بها الخليفة والمعتز ثم سكن مصر وتوفي بها. وكان خبيث اللسان في الهجو، ونقل عنه كلام في الدين، وشهد عليه بذلك شاهد، فقال القاضي (أبو عبيد) إن شهد عليه ثان ضربت عنقه. فاستولى عليه الخوف ومات.

له كتب منها: (الواجب)، (المستعمل)، (والهداية) في الفقه، (وزاد المسافر). توفي عام ٣٠٦ هـ.

وعن ابن وهب أنه قال: (لا تجوز شهادة القراء بعضهم على بعض – يعني: العلماء – لأنهم أشد تحاسدا وتباغضا).

وعن مالك بن دينار قال: (إني أجيز شهادة القراء على جميع الخلق، ولا أجز شهادة بعضهم على بعض). وكذلك قال سفيان الثَّوْري.

وروى سحنون، عن ابن وهب، عن ابن عبد العزيز ابن أبي حاتم، قال: سمعت أبي يقول: (العلماء كانوا يقولون فيما مضى من الزمان: إذا لقي العالم من هو فوقه كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يره عليه، حتى إذا كان هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء أن ينقطع عنه الناس، حتى يروا أنه ليست بهم حاجة إليه، ولا يذاكر من هو مثله، ويهزأ على من هو دونه فهلك الناس، فإذا وقع مثل هذا في زمانهم وزمن السلف، فلأن يقع مثله في الخلف أجدر سيما لما جبل عليه أبناء هذا الزمان من الأتراب والأقراب من جحد الفضائل مع قيام الدلائل، ويحبون لأنفسهم دون غيرهم الرئاسة والتعظيم، ويسارعون إلى نبذ من تلوح عليه شواهد العلم بالقول الذميم، وينتقدون علي من صنف كتابًا، ويلتمسون بانتقادهم العثرات، ويحسبون السيئات حسابًا، ويضربون صفحًا عن الحسنات، فأصبحت أعراض المصنفين أغراض سهام ألسنة الحُسَّاد، ونفائس تصانيفهم معرضة بأيديهم تنتهب فوائدها، ثم ترميها بالكساد)، ولقد أحسن الإمام أبو حنيفة بقوله حين حسدوه[1]: [البسيط]

إن يَحْسُدوني فَإِنّي غَيرُ لائِمِهِم ... قَبلي مِنَ الناسِ أَهلُ الفَضلِ قَد حُسِدوا
فَدامَ لي وَلَهُم ما بي وَما بِهِمُ ... وَماتَ أَكثَرُهم غَيظًا بِما يَجِدُوا

---

(١) الأبيات من شعر بشار بن برد العُقيلي، أبو معاذ. وهو أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان غربي نهر جيحون ونسبته إلى امرأة عقيلية قيل أنها أعتقته من الرق. كان ضريرًا.

وبشار أحد المطبوعين. الذين كانوا لا يتكلفون الشعر، ولا يتعبون فيه، وهو من أشعر المحدثين. وحضر يوماً عند عقبة بن سلم، وعقبة بن رؤبة بن العجاج ينشده رجزاً يمتدحه فيه، فاستحسن بشار الأرجوزة، فقال عقبة بن رؤبة هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ! فقال بشار ألمثلي يقال هذا؟! أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك، ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التي أولها:

يا طَلَلَ الحَيِّ بذات الصَّمْدِ ... بالله خبِّرْ كَيْفَ كُنْتَ بَعْدِي

نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية، وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى، جمع بعضه في ديوان. اتهم بالزندقة فمات ضربًا بالسياط، ودفن بالبصرة، وتوفي عام ١٦٧ هـ.

إذا تقرر ذلك فلنشرع في المقصود من الكتاب بعون الله الملك الوهاب:

الباب الأول: في ذكر العالم العلوي.

الباب الثاني: في ذكر العالم السفلي.

الباب الثالث: في ذكر خلق الإنس والجن.

الباب الرابع: في ذكر الموت وما يتعلق به.

الباب الخامس: في أشراط الساعة.

الباب السادس: في قيام الساعة وحراب هذا العالم وتغيير نظامه.

الباب السابع: في ذكر المحشر والوقوف والحساب وما يتعلق بذلك.

الباب الثامن: في ذكر الجنة ونعيمها.

الباب التاسع: في ذكر النار وعذابها.

الباب العاشر: في ذكر مسائل متفرقة.

وقد ذكرت في كل باب عدة فصول كما ستراها فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

مقدمة

اعلم أن العالم اسم لما سوى الله تعالى مما يعلم به ويستدل عليه بسببه،وسُمى العالم عالَمًا؛ لأنه علم على وجود الصانع جل ذكره، ولذلك قال بعضهم: أصل عالم: علم، فزيدت الألف للإشباع، يقال: عالم الأجسام، وعالم الأعراض، وعالم النبات، وعالم الحيوان، إلى غير ذلك.

وهو إما علوي: كالعرش والكرسي والسماوات ومن فيهن، وإما سفلي: كالأرضين وما فيهن.

وهو إما أعيان أو أعراض، فالعين: ما قام بنفسه. والعرض ما لا يقوم بنفسه، بل بغيره كاللون والطعم والصوت، وهو بجميع أجزائه محدث. بمعنى أنه كان معدوما فوجد، والمحدث له هو الله، القديم، الحي، القادر، السميع، البصير، ليس سبحانه بعرض، ولا جسم، ولا جوهر، ولا معدود، ولا محدود، ولا متبعض، ولا متجز، ولا مركب، ولا متناه، ولا يوصف بالماهية ولا بالكيفية، ولا يتمكن في مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا يشبهه شيء، ولا يخرج عن علمه وقدرته شيء.

وله سبحانه وتعالى صفات أزلية قائمة بذاته، وهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والبقاء. وهو تعالى خالق لأفعال العباد من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، فكل أفعالهم بإرادته ومشيئته، وحكمه وقضائه، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به العقول، ليس قبله شيء، ولا بعده شيء، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، متنزه سبحانه وتعالى عن الكيفية، وتعزز جل ذكره عن الأينية، ووجد في كل شيء، وتقدس عن الظرفية، وحضر عند كل شيء، وتعالى عن الضدية، وهو أول كل شيء وليس له آخرية، إن قلت أين؟ فقد طلبته بالأينية، وإن قلت: كيف؟ فقد طالبته بالكيفية، وإن قلت: متي؟ زاحمته بالوقتية، وإن قلت: ليس، فقد عطلته عن الكونية، وإن قلت: لو، فقد قابلته بالنقصية، وإن قلت: لم؟ فقد عارضته في الملكوتية، لا يسبق بقبلية، ولا يلحق ببعدية، ولا يقاس بمثلية، ولا يقرب بشكلية، ولا يعاب بزوجية، ولا يوصف بجوهرية، ولا يعرف بجسمية، لو كان شيخًا لكان معروف الكمية، بل هو واحد ردا على الثنوية، صمد ردا على الوثنية، لا مثل له طعنا على الحشوية، لا كفؤ له ردا على من ألحد في الوصفية، لا يتحرك متحرك لا بخير أو شر في سر أو جهر في بر أو بحر إلا بإرادته وقدرته ردا على القدرية، خلق الخير وارتضاه، وخلق الشر وقضاه، وأثاب من أطاعه وعذب من عصاه ردا على الجبرية، لا

تضاهى قدرته، ولا تتناهى حكمته، تكذيبا للهديلية، حقوقه الواجبة وحججه الغالبة، ولا حق لأحد عليه إذا طالبه، نقضا لقاعدة النظامية، خلق كل جسم وما فيه من لون وطعم وصحة وسقم وذوق وشم وفرح وهم إبطالا لمذهب العمرية، عادل لا يظلم في أحكامه، صادق لا يخلف في إعلامه، متكلم بكلام أزلي لا خالق لكلامه، أنزل القرآن فأعجز به الفصحاء في نظامه، إرغامًا لحجج المرداوية، يستر العيوب ويغفر الذنوب لمن يتوب دحضًا للبشرية، تنزه عن الزيف وتقدس عن الحيف، ونؤمن أنه ألف بين قلوب المؤمنين، وأنه أضل الكافرين ردا على الهشامية، ونصدق أن فساق هذه الأمة خير من اليهود والنصارى والمجوس ردا على الجعفرية، ونقر أنه يرى نفسه، ويرى غيره، وأنه سميع لكل نداء، بصير بكل خفاء ردا على الكعبية، خلق خلقه في أحسن فطرة، وأعادهم بالفناء في ظلمة الحفرة، وسيعيدهم كما بدأهم أول مرة، ردا على الدهرية، فإذا جمعهم ليوم حسابه يتجلى لأحبابه فيشاهدونه بالبصر كما يرى القمر، فلا يحتجب إلا على من أنكر الرؤية من المعتزلة والجهمية.

تنبيه: سُئل بعض العلماء عن الله تعالى فقال: إن سألت عن أسمائه فقوله: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وإن سألت عن صفاته فقوله: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]. وإن سألت عن أقواله، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]. وإن سألت عن أفعاله فقوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]. وإن سألت عن نعته فقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣]. وإن سألت عن ذاته فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ ﴾ [الشورى: ١١]. إلخ.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأرض ﴾ [الأنعام:٣] المراد بذلك: نفوذ الأوامر والنواهي ووقوع الحوادث على وفق إرادته تبارك وتعالى، وسأل رجل الحافظ: منذ متى كان ربنا؟ قال: عليك أن تحاسب مع نفسك حتى أتفرغ لجوابك، فلما فرغ قال: أي الحساب عقدته أولا؟ فقال: الواحد قال: وهل وجدت قبل الواحد في حسابك شيئا؟ قال: لا، قال: فاعلمْ أنه لم يكن قبله شيء لأنه واحد، وليس قبل الواحد شيء، وسأل قوم عليا كرم الله وجهه فقالوا: يا ابن عم رسول الله، أين كان ربنا؟ أو هل له مكان؟ فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال: (قولكم: أين؟ سؤال عن المكان، وكان الله ولا مكان له، ثم خلق المكان والزمان، وهو الآن كما كان بلا مكان ولا زمان).

وروي عن مالك بن أنس رضي الله عنه: أن رجلا سأله عن قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]. فقال مالك: (الاستواء غير مجهول، والكيفية غير معقولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا ضالا فأخرجوه)، فإذا هو جهم بن صفوان.

وفي تفسير البغوي: عن أُبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ [النجم: ٤٢]. قال: لا فكرة في الرب، وعن أبي هريرة مرفوعًا: "تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ، فَإِنه لا تُحيط بِهِ الفِكرة"[١].

وفي الحديث: " لا تتفكروا في عظم ربكم، ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة، فإن خلقًا من الملائكة يقال له: إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قدماه في الأرض السفلى، وقد مرت رأسه من سبع سموات وإنه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوصع وهو طائر دون العصفور"[٢].

وقال الشافعي: (من انتهض لطلب مدبره فإن انتهى إلى موجود ينتهي إلى فكرة، فهو مشبه، وإن اطمأن إلى نفي محض فهو معطل، وإن اطمأنَ إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد).

وعن علي: (أن العقل لإقامة رسم العبودية ولإدراك الربوبية).

وفي الحديث:" إن الله تعالى احتجب عن العرش كما احتجب عن الأبصار، وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم". انتهى.

وسُئل أعرابي عن دليل وجود الصانع، فقال: البعرة تدل على البعير، وآثارالأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على العليم الخبير؟!

وعن أُبي بن كعب قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لقومه......

وسُئل صوفي عن الدليل على أن الله تعالى واحد فقال: أغنى الصباح عن المصباح.

---

(١) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده من (٨٢٢)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٥)، وهناد بن السري في الزهد (٩٤٥).

(٢) أخرجه الربيع بن حبيب في مسنده من (٩٤٧)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧٩٣١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢٨٨).

وعن جعفر الصادق قال: (صحبت أربعمائة صوفي وسألتهم عن أربع مسائل فلم يجبني واحد منهم عنها فاغتممت لذلك، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم منامًا فسألني عن حالي فأخبرته بذلك، فقال: سل مسائلك. فقلت له: ما حقيقة التوحيد؟ وما حد العقل؟ وما حد التصوف؟ وما حقيقة الفقر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: أما حقيقة التوحيد فهو مهما خطر ببالك فهو هالك، والله سبحانه وتعالى بخلاف ذلك، وأما حد العقل فأدناه ترك الدنيا وأعلاه ترك التفكر في ذات الله عز وجل، وأما حد التصوف فترك الدعاوى وكتمان المعاني، وأما حقيقة الفقر فهو أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء، وأنت راض عن الله تعالى في الحالتين. ـ

فائدة: في ذكر شيء من كرم الله وعفوه: ففي البخاري، عن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، يَدَّعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ "[1].

فائدة: وفي مسلم قال عبد الله بن قيس: " مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ "[2].

وفي البخاري: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: " أَنَا مَعَ عَبْدِي حيثما ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ ". وفيه أيضًا: " أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "[3].

وفي البخاري أيضًا: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ "[4].

وفي البخاري أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: "لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٩)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، (٧٥٠٥)، وأخرجه مسلم (٢٦٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، (٦٢٦٧)، (٧٣٧٣)، وأخرجه مسلم (٣١).

وسلم فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَالله لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ الله حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ الله وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ الله وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ"[١].

وفيه أيضًا من حديث أبي هريرة، قال: "لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ وَهُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِهِ وَهُوَ وَضْعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي "[٢].

وفيه أيضًا من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ اللهَ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ عَذَابِي"[٣]. صوابه: "غَضَبِي".

وفيه أيضًا عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَدُ الله مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ". وَقَالَ: "أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ، يَخْفِضُ، وَيَرْفَعُ، لا إله إلا هو، يفعلُ مَا يَشَاء، ويحكمُ مَا يُريد، يعلمُ خائنة الأعين ومَا تُخفي الصدور، ولا مُعقب لحكمِهِ، وهُو سَريع الحساب"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤٦)، (٧٤١٦)، (١٥٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٨٤).

الباب الأول
في ذكر العالم العلوي

وهو اسم لما فوقنا من عرش وكرسي ولوح وقلم وجنة وسماء وملك وشمس وقمر وغير ذلك، واعلم أن العالم كله محدث، وقد أجمع أهل الحق على حدوثه إذ هو متغير وكل متغير حادث، وقد ثبت بالدلائل القطعية امتناع القول بوجود حوادث لا أول لها، ففي البخاري عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه قوم من بني تميم فسألوه عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: "كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ"(١).

واختلفوا: لِمَ خلق الله الخلق؟ فقيل: خلقهم لأجل محمد صلى الله عليه وسلم، وقيل: خلقهم ليعبدوه لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

وقيل: خلقهم للاختلاف الواقع بينهم لقوله تعالى: ﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

وقيل: خلقهم ليُعرف، فلو لم يخلق لما عُرِفَ، ويؤيد هذا ما ورد في بعض الكتب المنزلة، بقول الله تعالى: (كنت كنزا لا أُعرف فأحببت أن أُعرف، فخلقت الخلق، وتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني).

وقال بعضهم: خلق الخلق ليظهر معرفتهم، ويرزقهم ليظهر إحسانه، ويميتهم ليظهر سلطانه، ويحييهم ليظهر قدرته، ويعذبهم ليظهر نقمته، ويدخلهم الجنة ليظهر رحمته.

وقال بعضهم: خلق الخلق لأمر عظيم غيبه عنهم، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. ولذلك قيل: إن بالمشرق ملكًا وبالمغرب

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٨)، وابن حبان في صحيحه (٦١٤٢)، وفيه: عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: "إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، قَالُوا: بَشَّرْتَنَا، فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، فَقَالَ: اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا: قَبِلْنَا جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ، أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَايْمُ اللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ".

آخر، ينادي أحدهما الآخر يقول: ألا ليت هذا الخلق لم يخلقوا، فيجيبه الآخر: ويا ليتهم إذا خلقوا عرفوا لمَ خلقوا. إذا تقرر ذلك فنقول وبالله المستعان.

فصل في أول المخلوقات

وقد اختلف العلماء فيه، فقيل: الماء. وقيل: الهواء. وقيل: الغمام، وهو السحاب الرقيق. وقيل: العرش، وقيل: القلم. ولكل قول دليل.

روى الترمذي، عن أُبي بن كعب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ** "[١].

قال عبد الرحمن بن أبي زرارة: وهذا الحديث من الصحاح.

وقال الحافظ أبو العلا الهمداني: الأصح أن العرش قبل القلم لما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء** "[٢].

فهذا صحيح أن التقدير وقع بعد خلق العرش؛ لأن التقدير وقع عند أول خلق القلم، لحديث عبادة بن الصامت مرفوعًا: " أول ما خلق الله القلم، قال له: اكتب، قال: يا رب؛ وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء[٣] ".

رواه أحمد والترمذي وصححه. فعلم مما سلف أن القلم خلقه الله تعالى لما أمره بتقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام، وأن هذا التقدير المخصوص به وبحوادثه كان قبل خلقه بخمسين ألف سنة كما نبه عليه ابن تيمية رحمه الله.

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في "قانونه": إن أول ما خلق الله العرش، فكان عرشه على الماء ما شاء أن يكون، وكان الماء على متن الريح وفي الهواء.

قال: وفي الخبر الصحيح عن ابن عباس: (**أن الله تعالى خلق العرش فوضعه على الماء، وكان خلق العرش قبل خلق الكرسي بألف عام**)، وسيأتي أن الكرسي خلق قبل القلم.

وروى أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي رزين العقيلي: "أن الماء خلق قبل العرش"، وروى السدي بأسانيد متعددة: "أن الله تعالى لم يخلق شيئًا مما خلق قبل الماء".

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣١٩)، وقال: حديث حسن صحيح

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٦)، وأخرجه الترمذي (٢١٥٦)، وأخرجه ابن ماجه (١٤١٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣١٩)، وأخرجه أحمد (٢٢١٩٨).

والمشهور الذي عليه الجمهور من العلماء: أن أول المخلوقات نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ستسمع فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قلت: والجمع بين ما مر من الأحاديث المتعارضة على ما أشار لبعضه صاحب المواهب أن من قال: القلم أول المخلوقات، يعني بالنسبة لما عدا العرش والكرسي والماء والهواء والنور المحمدي، وهكذا يقال في كل واحد أوليته بالنسبة لما عدا ما قبله.

فصل في النور المحمدي صلى الله عليه وسلم

قال في "المواهب القسطلانية": روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؛ أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ تعالى قَبْلَ الأَشْيَاءِ، فَقَالَ: "يَا جَابِرُ؛ إِنَّ اللهَ خَلَقَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ، فَجَعَلَ ذَلِكَ النُّورِ يَدُورُ بِالْقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللهُ تعالى، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَوْحٌ وَلا قَلَمٌ، وَلا جَنَّةٌ وَلا نَارٌ، وَلا مَلَكٌ، وَلا سَمَاءٌ وَلا أَرْضٌ، وَلا شَمْسٌ وَلا قَمَرٌ، وَلا جِنِّيٌّ وَلا إِنْسٌ، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء مختلفة، فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء، فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم، وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم، وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ". الحديث[1].

وروى ابن العربي نزيل دمشق بسنده من حديث إسحاق بن بشر القرشي، عن مقاتل بن سليمان، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، -وإن كان أبو الشيخ أخرجه من طريق أبي عصمة، وهو كذَّاب وضَّاع- قال: "لَمَّا أراد الله أن يخلق الخلق أولا خلق نورا، وخلق من ذلك النور ظلمة، وخلق من تلك الظلمة نورًا، وخلق من ذلك النور ياقوتة حمراء غلظها غلظ السبع سماوات والسبع أراضين وما بينهن، ثم دعى تلك الياقوتة فلما سمعت كلام الله تعالى ذابت الياقوتة فرقًا حتى صارت ماء، فارتعد الماء من دهشة تلك المهابة والخوف، ثم خلق الريح، ثم وضع الماء على متن الريح، ثم خلق العرش فوضع العرش على الماء، وخلق للعرش ألف لسان، لكل لسان ألف لون من التسبيح والتحميد، وكتب في قباله: أني أنا الله، لا إله إلا

---

(١) الآثار المرفوعة ج١/ ٤٢.

أنا وحدي لا شريك لي، ومحمد عبدي ورسولي، فمن آمن برسولي وصدق بوعدي أدخلته جنتي، ثم خلق الكرسي بعد عرشه بألفي عام. الحديث إلي قوله: ثم خلق الله القلم من نور جعل طوله من السماء إلي الأرض، فخر لله ساجدًا، ثم خلق اللوح المحفوظ فخر أيضًا ساجدًا ". الحديث.

ففي هذا أن القلم خُلق قبل اللوح وهو كذلك، وسيأتي تتمته إذا تقرر ذلك، فاعلم علي ما قال بعض علماء أهل الكشف من الصوفية: أنه لما تعلقت إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية، وذلك أنه سبحانه اقتطع قطعة من نور لم تكن به متصلة فتكون عند القطع منفصلة، ولكن لما أراد الله سبحانه إيجاده علي الصورة التي أراد فكان محمد زين العباد، فلما أبدعه الله حقيقة مثلية وجعله نشأة كلية حيث لا أين ولا بين قال له: أنا الملك وأنت الملك، وأنا المدبر وأنت الفلك، وسأقيمك فيما يتكون عنك من مملكة عظمتي وطامة كبري سايسًا ومدبرًا وناهيًا وآمرًا، وتعطيهم علي حد ما أعطيك، وتكون فيهم كما أنا فيك، فحد الحد والزم العهد، وأسألك بعد التنزير والتدبير عن النقير والعظيم، فتصيب لهذا الخطاب عرقًا حيًا، فكان ذلك العرق الظاهر ماء وهو الذي نبأ به الحق تعالى في صحيح الأنبياء بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧] ثم انبجست منه عليه الصلاة والسلام عيون الأرواح، فظهر الماء الأعلي فكان لهم المورد الأحلي، ثم نظر الله تعالى إلي ما أوجده في قلبه من مكنون الأنوار ورفع عنه ما اكتنفه من الأسرار فتجلي له من جهة القلب والعين، حتي تكاثف النور من الجبهتين، فخلق الله تعالى من ذلك النور الناشيء عنه عليه السلام العرش العظيم، ثم نظر له مرة أخري فانبعثت منه أشعة استدارت أنوارها كاستدارة المرآة الري فخلق منها الكرسي الكريم، ثم خلق منه أنوار التمام فكان عنها السبع الطباق متماسة الأجرام، فنظر عليه السلام ذاته، يعني: الاستقصاء إذ قد أنشأه الحق سبحانه وتعالى محل الإحصاء، فقبض عليه سبحانه عند هذه النظرة ومرور هذه الخطرة قبض الجلال والهيبة ليخرج ما بقي من الأشعة في تلك الغيبة، فعندما اشتد عليه الأمر وقوي عليه القهر رشح لتلك الضغطة فكان ذلك الرشح ماء، ثم نفس عنه يسيرًا فكان ذلك النفس هو إثم أوقف علي سرًا لجبهته التي قبضه منها، فلاح له ميزان العدل قائمًا فزفر زفرة فكانت تلك الزفرة نارًا لبحرين تلاطما فستر عليه ميزان العدل حجاب الفضل، فوجد برد الرحمة فيبس ما

بقي من الرشح فكان ذلك البرد واليبس أرضا، ثـم نـاداه في الحضرة العليـة: يـا محمـد؛ هـذه أصول الكون فصرها إليك، ثم أخرج بعضها ببعض لديك فهو عليه السلام أصل المجودات ونور الكائنات، وهو أصل الوجود وسيده، ومبدأ العالم ومدده هو صلي الله عليه وسلم المشار إليه في قول بعض ذو الفرقان: ليس في الإمكان أبدع مما كان.

فصل في القلم

قال الله تعالى: ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم: ١] ففي تفسير مكي، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن نون الدواة، والقلم هو القلم المعروف، قال: خلق الله النون وهو الـدواة، وخلق القلم فقال: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة مـن عمـل عمل معمول بر أو فاجر، ورزق مقسوم حلال أو حرام، ثم الزم كل شيء من ذلك بيانـه مـن دخوله في الدنيا متى؟ ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف[1]؟

وفي بعض التفاسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أن أول ما خلـق الله القلـم ثـم خلق النون، وهو الدواة"**. وأخرج البزار، عن عبادة بن الصامت، قـال: سـمعت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**" أول ما خلق الله القلم فقال: اجر، فجرى بـها هـو كـائن إلى يـوم القيامة [2]"**. قال علي بن المديني: إسناده حسن.

وفي تفسير الثعلبي قال ابن عمر: قال النبي صلي الله عليـه وسـلم: **" أول شيء خلقـه الله تعالى القلم من نور وطوله خمسمائة عام، فقال للقلم: اجر، فجري بها هو كائن إلي يـوم القيامـة من عمل برها وفاجرها ورطبها ويابسها "**.

وقال وهب بن منبه: خلق الله القلم من نور طوله خمسمائة عام قبل أن يخلق الخلـق فقـال له: اكتب، فقال القلم: وما أكتب يارب؟ قال: اكتب علمي في خلقي إلى يوم القيامة، فجـرى القلم على علم الله، قال: وسن القلم مشقوقة ينبع منها المداد.

---

(١) تفسير روح المعاني ١٩/ ٣٠، وتكملة هذا الحديث: ثم جعل على العباد حفظه وعلى الكتاب خزانـاً فالحفظة يستنسـخون كل يوم من الخوان عمل ذلك اليوم فإذا فني الرزق وانقطع الأمر وانقضى الأجـل أتـت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً فترجع فيجدونه قـد مـات ثم قال ابن عباس ألـستم قوماً عرباً تـسمعون الحفظة يقولون إن كنا نستنسـخ مـا كنـتم تعملـون وهـل يكـون الاستنساخ إلا من أصل؟

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٦٨٧.

ومن حديث ابن العربي السابق: "ثم خلق القلم من نور، وجعل طوله من السماء إلى الأرض فخر لله ساجدًا، ثم خلق اللوح المحفوظ فخر لله أيضًا ساجدًا، ثم قال لهما: ارفعا رءوسكما، وخلق للقلم ثلاثمائة وستين سنة، يستمد كل سنة من ثلاثمائة وستين بحرًا من العلوم، واللوح من زمردة خضراء له دفتان من ياقوت، فقال للقلم: اكتب. فقال: ماذا أكتب يارب؟ قال: اكتب في اللوح المحفوظ قضائي في خلقي وعلمي وقدري الذي قدرته عليهم، وكل ما هو كائن، فجرى القلم في اللوح المحفوظ يكتب، والحق يملي ما هو كائن إلى يوم القيامة".

فصل في اللوح المحفوظ

قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢].

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في تفسير هذه الآية: (أنه لوح من درة بيضاء، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدر والياقوت، ودفتاه من ياقوتة حمراء، وأصله في حجر ملك، يقال له: ساطريون، محفوظ من الشياطين ومن أن يبدل أو يغير، لله فيه في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستون لحظة يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء)[1].

وعن ابن عباس أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]. قال: (إن لله لوحًا محفوظًا من الشياطين مسيرة مائة عام، من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة، له فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة).

﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يعني: اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير. حكاه الثعلبي، وحكى أيضًا في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩] أن مما خلق الله لوحًا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور، وكتابه نور، وينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء، فذلك قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

---

(١) تفسير روح المعاني ٢٢/ ٣٣٩، موقوف على ابن عباس وفيه إسحاق بن بشر، قال ابن حبان: لا يحل حديثه إلا على جهة التعجب وقال الدارقطني: متروك. وقال الذهبي: يروي العظائم عن ابن إسحاق وابن جريج والثوري. انظر: الضعفاء لابن حبان: ١\٣٧، الميزان للذهبي: ١\١٨٤. وراجع ابن كثير: ٤\٤٩٨.

وقال وهب بن منبه: (خلق الله لوحًا من درة بيضاء، قلمه من درة خضراء، وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة، يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويرفع أقوامًا، ويخفض آخرين، ويحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد).

وذكر الإمام فخر الدين في تفسير قوله تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٩] أنه اللوح المحفوظ. قال: وجميع حوادث العالم العلوي والعالم السفلي مثبتة فيه.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " كان الله ولا شيء معه، ثم خلق اللوح المحفوظ، وأثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة ".

وذكر الفخر أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. الآية: أن من فوائد هذا الكتاب أنه تعالى إنما كتب هذه الأحوال في اللوح المحفوظ لتقف الملائكة على إنفاذ علم الله تعالى في المعلومات، وأنه لا يغيب عنه شيء مما في السماوات والأرض، فيكون ذلك عبرة تامة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ؛ لأنهم يقابلون به ما يحدث في هذا العالم، ليجدونه موافقًا له، وأما موضع اللوح فقد مر أن أصله في حجر ملك، وقال ابن عباس: (إن اللوح الذي ذكره الله تعالى هو في جبهة إسرافيل). وقال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وفي تفسير الفخر من حديث البيهقي، عن النبي صلى الله عليه وسلم: " هو إسرافيل وأن بين يديه اللوح المحفوظ، فإذا أذن له في شيء من السماء أو من الأرض ارتفع ذلك اللوح، فضرب جبهته، فنظر فيه، فإذا كان الأمر من عمل جبريل أمره به، أو من عمل ملك الموت أمره به "[1]. الحديث.

وفي حديث إسحاق، عن أبي بكر الهذلي، عن الحسن: (ليس شيء أقرب إلى الله عز وجل بعد إسرافيل من ثلاثة: الرحمة وأم الكتاب والحكمة، فالرحمة عن يمينه، وأم الكتاب عن اليمين الأخرى، فإن كلتا يدي الله يمين مباركة طيبة، والحكمة فيما بين ذلك، فإذا أراد الله أن يقضي أمرًا قضاه بعلمه، ولا يشهده أحد من خلقه حين يحكمه).

وثبت في التفاسير: أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماوات مثل الصلصلة على الصفوان، ففزعوا حتى إذا انقضى ذلك، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير.

---

(١) البيهقي في شعب الإيمان ١/ ١٧٧، وأبو الشيخ في العظمة ٢/ ٧٠١.

تنبيه: إذا علمت ما مر فمذهب أهل الحق: أن الله تعالى قدر المقادير، وما يكون من الأشياء قبل أن يكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها، وخالفت القدرية ومن ذهب إلى مذهبهم وقالوا: إنه سبحانه لم يقدر الأشياء، ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفة العلم، أي: إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكذبوا على الله في قولهم ومذهبهم، وهو مذهب باطل، ويدل على بطلانه الكتاب والسنة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرض وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١].

وأما السنة فما مر وحديث مسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[1]"**. وفي مسلم أيضًا: **"حيث تحاج آدم وموسى، وفيه: قال آدم لموسى: أفتلومني على أمر قد قدر علي قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة "[2]**.

وفي مسلم أيضًا من حديث علي بن أبى طالب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه قال: **"ما من نفس منفوسة إلا وكتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كتب شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله؛ أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فيسرون لعمل أهل الشقاوة"[3]**.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٥٦، وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ٧٥٦، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٦٠٣.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٥٣، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ١٦٦٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٣٧٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٢١٠، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ١٨٧٢.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٤٩)، (٢٦٥٠).

وقال البخاري في بعض طرقه في هذا الحديث: "اعملوا، كل يعمل لما خلق له، أو لما يسر له "[1].

وفي تفسير الكواشي[2]: للسعادة علامات: لين القلب، وكثرة البكاء، والزهد في الدنيا، وقصر الأمل، وكثرة الحياء.

وللشقاوة خمس علامات: قسوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل، وقلة الحياء.

وفيه أيضًا عن بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]: خاطبهم قبل خلقهم فسماهم كافرين ومؤمنين في أزله، فأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم، وقدر عليهم، وأخبر أنه علم ما يكون من خير أو شر.

وفي الحديث:" خلق فرعون في بطن أمه كافرًا، وخلق يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمنًا"[3]. فثبت بالكتاب والسنة بطلان قول القدرية، وفي الحديث:" الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ"[4].

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عمران بن الحصين (٦٥٩٦).

(٢) الكواشي (٥٩٠ - ٦٨٠ هـ = ١١٩٤ - ١٢٨١ م) أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع ابن الحسين بن سويدان الشيباني الموصلي، موفق الدين أبو العباس الكواشي: عالم بالتفسير، من فقهاء الشافعية. من أهل الموصل. كان يزوره الملك ومن دونه فلا يقوم لهم ولا يعبأ بهم.

من كتبه (تبصرة المتذكر) في تفسير القرآن، و (كشف الحقائق) الجزء الثالث منه، ويعرف بتفسير الكواشي.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٥٤٣، أخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ٨١٣, ٨١٢، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ١٠٢١, ١٠١٩.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٦٩١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٨٥، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ١٠: ص٢٠٣، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٣٣٨، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ١١٥٠، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد في: ج ١: ص١٩١.

فصل في العرش

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]. وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾[هود: ٧].

وأما السنة فأحاديث جَمَّة منها ما مر، ومنها حديث الترمذي، عن أبى رزين العقيلي، قال: قلت: يَا رَسُولَ الله؛ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟قال: "كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ "[1]. ولعل في الحديث حذف مضاف تقديره: أين كان عرش ربنا؟ والغمام بالمد والقصر: وهو السحاب الرقيق، وقيل: هو الضباب.

وأما الإجماع، فقال الإمام فخر الدين: اتفق المسلمون على أنه فوق السماوات جسم عظيم هو العرش.

وقال وهب بن منبه: أول ما خلق الله العرش، ثم خلق الكرسي من نور، فالعرش ملتصق بالكرسي، والماء في جوف الكرسي، والكرسي من نور يتلألأ.

وفي الثعلبي، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله؛ أي آية أنزل عليك أعظم؟ قال: "آية الكرسي"، ثم قال: "يا أبا ذر؛ ما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة"[2].

وأخرج أبو الشيخ عن حماد قال: (خلق الله العرش من زمردة خضراء، وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء).

وفي تفسير الزمخشري في سورة المؤمن: خلق الله العرش من جوهرة خضراء، وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣١٠٩)، وقال: أَبُو رَزِينٍ اسْمُهُ لَقِيطُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٦١، وأخرجه ابن أبي شيبة في العرش وما روي فيه حديث رقم: ٥٨، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٢٠٦, ٢٥٩، وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ١٢٣٩، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨٦١, ٨٦٢، وأخرجه الذهبي في العلو حديث رقم: ٢٧٢, ٢٩٩، وأخرجه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح الكافي حديث رقم: ٦٥٦.

وفي تفسير الثعلبي: روى لقمان بن عامر عن أبيه قال: إن الله خلق العرش من جوهرة خضراء لها ألف ألف رأس، في كل رأس ألف ألف وجه، وستمائة ألف وجه، والوجه الواحد كطباق الدنيا ألف ألف مرة، وستمائة ألف مرة، وكل وجه فيه ألف ألف لسان، كل لسان يسبح الله بألف ألف لغة، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله تعالى، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة، وأن لله تعالى ملكا يقال له: حزقيائيل له ثمانون ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، ثم أوحى الله إليه: أيها الملك؛ طر، فطار مقدار عشرين ألف سنة ثم لم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، ثم زاد الله له في الأجنحة والقوة، وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف سنة، فلم ينلها، فأوحى الله إليه: أيها الملك؛ لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي، فقال الملك: سبحان ربي الأعلى، فأنزل الله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١] فقال عليه الصلاة والسلام: "اجعلوها في سجودكم"[١].

وحكى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ [الحجر: ٢١]: حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، أنه قال: (في العرش تمثال ما خلق الله في البر والبحر، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾).

وحكى أيضًا عن علي بن الحسين: (أن الله تعالى خلق العرش ثم جعله سبعين ألف ألف طبق، ليس من ذلك طبق إلا يسبح الله ويمجده ويقدسه بأصوات مختلفة).

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٨٦٩، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٨٨٧، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ١٣٠٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٦٩٦١، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ٦٥٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٨٩٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٢٢٥،ج ٢: ص٤٧٧، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ق: ج ٢: ص٨٦، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٨٤٨، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم١٠٩٣ :، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٧٣٨، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ٢٦٤، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم: ٢٣٠، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٢٠٩، وأخرجه الطبراني في الدعاء حديث رقم: ٥٨٤.

وقال ابن القصار: لو قال: سبحان ربي الجليل، أو الكبير، أو القدير لكان معظمًا له، وإذا ثبت أن نفس التسبيح ليس بواجب، فتعيينه والعدول عنه إلى ما في معناه جائز.

وعن كعب الأحبار أنه قال: (لما خلق الله العرش قال: لن يخلق الله خلقًا أعظم مني، فاهتز فطوقه بحية وللحية سبعون ألف جناح، وفي الجناح سبعون ألف ريشة، في كل ريشة سبعون ألف وجه، في كل وجه سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها في كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر، وعدد ورق الشجر، وعدد الحصى والثرى والنبات، وعدد أيام الدنيا، وعدد الملائكة أجمعين، فالْتَوت الحية بالعرش فالعرش إلى نصف الحية). ذكره الكسائي في تاريخه، وهو من الواهيات.

فصل في حملة العرش

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ ﴾ [غافر: ٧]. وفي عددهم قولان، فقيل: أربعة أملاك، وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية أملاك، حكاه غير واحد من المفسرين، وقيل: إنهم اليوم ثمانية، وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا من حديث العباس بن عبد المطلب، خرَّجه الترمذي وأبو داود وحمل بن عباس، قوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧]: (أنهم يوم القيامة ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله).

وأما صفتهم فعن أبي داود، عن جابر بن عبد الله: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام "**[١].

وحكى الثعلبي عن ابن عباس أنه قال: (حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام).

وقال ابن عباس: (لما خلق الله حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي، فلم يطيقوا، فخلق مع كل ملك منهم من الأعوان مثل جنود سبع سموات وسبع أراضين وما في الأرض من عدد الحصى والثرى، فقال: احملوا عرشي، فلم يطيقوا، فقال: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فقالوها، فاستقلوا بعرش ربنا، فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقر، فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من أسمائه تعالى، فاستقرت أقدامهم).

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧٢٧، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٤٧٦، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨٤٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٦٩، وأخرجه الذهبي في العلو حديث رقم: ٢٠١.

قلت: إذا علمت ذلك فالحامل للعرش في الحقيقة إنما هو الله تعالى، وما خلق حملة العرش لحاجته إليهم لحمل عرشه، ولا اللوح والقلم لضبط معلوماته، بل هو مستغن عن ذلك كله غير محتاج لشيء من مخلوقاته، وإنما ذلك حكم ·ال على كمال قدرته ووجوب وحدانيته، لا إله إلا هو، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

وروي أن لكل واحد من حملة العرش أربعة أوجه: وجه ثور، ووجه أسد، ووجه نسر، ووجه إنسان، وله أربعة أجنحة، فجناحان على وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيحترق، وجناحان يطير بهما، ليس لهم كلام إلا التسبيح والتكبير والتحميد.

وأما الملائكة الذين حول العرش، فقال وهب بن منبه: (حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، صف خلف صف، يدورون حول العرش، يطوفون به، يقبل هؤلاء، ويدبر هؤلاء، فإذا استقبل بعضهم بعضًا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء، من ورائهم سبعون ألف صف قيام، أيديهم إلى أعناقهم، قد وضعوها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير هؤلاء وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك وبحمدك، ما أعظمك وأجلك، أنت الله لا إله إلا أنت، الكبير الأكبر، خلقت الخلق وكلهم راجون رحمتك، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمني على اليسري ليس منهم أحد إلا يسبح الله بتسبيح ما يسبحه الآخر، ما بين جناح أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة أربعمائة عام، واحتجب الله تعالى بينه وبين الملائكة الذين هم حول العرش بسبعين حجابا من نور، وسبعين حجابًا من ظلمة، وسبعين حجابًا من در أبيض، وسبعين حجابًا من ياقوت أحمر، وسبعين حجابًا من زمرد أخضر، وسبعين حجابًا من ثلج، وسبعين حجابًا من ماء، وسبعين حجابًا من برد، وما لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقال يزيد الرقاشي: (إن لله ملائكة حول العرش يسمون: المخلصين، تجري أعينهم مثل الأنهار إلى يوم القيامة، يرعدون كما تنفضهم الرياح من خشية الله تعالى، فيقول لهم الرب عز وجل: يا ملائكتي؛ ما الذي يخيفكم؟ فيقولون: ربنا لو أن أهل الأرض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعامًا ولا شرابًا، ولا أبسطوا في فرشهم، ولخرجوا إلى الصحراء يخورون كما يخور الثور).

فصل في الكرسي

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، إلا أن العلماء اختلفوا فيه على أقوال:

فقيل: إنه مخلوق عظيم مستقل بذاته. وهو قول الجمهور.

وقيل: إن الكرسي هو العرش بذاته، وهو قول الحسن البصري.

وقيل: إن المراد بالكرسي السلطان والقدرة.

وقيل: إن الكرسي هو القلم.

وقيل: إن المراد منه تصوير عظمة الله تعالى وكبريائه. وهو قول القفالي.

وقيل: إنه موضع القدمين. رواه ابن جبير، عن ابن عباس. قال: الفخر.

وقد دلت الدلائل على نفي الجسمية، فوجب رد هذه الرواية أو حملها على أن المراد بها موضع قدمي الروح الأعظم، أو ملكٌ آخر عظيم القدر عند الله تعالى.

والصحيح الأول، وقد جاء في الحديث ما ظاهره ذلك، وهو قول المحققين من العلماء.

وأما موضعه فقال الإمام الفخر: جاء في الأخبار الصحيحة: أنه جسم عظيم تحت العرش وفوق السماء السابعة.

وأما صفته فقال عنها أبو موسى، والسدي، وغيرهما: هو لؤلؤ، وما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس وهو مشتمل بعظمته على السماوات والأرض، وفي حديث أبي ذر السابق: " **وما السماوات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة**"[1].

وأما قوائمه فقال علي ومقاتل رضي الله عنهما: (كل قائمة من قوائم الكرسي طولها مثل السماوات السبع والأراضين السبع وهو بين يدي العرش).

وقال وهب بن منبه: (للكرسي أربع قوائم، كل قائمة منها مثل السماوات والأرض، وجميع السماوات والأرض والدنيا والآخرة وكل ما خلق الله في الكرسي كمثل حبة خردل في كف أحدكم).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٦١، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨٦٢، وأبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٢٢٠، وابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٣٤٤١، والذهبي في العلو للعلي الغفار حديث رقم: ٢٧٢، وابن جرير الطبري في جامع البيان ج٤/ ٥٣٩، وابن بطة في الإبانة الكبرى حديث رقم: ١٢٣٩.

وأما حملته فعن علي ومقاتل رضي الله عنهما: (أن الذين يحملون الكرسي أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، أقدامهم في الصخرة التى تحت الأرض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام).

وجاء في بعض الأخبار: أن بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابًا من ظلمة، وسبعين حجابا من نور، وغلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام، لولا ذلك لاحترقت ملائكة حملة الكرسي من نور حملة العرش. حكاه الثعلبي.

فصل في الصور

ويدل على وجوده الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾ [الأنعام: ٧٣]. وقوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأرض﴾ [الزمر: ٦٨]. وقوله: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وأما السنة ففي الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كيف أنعم وقد التقم صاحب الصور القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ في الصور؟! فقال المسلمون: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا "[1]. قال الترمذي: حديث حسن.

وفي الترمذي أيضًا عن عبد الله بن عمر قال:" قال أعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الصور؟ قال: قرن ينفخ فيه" [2]. وقال: هذا حديث حسن.

وقال مجاهد: (الصور هيئته كهيئة البوق). وقيل: هو بلغة أهل اليمن وعلى هذا أكثر المفسرين.

وفي الثعلبي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله: " إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه، شاخص ببصره إلى

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٤٤, ٢٤٣٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٦٤٧١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣١٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٥٠٦، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٣٩٢, ١١٢٥٠، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٣٠.

العرش ينتظر متى يؤمر، فقلت: يا رسول الله صلى الله عليك ما الصور؟ قال: قرن عظيم، ثم قال: والذي بعثني بالحق؛ إن أعظم دارة فيه كعرض السماوات والأرض "(١). الحديث.

وفي بعض التفاسير: أن في هذا الصور أرواح الخلائق كلها إنسها وجنها وهوامها في الثقب التي في الصور المذكور؛ لأن فيه أثقاب بعدد أرواح الخلائق كلهم، وسيأتي الكلام عليه.

فصل في الجنة

وهي من العالم العلوي، قال فخر الدين: إنها فوق السماوات تحت العرش. وهذا الذي قاله هو الحق؛ لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أن سقفها عرش الرحمن "(٢).

وقد سُئِلَ أنس بن مالك عن الجنة هل هي في السماء أو في الأرض؟ فقال: (أي أرض وأي سماء تسع الجنة؟ قيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش).

تنبيه: ذهب جمهور الأمة إلى أن الجنة مخلوقة، وهي موجودة الآن.

وذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أنها لم تخلق بعد وبه قال: منذر بن سعيد البلوطي، والدليل على أنها مخلوقة بالكتاب والسنة وجمهور الأمة.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]. وقوله تعالى: ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم: ١٥].

وأما السنة فأحاديث كثيرة منها ما في الترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لَمَّا خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاء ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، وقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره، فرجع إليه فقال:

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ١٠، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٣٢، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٣٨٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٦٠٩، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٦: ص ٤٤٧،ج ١٩: ص ٤٥١،ج ٢٠: ص ٣٣، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٦٦٢٧ , ١٦٦٢١، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال حديث رقم: ٥٥، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم: ٢٧٣، وأخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين ج ١: ص ٢٤.

(٢) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ج١٣/ ٢٢٩.

وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد. قال: اذهب إلى النار فانظر إليها وما أعددت لأهلها فيها. قال: فجاء ونظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضا، فرجع إليه فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، قال: ارجع إليها فرجع إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها "[1]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ومنها ما في الترمذي أيضًا من حديث بريدة وفيه: " فأتيت على قصر مربع مشرف بالذهب، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لرجل عربي. فقلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قال: لرجل من قريش. قلت: أنا من قريش، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. قلت: أنا من أمة محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب"[2]. الحديث. قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح. إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة التي يطول ذكرها.

واحتج المخالفون بقول امرأة فرعون: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ [التحريم: ١١]. وبما جاء في الأحاديث الصحيحة: من عمل كذا غرس له كذا. وحديث الترمذي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من قال: سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة"[3]. حديث حسن صحيح. وقالوا: لو كانت مخلوقة لم يكن للدعاء في البناء والغراس.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٦٠، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٣٧٦٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٥١٢، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٤٦٨٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٩٤٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٦٦، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٢٤٢، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في ذم الهوى حديث رقم: ٣٠.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٤٢، ٣٦٨٠، والترمذي حديث رقم: ٣٦٨٨، وابن ماجه حديث رقم: ١٠٧، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٨٢٦٥، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٨٢٦٥، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٧١٨.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٤٦٥, ٣٤٦٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ٥٠١، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٢٣٣، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ١٠٣، وأخرجه أيضا في الدعاء حديث رقم: ١٦٧٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٢١٢، وأخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٣٠٨٦, ٦٧، وأخرجه البيهقي في

فائدة: وأجيب بأنه لا مانع في أن يحدث الله في الجنة أشياء ينعم بها على عباده شيئا بعد شيء وحالا بعد حال، فيحدث فيها ما شاء من البنيان والغرس كما أن الأرض مخلوقة، ثم يحدث الله فيها ما يشاء من بنيان وغيره، وقد أطال ابن القيم الكلام على مذهب كل من الفريقين، وذكر ما احتج به كل منهم في أول كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح"، فراجعه صفتها وصفة نعيمها وما فيها، فسيأتي إن شاء الله تعالى آخر الكتاب.

فصل في سدرة المنتهى

قال الله تعالى: ﴿ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ [النجم: ١٤]. ذكر الثعلبي في تفسيره: أن السدرة واحد السدر، وهو سدرة النبق.

وفي تفسير الزمخشري: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كالقلاح، وورقها كآذان الفيلة، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها.

وقال مقاتل: (هي شجرة لو أن ورقة منها وضعت في الأرض لأضاءت لأهل الأرض، تحمل الحلي والحلل والثمار في جميع الألوان، ولو أن رجلا ركب حقة فطاف على ساقها ما بلغ المكان الذي ركب منه حتى يقتله الهرم).

وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم سدرة المنتهى ليلة الإسراء في السماء السابعة على ما في مسلم عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " **ثم ذهب بي -يعني جبريل عليه السلام- إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما من أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها**"[1].

==

الدعوات الكبير حديث رقم: ١١٨، وأخرجه أبو نعيم في معجم الصحابة حديث رقم: ١٤٩٣، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج١٠/ ٣٦٩.

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٠٩٦، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٣٤٤، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٤١٢، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٩٦٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٤٩٩, ٣٤٥٠، وأخرجه ابن جماعة في مشيخة ابن جماعة في: ج ١: ص١٢٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٢: ص ٣٧.

وفي طريق آخر: "ثم انتهيت إلى السدرة وأنا أعرف أنها سدرة، وأعرف ورقها وثمرها".

وفي طريق آخر: "ثم انطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتي بي سدرة المنتهى وثمرها، فغشيها ألوان ما أدري ما هي".

وفي طريق أخر: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أنهار تخرج من أصلها نهران ظاهران ونهران باطنان. فقلت: "يا جبريل؛ ما هذه الأنهار؟ قال: أما النهران الباطنان فنهران في الجنة، وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات "[1]. وذكر البخاري هذه الأنهار الأربعة.

وفي الحديث:" سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة"[2].

وروي: (أن دجلة نهر ماء أهل الجنة، والفرات نهر لبنهم، والنيل نهر خمرهم، وسيحان نهر عسلهم، وهذه الأربعة تجري من نهر الكوثر).

فائدة: اختلف العلماء في تسميتها بالمنتهى فقيل: لأن إليها ينتهي علم الخلائق وما خلفها لا يعلمه إلا الله، وقيل: لأنه ينتهي إليها من مات على سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: لأنه ينتهي إليها ما يعرج من أرواح المؤمنين.

وقال ابن مسعود، والضحاك: (أن تسميتها بذلك؛ لأن إليها ينتهي كل ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى).

واختلفوا في الذي يغشى السدرة على ما جاء في كتاب الله تعالى فقيل: "إنه فراش من ذهب"[3]. قاله ابن عباس، وابن مسعود، وهو مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: (الذي يغشاها نور رب العزة فاستنارت). قاله الحسن، وقيل: الذي يغشاها الملائكة. ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " رأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا يسبح الله ويقدسه"[4].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٦، وابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ٣٠٣.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٤٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧٨٢٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٦٣، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٠٩٥.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم ك٣٢٧٦، والنسائي حديث رقم: ٤٥١، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٣٦٥٦.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٢: ص ٤٢.

وفي حديث أنس: " فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها تحولت ياقوتا وزمردا حتى ما يستطيع أحد يصفها "(١).

فصل في البيت المعمور

قال الله تعالى: ﴿ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴾ [الطور: ٤]. وقد رآه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

ففي صحيح مسلم، عن أنس: " أنه رآه النبي صلى الله عليه وسلم في السماء السابعة، والخليل عليه السلام مسند ظهره إليه، وإذا هو يدخلة كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه"(٢). وفي طريق آخر قال: "فانتهيت إلي بناء فقلت للملك: ما هذا؟ قال: بناء الملائكة، يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك يقدسون الله تعالى ويسبحونه، ولا يعودون إليه ".

وفي تفسير الثعلبي: أن الملائكة تعمره بالعبادة، وهو بيت في السماء السابعة حذاء العرش بحيال الكعبة، حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، يطوفون به، ويصلون فيه، ثم لا يعودون إليه أبدًا، وخازنه ملك يقال له: رزين، وقيل: كان البيت المعمور من الجنة فحمل إلي الأرض من أجل آدم، ثم رفع إلي السماء في أيام الطوفان، وقيل: إنه كان في السماء السادسة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في ذكر السماوات

قال الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ [ق: ٦]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقد اختلف المفسرون: هل السماء مخلوقة قبل الأرض أو بعدها؟ فمذهب ابن عباس: أن الأرض خلقت قبل. وبه قال الزمخشري وجماعة من أهل العلم.

قال ابن عباس: (خلق الله الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٩]، ثم دحى الأرض بعد ذلك)، أي: بسطها، وهذا الذي قاله هو ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَالأرض بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: ٣٠].

وقال أهل التفسير في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأرض فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾، إلى قوله: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١١٨٩٢، ولطبري في جامع البيان ج ٢٢: ص ٣٦.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٣، وأحمد في منسده حديث رقم: ١٢٠٩٦.

فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴾ [فصلت: ٩-١٠]. أي: خلق الأرض وجبالها في الأحد والاثنين، وما فيها من الأقوات في الثلاثاء والأربعاء. وقالوا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾. إن (ثم) للترتيب. وقوله: ﴿ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ هما يوم الخميس ويوم الجمعة إلى آخره. فإن فيه خلق آدم عليه السلام، وذكروا في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأرض وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]: أن اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أخبرنا ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: **"خلق الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسماوات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث ساعات الأجل، وفي الثانية الأمة، وفي الثالثة آدم عليه السلام"**. قالوا: صدقت إن أتممت، قال: **"وما ذلك؟"** قالوا: ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾. أي: تعب[1].

وفي مسلم، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال: **"خلق الله التربة يوم السبت، وخلق ما فيها من الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر الخلق، في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل"**[2].

---

(١) ذكره الطبري في جامع البيان ج٢١/ ٤٦٥، وقال ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٤٧١: (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) أَيْ مِنْ نَصَب، وَالنَّصَب التَّعَب وَزْنًا وَمَعْنَى، وَهَذَا تَفْسِير مُجَاهِد فِيمَا أَخْرَجَهُ اِبْن أَبِي حَاتِم، وَأَخْرَجَ مِنْ طَرِيق قَتَادَةَ قَالَ: أَكْذَبَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْيَهُود فِي زَعْمهمْ أَنَّهُ اِسْتَرَاحَ فِي الْيَوْم السَّابِع فَقَالَ (وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) أَيْ مِنْ إِعْيَاء.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٩٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨١٤١، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ١٦٣٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦١٦١، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٩٤٣، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٩: ص٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦١٣٢، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨١٢, ٣٦، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٢: ص ٣٢٨،ج ٢٠: ص ٣٨٣، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ٣٠٤.

ومذهب قوم آخرين: أن السماء خلقت قبل الأرض، وأن لفظة (ثم) في قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ ﴾ ليست للترتيب بل لتعدية النعم، كما يقول الرجل لغيره: أليس قد أعطيتك النعم العظيمة، ثم رفعت قدرك، ثم دفعت الخصوم عنك؟!

وأجاب بعضهم عن قوله تعالى: ﴿ وَالأرض بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾: أن (بعد) بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ [القلم: ١٣]. أي: مع ذلك، وهذا اختيار فخر الدين، ومذهب مقاتل، فعن مقاتل: (أن السماء خلقت يومي الأحد والاثنين). وقد مر مذهب ابن عباس وغيره: (أن السماء إنما خلقت يومي الخميس والجمعة). وروي: (أنه فرغ منها في الساعة الأخيرة من يوم الجمعة التي خلق فيها آدم وفيها تقوم الساعة).

لطيفة: أخرج أبو الشيخ، عن أبي هريرة مرفوعا قال:" خلق الله الجنة والنار يوم الجمعة". وأخرج عن ابن عباس قال: "إن الله خلق الجنة قبل النار وخلق رحمته قبل غضبه".

فوائد

الأولى: في معنى قوله تعالى: ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾[فصلت: ١٢] أي: أتم صنعهن وأحكمهن، وفرغ من خلقهن، وأوحى في كل سماء أمرها.

وقال السدي وقتادة: (خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد، وما لا يعلمه إلا الله تعالى).

الثانية: في قوله: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّمَاءِ ﴾ قال المفسرون: أي: عمد وتوجه إلى خلقها وتسويتها وهي دخان، وهو بخار الماء، وذلك أنه تعالى لما خلق الأرض أرسل عليها الماء، فارتفع له بخار كالدخان، أو كان عرشه على الماء فخلق من ذلك الماء بخارا فارتفع فيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها أرضين، ثم خلق السماء من ذلك البخار، أو أنه تعالى لما خلق الأرض أرسل عليها نارًا فارتفع لها دخان، فخلق السماء منه.

الثالثة: في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأرض ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت: ١١] أي: ائتيا بكل ما خلقت فيكما من المنافع والمصالح وأخرجاها لخلقي.

قال ابن عباس: (قال الله للسماوات: أطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وقال للأرض: شقي أنهارك وأخرجي ثمارك طائعة أو كارهة، فقالتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. ولما وصفا بالقول (اجريا) في الجمع مجرى من يعقل).

وهل وصفهما بالقول حقيقة أو مجاز؟ قولان: الأظهر أنه حقيقة؛ لأنه لا يبعد أن يجعل الله لها نطقا وإدراكا فنطقتا حقيقة، وبه قال جماعة من العلماء، واختاره ابن عطية، قال: لأن العبرة فيه أتم والقدرة فيه أظهر. وقال جماعة: إنه مجاز، وهو اختيار الزمخشري.

قال الثعلبي: بلغنا أن بعض الأنبياء قال: (يارب لو أن السماوات والأرض حين قلت لهما: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ عصتاك ما كنت تفعل بهما؟ قال: كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما. قال: وأين تلك الدابة؟ قال: في مرج من مروجي. قال: يارب وأين ذلك المرج؟ قال: في علم من علومي الرابعة).

[الرابعة]: في قوله: ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] اختلف علماء التفسير في ذلك على أقوال:

فقال ابن عباس و عطاء، والضحاك، وقتادة: (إنهما كانتا شيئا واحدا ملتزمتين، ففصل الله بينهما بالهواء).

وقال كعب الأحبار: (خلق الله السماوات والأرض بعضها على بعض، ثم خلق ريحًا توسطها ففتقها).

وقال مجاهد، وأبو صالح، والسدي: (كانت السماوات متألفة طبقة واحدة، ففتقها فجعلها سبع سموات).

قلت: لا خلاف بين هذه الأقوال بحسب الحقيقة.

وقال عكرمة، وعطية، وابن زيد: (كانت السماوات رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات، نظيره قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [الطارق: ١١-١٢]. قال: وأصل الرتق السد، ومنه قيل للمرأة التي فرجها ملتحم: رتقًا.

الخامسة: أخرج جريج عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥]. قال: ستف على الأرض كهيئة القبة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾. قال: بناء السماء على الأرض كهيئة القبة، وهي سقف على الأرض.

وأخرج أبو الشيخ عن وهب قال: (كل شيء من أطراف السماء محدق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط). يعني: الخيمة.

فصل في مقدار ما بين كل سماء وسماء

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أن ما بين كل سماء إلى سماء خمس مائة سنة "، خرجه الترمذي. وأخرج مثل هذا البزار بسند صحيح عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم[١].

وفي حديث ابن مسعود: "وغلظ كل واحدة مسيرة خمس مائة سنة".

وفي حديث العباس بن عبد المطلب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " أتدرون ما بين السماء والأرض؟ قالوا: لا والله لا ندري. قال: فإن بُعد ما بينهما إما قال: واحدة، وإما اثنتان، وإما ثلاث وسبعون سنة "[٢]. خرجه الترمذي، وفي سنن ابن ماجه: " أن ما بين السماء والأرض مسيرة ثلاث وسبعين سنة أو نحوهما، وكذا بين كل سماء وسماء "[٣].

وقال بعضهم: إنه حديث صحيح، فهو موافق لما دل عليه علم الهيئة بأن بين السماء والأرض ثمانين سنة مسافة كل يوم منها ثلاثون ميلا، إذا صعدت على استواء.

قال: وما يذكره الناس أن بينهما خمسمائة عام لا صحة له، ولا دليل عليه. انتهى.

فصل في عدد السماوات

وهي سبع بالكتاب والسنة، وذهب أهل الهيئة إلى أن الأفلاك تسعة: فلك القمر، وفلك عطارد، وفلك الزهرة، وفلك الشمس، وفلك المريخ، وفلك المشترى، وفلك زحل، وفلك الكواكب الثابتة، والفلك الأعظم، وإلى إثبات هذه الأفلاك التسعة ذهب الإمام الفخر عملا على الرصد، وقال: إن التنصيص على عدد السماوات لا يدل إلا على نفي الزائد.

قال: وأما ترتيب الأفلاك فأقربها إلينا سماء الدنيا، ثم يليها السماء الثانية، ثم كذلك إلى آخرها، وحكي عن أهل الهيئة الترتيب المتقدم، وهو أن أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد، ثم كرة الزهرة، ثم كرة الشمس، ثم كرة المريخ، ثم كرة المشترى، ثم كرة زحل، واستدلوا على ذلك بأن الكوكب الأسفل مع الكوكب الأعلى إذا نظر إليهما عند التقابل يكونان كوكبا واحدا، ويتميز الساتر عن المستور بما غلب عن ذلك الكوكب كحمرة المريخ وصفرة عطارد وبياض الزهرة وكدرة زحل، ولأن القمر يكشف الشمس، والكواكب الستة

---

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم:٤٠٧٥.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٣٢٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٩٣.

وعطارد يكشف الزهرة، والزهرة تكشف المريخ، وما ذكروه من ذلك غيب لا يعلم إلا بتوقيف. وقد أنكره القاضي أبو بكر ابن العربي، وقال: لا يقوم على هذا دليل والله أعلم، ولأهل الهيئة كلام كثير لا يقوم عليه دليل.

فصل في أسماء السماوات وأسماء سكانها

ففي بعض التواريخ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: (خلق الله السماوات السبع، وسماهن بأسمائهن، وأسكن كل سماء صنفا من الملائكة يعبدونه، وأوحى في كل سماء أمرها، فسمى السماء الدنيا رفيعًا، وقال لها: كوني زمردة خضراء، فكانت، وسمى الثانية أزلقون، وقال لها: كوني فضة، فكانت، وفيها ملائكة قيام على أقدامهم منذ خلقهم، وسمى الثالثة قيدوم، وقيل: عينا، وقال لها: كوني ياقوتة حمراء، فكانت، ثم أطبقها بملائكة ركوع منذ خلقهم، وقد لصق بعضهم ببعض لو قطرت عليهم قطرة من ماء لم تجد منفذا، وسمى الرابعة عردا، وقيل: ماعونان وقال لها: كوني درة بيضاء، فكانت، ثم طبقها بملائكة سجود منذ خلقهم، وسمى الخامسة ديفا، وقيل: سحيق، وقال لها: كوني ذهبة حمراء، فكانت، ثم أطبقها بملائكة بطحهم على وجوههم وعلى بطونهم وهم البكاءون من خوف الله تعالى، وسمى السادسة رقعا، وقيل: عدريدن، وقال لها: كوني ياقوتة صفراء، فكانت، ثم طبقها بملائكة قعود ترتعد فرائصهم، وتهتز رءوسهم، لهم أصوات عالية، يسبحون الله عز وجل ويقدسونه، ولو قاموا على أرجلهم لبلغت أرجلهم نجوم الأرض السابعة، ولبلغت رءوسهم السماء السابعة، وسيقومون يوم القيامة على أرجلهم بين يدي رب العالمين، وسمى السماء السابعة عريبًا، وقيل: سمعوا، وقال لها: كوني نورًا يتلألأ، فكانت، ثم طبقها بملائكة قيامًا على رجل واحدة تعظيمًا لله تعالى، وإشفاقًا من عذابه، قد خرقت أرجلهم الأرض السابعة السفلى، واستقرت أقدامهم على مقدار خمس مائة عام، فهي تحت الأرض كلها كأنها الرايات البيض تجري تحتها ريح هفافة عاتية تحمل تلك الرايات في رءوسهم تحت العرش، يقولون: لا إله إلا الله ذو العرش المجيد الرفيع، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحي الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، قدوس قدوس ربنا الأعلى، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء، ويستغفرون للمؤمنين والمؤمنات، ثم يعودون في التسبيح والتحميد لله عز وجل وهم على هذه الحالة منذ خلقوا إلى

يوم القيامة فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦]).

قلت: وفي صحة هذا عن سلمان بعد، وأيضًا فهذا غيب يحتاج إلى توقيف، فالله تعالى يعلم حقيقة ذلك.

تنبيه: قال الإمام فخر الدين: الفلك في كلام العرب كل شيء دائر، وجمعه أفلاك، وفيه قولان. فقيل: إنها أجسام تدور عليها النجوم، قاله أكثر المفسرين، وقيل: إنه ليس بجسم، وإنما هو مدار النجوم. وإذا قلنا بالقول الأول ففي كيفيته أقوال، فقيل: إن الفلك موج مكفوف، أي: مجموع تجري فيه الكواكب.

وقال جمهور الفلاسفة وأهل الهيئة: هي أجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة، غير قابلة الخرق والالتئام، والحق ما قاله فخر الدين: أنه لا سبيل لمعرفة السماوات إلا بالخبر؛ لأن ذلك غيب، وقد قال القاضي ابن العربي: إن ذات السماء لا ترى إنما يرى الهواء، والله أعلم.

لطيفة: من فضل السماء أن الله زينها بسبعة أشياء بالنجوم والشمس والقمر والعرش والكرسي واللوح والقلم، وجعلها قبلة للدعاء، وجعل الأيدي ترفع إليها، وقدم ذكرها على ذكر الأرض في أكثر الآيات، وذكر السماوات بلفظ الجمع، والأرض بلفظ الإفراد، وجعل لونها أخضر، وهو أمثل الألوان للبصر وتقوية له، قاله الأطباء، ولذلك يأمرون من به وجع العين أن ينظر إلى الورقة الخضراء، فجعل الله أديم السماء أزرق نفعا للأبصار، وتقوية لها، وجعل شكلها مستديرا، وهو أفضل الأشكال، فعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]. قال: (ذات البهاء والجمال). وقال الحسن: (ذات الخلق الحسن محبك بالنجوم). وقال أبو صالح: (ذات الخلق السديد). وجعلها منزل الأبرار ومحل الصفاء والطهارة والعصمة والعباد المكرمين.

وفي حديث المعراج: " أنه عليه الصلاة السلام رأى آدم في سماء الدنيا، وعيسى ويحيى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وإبراهيم في السادسة مسندا ظهره إلى البيت المعمور ". وكذا في مسلم والبخاري: " وموسى في السماء السابعة ". بتفضيل كلام الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فصل في ذكر الشمس

قال الله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿ جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ [يونس: ٥]، و﴿ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦]. إلى غير ذلك من الآيات.

وقد اختلف العلماء فيما خلقت منه الشمس، فقيل: من نور العرش. وقيل: من نار. وقيل: إنها فلك أجوف مملوء نارا يخرج منه هذا الوهج والشعاع، وقيل: إنها سحابة ملتهبة نارا، وقيل: هي أجزاء كثيرة من نار محرقة، وقيل: هو جوهر خامس زائد على العناصر الأربع. وقالت الفلاسفة: هي اجتماع أجزاء نارية تدفعها البحار.

والصحيح الأول لما روى الثعلبي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله تعالى لما أبرم خلقه فلم يبق من خلقه غير آدم؛ خلق شمسين من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه أنه لا يطمسها، فخلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها، وما كان في سابق علمه أنه يطمسها ويحولها قمرًا؛ فخلقها دون الشمس في العظم، ولكن إنما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض، ولو ترك الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار "(١)، الحديث. وسيأتي تتمته.

وأما شكلها فاختلفوا فيه، فقيل: إنه بمنزلة صحفة عريضة، وقيل: كالصحفة المكفوفة. وقيل: إنها كالكرة المدحرجة.

وأما مقدارها فاختلفوا فيه فقيل: إنها مقدار قدم إنسان. وقال أهل الهندسة: إنها أضعاف الأرض مائة وعشرين أو خمسين أو ستين أو مائتين مرة، والقمر بقدر الدنيا ثمانون مرة. وقال أهل التعديل: هي مثل الأرض سواء.

قلت: وهذا موافق لحديث الثعلبي السابق، وكان يختلج بصدري أن هذا يشكل عليه قوله تعالى: ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف: ٨٦] فأي عين تسع ما هو قدر الأرض؟! إنما يسعها البحر حتى رأيت في تفسير الكواشي وغيره: ليس المراد أن الشمس تغيب في نفس العين حقيقة، وإنما ذلك في رأى العين كراكب البحر يعتقد أن الشمس قد غربت في الماء، وامتنع ذلك لأن الشمس أعظم من الدنيا. انتهى.

وأما الفلك الذي هي فيه فاختلفوا فيه، فقال الفلكيون: إنه الفلك الرابع، ويصل شعاعها إلى العالم السفلي؛ لأن أجرام السماوات رقيقة فلا تحجب وصول النور بخلاف ما إذا

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٦٤٣، والطبري في تاريخه حديث رقم: ٩٢.

قابلها حجاب كثيف كالغيم ونحوه، وذكر بعضهم: أن وجهها نحو السماء وظهرها للأرض، ولولا ذلك لأحرقت الأرض. وقال بعضهم: إنها تجري والكواكب في البحر الذي دون السماء بقدر ثلاثة فراسخ، وهو موج مكفوف قائم في الهواء بإذن الله تعالى، لا يقطر منه قطرة، والبحار كلها ساكنة، وذلك البحر جار في سرعة السهم كأنه جبل ممدود بين المشرق والمغرب، فتجري الشمس والقمر والخنس في ذلك البحر فذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠].

وفي الحديث: **"والذي نفس محمد بيده؛ لو بدت الشمس من ذلك البحر لاحترقت الأرض، ولو بدا القمر منه لافتتن به أهل الأرض حتى يعبدوه من دون الله إلا من شاء الله"**[١].

وأما مستقرها فاختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾[٢] فقيل: مستقرها مغربها، وقيل: مستقرها انقضاء سيرها. وذلك يكون يوم القيامة، وقيل: مستقرها نهاية ارتفاع سيرتها في الصيف في السماء، ونهاية انخفاضها في الشتاء. وقيل: مستقرها آخر مطالعها في المنقلبين، فإذا استقر وصولها كرت راجعة وإلا فهي لا تستقر في جريها طرفة عين، ونقل المفسرون عن ابن عباس وغيره أنه قرأ: (لا مستقر لها)، وكذلك في قراءة ابن مسعود.

وقال الثعلبي: أي لا قرار لها فهي جارية أبدا. وعن ابن عباس: (أن الشمس بمنزلة الساقية تجري بالنهار في السماء في فلكها، فإذا غربت جرت بالليل تحت الأرض في فلكها، حتى تطلع من مشرقها، وكذلك القمر). وقيل: مستقرها تحت العرش، وهو الصواب لما في

---

(١) العظمة حديث رقم: ٦٤٣.

(٢) قال ابن الجوزي: ﴿ تَجري لِمُسْتَقَرٍّ لها ﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: إلى موضع قرارها؛ روى أبو ذر قال سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله ﴿ لِمُسْتَقَرٍّ لها﴾ قال: "مُسْتَقَرُّها تحت العَرْش"، وقال: "إنَّها تذهب حتى تسجُد بين يَدَي ربِّها، فتَستأذِنُ في الطُّلوع، فيؤذَنُ لها".

والثاني: أنَّ مُسْتَقَرَّها مغربها لا تجاوزُه ولا تقصر عنه، قاله مجاهد.

والثالث: لِوقت واحدٍ لا تعدُوه، قاله قتاده. وقال مقاتل: لِوقت لها إلى يوم القيامة.

والرابع: تسير في منازلها حتى تنتهيَ إلى مُسْتَقَرِّها الذي لا تجاوزُه، ثم ترجِع إلى أوَّل منازلها، قاله ابن السائب. وقال ابن قتيبة: إلى مُسْتَقَرٍ لها، ومُسْتَقَرُّها: أقصى منازلها في الغُروب، وذلك لأنها لا تزال تتقدَّم إلى أقصى مغاربها، ثم ترجع.

وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وعليّ بن الحسين، والشيزري عن الكسائي: ﴿ لا مُسْتَقَرَّ لها ﴾ والمعنى: أنها تجري أبداً، لا تثبُت في مكان واحد[زاد المسير:٥/ ١٩٢].

البخاري عن أبي ذر قال: " سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ قال: مستقرها تحت العرش "(١).

وفي رواية أخرى للبخاري عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا حين غربت الشمس: "أتدري أين تذهب؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها "(٢).

فائدة: قال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ [المعارج: ٤٠] قال الثعلبي: إن الله تعالى خلق لشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق، وثلاثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة، تطلع كل يوم من كوة منها، وتغرب في كل كوة منها في المشارق والمغارب.

وقال ابن عباس: (إن الشمس تطلع كل سنة في ثلاثمائة وستين كوة لا ترجع إلى تلك الكوة إلا ذلك اليوم من العام المقبل، ولا تطلع إلا وهي كارهة فتقول: يا رب؛ لا تطلعني على عبادك، فإني أراهم يعصونك).

وأما قوله تعالى: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن: ١٧]. فحكى الثعلبي عن مجاهد، أنه قال: (المشرقان مشرق الشتاء ومشرق الصيف وكذا المغربان).

واعلم أن في حركة الشمس منافع للعباد؛ لأنها لو وقفت في موضع لاشتد الحر في ذلك الموضع، واشتد البرد في سائر المواضع لكنها تسير من المشرق إلى المغرب، فتأتى أقطار الأرض فيحصل النفع بمرورها على الأرض، وأما حركتها في المنازل والبروج فمقرر في الكتب التنجيمية.

لطيفة: من العرب من يفضل القمر على الشمس ويقول: القمر مذكر، والشمس مؤنثة، والمذكر أفضل من المؤنث. ومنهم من يفضل الشمس علي القمر، ويحتج بأن الله قدَّم ذكر

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٨٠٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٠٨٩٥.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣١٩٩, ٤٨٠٢، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٣٩٩، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٦٥٥، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٢٥، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٧٠٩، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨٣٦, ٨٣٧، وأخرجه ابن قدامة المقدسي في إثبات صفة العلو حديث رقم: ٣٥، وأخرجه الذهبي في العلو حديث رقم: ٧٢، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٩٨٩.

الشمس على القمر فقال: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥]. وقال: ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾ [يس: ٤٠]. وقال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ [الشمس: ١-٢]. ومن العرب من لا يفضل أحدهما على الآخر.

قال بعضهم: والأول أصح من وجهين:

أحدهما: أن التذكير أصل والتأنيث فرع.

والثاني: أن التمسك بمجرد التقديم في الذكر ضعيف، فقد يتقدم المشروف ويتأخر الأشرف، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢]. وقال: ﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ [الحشر: ٢٠]. وقال: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥].

قلت: إن أريد التفضيل بينهما بحسب ما عند الله فذلك غير معقول لنا؛ لأنه يحتاج فيه لتوقيف، وإن كان بحسب الضياء والنور ومزيد الإشراق فلا شك أن الشمس أفضل بهذا الاعتبار؛ لأنها باقية على نورها التي خلقت عليه بخلاف القمر فقد نقص من نوره كما سيأتي[1] [الوافر]:

وَلَو كانَ النِساءُ كَما ذكرنا ... لَفُضِّلَتِ النِساءُ عَلى الرِجالِ

فَما التَأنيثُ لِاسمِ الشَمسِ عَيبٌ ... وَلا التَذكيرُ فَخرٌ لِلهِلالِ

---

(١) الأبيات للمتنبي، وهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب. الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة والحكم البالغة المعاني المبتكرة. ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة وإليها نسبته، ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس.

قال الشعر صبيًا، وتنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص ونائب الإخشيد فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه. وفد على سيف الدولة ابن حمدان صاحب حلب فمدحه وحظي عنده. ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي وطلب منه أن يوليه، فلم يوله كافور، فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه. قصد العراق وفارس، فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي في شيراز. عاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق بجماعة من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضًا، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محسّد وغلامه مفلح بالنعمانية بالقرب من دير العاقول في الجانب الغربي من سواد بغداد. وفاتك هذا هو خال ضبة بن يزيد الأسدي العيني، الذي هجاه المتنبي بقصيدته البائية المعروفة، وهي من سقطات المتنبي، توفي عام ٣٥٤هـ.

فصل في ذكر القمر

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٦]. وقال: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩]. إلى غير ذلك من الآيات، وقد مر حديث ابن عباس في الشمس وتتمة: "فلو ترك الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار، ولا كان يدري الأجير إلى متى يعمل، ولا الصائم إلى متى يصوم، ولا المصلي إلي متى يصلي، ولا المرأة كم تعتد، ولا أوقات الصلوات، ولا وقت الحج، ومتى تحل الديون، ويبذرون ويزرعون، ومتى تكون الراحة لأبدانهم، فكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ شمس ثلاث مرات، فطمس عنه الضوء، وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: ١٢]. فالسواد الذي في وجه القمر شبه الخطوط أثر المحو"[1].

وسُئِلَ علي رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر فقال: (ذلك آية الليل محيت فذلك أثر المحو).

قلت: حيث كان القمر في الأصل شمسا، فكان القياس أن يكون له حر كالشمس، وحيث طمس فكان القياس أن ينقص من حره بقدر ما نقص من نوره، وهو لا حر له أصلا، فلعله خلق ابتداء بلا حر إن في ذلك لعبرة، أو حره ذهب كله مع الطمس، والظاهر الأول.

وفي "قانون" ابن العربي أنه قيل: إن القمر نور شفاف قابل لنور الشمس يستمد منه، فإذا قرب منه ضعف نور استمداده، وإذا تعدى عنها قوي نوره، فكلما بعد عنها قوي نوره حتى إذا قابلها وهو أبعد ما يكون بينهما فيكون القمر أكثر ضوءًا،ثم يقرب من الشمس فكلما قرب نقص ضوءه، وأما الفلك الذي هو فيه فهو فلك سماء الدنيا، وقيل: في البحر دون السماء. بناء على ما تقدم.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾[2] أي: قدرنا له منازل، وهي ثمانية وعشرون منزلا، وهي مواقع النجوم التي تنسب العرب إليها الأنوار، وهي: السرطان، البطين، الثريا،

---

(١) العظمة حديث رقم:٦٤٣.

(٢) قال الزمخشري: قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستوٍ لا يتفاوت، يسير فيها كل ليلة من المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء

الدبران،الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوا، السماك، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرع الدلو المؤخر، الرشا: وهو بطن الحوت.

وهذه المنازل مقسومة على البروج، وهي اثنا عشر برجا: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت، وجمع البروج شعرًا فقال:

حمل الثور جـــــوزة اليرور ... هي الليث سنبـــــــل الميزان

ورمى عقرب بقـــــوس الجدي ... فملأ الدلو بركـــــــة الحيتان

ومعنى هذه التسمية أنهم يعاينونها في مطالعها على شكل ذلك، فسميت بذلك؛ لأن هناك جملا أو ثورًا أو نحوهما فيكون لكل برج منزلان وثلاث، فينزل القمر كل ليلة منزلا من الثمانية وعشرين ويسير سيرا من غير تفاوت، ويستتر ليلتين إن كان الشهر تامًّا، وليلة إن كان ناقصًا، فإذا نزل تلك المنازل دق وتقوس في رأي العين وعاد كالعرجون القديم وهو العرق الذي فيه الشماريخ إذا عتق ويبس وتقوس واصفر شبه القمر في دقته وصفرته به.

ثم بين سبحانه أنه خلق الأشياء خلقة متناسبة، وجعل لكل واحد منها حدا فلا يتعداه، لقوله: ﴿ لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ﴾[1] [يس: ٤٠] أي: لا يصلح لها ولا يمكن أن

==

المستمطرة، وهي: الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوّا، السماك، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا. فإذا كان في آخر منازله دقّ واستقوس، و ﴿ عَادَ كالعرجون القديم ﴾ وهو عود العذق، ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة. وقال الزجاج: هو «فعلون» من الانعراج وهو الانعطاف. وقرىء: «العرجون» بوزن الفرجون؛ وهما لغتان، كالبزيون والبزيون، والقديم المحول، وإذا قدم دق فانحنى واصفر، فشبه به من ثلاثة أوجه. وقيل: أقل مدّة الموصوف بالقدم الحول، فلو أنّ رجلاً قال: كل مملوك لي قديم فهو حرّ. أو كتب ذلك في وصيته: عتق منهم من مضى له حول أو أكثر [الكشاف:٥/ ٤٣٤].

(١) قال الزمخشري في الكشاف ٥/ ٤٣٤: المعنى: أنّ الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسماً من الزمان، ودبر أمرهما على التعاقب فإن قلت: لم جعلت الشمس غير مدركة، والقمر غير سابق؟ قلت: لأنّ الشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، والقمر يقطع فلكه في شهر، فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطىء سيرها عن سير القمر، والقمر خليقاً بأن يوصف بالسق لسرعة سيره.

تدركه؛ لأن فلكها غير فلكه، ولأنها تقطع فلكها في كل سنة مرة والقمر يقطع فلكه في كل شهر مرة، فلا ها سبيل أن تدركه.

وقال عكرمة: (لكل واحد منهما سلطان، فسلطان القمر الليل، وسلطان الشمس النهار، والمعنى على هذا ألا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، ولا النهار على الليل قبل انقضائه، وهذا معنى قوله: ﴿ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ [يس: ٤٠]). نقلت ذلك كله من تفسير الكواشي.

لطيفة: العرب تقول: القمر يفضح السارق، ويهتك العاشق، ويبلي الثياب، وينسي ذكر الأحباب، ويقرب الدين، ويدني الجن.

فصل في ذكر الكواكب

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات: ٦]. وقال: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴾ [التكوير: ١٥-١٦]. الخنس جمع خانس.

قيل: هي النجوم الخمسة: المريخ، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشترى، تخنس في مجراها، أي: ترجع وتكنس في أوقات اختفائها وغروبها، كما تكنس الظباء. وقيل: هي بقر الوحش. وقيل: هي الظباء.

وحكى مكي: أن الكنس سبعة بزيادة الشمس والقمر. وحكى الزمخشري قولا وهو: أنها جميع النجوم تخنس بالنهار، فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل، أي: تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها.

فائدة: ثبت في التواريخ والتفاسير: أن الكواكب خلقت حين خلقت السماوات يوم الخميس ويوم الجمعة.

وفي "مسالك البكري": أن جرم عطارد جزء من اثنين وعشرين جزءًا من جرم الأرض، وجرم الزهرة جزء من أربعة وعشرين جزءا من جرم الأرض، وجرم المشترى مثل جرم الأرض إحدى وثمانون مرة ونصف مرة بالتقريب، وجرم زحل مثل جرم الأرض تسعة وسبعين مرة ونصف مرة بالتقريب.

وقال الغزالي في باب التفكر من "الإحياء": الكواكب التى نراها أصغرها مثل الأرض ثلاث مرات، وأكبرها ينتهي إلى مائة وعشرين مرة مثل الأرض، وللمنجمين والفلاسفة كلام كثير كله هذيان لا يقوم عليه من الوحي برهان.

لطيفة: منافع النجوم كثيرة منها: إرشاد الضالّ والاهتداء قال تعالى: ﴿ لِتَهْتَدُوا بِهَا ﴾ [الأنعام: ٩٧]. الآية.

قال قتادة: (جعلها الله زينة ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا يعنيه). ومراده بذلك الرد على من يزعم أنها تمطر وتحرك الرياح.

وفي البخاري عن الربيع مثله، وزاد: (وما جعل الله في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته، وإنما يفترون على الله الكذب، ويتعللون بالنجوم).

وذكر بعضهم: أن من النجوم غاربة لا تطلع أبدًا كالكواكب الجنوبية، وطالعة لا تغرب أبدًا كالكواكب الشمالية، ومنها ما يطلع تارة ويغيب تارة، ومنها سيارة إلى المشرق والمغرب، ومنها ثوابت، والله أعلم.

فصل في الملائكة عليهم الصلاة والسلام

اختلف العقلاء في حقيقتهم، فمذهب أهل الحق أنها أجسام هوائية لطيفة، هوائية قائمة بأنفسها قادرة على التشكل بأشكال مختلفة متميزة مسكنها السموات.

قال الإمام فخر الدين -وهو قول أكثر المسلمين ومذهب قوم آخرين-: أنها ذوات قائمة بأنفسها، إلا أنها ليست بأجسام ولا متميزة.

واختلف أصحاب هذا القول، فمنهم من قال: هي الأنفس الناطقة المفارقة؛ فإن كانت صافية فهم الملائكة أو خبيثة فهم الشياطين. وقيل: هي ذوات قائمة بأنفسها، مخالفة بالماهية لأنواع النفوس البشرية، وأنها أكمل قوة منها وأكثر علمًا، وهي ضربان: ماله تعلق بالأجرام الفلكية مدبرة لها كتعلق النفس بأبدانها، وما ليس لها تعلق بها ولا مدبرة لها بل هي مستغرقة في محبة الله تعالى، وهم الملائكة المقربون.

قال الفخر: ومن الفلاسفة من أثبت أنواعًا أخر من الملائكة، وهم الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي، ثم أن الخيرة منها هم الملائكة، والشريرة منها هم الشياطين والمجوس وعبدة الأوثان.

وللفلاسفة فيهم كلام كثير لا ينبغي ذكره إذ هو كفر محض، والحق مذهب أهل الحق، وقد حكى الإمام الفخر الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

وأما قدرتهم على التشكل فقد ثبت أن جبريل عليه السلام كان يتمثل للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي[١]، وكان من أجمل أصحابه تأنيسا له، وتصور له أيضًا بمكة على صورة فحل من الإبل فاتحا فاه، وأراد أن يثب على أبي جهل على ما في السير لابن إسحاق وغيره، وقد ثبت في القرآن العظيم حديث ضيف إبراهيم عليه الصلاة السلام، وفي صحيح مسلم: " أنه عليه الصلاة السلام رأى جبريل سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض"[٢]، فثبت أن الله تعالى أقدر جبريل على أن يتصور بصور مختلفة، واختلف العلماء في هذا التشكل فمن قائل بأنه سبحانه يفني الزائد من خلقه، ثم يعيده إليه، ومن قائل بأن ذلك تمثيل في عين

---

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن امرىء القيس بن الخزرج، و اسمه زيد مناة، ابن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن زيد اللات. وقيل: عامر الأكبر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب الكلبي. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و رسوله إلى قيصر ملك الروم. وكان جبريل يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم على صورته. وكان أجمل الناس وجها، و روى أنه كان إذا قدم المدينة من الشام لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه، و المعصر: التى بلغت سن المحيض، و قيل: التى دنت منه. اهـ.

وقال المزى: قال ابن البرقى: جاء عنه حديثان. وقال محمد بن سعد: أسلم قديما، و لم يشهد بدرا، و شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر، و بقى إلى خلافة معاوية. وقال خليفة بن خياط: سنة خمس فيها بعث النبى صلى الله عليه وسلم دحية بن خليفة إلى قيصر فى المدنة. وقال الواقدى: لقيه بحمص فدفع إليه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم، و ذلك فى المحرم سنة سبع من الهجرة. وقال غيره: شهد اليرموك ثم سكن دمشق بعد ذلك، و كان منزله بقرية المزة. روى له أبو داود. اهـ.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم:١٧٨، وجاء فيه عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾، فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ، سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: " إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ "، فَقَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾؟ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾؟ قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ، كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ، أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللهُ﴾.

الرائي لا في جسم جبريل مثلا، وهو مقتضى قوله عليه الصلاة السلام: (يتمثل)، ومن قائل بالتداخل وهو محال عقلا.

قال صاحب "مطامح الإفهام"(١): وتحقيق القول في ذلك أن جبريل إنما هو كناية عن الحقيقة الملكية الخاصة، وتلك الحقيقة لا تتغير بالصور والقوالب، والله أعلم.

فصل في كثرة الملائكة عليهم السلام

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]. قال الفخر: والأصل فيه قوله عليه الصلاة السلام: " أَطَتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم"(٢).

وفي الثعلبي عن ابن عباس قال: " كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم يَقْسِمُ غَنَائِمَ حُنَيْنٍ وَجِبْرِيلُ إِلَى جَنْبِهِ، فَجَاءَ مَلَكٌ، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا وَكَذَا، فَخَشِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَكُونَ شَيْطَانًا، فَقَالَ لِجِبْرِيلَ: أَتَعْرِفُهُ؟ قَالَ: هُوَ مَلَكٌ، وَمَا كُلُّ مَلائِكَةِ رَبِّكَ أَعْرِفُ"(٣).

وفي الثعلبي أيضًا عن الأوزاعي: (قال موسى: يارب من معك في السماء؟ قال: ملائكة. قال: كم عددهم يارب؟ قال: اثنا عشر ألف سبطًا. قال: كم كل سبط؟ قال: عدد التراب).

وفي كتاب "الزاهر" لابن فرجون القرطبي نزيل الإسكندرية: أن في مناجات موسى قال: يارب من عبدك قبل آدم؟ قال: الملائكة. قال: يارب كم هم؟ قال: اثنا عشر ألف سبط. قال موسى: كم السبط؟ قال: مثل الجن والإنس والطير والبهائم اثنا عشر ألف مرة.

قال الإمام فخر الدين: إن بني آدم عشر الجن، وبني آدم والجن عشر حيوانات البر، وهؤلاء كلهم عشر الطيور، وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحار، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين ببني آدم، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة سماء الدنيا، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة

---

(١) مطامح الإفهام في شرح الأحكام للقاضي عياض: وهو عياض بن موسى بن عياض بن عمر ابن موسى القاضي أبو الفضل اليحصبي البستي المراكشي " بضم الميم وكسر الكاف وتشديد الراء " المحدث المالكي ولد سنة ٤٧٦ وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ أربع وأربعين وخمسمائة. من تصانيفه الأجوبة المخيرة عن الأسئلة المحيرة. أخبار القرطبيين. الأعلام في حدود الأحكام. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣١٢، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٢١٠٠٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧٣٣٩.

سماء الثانية، ثم على هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة، ثم على هـؤلاء ملائكـة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها مائة ألف، طول كل سرادق عرضـه إذا قوبلـت بـه السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، فإنها كلها تكون شيئا يسيرًا ومقدارًا صغيرًا، وما مـن موضع يسير إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لله تعالى، ثم هؤلاء كلهم في مقابلـة الـذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر، ولا يعرف عـددهم إلا الله، ثـم بعـد ذلـك ملائكـة اللوح المحفوظ الذين هم أشياع إسرافيل، وهـم كلهـم سـامعون مطيعـون يـسبحون الليـل والنهار، لا يفترون، لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، لا تحصى أجنـادهم، ولا مـدة أعمارهم، ولا كيفية عبادتهم. قال: وهذا كله تحقيق ملكـوت الله في سـماواته كـما قـال تعـالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

قال الإمام فخر الدين: مر في بعض الكتب التذكيرية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج به للسماء رأى ملائكة في موضع مشرف عال، ورأى بعضهم يمشي تجاه بعض، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك جبريل وإلى أيـن يـذهبون؟ فقـال: " والـذي بعثـك بالحق يا محمد لا أدري إلا أني أراهم هكذا منذ خلقت، ولا أرى واحدا مـنهم قـد رأيتـه قبـل ذلك، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا منهم فقال له: منذ كم خلقت؟ قال له: لا أدري، غير أن الله تعالى يخلق كوكبا على رأس أربعمائة ألف سنة، فخلق ذلـك الكوكـب منـذ خلقني بأربعمائة ألف سنة ". فسبحان من له ملكوت السماوات والأرض.

قلت: وما قاله الفخر جميعا يحتاج فيه إلى توقيف لصحته، وإن كانت قدرة الله أعظم مـن ذلك.

فصل في ذكر العالمين

ذكر ابن العربي في قانونه في تفسير العالمين أقوالا، فقال أبي بن كعب: (إن العـالمين رهـط من الملائكة، وهم ثمانية عشر ألف ملك، منهم أربعة آلاف وخمسـمائة بـالمشرق، ومثـل ذلـك بالمغرب، ومثل ذلك في الجانبين الآخرين، مع كل ملك منهم من الأعوان ما لا يعلـم عـدتهم إلا الله، ومن ورائهم من الجهات الأربـع أرض بيضـاء كالرخـام، عرضـها مسـيرة الشـمس أربعين يوما مملوءة ملائكة يقال لهم: الروحانيون، لهم زجل بالتسبيح والتهليل، لو كشف عن صوت أحدهم لهلك أهل الأرض من صوته، فهم العالمون منتهاهم إلى حملة العرش).

وقال مجاهد: (العالمون ثمانية عشر ألف ملك في نواحي الأرض الأربعة، في كل ناحية منها أربعة آلاف وخمسمائة، مع كل ملك منهم عدد الإنس والجن، وبهم يرفع الله العذاب عن أهل الأرض).

وقال ابن عباس: (خلق الله تعالى ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وما من شيء في البر وإلا وفي البحر مثله ويزيد على البر بمائتين).

قال بعضهم: فالعالم اسم لكل ذي روح دب على وجه الأرض، واختاره ابن العربي.

قلت: الصواب أن العالم اسم لما سوى الله، وفي بعض الأحاديث: "أن الله تعالى خلق ثمانية عشر ألف عالم، الدنيا كلها منها عالم واحد".

وفي بعض الآثار أيضًا: أنه عليه الصلاة والسلام قال: "إن لله أرضا بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة، حشوها خلق من خلق الله تعالى، ما يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين، قيل: يا رسول الله؛ أين إبليس منهم؟ قال: لا يعلمون أن الله تعالى خلق آدم ولا إبليس".

وقال الفراء، و أبو عبيد: إن العالمين هم من يعقل من الملائكة والإنس والجن والشياطين.

قلت: وهذا هو المشهور بين النحويين وفي العالمين أقوال أخر، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في ذكر أفراد من الملائكة عليهم السلام
كإسرافيل وجبرائيل وميكائيل وعزرائيل

أما إسرافيل، فقال الفخر: الذي دلت عليه الأحاديث الصحيحة أنه صاحب الصور، وأما عظم جسده فلا يحيط به إلا خالقه.

قال ابن الجوزي في السؤال السابع من أسئلة جبريل: جبريل سد الخافقين بجناح واحد، وقال: أنا إذا طرت في جناح إسرافيل وخرجت من الجانب الآخر لم يحس بي.

قال الفخر: روى البيهقي في كتاب "شعب الإيمان"، عن ابن عباس قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل عليه السلام إذ انشق أفق من السماء فطفق جبريل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض، فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله غليه وسلم فقال: يا محمد؛ إن الله يقرئك السلام ويخيرك بين أن تكون نبيا ملكًا، وبين أن تكون نبيًا عبدًا؟ قال: فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبريل كالمستفهم، فأشار جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفت أنه لي ناصح فقلت: بل نبيا عبدًا، قال: فعرج إلى السماء، فقال عليه

السلام: يا جبريل؛ إني أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما أشغلني عن المسألة، فمن هذا الملك؟ فقال جبريل: يا محمد؛ هذا إسرافيل خلقه الله منذ خلقه ورأسة بين قدميه، صافا قدميه لا يرفع طرفه. وبينه وبين رب العزة سبعون حجابًا من نور، ما منها نور يدنو منه أحد إلا احترق، وبين يديه اللوح المحفوظ، فإذا أذن له في شيء من السماء أو من الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبينه، فإن كان الأمر من عملى أمرني به، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به، قال: يا جبريل؛ فعلى أي شيء أنت؟ قال: يا محمد؛ على الرياح والجنود، قلت: فعلي أي شيء ميكائيل؟ قال: يا محمد؛ على النبات، قلت: فعلى أي شيء ملك الموت؟ قال: على قبض الأرواح، والذي بعثك بالحق يا محمد ما ظننت أنه هبط إلا لقيام الساعة، وما ذاك الذي رأيت مني إلا من الفزع من قيام الساعة"[1].

فقد دل حديث البيهقي أن إسرافيل هو الذي يأمر جبريل وميكائيل وعزرائيل بالأوامر الإلهية.

قال الفخر: وصاحب النفخ في الصور قد بلغ في القوة بحيث يصعق من في السماوات ومن في الأرض بالنفخة الواحدة منه، ويقومون أحياء بالنفخة الثانية.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ [النازعات: ٥] المراد الملائكة التى تدبر أمر الدنيا وهم أربعة: جبريل: وهو موكل بالرياح والجنود. وميكائيل: وهو موكل بالقطر والنبات. وعزرائيل: وهو موكل بقبض الأرواح. وإسرافيل: وهو الذي ينزل بالأمر عليهم، وأما جبريل عليه السلام فقد بلغ من عظيم القوة أن اقتلع مدائن قوم لوط السبعة وقلبها في دفعة واحدة.

وفي الثعلبي: قال ابن شهاب: " إن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام أن يترائى له في صورته، فقال جبريل: إنك لا تطيق ذلك. قال له: أحب أن تفعل. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلى في ليله مقمرة، فأتاه جبريل في صورته، فغشي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أفاق وجبريل مسنده واضع إحدى يديه على صدره والأخرى علي كتفيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما كنت أرى شيئا من الخلق هكذا، فقال جبريل عليه السلام: كيف لو رأيت إسرافيل؟ إن له اثني عشر جناحًا، جناحا بالمشرق وأحد عشر جناحًا بالمغرب، وإن

---

(١) شعب الإيمان ج١/ ١٧٧.

العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل الأحايين من عظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوصع، أي: عصفور صغير، حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته"(١).

وأما الروح فقيل: هو جبريل. وعن ابن عباس: (أن عن يمين العرش نهرًا من نور مثل السماوات السبع والأرضين والبحار السبع يدخل جبريل فيه فيغتسل فيزداد نورًا إلى نوره وجمالا إلى جماله وعظمًا إلى عظمته، ثم ينتفض فيخرج الله تعالى من كل ريشة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة).

وقال وهب: (إن جبريل واقف بين يدي الله ترعد فرائصه، يخلق الله تعالى من كل رعدة مائة ألف ملك، والملائكة صف بين يدي الله تعالى منكسوا رءوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا اله إلا الله).

وعن ابن عباس: (إن الروح هو من أعظم الملائكة خلقا).

وقال ابن مسعود: (الروح مَلَك أعظم من السماوات ومن الجبال وأعظم من الملائكة).

وعن ابن عباس أيضًا: (الروح خلق من خلق الله تعالى صورهم كصور بني آدم، وما ينزل من السماء ملك إلا ومعه واحد من الروح).

وقال مجاهد: (هم خلق علي صورة بني آدم يأكلون ويشربون، لهم أيدي وأرجل ليسوا بملائكة، وهم يضعفون عن الملائكة).

قال أبو صالح: (يشبهون الناس وليسوا بناس).

وسيأتي ذكر ملك الموت، ومنهم الملائكة الموكلون ببني آدم وهم الحفظة، قال الله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠]. وقال تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١]. وقال تعالى: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله ﴾ [الرعد: ١١].

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم:" **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار**"(٢).

---

(١) ذكره ابن المبارك مرسلا في الزهد والرقائق حديث رقم: ٢٢١.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٨٦, ٧٤٢٩, ٥٥٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٦٣٤، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٤٨٥، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٤١٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٣٦٢٧٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٧٣٧،

وفي بعض التفاسير في قوله تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤] وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه ما لم يقدر عليه، من ذلك للبصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذبون عن قصعة العسل الذباب، ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين، وأما الملائكة الكاتبون فقيل: أربعة، اثنان بالليل واثنان بالنهار، وقيل: خمسة، واحد لا يفارقه ليل ولا نهار. قال الضحاك: (مجلس الملكين تحت الشعر على الحنك).

وعنه عليه الصلاة السلام: "مقعد ملكيك على ثنييك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت تجري فيما لا يعنيك، لا تستحي من الله ولا منهما".

وعنه عليه الصلاة السلام:" كاتب الحسنات عن يمين الرجل، وكاتب السيئات عن يساره، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر "[1].

وقال مجاهد: (يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه). وذلك معنى قوله: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ ﴾ [ق: ١٨] أي: عنده، ﴿رَقِيبٌ﴾ أي: حافظ يرقب أعماله ويحفظها، ﴿عَتِيدٌ﴾ أي: حاضر معه أينما كان. وقال بعضهم: لا يكتبان عليه إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر. وقال الحسن: (الملائكة يجتنبون الإنسان عند غابطه). وعند جماعة.

وفي حديث أبي هريرة، وأنس رضي الله تعالى عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم:" ما من حافظين يرفعان إلى الله تعالى ما حفظا، فيرى الله تعالى في أول الصحيفة خيرا وفي آخرها خيرا إلا قال للملائكة: اشهدوا إني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة"[2].

= =

وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ١١٢٠، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ١٤١٠، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٨٧١, ٧٧١٢, ٤٥٩، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ١: ص ٤٦٤، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٥٦٧.

(١) أخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ١٢١٥.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٩٨١، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٦٩٦، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٧٧٥، وأخرجه الذهبي في العلو حديث رقم: ٣١، وأخرجه الطبراني في الدعاء حديث رقم: ٢٨٧.

وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي عليه الصلاة والسلام:" إن الله وكل بعبده المؤمن ملكين يكتبان عمله، فإذا مات العبد قالا: مات فلان، أفتأذن لنا أن نصعد إلى السماء؟ فيقول الله تعالى: سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحون. فيقولان: ربنا فأين؟ فيقول: قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني، واكتبا ذلك لعبدي إلى يوم القيامة "(١). فسبحان المنعم المتفضل.

وأنواع الملائكة كثير، منهم ملائكة العذاب، ومنهم الملائكة التي تزجر السحاب في قوله تعالى: ﴿ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴾ [الصافات: ٢]. ومنهم الملائكة الموكلون بنزع أرواح الكفار في قوله: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ [النازعات: ١] ومنهم الموكلون بقبض أرواح المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ والناشطات نشطًا ﴾ [النازعات: ٢]. والكلام في ذلك مما يطول. وما وكلهم الله بذلك لا لاحتياجه إليهم ولا ليعينوه على مخلوقاته وضبط معلوماته، وإنما ذلك حكم وآيات ودلائل وإشارات، وإلا فهو الغني الحميد لا إله إلا هو الفعال لما يريد.

فصل في ذكر المطر

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأرضْ ﴾ [المؤمنون: ١٨]. وقال تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ﴾ [الواقعة: ٦٩]. فاقتضت الآية الأولى نزوله من السماء، والثانية نزوله من المزن وهو السحاب، والجمع بينهما على ما أشار إليه فخر الدين من وجهين:

أحدهما: أن السحاب يسمى سماء؛ لأن كل ما ارتفع وعلا يسمى سماء.

الثاني: أن يقال: نزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض.

وحكى فخر الدين عن الجبائي في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [الأنعام: ٩٩]. أنه تعالى أنزل الماء إلى السحاب، ومن السحاب إلى الأرض. قال: فظاهر النص يقتضي نزول المطر من السماء، والعدول عن الظاهر إلى التأويل إنما يحتاج إليه إذا لم يمكن إجراء اللفظ على ظاهره، وهنا ممكن، فوجب أخذ اللفظ على ظاهره.

وذكر الجلال السيوطي في كتابه "الهيئة" فقال: أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن خالد بن معدان: (أن المطر يخرج من تحت العرش، فينزل من سماء إلى سماء حتى يجتمع في السماء

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٢٨٧٩، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٥٠٣.

الدنيا، فيجيء السحاب الأسود فيدخله، فيشربه مثل شرب الإسفنجة)، وذكر فيه عن عكرمة قال: (ينزل من السماء السابعة فتقع القطرة منه على السحاب مثل البعير). وذكر أيضًا فيه عن وهب قال: (لا أدري المطر أنزل قطرة من السماء في السحاب أم خلق في السحاب)، فانظر.

وحكى الفخر، عن السدي: (أن الله تعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب، ثم إنه يبسطه في السماء كيف يشاء، ثم يفتح أبواب السماء، فيسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك).

قلت: وهذا الذي قالوه كله لم يرد فيه توفيق صحيح؛ لأنه غيب يحتاج فيه إلى التوفيق، والذي أذهب إليه الوقف عن حقيقة ذلك أو يقال: وهو أقرب الأقوال أن الله تعالى يخلق السحاب والمطر ابتداء بين السماء والأرض متى شاء، ثم ينزله إلى الأرض متى شاء، فينشيء من العدم ما أراد في لحظة واحدة، وهذه العبرة فيه أتم والقدرة فيه أظهر، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

وعلماء التفسير إنما جزموا بنزوله من السماء ردا على من يزعم: أن الأمطار إنما تتكون من البخارات المتصعدة من قعر الأرض إلى الجبال، ومن الجبال إلى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب التصعيد، ثم إن الذوات تألفت وتكونت ماء، وبعضهم يقول: إن السحاب لها خراطيم تغترف الماء من البحر. ومنه قول بعض العرب [الطويل]:

شربنَ بماءِ البحرِ ثـمَّ ترَفَّعتْ ... مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نئيجُ

ثم إن الماء الملح يحلو بسبب التقطير، قال الفخر: وينكرون الفاعل المختار سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

تنبيه: عامة المفسرين على أن المراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾ هو المطر؛ لأنه سبب الأرزاق والمعايش لبني آدم وغيرهما من سائر الحيوانات، وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١]. فقال ابن عباس: يريد الكفاية. قال ابن مسعود: ما من أرض بأمطر من أرض، ولا عام بأمطر من عام، ولكن الله تعالى يقسمه، ويقدره في الأرض كيف يشاء عاما ههنا وعاما ههنا.

وقال الحكيم بن عيينة في هذه الآية: (ما من عام بأكثر من مطر عام، ولكنه يمطر قوما، ويحرم آخرين، وربما كان في البحر).

وذكر السيوطي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء "[1].

ونقل الواحدي عن ابن عباس أنه قال: (لا تنزل نقطة من المطر إلا ومعها ملك).

وفي الثعلبي عن الحكيم بن عيينة: (بلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم، يحصون كل قطرة حيث وقعت، وما تنبت).

والفلاسفة يحملون ذلك الملك على الطبيعة الحالة في تلك الجسمية الموجبة لذلك النزول، وأما أن مع كل قطرة ملكا فمشكل مع أنه لا إشكال في ذلك؛ لأن الله على كل شيء قدير، وجنوده أكثر من قطرات الأمطار.

قلت: وهنا للعاقل نظر هو أن يقال: هل أولئك الملائكة النازلون مع المطر يفنون سريعًا ويضمحلون كالمطر أو لا؟

فإن قلنا: لا، وهو الحق، لزم أن تضيق بهم الأرض، إذ لو دام مطر عام واحد لامتلأت منه الأرض، فكيف بملائكة تنزل منذ خلق المطر؟!

فإن قلت: الملائكة أجسام لطيفة هوائية قادرة على التشكل، فأي شيء كان يسعها؟

قلت: يرده أنها متحيزة على الصحيح، والمتحيز إذا كثر ملأ حيزه، وإلا لما كانت السماوات مملوءة بالملائكة بحيث لو وقعت قطرة لم تقع إلا على ملك، فتأمل. اللهم إلا أن يقال: أنهم ينزلون مع المطر ثم يصعدون، ثم ينزلون لنزوله، وهذا دأبهم؛ لأنهم موكلون به، أو أنهم يذهبون في غامض علم الله الواسع لا إله إلا هو وسع كل شيء علمًا.

لطيفة: إحياء الأرض بالمطر جاء في آيات كثيرة، وإحياؤها إما بظهور الكلأ والعشب وغيرهما مما لولاه لما عاش من دواب الأرض شيء، أو أنه يحصل لها بسببه إنبات حسن ونضرة بهية ورونق عجيب، ومنافع المطر وعجائبه الناشئة عنه يعرفها الجاهل والعالم، والحس شاهد بذلك، وليس الخبر كالأعيان فلا يطيل بذكر ذلك.

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده حديث رقم: ٣٦٦.

فصل في ذكر السحاب

قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرض ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قال الفخر: فتارة يحمل المياه كما قال تعالى: ﴿ فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا ﴾ [الذاريات: ٢] أي: تحمل الماء كما تحمل ذوات الأربع الوقر، وتارة تحمل العذاب كما في قوم عاد وأصحاب الأيكة. قال: وسمي السحاب سحابًا لانسحابه في الهواء، والسحاب معروف.

قلت: المعروف إنما هو اسمه، وأما حقيقته ومن أي شيء هو؟ وهل هو من الأرض أو السماء يقينًا؟ فغير معلوم لنا، فإذا عجزنا عن درك ما هو مشاهد لنا، فكيف بما وراء ذلك؟! أعاذنا الله من مذاهب الحكماء الباطلة وعقائدهم الفاسدة.

وذكر السيوطي عن عطاء قال: (السحاب يخرج من الأرض). وذكر أيضًا عن خالد بن معد قال: (إن في الجنة شجرة تثمر السحاب، فالسواد منها الثمرة التي قد نضجت فتحمل المطر، والبيضاء الثمرة التي لم تنضج فلا تحمل المطر).

قلت: هذان خبران تعارضا فلا اعتداد بهما، أو إن البعض والبعض.

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال: (السحاب الأسود فيه المطر، والأبيض فيه الندى).

وأخرج أبو الشيخ أيضًا عن كعب الأحبار قال: (السحاب غربال المطر، ولولا السحاب حين ينزل الماء من السماء لأفسد ما يقع عليه من الأرض).

وحكى الثعلبي في تفسيره عن وهب: (أن الأرض شكت إلى الله أيام الطوفان؛ لأنه تعالى أرسل الماء بغير وزن ولا كيل، فخرج الماء غضبًا لله تعالى فخدش الأرض وخددها، فلما شكت أوحى الله إليها: أني سأجعل للماء غربالا لا يخددك ولا يخدشك، فجعل الله السحاب غربالًا للمطر).

قلت: وفيه ما فيه؛ إذ لو كان الماء يملك شيئا من الفساد لأفسده بعد نزوله من السحاب لبعد الأرض وشدة وقعه عليها، وإنما الحكمة في تسخير السحاب الدلالة على وجود الله تعالى ووحدانيته، كيف لا؟ وهو وما فيه من المياه العظيمة التي تملأ الأودية العظام يبقى معلقا في جو السماء، فيمسك الماء تارة بإمساك قاهر، ويرسله أخرى لا إله إلا هو على كل شيء قدير.

فصل في ذكر الرعد والبرق

قال الله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الرعد: ١٣] الآية. وذكر السيوطي في الحديث: " أن الله ينشيء السحاب فينطق أحسن النطق، ويضحك أحسن الضحك"(١).

قال إبراهيم بن سعد: النطق: الرعد، والضحك: البرق، وقد اختلف العلماء في الرعد والبرق، فالرعد قال ابن عباس: (إنه ريح يخترق بين السحاب فتصوت ذلك الصوت). حكاه عنه ابن عطية وغيره.

قلت: وهذا بعيد الصحة عن ابن عباس لكونه راوي الحديث الآتي.

وقيل: الرعد اصطكاك أجرام السحاب تضطرب وتنتفض وترتعد من الارتعاد إذا أخذتها الرياح فتصوت عند ذلك، والبرق والنور مع السحاب من برق الشيء بريقا إذا لمع. وبهذا قال الفخر في تفسيره، وهو مذهب الحكماء.

قلت: وهو مذهب باطل؛ إذ لو كان كذلك لدام الرعد بدوام الريح، وانقطع بانقطاعه مع أنه يوجد الرعد حيث لا ريح، ويوجد الريح ولا رعد.

وقيل: (الرعد اسم للصوت المسموع)، قاله علي بن أبي طالب، قال ابن عطية: وهذا هو المعلوم في لغة العرب.

قلت: نعم هو كذلك، لكن ليس في هذا كبير فائدة؛ لأن الكلام في حقيقة هذا الصوت ما هو والذي عليه أكثر المفسرين ما أخرجه أحمد والترمذي وصححه النسائي وأبو الشيخ، عن ابن عباس: أن اليهود قالوا: يا رسول الله؛ أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال: "ملك موكل بالسحاب معه مخراق من نار يسوق بها السحاب "(٢). الحديث.

وفي تخريج الترمذي: قالوا: يا أبا القاسم؛ أخبرنا عن الرعد. فقال: "ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله". فقالوا: ما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: "زجرة للسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر". قالوا: صدقت. قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٧١٨.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣١١٧، والنسائي حديث رقم:٩٠٢٤، وأحمد في مسنده حديث رقم:٢٤٧٩.

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس قال: (الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادى الإبل).

وأخرج ابن المنذر وأبو الشيخ أيضًا عن الضحاك قال: (الرعد ملك يسوق السحاب، وصوته الذي يسمع تسبيحه).

قال بعض العلماء في هذا الملك: إن الرعد من صوت سوقه لا من صوت سوطه.

وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال: (الرعد ملك يسوق السحاب، وإن بحور الماء لفي نقره إبهامه، وإنه موكل بالسحاب يصرفه حيث يؤمر، وإنه يسبح الله؛ فإذا سبح الرعد لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح، فعندها ينزل المطر).

وأما البرق فقيل: إنه ملك يتراءى، وقيل: إنه سوط نور بيد الملك يسوق به السحاب.

وقيل: إنه مخراق حديد بيد الملك يسوق به السحاب. قال ابن العربي: يضربها بذلك المخراق.

وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (الرعد ملك من الملائكة اسمه الرعد، وهو الذي تسمعون صوته، والبرق صوت سوط من النور يزجر به الملك السحاب).

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (البرق اصطفاق البرد).

وأخرج أبو الشيخ عن أبي الجلد قال: (السماء من ماء مكفوف، والبرق تلألأ الماء، والصواعق مخاريق يزجر به السحاب).

قلت: هذا كله لم يرد فيه شيء صحيح، وللحكماء ونحوهم فيه كلام لا أصل له، والأحسن عندي 'الوقف؛ لأنه غيب يحتاج إلى توقيف، ولعل الحكمة في ذلك ليحصل للخلق الاتعاظ والانزجار، ويتذكرون عند سماع صوت الرعد قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾[ق: ٤٢]. ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴾ [المدثر: ٨]. ويتذكرون عند لمعان نور البرق لمعان نور وجوه المؤمنين في المحشر، وعند رؤية مطارق البرق التي في السحاب مطارق الزبانية ومنكر ونكير، وفي ذلك حكم أخرى لا نعلمها، والله أعلم.

وأما الصواعق فحكى ابن عطية عن الخليل: أن الصاعقة: الوقعة الشديدة من صوت الرعد يكون معها أحيانا قطعة نار، يقال: إنها من المخراق الذي بيد الملك، وقيل: هي قطعة

نار تخرج من فم الملك عند غضبه إذا خالفته سحابة وصاح بها، فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه.

وأخرج أبو الشيخ عن شهر بن حوشب قال: (الرعد ملك يسوق السحاب كما يسوق الحادى الإبل، فإذا خالفته سحابة صاح بها، فإذا اشتد غضبه تناثرت من فيه النيران، وهي الصواعق التي رأيتم). وأخرج أبو الشيخ عن السدي قال: (الصواعق نار).

وذكر ابن العربي في قانونه عن العلماء المتكلمين: أن الصاعقة ضربان:

أحدهما: بيضاء لا تحرق شيئا، وهي ريح لطيفة تخرج من السحاب فلا قوة لها على هذه الأجسام للطافتها.

وثانيهما: حمراء محرقة، وهي ريح غليظة تخرج من تحت السحاب فتصدم الأجسام فتحرقها.

قال القاضي: والذي عندي أن الصاعقة جسم لطيف ملهبة إذا أصابت نارا تقوت وأنها تسرع إلى الشيء الأسود فتحرقه.

وأما البرد فحكى فخر الدين في قوله تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ﴾ [النور: ٤٣] قولين:

أحدهما: أن في السماء جبّالا من برد خلقها الله تعالى لذلك، ثم ينزل منها ما يشاء. عليه أكثر المفسرين.

الثاني: أن المراد بالسماء هنا الغيم المرتفع، سمي بذلك لسموه وارتفاعه، وأراد بالجبال هنا السحاب العظام؛ لأنها إذا عظمت شبهت بالجبال، كما يقال: فلان يملك جبّالا من المال.

وأما قوس قزح فعن علي بن أبي طالب، وابن عباس: (أنه أمان من الغرق).

وأخرج أبو نعيم في "الحلية" عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تَقُولُوا: قَوْسُ قُزَحَ فَإِنَّ قُزَحَ شَيْطَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: قَوْسُ الله، فَهُوَ أَمَانٌ لأَهْلِ الأَرْضِ مِنَ الغَرَقِ "[1].

وحقيقته ما قاله بعض الحكماء: أنه انعكاس من شعاع الشمس في الماء الذي في السحاب.

---

(١) حلية الأولياء حديث رقم:٢٥٩٩، والخطيب في تاريخ بغداد ج٩/ ٤٦٢.

قلت: وهذا باطل؛ لأن انعكاس الشمس لا يوجب كونه على هذه الكيفية المخصوصة والخلقة البديعة، ومن كان مؤمنًا عاقلا تذكر عند رؤيته الصراط وطوله وعلوه، والله تعالى أعلم بحقيقة جميع ما في السماوات مما ذكرناه وما لم نذكره، إنه علام الغيوب.

فصل في ذكر الرياح

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ ﴾ [فاطر: ٩]. وقال تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ [الجاثية: ٥]. إلى غير ذلك من الآيات.

قال ابن الأنباري: إنما سُمِيَ الريح ريحًا؛ لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالروح والراحة، وانقطاع هبوبها يكسب الكرب والهم، فهي مأخوذة من الروح، فأصلها الواو بدليل قولهم في الجمع: أرواح.

قال الفخر: إن الريح هواء متحرك، وحركته بعد أن لم يكن متحركًا لابد له من سبب، وذلك السبب ليس نفس الريح، ولا هو شيء من لوازم ذاته، وإلا لدامت حركة الريح بدوام ذاته وذلك محال. فلم يبق إلا أن يقال: يتحرك بتحريك الفاعل المختار.

وزعمت الفلاسفة: أنه يرتفع من الأرض أجزاء مسخنة تسخينا قويًا، فإذا وصلت إلى القرب من الفلك امتنعت من الصعود، فتتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح.

ورد عليهم الفخر: بأن صعود الأجزاء الأرضية إنما تكون لأجل شدة تسخينها، فإذا صعدت إلى الطبقة الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها، فإذا بردت امتنع بلوغها في الصعود إلى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك، فبطل ما قالوه، وأيضًا لو كان كذلك لكان نزولها على الاستقامة، والرياح إنما تتحرك يمنة ويسرة، وأيضًا فحركة الأجزاء الأرضية لا تكون حركة قاهرة؛ فإن هذه الرياح تقلع الأشجار، وتهدم الجبال، وتموج البحار.

وقال المنجمون: إن أقوى الكواكب هي التي تحرك الرياح وتوجب هبوبها.

ورد عليهم الفخر: بأن الموجب لحركة الرياح إن كان طبع الكواكب وجب دوام الرياح بدوام تلك الطبيعة: وإن كان هو الطبيعة بشرط حصوله في البرج المعين والدرجة المعينة وجب أن يتحرك كل هذا الهوى، وليس كذلك، فإذا بطل ما قالوه فالمحرك لها هو العالم القادر الفاعل المختار سبحانه وتعالى.

وأما كون الريح متحيزا أو ليس بمتحيز فقد نص الفخر على أنه من قبيل المتحيز، وأنه من الأجسام البسيطة؛ لأنه قسم العالم إلى ما هو متحيز، وإلى ما هو صفة للمتحيز، وإلى ما ليس بمتحيز ولا صفة للمتحيز. فالأول كالجماد والحيوان، والثاني الأعراض كالبياض والحمرة، والثالث: الأرواح وهي إما علوية وإما سفلية، وإنما لم ير الهواء؛ لأنه لا لون له فلذلك لم يره أحد.

وأما من قال: (إن الحركة ترى) فقول فاسد؛ لأنه قد صح أن البصر لا يقع في هذا العالم الأعلى لون في ملون فقط، وبيقين ندري أن الحركة لا لون لها فلا سبيل لرؤياها.

وأخرج أبو الشيخ عن مجاهد قال: (الريح له جناحان وذنب).

وأخرج أيضًا عن ابن عباس: (الماء والريح جندان من جنود الله تعالى، والريح جند الله الأعظم).

وأخرج عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل حلقة الخاتم** "[١].

وأما تقسيم الرياح ففي الثعلبي عن عثمان الأعرج، وكذلك في تخريج أبي الشيخ قال: (بلغنا أن مساكن الريح تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش، فتهيج من ثم فتقع في البحر، ثم تهيج من البحر فتقع بعجلة الشمس، فتعين الملائكة على حرها، ثم تهيج من عجلة الشمس فتقع في البحر، ثم تهيج من البحر فتقع برءوس الجبال، ثم تهيج فتقع في البر، فأما الشمال فإنها تمر بجنة عدن فتأخذ من عرف طيبها، فتمر على أرواح الصديقين وحدها من كرسي نبات نعش إلى مغرب الشمس، وأما الدَّبُور فحدها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل، وأما الجَنُوب فحدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس، وأما الصَّبَا فحدها من مطلع الشمس إلى كرسي نبات نعش، فلا تدخل ريح على أخرى في حدها).

قال الفخر: وما بين كل واحد من هذه الأمهات –أي: من الرياح– فهي نكباء.

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٧٨١٨، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٨٩٦٠، وأخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات حديث رقم: ١١٧، وأخرجه ابن أبي الدنيا في المطر والرعد والبرق حديث رقم: ١٤٥.

وفي تفسير الإمام الفخر عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أن الرياح ثمان، منها أربع عذاب، وهي: القاصف والعاصف والصرصر والعقيم، وأربع منها رحمة: الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات).

قلت: وكذلك أخرجه ابن أبى حاتم، و ابن أبي الدنيا وأبو الشيخ عن ابن عمر، إلا أن في تخريجهم: (وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر، والعاصف والقاصف وهما في البحر):

وفي الحديث: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ، وَالجُنُوبُ مِنْ رِيحِ الجَنَّةِ"[1].

وأخرج أبو الشيخ عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الجُنُوبُ مِنْ رِيحِ الجَنَّةِ"[2].

وكذلك أخرجه عن أبي هريرة زاد: " وَفِيهَا مَنَافِعُ لِلنَّاسِ، وَالشَّمَالُ مِنَ النَّارِ، تَخْرُجُ فَتَمُرُّ بِالجَنَّةِ فَيُصِيبُهَا نَفْحَةٌ مِنَ الجَنَّةِ، فَبَرْدُهَا مِنْ ذَلِكَ"[3].

وأخرج عن ابن عباس: (الجنوب سيد الأرياح، وما راحت جنوب قط إلا أسالت واد من ماء رأيتموه أو لم تروه).

وأخرج عن قيس بن عبادة قال: (الشمال ملح الأرض، ولولا الشمال لأنتنت الأرض).

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وأبو الشيخ عن كعب قال: (لو حبست الريح عن الناس ثلاثة أيام لأنتن ما بين السماء والأرض).

وذكر بعضهم لكل من هذه الرياح الأربع خاصة: فالجنوب حارة رطبة، والشمال باردة يابسة، وهي (ريح الجنة التي تهب عليهم) كما رواه مسلم، والصبا حارة يابسة، والدبور باردة رطبة، وأما كون الرياح مبشرات بالمطر فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ [الروم: ٤٦] وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نشرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

---

(١) أخرجه الضياء في المختارة من حديث أنس ج٧/ ١٠٨، وله شاهد في الصحيحين من حديث ابن عباس أخرجه البخاري حديث رقم: ١٠٣٥، ٣٢٠٥، وأخرجه مسلم حديث رقم:٩٠١.

(٢) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٧٩٩.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٨٠٠.

ومعنى (نشرًا) كما قال الفخر: متفرقة من كل جانب، والنشر التفريق ومنه: نشر الثوب، ونشر الخشبة، قال الفخر: النشر هي الرياح الطيبة اللينة التي تنشيء السحاب، وأصلها من النشر وهي الرائحة الطيبة[1].

---

(١) قال الرازي: قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ﴿ الرِّيح ﴾ على لفظ الواحد والباقون ﴿ الرياح ﴾ على لفظ الجمع، فمن قرأ ﴿ الرياح ﴾ بالجمع حسن وصفها بقوله: ﴿ بَشْرًا ﴾ فإنه وصف الجمع بالجمع، ومن قرأ ﴿ الريح ﴾ واحدة قرأ ﴿ بُشرًا ﴾ جمعاً لأنه أراد بالريح الكثرة كقولهم كثير الدرهم والدينار والشاة والبعير وكقوله: ﴿ إِنَّ الإنسان لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ٢] ثم قال: ﴿ إِلاَّ الذين ءامَنُواْ ﴾ [العصر: ٣] فلما كان المراد بالريح الجمع وصفها بالجمع وأما قوله: ﴿ نَشراً ﴾ ففيه قراءات: إحداها: قراءة الأكثرين ﴿ نُشُراً ﴾ بضم النون والشين، وهو جمع نشور مثل رسل ورسول، والنشور بمعنى المنشر كالركوب بمعنى المركوب، فكان المعنى رياح منشرة أي مفرقة من كل جانب والنشر التفريق، ومنه نشر الثوب، ونشر الخشبة بالمنشار. وقال الفراء: النشر من الرياح الطيبة اللينة التي تنشر السحاب واحدها نشور وأصله من النشر، وهو الرائحة الطيبة ومنه قول امرىء القيس ونشر العطر.

والقراءة الثانية: قرأ ابن عامر ﴿ نُشْراً ﴾ بضم النون وإسكان الشين، فخفف العين كما يقال كتب ورسل.

والقراءة الثالثة: قرأ حمزة ﴿ نَشراً ﴾ بفتح النون وإسكان الشين والنشر مصدر نشرت الثوب ضد طويته ويراد بالمصدر ههنا المفعول والرياح كأنها كانت مطوية، فأرسلها الله تعالى منشورة بعد انطوائها، فقوله: ﴿نَشراً ﴾ مصدر هو حال من الرياح والتقدير: أرسل الرياح منشرات، ويجوز أيضاً أن يكون النشر هنا بمعنى الحياة من قولهم أنشر الله الميت فنشر. قال الأعشى: يا عجباً للميت الناشر...

فإذا حملته على ذلك وهو الوجه كان المصدر مراداً به الفاعل كما تقول: أتاني ركضاً أي راكضاً، ويجوز أيضاً أن يقال: أن أرسل ونشر متقاربان، فكأنه قيل: وهو الذي ينشر الرياح نشراً.

والقراءة الرابعة: حكى صاحب «الكشاف» عن مسروق ﴿ نَشَراً ﴾ بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم: ضم نشره.

والقراءة الخامسة: قراءة عاصم ﴿ بشرًا ﴾ بالباء المنقطة بالمنطقة الواحدة من تحت جمع بشيراً على بشر من قوله تعالى: ﴿ يُرْسِلَ الرياح مبشرات ﴾ أي تبشر بالمطر والرحمة، وروى صاحب «الكشاف» ﴿ بشرًا ﴾ بضم الشين وتخفيفه و ﴿ بشرًا ﴾ بفتح الباء وسكون الشين مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرات وبشرى.

وقال الزجاج: وفي (نشراً) خمسة أوجه بفتح النون وبضمها وبضم النون والشين وبالباء الموحدة مع ألف والمؤنث وبشراً بالتنوين، قال أبو مسلم في قرأ (بشراً) أراد جمع بشير مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءاياته أَن يُرْسِلَ الرياح مبشرات ﴾ [الروم: ٤٦] وأما بالنون فهو في معنى قوله: ﴿ والناشرات نَشْراً ﴾ [المرسلات:٣] وهي الرياح، والرحمة الغيث والماء والمطر.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن عبيد بن عمير قال: (يبعث الله المبشرة فتعم الأرض، فما ثم يبعث المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث المؤلفة فتؤلفه ثم يبعث اللواقح فتلقحة ثم قرأ: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]).

وفي الثعلبي عن أبي بكر ابن عياش: (لا تقع قطرة من السحاب إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه، فالصبا تهيجه، والجنوب تدره، والشمال تفرقه).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾. أي: (لواقح للشجر والسحاب)، وقاله الحسن والضحاك.

قال الفخر: وأصل هذا من قولهم: لقحت الناقة، وألقحها الفحل، إذا ألقى فيها الماء فحملته، فكذلك الرياح جارية مجرى الفحل للسحاب.

وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية: (يبعث الله الرياح لتلقيح السحاب، فتحمل الماء وتمجه في السحاب، ثم تعصره السحاب وتدره كما تدر اللقحة)، قال: فهذا تفسير إلقاحها للسحاب.

ومعنى لواقح: ملاقح. قاله أبو عبيد: قال الزجاج: ويجوز أن يقال لها: لواقح وإن ألقحت غيرها.

لطيفة: قد تكون الريح راحة للأبدان وتنعيها لها، سيما الصبا والشمال، وقد تكون لإفساد الثمار كالعقيم، وهي التي لا تلقح شجرا، ولا تنشيء سحابا، ولا رحمة فيها ولا بركة، وفي أبي داود، عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الريح من روح الله، وريح الله يأتي بالرحمة ويأتي بالعذاب، فإذا رأيتموها فلا تسبوها واسألوا الله خيرها، واستعيذوا به من شرها"[1].

و[خرج] البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الريح قال: "اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٥٠٩٧.

أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به"[١]. ولفظ الترمذي: (كان إذا رأى السحاب)، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في ذكر الليل والنهار

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ [رَحْمَتِهِ][٢] جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾[القصص:٧٣]. وقال تعالى: ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [البقرة: ١٦٤]. إلى غير ذلك من الآيات.

أخرج الحاكم وصححه، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد؛ إنك تدعو إلى جنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فأين الليل الذي التبس كل شيء منه إذا جاء النهار؟ قال: الله أعلم. قال: كذلك يفعل ما يشاء ".

وكان أبو وائل يقول: إذا جاء الليل جاء خلق الله الأعظم.

وأخرج أبو الشيخ، عن ابن عباس، أنه سُئِلَ عن الليل والنهار: أيهما كان قبل؟ فقرأ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأرض كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. ثم قال: (هل كان بينهما ظلمة؟ وذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار).

وقال ابن جريج: (أول ما خلق الليل مظلما، وخلق النور فطرد الظلمة إلى حيث شاء الله، ثم خلق الشمس والقمر والنهار، وليس لله خلق أعظم من الليل والنهار).

وقيل: إن الله تعالى خلق من النور النهار، وجعله مضيئا نيرا، وخلق من الظلمة الليل، ثم خلق الشمس لأهل هذه الدار الدلالة على قدرة العزيز الجبار لا إله إلا هو.

وروى مقاتل، عن عكرمة، قال: (خلق الله عند المشرق حجابا من الظلمة، فوضعها على البحر السابع، فإذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك موكل بالليل، فقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب، ثم يستقبل المغرب فلا يزال يرسل تلك الظلمة من خلل أصابعه قليلا قليلا، وهو يراعي الشفق، فإذا غاب الشفق أرسل الظلمة كلها، ثم ينشر جناحيه فيبلغان قطري

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٩٠١، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٤٤٩، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٢٥٠٨، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٣: ص٣٦٠، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير حديث رقم: ٣٠٠.

(٢) في الأصل: " آياته "، وما أثبتناه هو الصحيح.

الأرض، وأفقي السماء فتشرق ظلمة الليل بجناحيه، فإذا كان الصبح ضم جناحيه، ثـم يضـم الظلمة كلها بعضها لبعض بكفه من المشرق).

وأما اختلاف الليل والنهار فللعلماء في قوله تعالى: ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ أقوال[(١)]:

فقيل: إن الاختلاف هو التعاقب في الذهاب والمجيء، فإذا ذهب هـذا خلفـه هـذا، وإذا ذهب هذا خلفه هذا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ

---

(١) قال الرازي في بيان الاستدلال بأحوال الأرض على وجود الصانع: من الـدلائل اختلاف الليـل والنهار وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ذكروا للاختلاف تفسيرين. أحدها: أنه افتعال من قولهم: خلفـه يخلفـه إذا ذهـب الأول وجاء الثاني، فاختلاف الليل والنهار تعاقبها في الذهاب والمجيء، ومنه يقال: فلان يختلف إلى فـلان إذا كـان يذهب إليه ويجيء من عنده فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف ذهابه وكل شيء يجيء بعد شيء آخر فهو خلفـه، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الذى جَعَلَ اليل والنهار خِلْفَةً ﴾ [الفرقان: ٦٢]. والثاني: أراد اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان قال الكسائي: يقـال لكـل شـيئين اختلفـا همـا خلفان. وعندي فيه وجه ثالث، وهو أن الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنـة، فهـما يختلفـان بالأمكنة، فإن عند من يقول: الأرض كرة فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع مـن الأرض صـبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي موضع ثالث عصر، وفي رابع مغرب، وفي خامس عشـاء وهلـم جـرا هـذا إذا اعتبرنـا البلاد المخالفة في الأطوال، أما البلاد المختلفة بالعرض، فكل بلـد تكـون عرضـه الشـمالي أكثـر كانـت أيامـه الصيفية أطول ولياليه الصيفية أقصر وأيامه الشتوية بالضد من ذلك فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليـالي بحسب اختلاف أطوال البلدان وعرضها أمر مختلف عجيب، ولقد ذكر الله تعالى أمر الليل والنهار في كتابه في عدة مواضع فقال في بيان كونه مالك الملك: ﴿ يُولِجُ اليل فِى النهار وَيُـولِجُ النهـار فِى اليـل ﴾ [الحديـد: ٦] وقال في القصص: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ اليل سَرْمَداً إلى يَوْمِ القيامة مَنْ إله غير الله يَـأْتِيكُم بِضِـيَاءٍ أفلا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النهار سَرْمَداً إلى يَـوْمِ القيامـة مَـنْ إلـه غَـيْرُ الله يَـأْتِيكُمْ بِلَيْـلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أفلا تبصرون * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اليل والنهار لِتَسْـكُنُواْ فِيـهِ وَلِتَبْتَغُـواْ مِـن فَضْـلِهِ وَلَعَلَّكُـمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: ٧١ ٧٣] وفي الروم: ﴿ وَمِنْ ءاياته مَنَامُكُم باليل والنهار وابتغاؤكم مّن فَضْـلِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَاتٍ لّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم: ٢٣] وفي لقمان: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُولِجُ اليل فِى النهـار وَيُـولِجُ النهـار فِى اليل وَسَخَّرَ الشمس والقمر كُلٌّ يَجْرِى إلى أَجَلٍ ﴾ [لقمان: ٢٩] وفي الملائكة: ﴿ يُولِجُ اليل فِى النهـار وَيُـولِجُ النهار فِى اليل وَسَخَّرَ الشمس والقمر كُلٌّ يَجْرِى لاِجَلٍ مُّسَـمًّى ذَلِكُـمُ الله رَبُّكُـمْ ﴾ [فـاطر: ١٣] وفي يـس: ﴿وَءايَةٌ لَّهُمُ اليل نَسْلَخُ مِنْهُ النهار فَإِذَا هُم مُّظْلِمُـونَ ﴾ [يـاس: ٣٧] وفي الزمـر: ﴿ يُكَـوّرُ اليـل عَـلَى النهـار وَيُكَوّرُ النهار عَلَى اليل وَسَخَّرَ الشمس والقمر كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [غـافر: ٥] وفي حـم غـافر: ﴿ الله الذى جَعَلَ لَكُمُ اليل لِتَسْكُنُواْ فِيهِ والنهار مُبْصِراً ﴾ [غافر: ٦١] وفي عم: ﴿ وَجَعَلْنَا اليـل لِبَاساً * وَجَعَلْنَـا النهار مَعَاشاً ﴾ [النبأ: ١٠ ١١] والآيات من هذا الجنس كثيرة.[مفاتيح الغيب:٢/ ٤٩٢-٤٩٣].

أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٢]. وقيل: إن اختلافهما راجع إلى الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصان.

قال الفخر: كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة كذلك يختلفان في الأمكنة، فعلى مذهب من يرى أن الأرض كرية فكل ساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي آخر عصر، وفي آخر مغرب، وفي آخر عشاء وهلم جرا.

قال الفخر: هذا إذا اعتبرت البلاد المختلفة في الطول، وأما المختلفة بالعرض فكل بلد يكون عرضه إلى الشمال أكثر تكون أيامه الربيعية أطول ولياليه الصيفية أقصر، وأيامه الشتوية بالضد من ذلك، فهذا الاختلاف أمر عجيب.

وأما تداخل الليل والنهار، فقال تعالى: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ [فاطر: ١٣] الآية.

قال الثعلبي: أي يدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات، ويولج الليل في النهار حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات، فما نقص من واحد زاد في الآخر، نظيره قوله تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [الزمر: ٥].

لطيفة: ذكر بعضهم أن الله تعالى خلق جوهرتين إحداها مظلمة والأخرى مضيئة، فاستخلص من المضيئة كل نور، فخلق من نورها النهار، ومن الباقي النار، واستخلص من الظلمة كل ظلمة، فخلق منها الليل، وخلق من الباقي الجنة، فالليل من الجنة والنهار من النار، فلذلك كان الأنس بالليل أكثر، ولذلك قال بعضهم: الليل أنس المحبين، وقرة أعين المشتاقين وكمال السرور بالليل، وقدم الليل على النهار؛ لأن الليل لخدمة الخالق والنهار لخدمة المخلوق، ولأن معارج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بالليل كإدريس وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام وعلى إخوانهم من النبيين وآله وصحبه أجمعين.

الباب الثاني
في ذكر العالم السفلي

قال الله تعالى: ﴿ وَالأرض بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَالأرض مَدَدْنَاهَا ﴾ [الحجر: ١٩]. وقال الله تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأرض مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢].

قال المفسرون: ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه.

وأما السنة ففي صحيح مسلم، عن سعيد بن زيد: أنه عليه الصلاة والسلام قال:" مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ "(١).

وفي صحيح البخاري: " خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ "(٢).

وقول بعضهم من أن المراد به سبعة أقاليم خلاف الظاهر إذا علمت ذلك، فقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن مسعود وناس من الصحابة: (أن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء لم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانًا، فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين الأحد والاثنين. فخلق الأرض على حوت وهو الذي ذكره سبحانه في قوله: ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ [القلم: ١] والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرك الحوت فتزلزلت الأرض، فأرسي عليها الجبال فقرت، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها، وما ينبغي لها في يومين الثلاثاء والأربعاء، ثم استوى إلى السماء وهي دخان، وذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يوم الخميس والجمعة، وإنما سمي يوم الجمعة؛ لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض).

وأخرج ابن راهويه في مسنده، وأبو الشيخ، والبزار بسند صحيح، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما بين السماء والأرض مسيرة خمس مائة عام،

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦١٠، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٥٥٣١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٦: ص٩٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٩٥٩، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم: ٢٠٣.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٢٤٥٤.

وكذلك إلى السماء السابعة، والأرضون مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل ذلك"[١].

وأخرج أبو الشيخ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كثف الأرض مسيرة خمس مائة عام، وكثف الثانية مثل ذلك، وما بين كل أرضين مثل ذلك "[٢].

وأخرج الترمذي عن ابن مردويه، وأبو الشيخ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم. الحديث، وذكر فيه السماوات وما بينهن وفيه قال:" أتدرون ما تحت هذه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أرض، ثم قال: أتدرون ما تحتها، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض أخرى، حيث عد سبع سماوات وسبع أرضين، بين كل أرضين خمس مائة عام "[٣].

وأخرج البزار، وابن عدي، وأبو الشيخ، عن ابن عمر: أن النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن الأرض: علي ما هي؟ قال:" على الماء. قال: أرأيت الماء على ما هو؟ قال: على صخرة خضراء. قال: أرأيت الصخرة على ما هي؟ قال: على ظهر حوت يلتقي طرفاه بالعرش. قيل: أرأيت الحوت على ما هو؟ قال: على كاهل ملك قدماه في الهوى "[٤].

وأخرج أبو الشيخ عن كعب قال: (الأرضون السبع على صخرة، والصخرة في كف ملك والملك على جناح الحوت، والحوت في الماء، والماء على الريح، والريح على الهواء ريح عقيم [لا تلقح، وإن قرونها معلقة بالعرشي][٥]).

وفي تفسير الثعلبي قال السدي: خلق الله الأرض على حوت، والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح.

---

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم:٤٠٧٥، وأبو الشيخ في العظمة حديث رقم:١٩٩.

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٢٠٠، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤٠٧٥.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم:٣٢٩٨، وأبو الشيخ في العظمة حديث رقم:٢٠١.

(٤) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٥٣٨٢، وابن عدي في الكامل ج٤/ ٤٠١، وأبو الشيخ في العظمة حديث رقم:٨٧٢.

(٥) ما بين المعكوفتين من العظمة حديث رقم: ٨٧٣.

وفيه أيضًا: الأرض على ظهر النون، والنون على بحر، وأن طرفي النون رأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش، والبحر على صخرة خضراء، والصخرة على ظهر ثور، والثور على الثرى، وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله.

وقال مكي: قال أبو هريرة: (الأرض على نون، والنون على الماء، والماء على الصخرة، والصخرة لها أربعة أركان، على كل ركن منها ملك قائم في الماء).

وفي التواريخ أنه قيل لعيسى عليه السلام: (يا روح الله؛ ما تحت هذه الأرض؟ قال: بحر من ماء، قيل: فما تحت البحر؟ قال: أرض، قيل: فما تحت الأرض؟ قال: بحر من ماء حتى بلغ سبع أرضين وسبعة أبحر، قيل: فما تحت هذه الأرض السابعة؟ قال: صخرة مجوفة، قيل: فما تحت الصخرة؟ قال: هي على منكب ملك قائم. قيل: فما تحت الملك؟ قال: هو على ظهر ثور. قيل: فما تحت الثور؟ قال: هو قائم على ظهر حوت، وقد التقى طرفاه تحت العرش، قيل: فما تحت الحوت؟ قال: الماء. قيل: فما تحت الماء؟ قال: هواء وظلمة. قيل: فما تحت ذلك؟ قال: إلى هنا انتهى علمي وعلم العلماء).

وفي "بهجة النفس": (أن عيسى سُئِلَ: هل تحت الأرض من خلق؟ قال: نعم، حتى عد سبع أرضين. قيل له: فما أسفل ذلك يا روح الله؟ قال: صخرة ثم تحت الصخرة ماء، ثم تحت الماء حوت. قيل له: فما تحت ذلك كله؟ قال: ظلم الهوى، وانقطع العلم دونها، فلا يعلم ذلك إلا الله. قيل: فما يمسك هذه الأرض التي نحن عليها؟ قال: صخرة خضراء في كف ملك قائم على ظهر حوت منطو بالسماوات إلى تحت العرش).

وأظن أن هذا كله من خرافات القصاص، وأظن أني رأيته في كلام ابن حزم، وقال: الجسم الكلي الذي هو جرم العالم جملة، وهو الفلك الكلي الله تعالى يمسكه، كما قال: ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأرض أَنْ تَزُولا ﴾ [فاطر: ٤١] فلا يلاقيه من صفحته العليا والسفلى شيء أصلا ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملاء.

قال: فصح أن الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد ولا رفادة ولا جرم آخر، ولو أن هؤلاء تمسكوا بالقرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله لكان أسلم لهم في الدين.

وقال في موضع آخر: قام البرهان على تناهي جرم العالم، وإذا تناهى فليس وراء النهاية شيء؛ إذ لو كان ورائها شيء لم تكن نهاية فوجب ضرورة أنه ليس خارج عن الفلك الذي هو نهاية العالم شيء لا خلاء ولا ملاء. انتهى.

فاسم الأرض الأولى (الرمكا) وتحتها الريح العقيم زمت بسبعين ألف زمام من حديد: وُكِّلَ بكل زمان سبعون ألف ملك بها أهلك الله قوم عاد، وبها ينسف الله يوم القيامة الجبال والتلال، وسمى الأرض الثانية (جلدة) وهي من حديد، وجعل سكانها عقارب أهل النار، وسمى الثالثة (عرفة) وأسكنها أصناف العذاب لأهل النار، لا يقدر أحد على وصفه، وسمى الرابعة (الجدبا) وأسكنها حيات أهل النار، وسمي الخامسة (قلتا) وأسكنها الكبريت والحجارة التي أعدها الله لأهل النار، وسمى السادسة (سجينا) وجعل فيها دواوين أهل النار، وسمى السابعة (عجيبا) وأسكنها إبليس وجنوده وهو فيها محبوس موثوق وأرواح الفجار عند خد إبليس في وسطها حجاب من ظلمة في أحد جانبيه باب إلى سقر، وهناك عرش إبليس قيل له: فما تحت ذلك يا روح الله؟ قال: هواء وظلمة وما لا علم لأحد به إلا الله.

قلت: وأخرج الحاكم نحو بعض هذا في المستدرك، عن ابن عمر مرفوعًا، وأخرج نحو هذا أبو الشيخ، عن حسان عن عطية، وكذلك أخرج عن الدمياري، والله سبحانه هو العالم بحقيقة ذلك؛ لأنه غيب يحتاج فيه إلى توقيف بنقل صحيح.

قال في "الخريدة": وهذه الأخبار مما يتولع بها الناس، ويتنافسون فيها، ولعمري؛ إن ذلك مما يزيد المرء بصيرة في دينه وتعظيمًا لقدرة ربه وتحيرا في عجائب خلقه، فإن صحت فما ذلك على الله بعزيز، وإن تكن من اختراع أهل الكتاب وتحسين القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر، والله أعلم.

لطيفة: اختلف العلماء في الأرض هل هي كرة أو بسيطة؟ فذهب ابن عباس وجمع كثير من أهل العلم إلى أنها بسيطة، أي: مبسوطة مستوية السطح في الأربع جهات، وذهب بعضهم إلى أنها كرة، وبه قال أهل التعديل والفلاسفة وجماعة من أهل السنة كالفخر وغيره،[1] ففي

---

(١) قال الرازي: كل ما سوى الله تعالى إما أن يكون متحيزاً، وإما أن يكون صفة للمتحيز، وإما أن لا يكون متحيزاً ولا صفة للمتحيز، فهذه أقسام ثلاثة: القسم الأول: المتحيز: وهو إما أن يكون قابلاً للقسمة، أو لا يكون، فإن كان قابلاً للقسمة فهو الجسم، وإن لم يكن كذلك فهو الجوهر الفرد؛ أما الجسم فإما أن يكون من الأجسام العلوية أو من الأجسام السفلية؛ أما الأجسام العلوية فهي الأفلاك والكواكب، وقد ثبت بالشرع أشياء أخر سوى هذين القسمين، مثل العرش والكرسي وسدرة المنتهى واللوح والقلم والجنة، وأما الأجسام السفلية فهي إما بسيطة أو مركبة: أما البسيطة فهي العناصر الأربعة: واحدها: كرة الأرض بما فيها من المفاوز والجبال والبلاد المعمورة، وثانيها: كرة الماء وهي البحر المحيط وهذه الأبحر الكبيرة الموجودة في هذا الربع المعمور وما فيه من الأودية العظيمة التي لا يعلم عددها إلا الله تعالى، وثالثها: كرة الهواء، ورابعها:

"خريدة العجائب" لابن الوردي قال بعضهم:إنها كهيئة المائدة، وقال بعضهم: إنها كهيئة الطبل، وقال بعضهم: إنها شبه نصف الكرة كهيئة القبة، وإن السماء مركبة على أطرافها، والذي عليه الجمهور: أن الأرض مستديرة كالكرة، وأن السماء محيطة بها من كل جانب إحاطة البيضة بالمحة، فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة السماء، وجلدها بمنزلة السماء غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة، بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستوية الخرط، حتى قال مهندسوهم: لو حُفِر في الوهم وجه الأرض لأدي إلى الوجه الآخر، ولو ثُقِبَ مثلا بأرض الأندلس لنفذ الثَّقْبُ بأرض الصين، انتهى.

ولكل من الفريقين حجة، وذهب بعضهم إلي أنها كرة، وبه قال أهل التعديل والفلاسفة وجماعة من أهل السنة كالفخر وغيره[1]، فاحتج أهل القول الأول بقوله تعالى: ﴿ وَالأرض

= =

كرة النار. وأما الأجسام المركبة فهي النبات، والمعادن، والحيوان، على كثرة أقسامها وتباين أنواعها.... [مفاتيح الغيب:١/ ٢٠٨].

(١) قال الرازي: ومما يتعلق بأحوال الأرض أنها كرة وقد عرفت أن امتداد الأرض فيما بين المشرق والمغرب يسمى طولاً وامتدادها بين الشمال والجنوب يسمى عرضاً فنقول: طول الأرض إما أن يكون مستقيماً أو مقعراً أو محدباً والأول باطل وإلا لصار جميع وجه الأرض مضيئاً دفعة واحدة عند طلوع الشمس ولصار جميعه مظلماً دفعة واحدة عند غيبتها، لكن ليس الأمر كذلك لأنا لما اعتبرنا من القمر خسوفاً واحداً بعينه، واعتبرنا معه حالاً مضبوطاً من أحواله الأربعة التي هي أول الكسوف وتمامه، وأول انجلائه وتمامه لم يوجد ذلك في البلاد المختلفة الطول في وقت واحد ووجد الماضي من الليل في البلد الشرقي منها أكثر مما في البلد الغربي والثاني أيضاً باطل وإلا لوجد الماضي من الليل في البلد الغربي أكثر منه في البلد الشرقي لأن الأول يحصل في غرب المقعر أولاً ثم في شرقه ثانياً.

ولما بطل القسمان ثبت أن طول الأرض محدب، ثم هذا المحدب إما أن يكون كرياً أو عدسياً، والثاني باطل لأنا نجد التفاوت بين أزمنة الخسوف الواحد بحسب التفاوت في أجزاء الدائرة حتى أن الخسوف الذي يتفق في أقصى عمارة للشرق في أول الليل، يوجد في أقصى عمارة المغرب في أول النهار فثبت أنها كرة في الطول، فأما عرض الأرض فإما أن يكون مسطحاً أو مقعراً أو محدباً.

والأول: باطل وإلا لكان السالك من الجنوب على سمت القطب لا يزداد ارتفاع القطب عليه، ولا يظهر له من الكواكب الأبدية الظهور ما لم يكن كذلك، لكنا بينا أن أحوالها مختلفة بحسب اختلاف عروضها، والثاني: أيضاً باطل وإلا لصارت الأبدية الظهور خفية عنه على دوام توغله في ذلك المقعر، ولا نقص ارتفاع القطب والتوالي كاذبة على ما قطعنا في بيان المراتب السبعة الحاصلة بحسب اختلاف عروض البلدان وهذه الحجة على حسن تقريرها إقناعية.

مَدَدْنَاهَا ﴾ [الحجر: ١٩]. وبقوله تعالى: ﴿ وَالأرض بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ [النازعات: ٣٠]. أي: بسطها. قاله ابن عباس وغيره، وعن ابن عمر، وابن عباس: (خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دحيت الأرض من تحت البيت).

واحتج أهل القول الثاني بوجوه عقلية قررها الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرض ﴾ [البقرة: ١٦٤]. الآية. قال: وإن قالوا: قوله تعالى: ﴿ وَالأرض مَدَدْنَاهَا﴾ ينفي كونها كرة؟ قلنا: لا نسلم؛ لأن الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشاهد كالسطح، والتفاوت بينهما لا يحصل إلا في علم الله تعالى.

قال بعضهم: وفي كلام الفخر نظر؛ لأن ابن عباس وغيره من السلف أعلم بالبيان من غيرهم، وفي تفسير القرطبي: قال الثعلبي: قال بعض أهل العلم أن في قوله تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ﴾ [الكهف: ٥١] ردًا على المنجمين إذ قالوا: إن الأفلاك تحدث في الأرض وفي بعضها بعض، وقوله: ﴿ وَالأرض ﴾ [الكهف: ٥١] ردًا على أصحاب الهيئة حيث قالوا: إن الأرض كروية، والأفلاك تجري تحتها والناس ملصقون عليها وتحتها، وقوله: ﴿وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥١]. ردًا على الطبائعين حيث زعموا أن الطبائع هي الفاعلة في النفوس.

= =

الحجة الثانية: ظل الأرض مستدير فوجب كون الأرض مستديرة.

بيان الأول: أن انخساف القمر نفس ظل الأرض، لأنه لا معنى لانخسافه إلا زوال النور عن جوهره عند توسط الأرض بينه وبين الشمس ثم نقول: وانخساف القمر مستدير لأنا نحس بالمقدار المنخسف منه مستديراً، وإذا ثبت ذلك وجب أن تكون الأرض مستديرة لأن امتداد الظل يكون على شكل الفصل المشترك بين القطعة المستضيئة بإشراق الشمس عليها، وبين القطعة المظلمة منها فإذا كان الظل مستديراً وجب أن يكون ذلك الفصل المشترك الذي شكل كل الظل مثل شكله مستديراً فثبت أن الأرض مستديرة ثم إن هذا الكلام غير مختص بجانب واحد من جوانب الأرض لأن المناظر الموجبة للكسوف تتفق في جميع أجزاء فلك البروج مع أن شكل الخسوف أبداً على الاستدارة فإذن الأرض مستديرة الشكل من كل الجوانب.

الحجة الثالثة: أن الأرض طالبة للبعد من الفلك ومتى كان حال جميع أجزائها كذلك وجب أن تكون الأرض مستديرة، لأن امتداد الظل كرة، واحتج من قدح في كرية الأرض بأمرين، أحدهما: أن الأرض لو كانت كرة لكان مركزها متطبقاً على مركز العالم، ولو كان كذلك لكان الماء محيطاً بها من كل الجوانب، لأن طبيعة الماء تقتضي طلب المركز فيلزم كون الماء محيطاً بكل الأرض. الثاني: ما نشاهد في الأرض من التلال والجبال العظيمة والأغوار المقعرة جداً [مفاتيح الغيب:٢/ ٤٩٢].

فصل في ذكر الجبال

قال الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَى فِي الأرض رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل: ١٥]. قال الجمهور من المفسرين: لما مدت الأرض بالقدرة الإلهية على وجه الماء كادت تميد فألقى الله تعالى فيها الجبال فأرساها بها.

وأخرج أبو الشيخ، عن ابن عباس، قال: (إن الجبال لتفتخر على الأرض؛ لأنها أثبتت بها). وأخرج ابن أبي حاتم، عن عطاء، قال: (أول جبل وضع على الأرض أبو قبيس).

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما خلق الله تعالى الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال، فألقاها عليها فاستقرت، فعجبت الملائكة من خلق الجبال. فقالت: يارب؛ هل من خلقك أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد. قالت: فهل من خلقك أشد من الحديد؟ قال: نعم النار. قالت: فهل من خلقك أشد من النار؟ قال: نعم الماء. قالت: فهل من خلقك أشد من الماء؟ قال: نعم الريح. قالت: فهل من خلقك أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله "(١).

فصل في ذكر جبل قاف

قال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ﴾ [ق:١] قال المفسرون: (ق) جبل محيط بالأرض من زمردة عليها كتف السماء.

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن كعب، في قوله تعالى ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢] قال: (الحجاب جبل أخضر من ياقوته محيط بالخلائق فمنه خضرة السماء).

وأخرج أبو الشيخ، عن السدي، قال: (الجبل الذي تطلع الشمس من ورائه طوله ثمانون فرسخًا في السماء).

وفي الثعلبي عن الضحاك: (أن (ق) جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منه، والسماء عليه مقبية، وما أصاب الناس من زمرد فمما تساقط من ذلك الجبل). ورواه أبو الجوزاء، عن ابن عباس، وقال بعض المفسرين: إن من جبل (ق) إلى السماء مقدار قامة رجل. وقال آخر: بل السماء مطبقة عليه.

وفي "بهجة النفس" عن ابن عباس: (أن جبل (ق) من بعض شعب الصخرة التي عليها الثور، وخلق الله تعالى ستة جبال هي من وراء (ق) ليست على الأرض هى من وراء الأرض

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره حديث رقم: ١٢١٠٥، وأبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٨٧٢.

على الصخرة بمسيرة خمس مائة عام، وهى موقورة بأطراف الأرض على الصخرة، وليس على الصخرة جبال موقورة غير هذه الستة. وقاف سابعها وهذه الستة هي معتمدة على قاف، ولقاف في السماء سبع شعب، لكل سماء شعبة منها فالسماوات السبع مقببة عليها).

وقال وهب: (أن ذى القرنين أتى على جبل (ق) فرأى حوله جبالًا صغارا فقال: ما أنت؟ قال: أنا (ق). قال: فما هذه الجبال التي حولك؟ قال: هي عروقي، وليست مدينة إلا وفيها عرق منها، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل مدينة أمرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك المدينة. فقال: يا (قاف) أخبرنى بشىء من عظمة الله تعالى. فقال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن من ورائي مسيرة خمس مائة عام، في عرض خمس مائة عام جبال من ثلج يحطم بعضها بعضا لولا ذلك الثلج لاحترقت من نار جهنم. فقال: زدني. قال: إن جبريل عليه السلام بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه يخلق الله تعالى من كل رعدة ألف ملك، وأولئك الملائكة صفوف بين يدى الله تعالى منكسوا رءوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام، قالوا: لا إله إلا الله).

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبوالشيخ، عن ابن عباس، قال: (خلق الله تعالى جبلًا يقال له: (ق) محيط بالأرض، وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض، فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فيحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها ويحركها، فمن ثم تحرك القرية دون القرية). وأخرج أبو الشيخ نحوه عن وهب.

لطيفه: الحكمة في كون الأرض ساكنة حتى تكون فراشًا لنا[1]، وأن يمكن التصرف عليها بالبناء وغيره، واختلف القدماء من الفلاسفة وأهل الهيئة في الموجب لسكونها على أقوال،

---

(١) قال الرازي: اعلم أن كون الأرض فراشاً مشروط بأمور: الشرط الأول: كونها ساكنة، وذلك لأنها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالإستقامة أو بالاستدارة، فإن كانت بالاستقامة لما كانت فراشاً لنا على الإطلاق لأن من طفر من موضع عال كان يجب أن لا يصل إلى الأرض لأن الأرض هاوية، وذلك الإنسان هاوٍ، والأرض أثقل من الإنسان، والثقيلان إذا نزلا كان أثقلهما أسرعهما والأبطأ لا يلحق الأسرع فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلى الأرض فثبت أنها لو كانت هاوية لما كانت فراشاً، أما لو كانت حركتها بالاستدارة لم يكمل انتفاعنا بها؛ لأن حركة الأرض مثلاً إذا كانت إلى المشرق والإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب ولا شك أن حركة الأرض أسرع فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه وأنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد، فلما أمكنه ذلك علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة ولا بالاستقامة فهي ساكنة، ثم اختلفوا في سبب ذلك السكون على وجوه: أحدها: أن الأرض لا نهاية لها من جانب السفل، وإذا كان كذلك لم يكن لها مهبط فلا تنزل وهذا فاسد لما ثبت بالدليل تناهي الأجسام.

فقيل: لأن الأرض لا نهاية لها من جهة السفل فلا مهبط لها إذن. قال الفخر: وهذا باطل لتناهي الأجسام، وقيل: الموجب لسكونها جذب الفلك لها من كل الجوانب فليس بعض الجوانب بأولى بجذبها من بعض فوجب وقوفها، ويبطل بالمدر لأنه صغير والأصغر أسرع انجذابا فكان الواجب انجذاب الأصغر دون الأكبر. وقيل: رفع الفلك لها من كل الجوانب،

==

وثانيها: الذين سلموا تناهي الأجسام قالوا الأرض ليست بكرة بل هي كنصف كرة وحدبتها فوق وسطحها أسفل وذلك السطح موضوع على الماء والهواء، ومن شأن الثقيل إذا انبسط أن يندغم على الماء والهواء مثل الرصاصة فإنها إذا انبسطت طفت على الماء، وإن جمعت رسبت وهذا باطل الوجهين: الأول: أن البحث عن سبب وقوف الماء والهواء كالبحث عن سبب وقوف الأرض. والثاني: لم صار ذلك الجانب من الأرض منبسطاً حتى وقف على الماء وصار هذا الجانب متحدباً؟. وثالثها: الذين قالوا سبب سكون الأرض جذب الفلك لها من كل الجوانب فلم يكن انجذابها إلى بعض الجوانب أولى من بعض فبقيت في الوسط وهذا باطل لوجهين: الأول: أن الأصغر أسرع انجذاباً من الأكبر، فما بال الذرة لا تنجذب إلى الفلك. الثاني: الأقرب أولى بالانجذاب فالذرة المقذوفة إلى فوق أولى بالانجذاب وكان يجب أن لا تعود. ورابعها: قول من جعل سبب سكونه دفع الفلك لها من كل الجوانب، كما إذا جعل شيء من التراب في قنينة ثم أديرت القنينة على قطبها إدارة سريعة، فإنه يقف التراب في وسط القنينة لتساوي الدفع من كل الجوانب. وهذا أيضاً باطل من وجوه خمسة. الأول: الدفع إذا بلغ في القوة إلى هذا الحد فلم لا يحس به الواحد منا؟ الثاني: ما بال هذا الدفع لا يجعل حركة السحب والرياح إلى جهة بعينها. الثالث: ما باله لم يجعل انتقالها إلى المغرب أسهل من انتقالها إلى المشرق. الرابع: يجب أن يكون الثقيل كلما كان أعظم أن تكون حركته أبطأ، لأن اندفاع الأعظم من الدافع القاسر، أبطأ من اندفاع الأصغر. الخامس: يجب أن تكون حركة الثقيل النازل من الابتداء أسرع من حركته عند الانتهاء، لأنه عند الابتداء، أبعد من الفلك. وخامسها: أن الأرض بالطبع تطلب وسط الفلك، وهو قول أرسطاطاليس وجمهور أتباعه، وهذا أيضاً ضعيف؛ لأن الأجسام متساوية في الجسمية، فاختصاص البعض بالصفة التي لأجلها تطلب تلك الحالة لا بدّ وأن يكون جائزاً، فيفتقر فيه إلى الفاعل المختار. وسادسها: قال أبو هاشم: النصف الأسفل من الأرض فيه اعتمادات صاعدة، والنصف الأعلى فيه اعتمادات هابطة فتدافع الاعتمادان فلزم الوقوف.

والسؤال عليه: أن اختصاص كل واحد من النصفين بصفة مخصوصة لا يمكن إلا بالفاعل المختار. فثبت بما ذكرنا أن سكون الأرض ليس إلا من الله تعالى. وعند هذا نقول: انظر إلى الأرض لتعرف أنها مستقرة بلا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها أما أنها لا علاقة فوقها فمشاهد، على أنها لو كانت معلقة بعلاقة لاحتاجت العلاقة إلى علاقة [illegible] لا إلى نهاية. [illegible] أنه لا دعامة تحتها [illegible]
[illegible] والأرض [illegible]
أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١] [مصابيح الغيب: ١/ ٣٧٦-٣٧٨].

وقيل: إن الأرض بطبعها تطلب وسط الفلك، قاله أرسطاطالينس وجمهور أمثاله. ويبطل بأن الأجسام كلها متساوية في الجسمية فاختصاص البعض بالصفة دون البعض يفتقر إلى مخصص فبطل جميع ما قالوه، والحق أن سكونها بفعل الواحد القهار، والعقل لا يقطع على جميع حكم الله تعالى في مخلوقاته لحصول العجز.

فصل في مقدار سعة الأرض

ذكر الإمام فخر الدين: أن طول الأرض ما بين المشرق والمغرب، وعرضها ما بين الشمال والجنوب، لأن الذي جهة مطلع سهيل يسمى جنوبًا والمقابل له يسمى شمالًا، والمشرق والمغرب معلومان إذا علمت ذلك.

فقد اختلف أهل الهيئة والفلاسفة في مقدار الأرض ففي "المسالك" للبكرى: أن الأرض كلها مسيرة خمس مائة عام، ثلث عمران، وثلث بحار، وثلث برارى غير مسكونة.

وعن مكحول: مسيرة ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة سنة؛ مائتان من ذلك في البحر، ومائتان ليس يسكنها أحد، وثمانون فيه يأجوج ومأجوج وعشرون فيه سائر الخلق. كذا في "الخريدة".

وفي تفسير الفخر يقال: إن ثلاثة أرباع كرة الأرض ماء، وإن الموضع الذي طوله تسعون درجة على خط الاستواء يسمى قبة الأرض.

وفي "عيون الأخبار" لابن قتيبة: الدنيا كلها، أي: المعمور، منها أربعة وعشرون ألف فرسخ؛ اثنا عشر ألفًا للسودان، وثمانية آلاف للروم، وثلاثة آلاف لفارس وألف للعرب.

وقال قتادة: (الأرض المعمورة هي أربعة وعشرون ألف فرسخ، اثنَا عشر ألفًا للسند والهند، وثمانية آلاف ليأجوج ومأجوج، وثلاثة آلاف للروم، وألف للعرب) كذا في بهجة النفس.

وقال بعض المؤرخين: اتفق الفلاسفة وكل من عني بمساحة الأرض أن تكسير الأرض اثنان وعشرون ألف فرسخ.

وحكى البكري عن أبي عبيد: أنه حكى اتفاقهم على أن طول عمران الأرض ثلاثة عشر ألف ميل وخمس مائة ميل، وذلك من أقصى الجزائر الست التي بالبحر المسمى (أدفيانس) وهو البحر المحيط الذي لا يعلم ما وراءه غربًا إلى أقصى عمران الصين شرقًا.

وذكر بعضهم: أن استدارة الأرض ستة وثلاثون درجة، والدرجة خمسة وعشرون فرسخًا، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع، والذراع اثنان وأربعون إصبعا، والإصبع ست حبات وتسعان مصفوفة بعضها إلى بعض.

قال الإمام الفخر: اتفقوا على أن جعلوا ابتداء العمارة من الغرب؛ إلا أنهم اختلفوا في التعيين فبعضهم يأخذه من ساحل البحر المحيط وهو بحر (أدفيانس) وبعضهم يأخذه من جزائر راغلة، وهي التي تسمى الخالدات. زعم الأوائل أنها كانت عامرة في قديم الدهر، قال الفخر: بعد هذه الجزائر عشرة جزائر. قال: فيلزم على هذا وقوع الاختلاف في الانتهاء أيضًا، ولم يوجد عرض العمارة إلا بعد ستة وستين درجة من خط الإستواء، إلا أن بطليموس زعم أن من وراء خط الاستواء عمارة إلى بعد ست عشر درجة، فيكون عرض العمارة قريبا من اثنين وثمانين درجة.

وأما مقدار سعة الأرض بالمراحل ففي "الخريدة": أن من مصر إلى أقصى المغرب نحو مائة وثمانين مرحلة. وإذا قطعت من القلزم شرقي مصر إلى حد الصين على خط مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتين مرحلة مجملة ما بين أقصى المغرب إلى أقصى المشرق نحو مائتي مرحلة وأربعمائة مرحلة. هذا طول الأرض وأما عرضها من أقصاها في حد الشمال إلى أقصاها في حد الجنوب، فمن ناحية يأجوج ومأجوج إلى أرض بلغار، وأرض الصقالبة نحو أربعين مرحلة، ومن أرض الصقالبة في بلد الروم إلى الشام نحو ستين مرحلة، ومن أرض الشام إلى مصر نحو ثلاثين مرحلة، ومنها إلى أقصى النوبة نحو ثمانين مرحلة، حتى تنتهي إلى البرية فذلك مائتان وعشرة مراحل كلها عامرة. وأما ما بين يأجوج ومأجوج إلى البحر المحيط، وما بين براري السودان إلى البحر المحيط، فقفر خراب ليس فيه نبات، ولا طير، ولا وحش، ولا شيء من المخلوقات، ولا يعلم أحد مسافة هاتين البريتين كم هي إلى المحيط؟ وذلك أن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة والحياة في الشمال، وفرط الحر المانع من ذلك في الجنوب، وأما جميع ما بين الصين والمغرب فمعمور كله، والبحر المحيط محتف به كالطوق.

وأما عدد أقاليم الأرض، فمذهب الفلكيين أن الأقاليم سبعة، وذكر بعضهم: أن طول كل إقليم من الأقليم تسعمائة فرسخ في مثلها، فالأول فيه أرض بابل وخرسان وفارس والأهواز والموصل وأرض الجبل وله من البروج الحمل ومن النجوم المشترى، والثاني السند

والهند والسودان وله من البروج الجدى وزحل، والثالث مكة والمدينة والحجاز واليمن وله من البروج العقرب والزهرة، والرابع مصر وإفريقية والبربر والأندلس وله من البروج الجوزاء وعطارد، والخامس الشام والروم والجزيرة وله من البروج الدلو والقمر، والسادس الترك والخزر والديلم والصقالبة وله السرطان والمريخ، والسابع الذيل والصين وله من البروج الميزان والشمس، ولأهل الهيئة وغيرهم اختلاف واضطراب في تعيين هذه الأقاليم السبعة وذكروا أن الإقليم الأول أطول أياما وأعدل ساعات من الثاني والثاني أعدل من الثالث ثم كذلك إلى آخرها، وإن ما وراء السابع لا يسكن ولا يعيش فيه حيوان ولا يدخل إذا كانت الشمس في آخر الأبراج الشمالية في رأس السرطان، وزعمت الفلاسفة أن الشموس شموس كثيرة والأقمار أقمار كثيرة ففي كل إقليم شمس وقمر ونجوم.

لطيفة: قال البكرى في "المسالك": إن بالمشرق مدينة وبالمغرب أخري طول كل واحدة اثنا عشر ألف فرسخ، ولكل مدينة عشرة آلاف باب يحرس كل باب في كل ليلة عشرة آلاف رجل لا تلحقهم النوبة إلى يوم القيامة الرجل منهم يعمر ستة آلاف سنة، فما دونها، وهم يأكلون ويشربون ويتناكحون، والمدينتان خارجتان من الدنيا لا يرون شمسا ولا قمرًا، ولا يعرفون آدم ولا إبليس، يعبدون الله، ولهم نور يسعون فيه من غير شمس ولا قمر.

قال عليه السلام: "مر بي جبريل عليهم فآمنوا بي، فدعوتهم إلى الله فأجابوا، فمحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم ".

قلت: هذا الحديث غير معتبر عند المحدثين، وحكى الفخر في تفسيره: عن ابن جريح، في المدينة التي عند مغرب الشمس: (أن لها مائتين وعشرين ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب). والله أعلم.

فصل في ذكر البحار

قال الله تعالى ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [فاطر:١٢] قال ابن عطية: يريد بهما جميع الماء الملح، وجميع الماء العذب حيث كان.

والفرات: الشديد العذوبة، والأجاج: الشديد الملوحة الذي يميل إلى المرارة من ملوحته.

وفي الثعلبي، عن أبي هريرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " كلم الله البحرين، فقال للبحر الذي بالشام: يا بحر إني قد خلقتك، وأكثرت فيك من الماء، وإني حامل فيك عبادًا لي يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني، فما أنت صانع بهم؟ قال: أغرقهم، قال الله

تعالى: أحملهم على ظهرك، وأجعل بأسك في أمواجك، وقال للبحر الذي في اليمن: إني قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء، وإني حامل فيك عبادا لي يسبحونني ويحمدونني ويهللونني ويكبرونني فما أنت صانع بهم؟ قال: أسبحك وأحمدك وأهللك وأكبرك معهم، وأحملهم على ظهري، قال تعالى: فإني أفضلك على البحر الآخر بالحلية والطيب "[1].

إذا تقرر ذلك فقد أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: (إن هذا الخلق أحاط بهم بحر. قيل: وما بعد البحر؟ قال: هواء. قيل: وما بعد الهواء؟ قال: بحر أحاط بهذا الهواء، والبحر الداخل إلى سبعة أبحر).

وأخرج عن وهب، قال: (إنها سبعة أبحر وسبع أرضين، والأرض على ظهر الحوت، واسم الحوت بهموت).

وأخرج عن حسان بن عطية قال: (بلغنى أن مسيرة الأرض خمس مائة سنة، بحورها منها مسيرة ثلثمائة سنة).

وأخرج عن ابن عمرو قال: (تحت بحركم هذا بحر من نار، وتحت ذلك البحر بحر من ماء، وتحت ذلك البحر بحر من نار، حتى عد سبعة أبحر من نار وسبعة أبحر من ماء).

وأخرج ابن أبى حاتم: " أن بحرنا هذا خليج من نيطش، ونيطش وراءه، وهو المحيط بالأرض، فالأرض وما فيها من البحار عند نيطش كعين على سيف البحر، وخلف نيطش قنبس محيط بالأرض، فنيطش وما دونه عنده كعين على سيف البحر، وخلف قنبس الأصم محيط بالأرض، فقنبس وما دونه عنده كعين على سيف البحر ". الحديث.

قال في "خريدة العجائب": أعظم بحر على وجه الأرض المحيط المطوق بها من سائر جهاتها، وليس له قرار ولا ساحل إلا من جهة الأرض، وساحله من جهة الخلو البحر المظلم، وهو محيط بالمحيط كإحاطة المحيط بالأرض، وظلمته من بعده عن مطلع الشمس ومغربها انتهى.

وهذا المحيط يسمى عندهم بحر المغرب، ويسميه اليونانيون (إدقيانس).

وحكي عن أرسطاطاليس: أن بحر (إدقيانس) محيط بالأرض بمنزلة الإكليل لها؛ لأنه محيط بها من جميع جهاتها، وفي الجعفرية: أن هذا البحر يسمى بحر الظلمة؛ لأنه بحر واحد، ولا تهب فيه الرياح ولا أمواج له ولا ترى فيه شمس.

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج١١/ ٥٠٣، وابن الجوزي في العلل المتناهية حديث رقم: ٣٤.

وقالت الفلاسفة: لا قعر له، ولا تجرى فيه السفن، وإنما يسلك بالقرب من ساحله، والبحار التي على وجه الأرض خلجان منه، وفي هذا البحر عرش إبليس أعاذنا الله منه، يتشبه بالباري سبحانه وتعالى، يحملونه نفر من الأبالسة، ويحيط به سائر أصناف الجن، منهم من لا يفارقه من حجابه وخدمته، ومنهم من يتصرف بأمره في فتنة الناس وكيدهم وتضليلهم، وله جزيرة اتخذها سجنا لمن خالف من الجن أمره، وفي تلك الجزيرة هيكل سليمان عليه السلام وفيه جسده، وهو قصر عجيب البناء واسع الفناء وفي هذا البحر جزيرة لا تزال على ممر الزمان تقذف نارًا تعلو مائة ذراع فأكثر، وفيه حصون وقصور تظهر على وجه الماء، ثم تغيب في الماء، وفيه الأصنام التي عملها أبرهة ذو المنار الحميرى قائمة على الماء، أحدها أصفر يومىء بيده كأنه يخاطب من ركب هذا البحر بأمره بالرجوع، والثاني أخضر رافع يديه باسطهما كأنه يقول: إلى أين تذهب؟ والثالث أسود الشعر يومىء بأصبعه إلى البحر كأنه يقول: من جاوز هذا المكان غرق، مكتوب على صدره بالمسند: هذا ما صنع أبرهة ذو المنار الحميري لسيدته الشمس تقربا إليها. وفي هذا البحر من الجزائر المسكونة والخالية ما لا يعلمها إلا الله.

وفي مسالك البكرى عن بطليموس: أن فيه سبعة وعشرين ألف جزيرة عامرة وغامرة، منها جزيرة تظهر ستة أشهر وتغيب ستة أشهر بكل من فيها، ومنها جزيرة ترى على بعد؛ فإذا قرب منها القاصد لها غابت عنه، وإذا رجع إلى الموضع الذي رآها منه نظر إليها، ويقول البحريون: إن في ذلك البحر سمكة صغيرة يقال لها: (الشاكل) إذا حملها الإنسان معه أبصر الجزيرة. وقيل: إن بها شجر يطلع بطلوع الشمس فلا تزال طالعة إلى نصف النهار، ثم تعود إلى الانحطاط حتى تغيب بمغيب الشمس، ومنها الجزيرة السيارة، فيها جبال وشجر وعمارة، فإذا هبت ريح من المغرب سارت إلى المشرق، وإذا هبت ريح من المشرق سارت إلى المغرب، هذا دأبها، وهى ثابتة بإجماع البحرين، ويذكرون أن حجارتها هفافة زنة الحجر الذي يقدر بالقناطير عشرة أرطال، ويحمل الإنسان القطعة الكبيرة من جبالها، ومنها جزيرة بيضاء واسعة كثيرة الأشجار والأنهار، بها قوم وجوههم في صدورهم، للواحد منهم فرجان، فرج امرأة وفرج رجل يتكلمون بمثل كلام الطير، وطعامهم نبات يشبه القطن والكماة. ومنها جزيرة النمل، وهم خلق كثير ذوو أجنحة وشعور وخراطيم يمشون على رجلين كمشي الناس وعلى أربع كالبهائم، ويطيرون في الهواء مع الطير. ومنها جزيرة فيها أقوام رءوسهم كرءوس الكلاب العظام بادية الأنياب، يخرج من أفواهها مثل لهبة النار، ومنها جزيرة فيها أمة طوال

الوجوه، ومعهم قضبان الذهب يعتمدون عليها، ويحاربون بها على رءوسهم الذهب، وثيابهم منسوجة بالذهب، وطعامهم الموز، إلى غير ذلك من الجزائر التي لا يعلم ما فيها من العجائب إلا الله سبحانه وتعالى.

فصل في ذكر شيء من بحار الأرض المتشعبة من البحر المحيط

حكى الإمام فخر الدين عن الكسائي، وغيره من العلماء: أن البحور المعروفة خمسة:

الأول: بحر الهند، وهو الذي يقال له بحر الصين.

الثاني: بحر المغرب.

الثالث: بحر الشام والروم.

الرابع: بحر نيطش، الخامس: بحر جرجان.

(فبحر الهند)[1] متصل بالمحيط من المشرق. وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، وهو كثير الموج، عظيم الاضطراب، فيخرج من المحيط، ثم يمر أولا بالصين، ثم بالهند، ثم بالسند، ثم يمر على جنوب اليمن، وهناك ينتهي إلى باب المندب في المغرب أربعة آلاف فرسخ وخمسمائة فرسخ.

---

(١) قال ياقوت الحموي: بحرُ الهندُ وهو أعظم هذه البحار وأوسعها وأكثرها جزائر وأبسطها على سواحله مُدُن ولا علم لأحد بموضع اتصاله المحيط محدوداً لعظم اتصاله به وسعته وامتزاجه به وليس كالمغربي لأن اتصال المغربي من المحيط ظاهر في موضع يقال له: الزقاق بين ساحله الجنوبي الذي عليه بلاد البربر وساحله الشمالي الذي هو بلاد الأندلس أربعة فراسخ بين كل ساحل من الآخر وليس كذلك الهندي ويتشعب من الهندي خلجان كثيرة إلا أن أكبرها وأعظمها بحر فارس والقلزم اللذين تقدم ذكرهما، وقد كنا ذكرنا أن أول بحر فارس التيز آخذًا نحو الشمال فأما أخذه نحو الجنوب في بلاد الزنج وينعطف من تيز الساحل مشرقاً متسعاً فتمر سواحله بالديبل والقس وسومنات وهو أعظم بيوت العبادات التي بالهند جميعه وهو عندهم بمنزلة مكة عند المسلين ثم كنباية ثم خور تدخل منه إلى بروَص وهي من أعظم مدنهم ثم ينعطف أشد من ذلك حتى يمر ببلاد مَليباو التي يجلب منها الفُلفُل، ومن أشهر مدنهم منجَرُور وفاكنور ثم خور فوفَل ثم المعبر وهو آخر بلاد الهند ثم بلاد الصين فأولها الجاوة يركب إليها من بحرٍ صَعب المسلَك سريع المهلك ثم إلى صريح بلاد الصينَ، وقد أكثر الناس في وصف هذا البحر وطوله وعرضه وقالوا فيه أقوالا مفاوتة يقدَح في عقلِ ذاكرِها، وفيه من الجزائر العظام مالا يُحصيه إلا الله، ومن أعظمها وأشهرها جزيرة سيلاَن وفيها مُدُن كثيرة وجزيرة الزانج كذلك وجزيرة سَرَنْديب كذلك وجزيرة سُقطرَى، وجزيرة كولَم وغير ذلك وإنما أرسُمُ لك صورة المحيط وكيف تشعب البحار منه في الصورة السادسة المقابلة لتعرّفه إن شاء الله تعالى [معجم البلدان:١/ ٢٤٣].

وقال الفخر عن الكسائي، وغيره: طوله ثمانية آلاف ميل، وعرضه ألفا ميل وسبعمائة ميل، ويمتد هذا البحر من أرض الحبشة من المغرب إلى أقصى أرض الهند والصين من المشرق، وتجاوز خط الاستواء بألف ميل وسبع مائة ميل، ويخرج منه أربعة أخاليج:

الأول: عند أرض الحبشة، قال الفخر: ويمتد إلى ناحية البربر، ويسمى الخليج البربرى، وطوله مقدار خمس مائة ميل، وعرضه مائة ميل.

الثاني: خليج بحر أيلة، وهو بحر القلزم، ومبدأه من باب المندب، فيمر فيه جهة الشمال مغربًا قليلا، فيتصل بغربي اليمن، ويمر بتهامة والحجاز، وينتهى إلى مدينة القلزم، وإليها ينسب. وهذا البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وهو بحر مظلم وحش، لا خير فيه، ثم ينعطف راجعًا في جهة الجنوب، فيمر بشرقى بلاد الصعيد إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زيلع من بلاد البجة إلى بلاد الحبشة، ويتصل بالبحر الهندي وطوله ألف وأربعمائة ميل، وعرضه سبعمائة ميل. قال الفخر: وعلى شرقيه أرض اليمن وعدن، وعلى غربيه أرض الحبشة.

الثالث: بحر فارس، ويسمى الخليج الفارسي والخليج الأخضر، فيخرج من بحر الصين إلى أن ينتهى إلى عبادان ثم ينعطف راجعًا إلى جهة الجنوب فيمر ببلاد البحرين واليمامة، ويتصل بعمان وأرض اليمن، وهناك اتصاله بالبحر الهندى، وهوبحر مبارك كثير الخير، دائم السلامة، وطي الظهر، قليل الهيجان، قال الإمام الفخر: وهو بحر البصرة وفارس، وطوله ألف وأربع مائة ميل، وعرضه خمس مائة ميل. قال: وبين هذين الخليجين أعني خليج أيلة وخليج فارس، أرض الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب فيما بين مسافة ألف وخمسمائة ميل.

الرابع: خليج يخرج إلى أرض الهند يسمى الخليج الأرضي طوله ألف وخمس مائة ميل. قال الفخر: وفي بحر الهند من الجزائر العامرة، وغير العامرة ألف وثلثمائة وسبعون جزيرة.

وفي "الخريدة": أن في هذا البحر جزائر كثيرة، قيل: إنها تزيد على عشرين ألف جزيرة، وفيها من الأمم ما لا يعلمها إلا الله، فأما ما وصل إليه الناس فأقل القليل، وفيها أيضًا: أن في بحر الصين اثنى عشر ألف جزيرة عامرة مسكونة، وفي بعض جزائره ينبت الذهب.

(البحر الثاني: بحر المغرب)[1] وهو المسمى عندهم بالمحيط، وقد مر ذكره، ويتصل به بحر الهند ولا يعرف طرفه إلا في ناحية المغرب، والشمال عند محاذاة أرض الروم والصقالبة،

---

(١) قال ياقوت الحموي: بَحرُ المغرِب وهو بحر الشام والقسطنطينية مأخَذُه من البحر المحيط ثم يمتد مشرقاً فيمر من شماليه بالأندلس كما ذكرنا ثم ببلاد الأفرنج إلى القسطنطينية فيمر ببنطس المذكور آنفاً ويمتد

فيأخذ من أقصى المنتهى في الجنوب محاذيا لأرض السودان مارًا على حدود السوس الأقصى، وطنجة وتاهرة إلى المشرق، قال الفخر: فيه ست جزائر تقابل أرض الحبشة تسمى جزائر الخالدات، ويخرج من هذا البحر خليج عظيم في شمال الصقالبة يمتد إلى أرض المسلمين طوله من المشرق إلى المغرب ثلثمائة ميل وعرضه ميل.

(البحر الثالث: بحر الروم، وإفريقية، ومصر، والشام) طوله مقدار خمسة آلاف ميل، وعرضه ستمائة ميل، ويخرج منه الخليج إلى أرض بربر طوله ميل.

قال في "الخريدة": مخرجه من المحيط ثم يأخذ مشرقًا فيمر بشمالي الأندلس، ثم ببلاد الفرنج إلى قسطنطينية، ويمتد ببلاد الجنوب إلى سبتة إلى طرابلس الغرب إلى إسكندرية، ثم إلى سواحل الشام إلى أنطاكية وهناك مجمع البحرين.

وذكر في كتاب "أخبار مصر": أنه بعد هلاك الفراعنة كانت ملوك بنى دلوكة في شق البحر المحيط من المغرب، فتغلب الماء على بلاد كثيرة، وممالك عظيمة فأخربها، وامتد الماء إلى

==

من جهة الجنوب على بلاد كثيرة أولها سلاً ثم سَبتة وطَنجة وبِجَاية ومَهدية وتونس وطرابلس والإسكندرية ثم سواحل الشام إلى أنطاكية حتى يتصل بالقسطنطينية وفيه من الجزائر المذكورة الأندلس وميورقة وصقلية وأقريطش وقبرص ورودس وغير ذلك كثيرة، وقرأت في غير كتاب من أخبار مصر والمغرب أنه ملك بعد هلاك الفراعنة ملوك بني دَلُوكة. منهم دركون بن مَلُوطِس وزَمِطرة وكانا من ذوي الرأي والكيد والسحر والقوة فأراد الروم مغالبتهم على أرضهم وانتزاع الملك منهم فاحتالا أن فتقا البحر المحيط من المغرب وهو بحر الظلمات فغلب على كثير من البلدان العامرة والممالك العظيمة وامتد إلى الشام وبلاد الروم وصار حاجزاً بين بلاد الروم وبلاد مصر وهذا هو البحر الذي وصفناه قبل، وعلى هذا فبحر الأندلس وبحر المغرب وبحر الاسكندرية وبحر الشام وبحر القسطنطينية وبحر الأفرنج وبحر الروم جميعه واحد ليس لهذا اتصال ببحر الهند إلا أن يكون من جهة المحيط وأقربُ موضع بين البحر الهندي وهذا البحر عند الفَرَما وهي على ساحل بحر المغرب والقلزُم وهو على ساحل بحر اليمن سوى أربعة أيام، ولو أراد مريد أن يسير من سلاً إلى إفريقية ثم سواحل مصر والشام ثم الثغور إلى طرابزندة ويقطع جبل القبق ويدير من أطراف بلاد الترك إلى القسطنطينة فيصير البحر على جهته الجنوبية بعد أن كان من جهته الشمالية ويمر بسواحل الأفرنج حتى يدخل الأندلس فيقابل سَلا التي بدأ بها من غير أن يقطع بحراً أو يركب مركباً ويمكنه ذلك إلا أن المسافة بعيدة والمشقة في سلوكه صَعبة ولمروره بين أمم مختلفة الأديان والألسنة وجبال مشقة وبَواد موحشة [معجم البلدان:١/ ٢٤٢].

الشام وبلاد الروم، وصار حاجزًا بين بلاد مصر وبلاد الروم على أحد ساحليه النصارى، وعلى الآخر المسلمون.

قال الفخر: وفي هذا البحر مائتان وثنتان وستون جزيرة عامرة، منها خمسون جزيرة عظيمة.

وذكر أبو حامد: أنه لما غاض بحر الروم انكشف عن مدن وعمارات لا توصف.

(البحر الرابع: بحر نيطس) ومداه من البحر الشامي. قال الفخر: وهو يمتد من اللازقية إلى خلف قسطنطينية، وأرض الروم، والصقالبة طوله ألف وثلثمائة ميل، وعرضه ثلثمائة ميل.

وفي "الخريدة" عن هذا البحر: فيتصل بالقسطنطينية فيكون عرضه هناك ستة أميال، ويمر من جهة المشرق فيتصل في جهة الجنوب بأرض هراقلة إلى سواحل اطرابزنده إلى أرض إشكالة إلى أرض لا نية، وينتهي طرف هذا الخليج هناك ثم ينعطف راجعًا إلى مكان يتصل ببلاد الروسية وبلاد برجان، ولا يزال حتى ينتهي إلى مضيق فم خليج قسطنطينية، ويمر بشرقي مقدونية إلى أن يتصل بالموضع الذي منه ابتدأ وبين ساحله وبين أرض الترك أرضون وجبال مجهولة.

(البحر الخامس: بحر جرجان والديلم) وهو بحر واسع ولا اتصال له بشيء من البحار غير أنه مخلوق في مكانه من غير مادة لكن يصب في المحيط بواسطة خليج القسطنطينية، وهو بحر هائل، وتقع فيه أنهار كثيرة وعيون دائمة الجريان.

وذكر الحوقلي: أن هذا البحر مظلم القعر، وأنه يتصل ببحر نيطش من تحت الأرض، ويتصل بهذا البحر من جهة الغرب بلاد أذربيجان، ومن جهة الجنوب بلاد طبرستان، ومن جهة الشرق أرض القرية، ومن جهة الشمال أرض الخذر، وطوله ألف ميل، وعرضه على ما قال الفخر: ست مائة ميل، وفيه جزيرتان كانتا عامرتين، ويعرف هذا البحر ببحر السكون.

قال الفخر: فهذه البحور الخمسة هي البحور العظام وأما غيرها فبحيرات وبطائح، كبحيرة خوارزم، وبحيرة طبرية، وبحيرة فلسطين بالغور[1].

---

(١) قال الليث سمي البحر بحراً لاستبحاره، وهو سعته وانبساطه ويقال استبحر فلان في العلم إذا اتسع فيه والراعي وتبحر فلان في المال وقال غيره سمي البحر بحراً لأنه شق في الأرض والبحر الشق ومنه البحيرة.

فصل في ذكر شيء من جزائر بحر الهند

قد مر أن فيه من الجزائر ما يزيد على عشرين ألف جزيرة، منها جزيرة كولم، قال صاحب الجعفرية: هي جزيرة عظيمة دورها في البحر خمس مائة فرسخ، وفيها خمس مدائن هي أخصب جزائر الهند وأطيبها رائحة.

ومنها يجلب المسك من حيوان عندهم على شبه المعز لها أعناق طوال، ولا قرون لها في أعناقها صرر على قدر البيض، فإذا امتلأت سقطت فتؤخذ فتجفف حتى تيبس ثم تفتح، فيخرج منها المسك العجيب ثم ينبت في أعناقها غيرها، تعمل ذلك في كل ثلاثة أشهر.

وفيها من الفلفل، والقرفا، واللوبان، والجوز الهندي شيء كثير، ويستخرج من الجوز أطيار على شبه الزرازير يطبخونها، ولا يأكلون لحما غيرها.

ومنها جزيرة كبيرة قدرها خمسون فرسخا في مثلها، وفيها العود القماري، وهو أعجب العيدان نكهة وأفوحها لاسيما إن جعل في خمر عتيق، وسائر أجناس العود عشرة كل جنس لا يشبه الآخر. وفيها كثير من القاقلاء والزنجبيل، ومنها جزيرة أرين، حكى صاحب الجعفرية: أنها نقطة الأرض كلها قفرها ومعمورها، وإذا توسطت الشمس الحمل لم يكن في هذه الجزيرة ظل لشيء قائم.

وهي أعدل الأرض هواء، واعتدل ليلها ونهارها طول الدهر لا يزيد ولا ينقص، ولا يسقط من شجرها ورقة، وكاد أن لا يموت فيها إنسان إلا على مائة عام، وفيها من الأعاجيب المنارة التي وصفها المسعودي وارتفاعها كارتفاع منار الإسكندرية في وسطها طلسم من اللاطون ظهره مما يلي الجنوب، ووجهه مما يلي الشمال، ويده اليسرى مما يلي وسط المغرب، وذراعه اليمنى مبسوطة مما يلي وسط المشرق، وقد قبض أنامل كفه، ومد السبابة على وسط مطلع الشمس، فإذا طلعت كان إصبعه في قاع أفق المشرق فكلما طلعت رفع إصبعه معها حتى تكون على سمت رأسه، فتكون إصبعه قائمة معها، فإذا مالت الشمس إلى المغرب أمال إصبعه، ولا يزال كذلك حتى تغيب الشمس من تحت الأرض، فيميل بإصبعه إلى تحت

==

= ذكر الجبائي وغيره من العلماء بمواضع البحور أن البحور المعروفة خمسة أحدها: بحر الهند، وهو الذي يقال له أيضاً بحر الصين. والثاني: بحر المغرب. والثالث: بحر الشام والروم ومصر. والرابع: بحر نيطش. والخامس: بحر جرجان.

الأرض كأنه يشير إلى الشمس، حتى إذا كان نصف الليل كان إصبعه في نصف الأرض، ثم لا يزال كذلك في الليل حتى تطلع الشمس وإصبعه على الشمس، وهكذا طول الدهر. وهذا أعجب ما في بلاد الهند.

ومنها جزيرة النهروان: وهى آخر جزائر الهند إلى العراق، ومن أعاجيب هذه الجزيرة شجر الشيرج، وهى شجر كبار لها أوراق كأوراق النسم تثمر كل عام بجوز عظيم الخلقة تسع منه الواحدة الربع وأكثر، فإذا بلغ أنه ثقب في أسفل كل جوزة ثقب، وعلق فيه آنية فتوجد تلك الآنية مملوءة لبنا أشد بياضا من لبن الغنم، فيأكلونه، ويشربونه، ويطبخونه ويعرفونه في طعامهم، فما بقى من ذلك اللبن إلى اليوم الثاني صار خمرا عتيقًا أصفر اللون مسكرًا جدًا، وما بقى إلى اليوم الثالث صار خلا فيأتدمون به، وما بقى لا يتبدل ولا يتغير إلى آخر الدهر، وما لم يثقب من ذلك الجوز يسقط على الأرض، فإذا فتحت وجد فيها مثل السميد فيصبون عليه الماء السخن فيعود زيتا يأكلونه ويسرجون منه المصابيح فسبحان الفعال لما يريد.

ومنها جزيرة الروح: وهى أقرب جزائر الهندِ إلى جزائر اليمن، وفيها كثير من الفلفل، واللوبان، والزنجبيل، وفيها جبال الياقوت الأبيض، وفيها جبال الحيات طول كل حية قدر النخلة، ومنها الجزائر الثلاث.

قال صاحب "تحفة الغرائب": هي ثلاث جزائر متجاورات في إحداهن برق الليل كله، وفي الأخري تهب رياح شديدة الليل كله، وفي الأخري تمطر السماء الليل كله صيفًا وشتاءً على ممر الأيام والليالي.

ومنها أرض سرنديب قد أحاط البحر بها من كل جانب يسير بها الراكب نحو الشهر والشهرين. وفيها الجبلُ الذي نزل عليه آدم عليه السلام، عليه نور شعاعى كلون قوس قزح لا يخلو منه ليل ولا نهار، له رائحة تفوق رائحة المسك، وعليه الصخرة التي نزل عليها آدم وفيها أثر قدمه.

وذكر ابن الجوزي، في كتاب "أعاجب الأرض": أن في هذا الجبل شجرة لها أوراق للورقة وجه أحمر وباطن أخضر مكتوب في الحمرة ببياض: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، وفي الخضرة مكتوب بالحمرة: (سبحان الله العظيم)، وفي هذه الشجرة أطيار على قدر اليمام تسبح الله بألسنة عربية وسريانية؛ فإذا أخذ منها طير لم ينطق ولم يتكلم ولم يمكث أكثر من يومين ويموت ولهذه الأطيار أصوات حسنة يبكى السامع لها تشوقا وخيفة عند سماعها.

ومنها جزيرة القصر: وهو قصر عظيم مرتفع أبيض من بلور شفاف يبان لمن في المراكب، فإذا شاهدوه تباشروا بالسلامة، وهو قصر أبيض شاهق في الهواء لا يدرى ما داخله ولا يمكن الوصول إليه، ومر به ذو القرنين فأراد التوجه إليه فمنعه بهرام الفيلسوف الهندى، وقال: لا تفعل يا ملك الزمان، فإن من وصل إلى هذا القصر غلب عليه الحذر، وقلة الحركة فلا يقدر على الخروج ويهلك. وإذا في الليل ظهر لذلك القصر شرافات تسرج كالمصابيح الليل كله.

وفي بحر الصين جزائر كثيرة قد مر أنها تزيد على اثنى عشر ألفا، منها: جزيرة الطرب، وهى جزيرة دورها في البحر مائة فرسخ، وارتفعت في البحر من كل ناحية كالعمود لا يستطاع الصعود إليها لارتفاعها في الهواء قد تدلت ثمارها وأشجارها على حافتها، واشتبك بعضها ببعض فيسمع كل من مر عليها في البحر أنواعًا من الملاهى كالمزامير والعيدان، وغير ذلك من أنواع مختلفة، ولا يقدر أحد يسمع ذلك مخافة أن يقع هناك من شدة الفرح والطرب، ويزعمون: أن الدجال هناك، ويسمعون فيها أحيانًا صوتًا عظيمًا كالرعد القاصف، تكاد تذهل منه القلوب، فإذا سمع ذلك أهل الصين علموا بموت ملكهم أو عظيم من عظمائهم، وحولها جوارى البحر الموصوفة، وهى حيتان في البحر لها أذان وأجنحة كأجنحة الطير، ولها رءوس الجوارى يظهر عليها شعور على وجه الماء يسبحن الله تعالى بجميع الألسنة من عربية وغيرها، فيجتمع السامع لذلك حتى يبكى خوفًا من الله.

ومنها: جزيرة النساء، فيها أمة على شبه النساء الحسان سبط الشعور نواهد الصدور، ويقال لهن: بنات الماء لهن قهقهة وضحك وكلام لا يفهم، وليس فيهن ذكر أصل. قيل: إنهن يلقحن ويحملن من الريح، ويلدن نساء مثلهن، وقيل: إن بتلك الجزيرة نوعًا من الشجر يأكلن منه فيحملن، وتراب هذه الجزيرة كله ذهب، وقد استولد بعض البحريين منهن غلامًا فكان يعرف بابن البحرية.

ومنها: جزيرة السحاب، قال في "الخريدة": سميت بذلك لأنه يطلع عليها سحاب أبيض، ويعلو على المراكب في البحر، ويخرج منه لسان طويل رقيق مع ريح عاصف حتى يلتصق ذلك اللسان بالبحر، فيغلى كالقدر حتى يفور ويضطرب كالزوبعة الهائلة، فإن أدركت المراكب ابتلعتها، وبهذه الجزيرة تلول إذا أضرمت فيها النار سالت منها الفضة الخالصة.

- ومنها: جزيرة رامى، قال في "الخريدة": وهى جزيرة طويلة عريضة طيبة التربة، معتدلة الهواء، بها مدن وقرى، وطولها سبع مائة فرسخ.

قال ابن الفقيه: بهذه الجزيرة عجائب كثيرة منها أناس حفاة عراة، على أبدانهم شعور تغطي سوأتهم يأكلون من الثمار، ويفرون من الناس، وطول أحدهم أربعة أشبار، ولا يلحقون لسرعة جريهم.

ومنها جزيرة الرخ، قال في "الخريدة": وهذا الرخ طير عظيم غريب مهول الخلقة حتى قيل: إن طول جناحه الواحد نحو عشرة آلاف باع، ذكر ذلك الحافظ ابن الجوزى: وكان قد وصل إلى هذه الجزيرة رجل من أهل الغرب ممن سافر للصين وأحضر معه قصبة ريشة من جناح فرخ الرخ وهو في البيضة، فكانت تلك القصبة تسع قربة ماء.

وذُكِرَ أنهم رأوا بيضة في الجزيرة فاعتقدوها قبة بيضاء عظيمة لماعة أعلى من مائة ذراع، فقصدوها فجعلوا يضربونها بالقوس حتى انشتقت عن فرخ الرخ، كأنه جبل راسخ فتعلقوا بريشه وقتلوه وحملوا ما أمكنهم من لحمه، وقطعوا من ريشه ورحلوا، فلما طلعت الشمس والمركب سائرة إذ أقبل الرخ كأنه سحابه وفي رجله قطعة جبل كالبيت العظيم. فلما حاذى السفينة ألقى الحجر عليها، وكانت السفية مسرعة في الجرى فسبقت الحجر فوقع في البحر، وكتب الله بالسلامة.

ومنها: جزيرة الواق، (واق) المشهورة يوجد عندها سمكة تزيد على خمس مائة ذراع، وإذا رفعت جناحها كان كالجبل العظيم يخاف على السفن منها، فإذا رأوها صاحوا وضربوا الطبول حتى تهرب عنهم، وذكروا أن بجزائر الهند شجرًا إذا عمل منه دهن ودهن به لم يقطع فيه الحديد، وفيها شجر إذا أخذ دهنه وشرب على حالة مخصوصة استغنى به عن الغذا، ولا يناله سقم، ولا مرض، ولا يموت لذلك، وتطول حياته أبدًا. فهذا وأنواعه من الأسرار والخواص التي أودعها الله في العالم.

قلت: وبالجملة فعجائب البحار وما خلق الله فيها من الحيوانات وغيرها، وعجائب جزائرها مما لا يحصره مجلدات من الكتب فلا نطيل بذكرها في هذا المختصر، وفي التواريخ خلق الله في الأرض ألف أمة سوى الإنس والجن والشياطين، ويأجوج ومأجوج أربع مائة في البر وست مائة في البحر.

قال الثعلبي: الناس أمة والطير أمة والسباع أمة، والله أعلم.

فصل في الأنهار والعيون

حكى البكري: أن عدد الأنهار الكبار مائتان وتسعون نهرًا، وعدد العيون الكبار مائتان وثلاثون عينًا، وهي في الأرض كالعروق في البدن، وقيل: حق الماء أن يكون على سطح الأرض؛ فلما كان من الأرض المرتفع والمنخفض انحاز الماء إلى أعماق الأرض، فطلبت التنفس فضغطت الأرض فانفتقت عيونًا، والصحيح: أن انفتاق العيون وجرى الأنهار، إنما هو بقدرة العزيز الجبار لا كما قاله الفلاسفة والطبائعيون.

وفي "الخريدة" قال بطليموس: أن بهذا الربع المسكون مائتي نهر، كل نهر منها طوله من خمسين فرسخًا إلى ألف فرسخ، فمنها ما يجرى من المشرق إلى المغرب وعكسه، ومنها ما يجري من الشمال إلى الجنوب وعكسه، وكلها تبتدئ من الجبال وتنصب في البحار، فإذا صبت في البحار المالحة وأشرقت الشمس على البحار صعدت تلك المياه إلى الجو بخارًا، وتنعقد غيومًا أبدية كالدولاب الدائر، فلا يزال الأمر كذلك حتى يبلغ الكتاب أجله.

قلت: وهذا الذي قاله هو مذهب الفلاسفة والحكماء، فاحذره فإنه مذهب باطل، فسبحان المدبر لمملكته ببدائع حكمته لا إله إلا هو، فمن الأنهار العظيمة بالمشرق النيل، والفرات، والدجلة، وسيحان، وجيحان.

وأخرج مسلم، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة"(١).

وفي الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن النيل والفرات يخرجان من أصل سدرة المنتهى ".

وفي تفسير الكواشي: أن دجلة نهر ماء أهل الجنة، والفرات نهر لبنهم، والنيل نهر خمرهم، وسيحان نهر عسلهم، وهذه الأربعة تجرى من نهر الكوثر.

وأخرج الحارث ابن أبي أسامة في مسنده، والبيهقى عن كعب، قال: (نهر النيل نهر العسل في الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٤٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧٨٢٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٦٣، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٠٩٥.

قال ابن حزم في الملل: الأنهار المذكورة على ظاهر لفظ الخبر دون تكلف تأويل اصطلاحي أسماء أنهار في الجنة كالكوثر والسلسبيل كقوله: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة"(١)؛ لأنه لفضله يؤدى العمل فيه لدخول الجنة. انتهى.

والنيل المبارك ليس في الدنيا نهر أطول منه؛ لأنه مسيرة شهرين في الإسلام وشهرين في الكفر، وشهرين في البرية، وأربعة أشهر في الخراب، ومخرجه من بلاد جبل القمر إلي البحر ألف فرسخ وأربعون فرسخًا، وسمي هذا الجبل بجبل القمر لتلونه فيخرج منه هابطًا بين جبال الذهب علي بلاد الحبشة إلي كوكو إلي أهواز إلي قوص إلي أخميم إلي مصر إلي البحر المالح، وينصب في بحر الروم، وطوله من جبل القمر بزيادة القمر في كل ليلة؛ ففي أول ليلة يعلوه نور أبيض، وفي الثانية يعلوه نور أصفر كشعاع الشمس، وفي الثالثة يتبين منه قاعه، وفي الرابعة يكسوه نور أحمر مثل النار، وفي الخامسة يعلوه نور أخضر شعاعي، فيتلون كذلك كل ليلة إلى ليلة البدر فيكون كذنب الطاووس، لا يخفي على من قرب منه من النوبة والحبشة لشدة نوره، ويخرج منه أنهار كثيرة تجتمع في بحيرات في وسط هذه الصحراء.

وفي "الخريدة": سمي جبل القمر؛ لأن القمر لا يطلع عليه أصلا لخروجه عن خط الاستواء، وميله عن نوره وضوئه.

يقال: إن هرمس الحكيم قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل، ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ويدخل تحت جبل القمر، فبنى في سفح ذلك الجبل قصرا فيه خمس وثمانون تمثالا من نحاس، جعلها جامعة لما يخرج من ماء هذا الجبل بمعاقد، ومصاب، وأحكام مدبرة مجرى الماء منه إلى تلك الصور والتماثيل، فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأزرع معدودة، فتنصب إلى أنهار كثيرة، فتتصل بالبطيحة، وعلى هذه البطيحة بلاد السودان، وبها جبل معترض فيخرج النيل منه نهرا واحدا، ويفترق في أرض النوبة ففرقة تمر إلى أقصى المغرب، وعليها غالب بلاد السودان، فتمر على بلاد النوبة إلى جبال الأدركان إلى بلاد الزنج إلى البحر الأعظم المحيط في ناحية المغرب، والفرقة الأخرى تنصب إلى مصر إلى البحر.

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١١٢١٦، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٣٤١، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ١٠٠٧، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٣٥٧٨، وأخرجه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث حديث رقم: ٣٩٦، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٧٣١.

وهذا النيل من عجائب أنهار الدنيا؛ لأنه ليس فيه نهر يزيد في شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير النيل.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن عبد الله بن عمر، قال: (نيل مصر سيد أنهار الدنيا، سخر الله له كل نهر من المشرق والمغرب؛ فإذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونًا، فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء فرجع إلى عنصره).

ونهر الفرات نهر عظيم عذب طيب، ومخرجه من ثغور أرمينية، ثم يمتد إلى قاليقاء وإلى ملطية، وإلى الرقة إلى عانة، ويمر بصفين موضع حرب علي ومعاوية، ثم ينصب بعضه في دجلة، وبعضه يمر إلي بحر فارس فينصب فيه.

ونهر دجله هو نهر بغداد، ومخرجه من أصل جبل بقرب أمد بديار بكر، ويمتد إلى حصن كيفا وإلى جزيرة ابن عمر، وإلى الموصل ويمتد إلى بغداد وإلى واسط وإلى البصرة، وينصب إلي بحر فارس.

ونهر جيحون نهر عظيم، يخرج من حدود بدخستان، ثم ينضم إليه أنهار كثيرة من حدود الجبل، ودخش فيصير نهرا عظيما، ويمر على مدن كثيرة حتى يصل إلى خوارزم، وينصب في بحيرتها، وهذا النهر يجمد في الشتاء حتى عليه فيه الدواب والقوافل، ويبقى كذلك نحوالشهرين، فإذا انكسر البرد عاد إلي حالته.

ونهر سيحون نهر عظيم، ومخرجه من نحو ثلاثة أميال من مدينة ملطية، ويجري في بلاد الروم، وينصب في بحر الروم.

ومن الأنهار العظيمة بالمغرب: نهر بجابة، ونهر شنلف، ونهر ملوية، ونهر سلجماسة، ونهر تعيس، ونهر إغمات، ونهر مؤمن، ونهر أبي رجراج، ونهر أم ربيع.

وبالأندلس: نهر قرطبة، ونهر شنيل، ونهر نيشر، ونهر تدمير، ونهر مانه، ونهر باجه، ونهر دويرة، ونهر جلق.

وببلاد الإفرنج: نهر إشبيلية، ونهر ودنه، ونهر غرنيس، ونهر كنك ببلاد الهند، ونهر مهران ببلاد السند، ونهر الرس وهو نهر أرمينية، ومن جبالها مخرجه، ونهر الخابور بأرض الجزيرة، ونهر بردا بدمشق، ونهر العاصي بحماة، إلي غير ذلك من الأنهار التي يطول ذكرها وذكر عجائبها.

وأما العيون؛ فمنها عين بقرية من قري قزوين، إذا شرب الإنسان منها انسهل انسهالًا شديدًا، ويمكن الإنسان أن يشرب منها عشرة أرطال لخفته، وفيها عين بادخاني، قال صاحب "تحفة الغرائب": إذا أراد أهل هذه القرية هبوب الريح أخذوا خرقة حيض ووضعوها في المساء فتتحرك الرياح، وفيها عين جاج، قال صاحب "تحفة الغرائب": إذا كانت السماء مصحية لا يري فيها قطرة ماء وإذا كانت مغيمة امتلأت ماء، وبناحية باميان جبال فيها عيون لا تقبل شيئا من النجاسات، وإذا ألقى فيها أحد شيئا من النجاسة هاج الماء وغلا وفار، فإن لحق الذي ألقاه غرقه، ومنها عين غزنه إذا ألقى فيها شيء من النجاسات والقاذورات يتغير الهواء في الحال، ويظهر البرد، والريح، والمطر، والثلج، ويبقى ذلك إلى أن يزال منها ذلك القاذور، ومنها عين سبرم، وهى بين أصفهان وشيراز، فإذا وقع الجراد بأرض حمل إليها من تلك العين ماء في ظرف أو غيره، فيتبع ذلك الماء طيور سود تسمي السمرمر بحيث أن حامل الماء لا يضعه علي الأرض ولا يلتفت وراءه، فتبقى تلك الطيور علي رأس حامل الماء في الجو كالسحابة السوداء إلى أن يصل إلى الأرض التي بها الجراد، فتصيح الطيور عليها وتقتلها، فلا ترى من الجراد متحركًا، وتموت من أصواتها، وهذا من عجائب الدنيا.

قلت: وبالجملة فعجائب الأنهار والعيون والآبار والجبال وما فيها من الأحجار التي لها خواص عجيبة مما لا يسعه هذا المختصر، ومن دار في الأرض تفكر واعتبر ورأى ما يتحير فيه الإنسان، وليس الخبر كالعيان، والله أعلم.

الباب الثالث
في ذكر خلق الجن والإنس

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] فقدم ذكر الجن هنا على الإنس لكون الجن أسبق خلقًا، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فقدم الإنس هنا لشرفهم وها نحن نبدأ بذكر الأشرف، فنقول قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ [الحجر: ٢٦] الآية.

قال الفخر: أجمع المفسرون على أن المراد به آدم عليه السلام، في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر، أنه قال: (قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف آدم أو أكثر).

قال الفخر: وهذا لا يقدح في حدوث العالم بل الأمر كيف كان فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول، وهو أول الناس.

قال الفخر: وقد ذكر الله في كيفية خلق آدم وجوهًا كثيرة، فقال تعالى: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧]، وقال ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ [الصافات: ١١]، وقال ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ [الحجر:٢٨].

قال: فالأقرب أنه تعالى خلقه من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار[1].

---

(١) قال الرازي: ثبت بالدلائل القاطعة أنه يمتنع القول بوجود حوادث لا أول لها، وإذا ثبت هذا ظهر وجوب انتهاء الحوادث إلى حادث أول هو أول الحوادث، وإذا كان كذلك فلا بد من انتهاء الناس إلى إنسان هو أول الناس، وإذا كان كذلك فذلك الإنسان الأول غير مخلوق مع الأبوين فيكون مخلوقاً لا محالة بقدرة الله تعالى. فقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان ﴾ إشارة إلى ذلك الإنسان الأول، والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه هو آدم عليه السلام، ونقل في «كتب الشيعة» عن محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف ألف آدم أو أكثر وأقول: هذا لا يقدح في حدوث العالم بل لأمر كيف كان، فلا بد من الانتهاء إلى إنسان أول هو أول الناس وأما أن ذلك الإنسان هو أبونا آدم، فلا طريق إلى إثباته إلا من جهة السمع.

واعلم أن الجسم محدث، فوجب القطع بأن آدم عليه السلام وغيره من الأجسام يكون مخلوقاً عن عدم محض، وأيضاً دل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله كَمَثَلِ ءادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ﴾ [آل عمران: ٥٩] على أن آدم مخلوق من تراب، ودلت آية أخرى على أنه مخلوق من الطين، وهي قوله: ﴿ إِنّي خالق بَشَراً مِّن طِينٍ ﴾ [ص:٧١] وجاء في هذه الآية أن آدم عليه السلام مخلوق من صلصال من حمأ مسنون، والأقرب أنه تعالى

قلت: هو كذلك، ففي تفسير الكواشي، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" أن الله تعالى خلق آدم من تراب، وجعله طينًا، ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا، ثم خلقه وصوره، وتركه حتى كان صلصالا كالفخار، ثم نفخ فيه روحه "**[(١)].

قال الفخر: ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الأجناس كان، بل قادر على خلقه ابتداءً، وإنما خلقه على هذا الوجه إما لمحض المشيئة، أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الخلق.

وقد ذكر الحكماء في خلق آدم من تراب وجوها؛ أحدها: ليكون متواضعًا، ثانيها: ليكون ستارًا. ثالثها: ليكون مطفئًا لنار الشهوة والغضب، فإن التراب يطفيء النار. رابعها: إظهارًا لقدرته لأنه تعالى خلق الشياطين من النار التي هي أضعف الأجسام وأعطاهم كمال الشهوة والقوة، وخلق آدم من التراب الذي هو أكثف الأجسام ثم أعطاه الخفة، والمعرفة، والنور، والهداية، وخلق السماوات من أمواج مياه البحار معلقة في الهواء حتى يكون خلقه لهذه الأجرام برهانًا باهرًا ودليلًا ظاهرًا على أن الله تعالى هو المدبر للخلق بغير احتياج إلى مزاج، وإلى علاج.

وأما قوله: ﴿خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ [الفرقان: ٥٤] فلا شك بأن أصله من الماء لقوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

==

خلقه أولاً من تراب ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار، ولا شك أنه تعالى قادر على خلقه من أي جنس من الأجسام كان، بل هو قادر على خلقه ابتداء، وإنما خلقه على هذا الوجه إما لمحض المشيئة أو لما فيه من دلالة الملائكة ومصلحتهم ومصلحة الجن، لأن خلق الإنسان من هذه الأمور أعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه.

المسألة الثالثة: في الصلصال قولان: قيل الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ، وإذا طبخ فهو فخار. قالوا: إذا توهمت في صوته مداً فهو صليل، وإذا توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة. قال المفسرون: خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طين فصوره وتركه في الشمس أربعين سنة، فصار صلصالاً كالخزف ولا يدري أحد ما يراد به، ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه إلى أن نفخ فيه الروح. وحقيقة الكلام أنه تعالى خلق آدم من طين على صورة الإنسان فجف فكانت الريح إذا مرت به سمع له صلصلة فلذلك سماه الله تعالى صلصالاً [مفاتيح الغيب:٩/ ٣٠٣].

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٥٨٠، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٣٤٤٧، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٨٧٨٦.

قلت: أحسن من هذا أن يقال: لأن التراب عجن بالماء حتى صار طينًا، والطين هو التراب المعجون بالماء، فصدق أنه خلق من الماء.

وأما قوله: ﴿ مِنْ طِينٍ لازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] قال الثعلبي: أي جيد يعلق باليد، ومعناه: لازم على بدل الميم كأنه يلزم باليد، وقال السدي: خالص، وقال مجاهد والضحاك: منتن.

وأما قوله: ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ [الحجر: ٢٦] فالصلصال هو الطين اليابس إذا نقرته سمعت له صلصلة، أي: صوتًا من يبسه قبل أن تمسه النار، فإذا أصابته النار فهو فخار، وهذا قول أكثر المفسرين.

وقد ذكر المفسرون في خلق آدم قصة مشهورة في التواريخ، قال الثعلبي: قال السدي: بعث الله تعالى جبريل عليه السلام إلى الأرض ليأتيه بطائفة منها. فقالت له الأرض: أني أعوذ بالله منك أن تقبض منى، فرجع ولم يأخذ، وقال: يارب عاذت بك. فبعث ميكائيل فاستعاذت، فرجع فبعث ملك الموت، فعاذت منه بالله تعالى فقال: وأنا أعوذ بالله أن أخالف أمره، فأخذ من وجه الأرض، فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء، فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم، ثم عجنها بالماء العذب والمالح؛ فلذلك اختلفت أخلاقهم، فقال الله تعالى لملك الموت: رحم جبريل وميكائيل الأرض ولم ترحمها، لا جرم أجعل أرواح من أخلق بيدك.

وأخرج الترمذي وصححه، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن الله عز وجل خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، منهم الأحمر والأسود وبين ذلك، والسهل والحزن وبين ذلك، الخبيث والطيب، وإنما سمى آدم بآدم لأنه مخلوق من أديم الأرض، ومؤلف من ترابها من أحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها وخبيثها وطيبها "[1]. قاله ابن عباس، وابن جبير، والزجاج: ولذلك كان بنوه مختلفين فمنهم الأحمر والأسود والأبيض والسهل والخبيث والطيب.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٩٥٥، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٦٩٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٩١٤٤ , ١٩٠٨٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦١٦٠، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٩: ص٣، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٣٠٢٥، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ٥٤٧، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٥٤٩، وأخرجه ابن قانع البغدادي في معجم الصحابة حديث رقم: ١٠٣١، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٨٤ , ٨٣،

قلت: وفي تعليل كون منهم الأحمر والأسود ونحوه في الظاهر نظر لنا نرى الجنس الواحد من الحيوانات مختلفا كذلك، بل نرى البقعة الواحدة المستوية في اللون تخرج منها الأزهار مختلفة الألوان، وفي الحقيقة إنما اختلاف ألوان بنى آدم وأخلاقهم بمحض إرادة الفاعل المختار لا إله إلا هو.

فوائد: في موضع خلق آدم أقوال، فقال السدي: خلق في سماء الدنيا، وقال منذر بن سعيد البلوطى وجماعة: خلق في جنة من جنات الدنيا، والذي عليه جمهور العلماء أنه خلق في جنة عدن، ومنها أخرج وأنزل إلى الأرض.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: "خلق الله آدم طوله ستون ذراعا"(١). ويروى: "كان طوله يوم خلقه من الطين خمس مائة ذراع، وكان بين خلقه ونفخ الروح فيه أربع جمع من جمع الآخرة".

وأما نفخ الروح فيه فقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩] الآية. قال الإمام الفخر: فهذا يدل على أن تخليق البشر لا يتم إلا بأمرين التسوية أولا، ثم نفخ الروح فيه ثانيًا، ولما أضاف الروح إلى نفسه دل على أنه جوهر شريف علوي قدسي.

وذهبت الحلولية إلى أن كلمة (من) تدل على التبعيض وهذا يوهم أن الروح جزء من أجزاء الله تعالى، وهذا في غاية الفساد. قال: وأما كيفية نفخ الروح، فاعلم أن الأقرب أن جوهر النفس عبارة عن أجرام شفافة نورانية علوية العنصر قدسية الجواهر، وهى تسرى في

==

وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ٧٤٤، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨١٥، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١: ص ٥١٣.

(١) أخرجه ابخاري حديث رقم: ٣٣٢٦، ٦٢٢٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٤٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦١٦٢، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٢٦٩، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٤٤، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٥٣٥، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٧١١، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٦٣٥، وأخرجه ابن أبي زمنين الأندلسي في تفسير القرآن العزيز حديث رقم: ٢٠٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١١٩٨.

البدن سريان الضوء في الهواء، والنار في الفحم، فهذا القدر معلوم، وأما كيفية ذلك النفخ فما لا يعلمه إلا الله.

وقال ابن عباس: لما نفخ في آدم الروح أتته النفخة من قبل رأسه فجعلت لا تجرى منه في شيء إلا صار لحمًا ودمًا.

وأما وقت خلقه فقال ابن عباس: (خلق الله آدم يوم الجمعة لست ساعات خلون منه). ولعله هو ما في صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال:" خلق الله التربة يوم السبت، وخلق ما فيها من الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق وآخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل"[1].

وأما سجود الملائكة له فقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة:٣٤]، السجود لغة: الميلان والخضوع، تقول العرب: (سجدت النخلة) إذا مالت، وسجود الملائكة لآدم كان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود إخوة يوسف له. فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم كالقبلة. فالتحية لآدم عليه السلام والسجود لله تعالى[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٩٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨١٤١، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ١٦٣٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦١٦١، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٩٤٣، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٩: ص٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦١٣٢، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨١٢ , ٣٦، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٢: ص ٣٢٨،ج ٢٠: ص ٣٨٣، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ٣٠٤.

(٢) (السُّجُودُ) وَضعُ الْجَبْهَةِ بِالْأَرْضِ وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو (أَسْجَدَ) الرَّجُلُ إذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ وَانْحَنَى (وَسَجَدَ) وَضَعَ جَبْهَتَهُ بِالْأَرْضِ (وَمِنْهُ) سَجَدَ الْبَعِيرُ إذَا خَفَضَ رَأْسَهُ لِيُرْكَبَ وَسَجَدَتْ النَّخْلَةُ مَالَتْ مِنْ كَثْرَةِ حَمْلِهَا وَكُلُّ هَذَا مَجَازٌ بِدَلِيلِ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ فُضُولَ أَزِمَّتِهَا (أَسْجَدَتْ) سُجُودَ النَّصَارَى لِأَرْبَابِهَا وَفِي قَوْلِ الْأَخْزَرِ الْحِمَّانِيِّ وَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ (وَأَسْجَدَ) رَأْسَهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفْ (وَالْمَسْجِدُ) بَيْتُ الصَّلَاةِ وَالْمَسْجِدَانِ مَسْجِدَا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْجَمْعُ الْمَسَاجِدُ (وَأَمَّا فِي قَوْلِهِ) وَيَجْعَلَ الْكَافُورَ فِي (مَسَاجِدِهِ) فَهِيَ مَوَاضِعُ السُّجُودِ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ جَمْعُ مَسْجَدٍ بِفَتْحِ الْجِيمِ لَا غَيْرُ قَالَ السَّرَخْسِيُّ فِي شَرْحِ الْكَافِي يَعْنِي بِهَا جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ وَيَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَقَدَمَيْهِ وَلَمْ يَذْكُرْ الْقُدُورِيُّ الْأَنْفَ وَالْقَدَمَيْنِ (وَالسَّجَّادَةُ) الْخُمْرَةُ وَأَثَرُ السُّجُودِ فِي الْجَبْهَةِ أَيْضًا وَبِهَا سُمِّيَ سَجَّادَةُ صَاحِبُ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وروى جعفر الصادق: (أن أول من سجد لآدم جبريل، ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم عزرائيل، ثم الملائكة المقربون).

وعن أبي الحسن النقاش: (أول من سجد إسرافيل، ولذلك جوزي بتولية اللوح المحفوظ، ﴿إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾ [البقرة:٣٤] فلعن وطرد وأخرج من الجنة، فلما صار ملعونًا قال: ﴿فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر:٣٦] طلب ذلك ليخلص من الموت لأن عند البعث لا يموت أحد فقال تعالى له: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٧-٣٨] وهو يوم لا يعلمه إلا الله).

قال ابن عقيل الحنبلي: (اختلف الأصوليون هل كلم الله تعالى إبليس؟ فقال بعضهم: كلمه، والصحيح أنه لم يكلمه شفاهًا، وإنما كلمه على لسان ملك؛ لأن كلام الباري رحمة وإكرام).

وأما تعليمه الأسماء: فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] فقيل: المراد بذلك المسميات. قال الإمام الفخر: وهو الأولى، فإن المشهور بين العلماء أسماء كل ما خلق من أجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة التي يتكلم بها ولده اليوم من عربية وفارسية وغيرهما، وكان ولد آدم عليه السلام يتكلمون بهذه اللغات كلها؛ فلما مات آدم وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد منهم بلغة معينة، فغلب عليه ذلك اللسان فلما طالت المدة ومات منهم جيل بعد جيل نسوا سابق اللغات، فهذا هو السبب في تغيير الألسنة في ولد آدم عليه السلام. وفي قولة تعالى ﴿كُلَّهَا﴾ دلالة على أنه تعالى علمه اسم كل شيء من المخلوقات دقيقها وجليلها، وبه قال ابن عباس، وقتادة، وجمهور الناس خلافًا لبعض المفسرين في تخصيصهم التعليم ببعض الأمور.

قال الفخر: قال الأشعري، والجبائي، والكعبي: (الأسماء كلها توقيفية من الله تعالى بمعنى أن الله تعالى خلق لآدم عليه السلام علمًا ضروريا بمعرفة الألفاظ والمعاني، وأن هذه الألفاظ موضوعة لتلك المعاني.

واختلف [illegible]

[illegible]

قال الفخر: والأقرب أن يكون مبعوثا في ذلك الوقت إلى حواء، ولا يبعد أيضًا أن يكون مبعوثًا إلى من يتوجه إليه التحدى من الملائكة؛ لأن جميعهم وإن كانوا رسلا فقد يجوز الإرسال إلى الرسل كبعث إبراهيم إلى لوط عليهما السلام

وقيل: إن آدم لم يكن ذلك الوقت نبيًا؛ لأن أكله من الشجرة لا يليق أن يكون بعد نبوته، لقوله تعالى ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه:١٢٢] فمقتضاه أنه إنما اجتباه وهداه بعد أكل الشجرة، فوجب أن يقال: لم يكن قبل ذلك مجتبى ولا مصطفى وفيه نظر.

وأما الجنة التي سكن فيها، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥] وقد اختلف فيها، فقيل: هي دار الثواب. قال الفخر: وإلى هذا ذهب جماهير أصحابنا، وقال أبو القاسم البلخى وأبو مسلم الأصبهاني، من المعتزلة: أن هذه الجنة كانت في الأرض. قال الفخر: حملا الإهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما قال تعالى: ﴿ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ [البقرة:٦١]، واختار هذا المذهب منذر ابن سعيد فقال: والقول بأنها جنة في الأرض قول أبي حنيفة وأصحابه، قال: وقد رأيت أقواما نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوى والأماني، ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع لا موصولا ولا شاذًا، وقد وجدنا فقيه العراق ومن قال بقوله قالوا: إن جنة آدم ليست جنة الخلد، وأطال الكلام على ذلك. فراجعه في أول كتاب "حادى الأرواح".

وحكى الثعلبي عن القدرية أنهم قالوا في هذه الجنة: هي بستان من بساتين الدنيا.

وقال الجبائى: أن هذه الجنة كانت في السماء السابعة، والإهباط الأول كان من السماء السابعة إلى السماء الأولى، والإهباط الثاني من الأولى إلى الأرض، وقال بعضهم: الكل ممكن.

والأدلة النقلية ضعيفة ومتعارضة فوجب الوقف، والصحيح الأول وعليه الأمة، وقد أطال الكلام العلامة ابن القيم في كتابه "حادى الأرواح" على هذه المذاهب، وذكر أدلة كل منها والجواب عن كل واحد منها ومعارضة بعضها بعضًا في عدة أوراق، فراجعه.

وأما الشجرة والنهي والظلم: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١) [البقرة:٣٥] اختلف في الشجرة. فقال ابن عباس: إنها البر، وقال ابن مسعود: إنها الكرم، وقال قتادة: إنها التين، وقيل غير ذلك.

قال الفخر: ليس في الظاهر ما يدل على التعيين فلا حاجة بنا إليه.

واختلف في النهي فقيل: إنه نهي تنزيه، فيكون آدم إنما ترك الأولى وهو اللائق به لأن كل مذهب يفضي إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام، وقيل: إنه نهي تحريم لقوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:٣٥] معناه: إن أكلتما منها ظلمتما أنفسكما. ألا ترى أنهما قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] ولأنه لو كان نهى تنزيه لما استحق به آدم اللوم والخروج من الجنة.

قلت: إنما كان ذلك؛ لأنه من باب قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين.

---

(١) قال الرازي: قوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرة﴾ لا شبهة في أنه نهى ولكن فيه بحثان. الأول: أن هذا نهي تحريم أو نهي تنزيه فيه خلاف، فقال قائلون: هذه الصيغة لنهي التنزيه، وذلك لأن هذه الصيغة وردت تارة في التنزيه وأخرى في التحريم، والأصل عدم الاشتراك فلا بد من جعل اللفظ حقيقة في القدر المشترك بين القسمين، وما ذلك إلا أن يجعل حقيقة في ترجيح جانب الترك على جانب الفعل من غير أن يكون فيه دلالة على المنع من الفعل أو على الإطلاق فيه، لكن الإطلاق فيه كان ثابتاً بحكم الأصل، فإن الأصل في المنافع الإباحة، فإذا ضممنا مدلول اللفظ إلى هذا الأصل صار المجموع دليلاً على التنزيه، قالوا: وهذا هو الأولى بهذا المقام لأن على هذا التقدير يرجع حاصل معصية آدم عليه السلام إلى ترك الأولى ومعلوم أن كل مذهب كان أفضى إلى عصمة الأنبياء عليهم السلام كان أولى بالقبول، وقال آخرون: بل هذا النهي نهي تحريم واحتجوا عليه بأمور. أحدها: أن قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هذه الشجرة﴾ كقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حتى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقوله: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ اليتيم إِلاَّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢] فكما أن هذا للتحريم فكذا الأول. وثانيها: أنه قال: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظالمين﴾ [البقرة: ٣٥] معناه إن أكلتما منها فقد ظلمتما أنفسكما ألا تراهما لما أكلا ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]. وثالثها: أن هذا النهي لو كان نهي تنزيه لما استحق آدم بفعله الإخراج من الجنة ولما وجبت التوبة عليه، والجواب عن الأول نقول: إن النهي وإن كان في الأصل للتنزيه ولكنه قد يحمل على التحريم لدلالة منفصلة، وعن الثاني: أن قوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظالمين﴾ أي فتظلما أنفسكما بفعل ما الأولى بكما تركه لأنكما إذا فعلتما ذلك أخرجتما من الجنة التي لا تظمآن فيها ولا تجوعان ولا تضحيان ولا تعريان إلى موضع ليس لكما فيه شيء من هذا، وعن الثالث: أنا لا نسلم أن الإخراج من الجنة كان لهذا السبب وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى [مفاتيح الغيب:٢/ ٢٦].

واختلف في الظلم، فقالت الحشوية: إن آدم عليه السلام أقدم علي الكبيرة فلا جرم كان فعله ظلمًا، وقالت المعتزلة: إنما أقدم على الصغيرة، ولهم قولان، فقال الجبائى: أنه ظلم نفسه ثم تلافي ذلك بالتوبة، وقال أبو هاشم: إنه ظلم نفسه من حيث أنه أحبط ثوابه الحاصل، وأما من ينكر صدور المعصية مطلقا من الأنبياء عليهم السلام فيحمل هذا الظلم على أن آدم عليه السلام فعل ما الأولى به أن لا يفعله.

قال بعضهم: وظاهر القرآن أن آدم إنما فعل ذلك نسيانًا، وبه قال طائفة من المتكلمين؛ لأن الله قال: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه:١١٥] الآية. والنسيان المذكور قبل هو نقيض الذكر، وهو ظاهر اللفظ.

قال الفخر: وما عوتب إلا على ترك التحفظ والمبالغة في الضبط حتى تولد فيه النسيان، وكان الحسن رضي الله عنه يقول: (والله ما عصى قط إلا بالنسيان)، وقيل: المراد بالنسيان ترك ما عوهد إليه، وفيه خروج عن ظاهر اللفظ.

تنبيه: اختلف العلماء في عصمة الأنبياء عليهم السلام، أما ما يقع في باب الاعتقاد كالكفر والضلال قال الفخر: فهذا غير جائز عليهم بإجماع الأمة، إلا ما يحكى عن الفضلية من الخوارج فإنهم قالوا: وقع منهم ذنوب والذنب عندهم كفر، وهذا شر المذاهب.

قال الفخر: وزعمت الإمامية أنه يجوز منهم إظهار الكفر والشرك على سبيل التقية، وأما ما يتعلق بالتبليغ فقال الفخر، وتبعه السعد التفتازاني: على ذلك أجمعت الأمة على أنهم معصومون من الكذب والتحريف والتبديل. وقال: قد اتفقوا أيضًا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا. قال: ومن الناس من جوز وقوع ذلك سهوًا، وقالوا: إن الاحتراز منه غير ممكن.

وأما ما يتعلق بالاجتهاد والفتوى، قال الفخر: أجمعوا على أنه لا يجوز خطؤهم فيه على سبيل العمد، وأما على سبيل السهو فجوزه قوم وأباه آخرون، وأما ما يتعلق بأفعالهم وسيرتهم فحكى الفخر فيه خمسة أقوال، فقيل: يجوز عليهم الكبائر وهذا قول باطل بالبديهة، وقيل: لا يجوز عليهم الكبائر ويجوز عليهم الصغائر إلا ما فيه الخسة كالكذب، وهذا قول المعتزلة.

قال السعد في شرح العقائد: أنهم معصومون عن تعمد الكبائر عند الجمهور خلافا للحشوية، وأما الصغائر فتجوز عمدا عند الجمهور خلافا للجبائى وأتباعه، وتجوز سهوا بالاتفاق إلا ما يدل على الخسة. انتهى.

وقيل: لا يجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة عمدا ولا تأويلا وهذا قول الجبائي. وقيل: لا يقع منهم الذنب لا سهوا ولا خطأ لكنهم مأخوذون بهذه الجهة، وإن وضع ذلك عن أمتهم لأن معرفتهم أقوى وبلائهم أتم، وأنهم يقدرون على التحفظ ما لا يقدر عليه غيرهم، وقيل: لا يقع منهم ذنب لا صغير ولا كبير، لا عمدا ولا سهوا، وهذا مذهب الرافضة.

قلت: وإلى هذا المذهب في هذه المسألة أذهب، وليعترض من يعترض.

وأما وقت العصمة ففيه ثلاثة أقوال. فقيل: إنهم معصومون من وقت مولدهم، وهذا مذهب الرافضة، وقيل: إنهم معصومون من وقت بلوغهم ولا يجوز ارتكاب الكفر، ولا الكبيرة منهم قبل النبوة، وهذا مذهب المعتزلة، وقيل: إن ذلك لا يجوز بعد النبوة، وأما قبل النبوة فذلك جائز. حكاه فخر الدين عن أصحابنا وأبي علي و أبي هاشم قال: والمختار عندنا أنه لم يصدر منهم الذنب منذ جاءتهم النبوة لا كبيرة ولا صغيرة.

قال السعد: فما نقل عن الأنبياء مما يشعر بكذب أو معصية فما كان منقولا بطريق الآحاد فمردود، وما كان بطريق التواتر فمصروف عن ظاهره إن أمكن، وإلا فمحمول على ترك الأولى أو كونه قبل البعثة. انتهى.

وأما كيفية الوسوسة لآدم وحواء عليهما السلام قال الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف: ٢٠] فعن ابن عباس، وابن وهب وغيرهما، من المفسرين: (أن إبليس لما أراد أن يدخل الجنة منعته الخزنة، فأتى إلى الحية، وكانت ذات قوائم أربعة كأحسن ما يكون من الدواب، بعد أن عرض نفسه على سائر الحيوانات فلم يقبله واحد منها، فابتلعته الحية خوفا من الخزنة، فلما أدخلته الجنة خرج واشتغل بوسوسة آدم فعوقبت الحية على فعلها فلعنت وسقطت قوائمها وسارت تمشي على بطنها، وجعل رزقها التراب، وصارت عدوة لبني آدم).

ولم يرض الفخر هذا القول، وقال: هذا وأمثاله مما لا يجب أن لا يلتفت إليه؛ لأن إبليس لو قدر على الدخول في جوف الحية فلم لا يجوز أن يقدر على أن يصير نفسه حية، ثم يدخل الجنة؟! ثم إن الحية لما فعلت ذلك عوقبت مع أنها ما كانت عاقلة ولا مكلفة؟[1]

---

(١) قال الرازي: وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره، وبه سمي صوت الحلي وسواساً وهو فعل غيرمتعد كقولنا: ولولوت المرأة، وقولنا: وعوع الذئب، ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح، ولكن موسوس له وموسوس إليه، وهو الذي يلقي إليه الوسوسة، ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه، وههنا سؤالات:

وقال الحسن: (إن إبليس كان في الأرض، وانه أوصل إليهما الوسوسة في الجنة).

وقيل: إن آدم وحواء كانا يخرجان إلى بعض أبواب الجنة، وإن إبليس كان يقرب من الباب فوسوس لهما. وقيل: إن إبليس دخل الجنة في صورة دابة. وقال بعضهم: قد أخبر الله تعالى أن الشيطان وسوس لهما فوجب الإيمان بذلك.

وأما كيفية الوسوسة فلم يثبت عن الصادق عليه الصلاة والسلام ما يبينها فوجب الوقف، وقال العلامة ابن عقيل الحنبلي: الوسوسة للآدمي بشيء تميل النفس إليه. وقيل: تحدث النفس بالأفكار الردية.

وأما هبوطه إلى الأرض قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [البقرة:٣٦] الآية[1]. ذهب أكثر المفسرين إلى أن المخاطبين بالهبوط آدم وحواء عليهما

==

السؤال الأول: كيف وسوس إليه وآدم كان في الجنة وإبليس أخرج منها.

والجواب: قال الحسن: كان يوسوس من الأرض إلى السماء وإلى الجنة بالقوة الفوقية التي جعلها الله تعالى له، وقال أبو مسلم الأصفهاني: بل كان آدم وإبليس في الجنة لأن هذه الجنة كانت بعض جنات الأرض، والذي يقوله بعض الناس من أن إبليس دخل في جوف الحية ودخلت الحية في الجنة فتلك القصة الركيكة مشهورة، وقال آخرون: إن آدم وحواء ربما قرباً من باب الجنة، وكان إبليس واقفاً من خارج الجنة على بابها، فيقرب فيقرب أحدهما من الآخر وتحصل الوسوسة هناك.

السؤال الثاني: أن آدم عليه السلام كان يعرف ما بينه وبين إبليس من العداوة فكيف قبل قوله.

والجواب: لا يبعد أن يقال إن إبليس لقي آدم مراراً كثيرة ورغبه في أكل الشجرة بطرق كثيرة فلأجل المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلامه في آدم عليه السلام.

السؤال الثالث: لم قال: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشيطان ﴾.

والجواب: معنى وسوس له أي فعل الوسوسة لأجله والله أعلم [مفاتيح الغيب:٧/ ٦٢].

(١) قال ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوٌ ولكم في الارض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين ﴾ الهبوط بضم الهاء: الانحدار من علوّ، وبفتح الهاء: المكان الذي يهبط فيه، وإلى من انصرف هذا الخطاب؟ فيه ستة أقوال. أحدها: أنه انصرف إلى آدم وحواء والحية، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: إلى آدم وحواء وإبليس والحية، حكاه السدي عن ابن عباس. والثالث: إلى آدم وإبليس، قاله مجاهد. والرابع: إلى آدم وحواء وإبليس، قاله مقاتل. والخامس: إلى آدم وحواء وذريتهما، قاله الفراء. والسادس: إلى آدم وحواء فحسب، ويكون لفظ الجمع واقعاً على التثنية، كقوله ﴿ وكنا لحكمهم شاهدين ﴾ [الأنبياء: ٧٨] ذكره ابن الأنباري، وهو العلة في قول مجاهد أيضاً.

واختلف العلماء هل أهبطوا جملة أو متفرقين؟ على قولين.

السلام وإبليس، وقيل: والحية، وضعفه الفخر؛ لأنه ثبت بالإجماع أن المكلفين الإنس والجن والملائكة.

واختلف في تفسير المستقر، فقال الفخر: حمل أكثر المفسرين المستقر على المكان. قال: والمعنى فيه أنه مستقر في حالتي الحياة والموت. وقال ابن عباس: (المستقر هو القبر).

قال الفخر: والأول أولى؛ لأنه تعالى قرر فيه المتاع، وذلك لا يليق إلا بحالة الحياة، واختلف في الكلمات في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾[1] [البقرة:٣٧] فقال قتادة،

==

أحدهما: أنهم أهبطوا جملة، لكنهم نزلوا في بلاد متفرقة، قاله كعب، ووهب.

والثاني: أنهم أهبطوا متفرقين، فهبط إبليس قبل آدم، وهبط آدم بالهند، وحواء بجُدَّة، وإبليس بالأبلَّة قاله مقاتل. وروي عن ابن عباس أنه قال: أهبطت الحية بنصيبين، قال: وأمر الله تعالى جبريل بإخراج آدم، فقبض على ناصيته وخلصه من الشجرة التي قبضت عليه، فقال: أيها الملك ارفق بي. قال جبريل: إني لا أرفق بمن عصى الله، فارتعد آدم واضطرب، وذهب كلامه، وجبريل يعاتبه في معصيته، ويعدّد نعم الله عليه، قال: وأُدخل الجنة ضحوة، وأُخرج منها بين الصلاتين، فمكث فيها نصف يوم، خمسمائة عام مما يعد أهل الدنيا.

(١) قال الرازي: اختلفوا في أن تلك الكلمات ما هي؟ فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أن آدم عليه السلام قال: يا رب ألم تخلقني بيدك بلا واسطة؟ قال: بلى. قال: يا رب ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى. قال: ألم تسكني جنتك؟ قال: بلى. قال: يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى. قال: يا رب إن تبت وأصلحت تردني إلى الجنة؟ قال: بلى فهو قوله: ﴿ فَتَلَقَّى ءادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ وزاد السدي فيه: يا رب هل كنت كتبت علي ذنباً؟ قال: نعم. وثانيها: قال النخعي: أتيت ابن عباس فقلت: ما الكلمات التي تلقى آدم من ربه. قال: علم الله آدم وحواء أمر الحج فحجا وهي الكلمات التي تقال في الحج، فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى إليهما بأني قبلت توبتكما. وثالثها: قال مجاهد وقتادة في إحدى الروايتين عنهما هي قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ورابعها: قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم: إنها قوله لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني إنك أنت خير الراحمين. لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم. وخامسها: قالت عائشة لما أراد الله تعالى أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعاً، والبيت يومئذ ربوة حمراء، فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال: اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي. اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي وأرضى بما قسمت لي. فأوحى الله تعالى إلى آدم: يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن يأتيني أحد من ذريتك فيدعوني بهذا الدعاء الذي دعوتني به إلا غفرت ذنبه وكشفت همومه وغمومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها بمفاتيح الغيب:٢/ ٤٣].

ومجاهد، في أحد الروايتين عنهما: هي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف:٢٣] الآية. وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: (هي: لا إله إلا أنت، سبحانك اللهم وبحمدك، عملت سوءًا وظلمت نفسي فاغفر لي، فإنك أنت الغفور الرحيم). وقيل غير ذلك.

لطيفة: قال وهب بن منبه: (لما أهبط آدم إلى الأرض مكث يبكي ثلاث مائة سنة لا يرقى له دمع). وقال مجاهد: (بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه إلى السماء، وأنبت الله من دموعه العود والزنجبيل والصندل، وأنواع الطيب، وبكت حواء فنبت من دموعها القرنفل). كذا قيل، وفي زاد المسير عن ابن عباس: (أدخل آدم الجنة ضحوة، وأخرج منها بين الصلاتين فمكث فيها نصف يوم خمس مائة عام مما يعد أهل الدنيا). وفيه أيضًا: (أهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بالأيلة، والحية بنصبيين).

فصل في أخذ الميثاق

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧٢] الآية. اختلف في موضع أخذ الميثاق، فقال ابن عباس: (ببطن نعمان، وهو وادى إلى عرفة)، وروى عنه أيضًا: (أن ذلك بدهناء أرض الهند في الموضع الذي أهبط فيه بعد أن أخرجه من الجنة).

ففي الثعلبي قال السدى: أخرج الله آدم من الجنة، ولم يهبطه من السماء ثم مسح ظهره، فأخرج من صفحة ظهره اليمنى ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ، فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتى، وأخرج من صفحة ظهره اليسرى ذرية سوداء فقال لهم: ادخلوا النار ولا أبالي، ثم قال لهم جميعًا: اعلموا أنه لا إله غيرى، وأنا ربكم لا رب لكم غيرى، فلا تشركوا بى شيئًا، وأنا مرسل إليكم رسلًا يذكرونكم عهدى وميثاقي، ومنزل عليكم كتبًا، فتكلموا، وقالوا: شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك، فأقروا كلهم يومئذ طائعين فأخذ بذلك مواثيقهم، ثم كتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم، فلما قررهم بتوحيده، وأشهد بعضهم على بعض أعادهم إلى صلبه، فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من أخذ ميثاقه، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم، وفي الترمذى حديث يقارب معنى هذا، وهو حديث حسن[1].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٠٧٥، وفيه: عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يُسْأَلُ عَنْهَا،

فصل في ذكر عمر آدم ووفاته

قال ابن عباس، ووهب بن منبه: (إن آدم عاش ألف سنة). وقيل: عاش ست مائة سنة وستين سنة، ومات يوم الجمعة، فلما مات كسفت الشمس والقمر سبع ليال بأيامها. حكاه بعض المؤرخين، ونزل جبريل بأكفانه وحنوطه، وقال لابنه شيث، وكان ولي عهده وأحب ولده إليه: إن الله تعالىٰ أمرنا أن نغسل أباك بالماء والسدر ثلاثا، وأن نجعل له في الثالثة كافورًا، وأن نكفنه في وتر من الثياب، ونحفر له في غار في جبل أبي قبيس، فلما وضعه للصلاة أمر جبريل ولده شيث بالصلاة عليه، وأمره أن يكبر عليه ثلاثين تكبيرة، وقيل: خمس وتسعين تكبيرة، وقيل: كبر عليه أربعًا، وفي هذا الأخير ورد حديث مرفوعًا.

وكانت وفاته يوم الجمعة آخر النهار في الساعة التي خلق فيها، وأُخرج فيها من الجنة، وذلك لست خلون من شوال، ودفن في غار أبي قبيس، فكان فيه إلى زمان الطوفان، فحمله نوح معه في السفينة ثم رده بعد ذلك إلى مكانه.

وذكر أهل التاريخ: أن آدم لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعين ألفًا، وفي تاريخ ابن جرير: أن حواء ولدت أربعين ولدا في عشرين بطنًا، وقيل: مائة وعشرين بطنًا كل بطن ذكر وأنثى.

فصل في ذكر حواء عليها السلام

حكى الفخر الإجماع على أنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام، واختلف متى خلقت؟ فقيل: خلقت قبل دخول الجنة، وقيل: إنها خلقت في الجنة، وآدم نائم من ضلعه الأيسر، ووضع مكانه لحم فاستيقظ آدم فوجدها جالسة عند رأسه، فقال: من أنتِ؟ قالت: امرأة. فقال: لم خلقتِ؟ ! قالت: لتسكن إليَّ وأسكن إليك، فقالت الملائكة: يا آدم ما اسمها؟ قال: حواء. فقالوا له: ولم سميتْ حواء؟ قال: لأنها خلقت من حي.

= =

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: "إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ "، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ، اللهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: "إِنَّ اللهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلَهُ اللهُ النَّارَ ".

وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إن المرأة خلقت من ضلع أعوج لن تستقيم لك على طريقة، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها، وإن استمتعت بها استمتعت على عوج"(١).

وذكر ابن الجوزي: أن حواء طلبت من آدم المهر، فأمر بالصلاة على محمد عشرين مرة. وفي بعض الروايات: لما مد يده إليها قالت الملائكة: صه يا آدم حتى تؤدى مهرها. فقال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات.

وأما عمرها، ففي التواريخ: أنه تسع مائة سنة وسبع وتسعون سنة، وقيل: وسبعون، وعاشت بعد آدم سبع سنين وسبعة أشهر، قال ابن العماد في شرح منظومته: إن آدم وحواء عليهما السلام دفنا بجانب البيت بمكة، والله أعلم.

فصل في خلق ذرية آدم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج:٥]، أما قوله: ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ فلأن بني آدم خلقوا من المني ودم الطمث، وتولدهما من الأغذية التي هي إما حيوان أو نبات، وغذاء الحيوان ينتهي إلى النبات قطعًا للتسلسل، والنبات إنما يتولد من الأرض والماء، فصح قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ وأما قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ وهي الماء القليل من أي مكان، وهو هنا ماء الفحل، فكأنه سبحانه يقول: أنا الذي قلبت ذلك التراب اليابس بالماء اللطيف مع أنه لا مناسبة بينهما البتة، وأما قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ فالعلقة قطعة الدم الجامدة، ولا شك أن بين الماء والدم الجامد غير مناسبة. فكأنه سبحانه يقول: أنا الذي قلبت ذلك الماء دمًا جامدا، وأما قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ المضغة: اللحمة الصغيرة قدرها ما يمضغ، والمخلقة: المصورة المخططة. وغير المخلقة: التي لم تتصور ولا خططت بل هي لحم.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٣٣١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٤٧٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص١٧٤، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٣٤٤٧، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٩٠٩٥، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٧: ص٢٩٥، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٢١٨، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ٨٥١، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم٤٢٨٤ :، وأخرجه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث حديث رقم: ٤٩٤، وابن السني في عمل اليوم والليلة حديث رقم: ٦١٠.

وقال عطاء الخراساني في تفسير قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه:٥٥] الآية. أن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه، فيذريه على النطفة، فيخلق من التراب ومن النطفة. فذلك معني قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾، وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [الطارق:٧] الصلب: هو صلب الرجل، وفي الترائب أقوال فقيل: الترائب ترائب المرأة واحدة تريبة، وهي موضع القلادة من صدر المرأة. قال ابن عباس: (هو بين ثديي المرأة). ولابن جبير: (أن الترائب أضلاع الرجل التي هي أسفل الصلب). وفي قول لابن عباس، والضحاك: (أطراف الرجل اليدان والرجلان والعينان)، وقيل: (إن الترائب عصارة القلب، ومنه يكون الولد).

وذكر مكي في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨] حديثين:

أحدهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ "[١].

وثانيهما: أنه عليه السلام قال: "إن الله عز وجل إذا أراد أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة، كان ماؤه في كل عرق منها، ثم أحضر له أباه من لدن آدم، ثم صوره في صورة واحد منهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾"[٢].

وفي الثعلبي، قال ابن مسعود: (إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله تعالى ملكا فقال: يارب مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال: غير مخلقة، مجتها الأرحام دما، وإن قال: مخلقة. قال: يارب فما صفة هذه النطفة؟ أذكر أم أنثى؟ ما رزقها؟ ما أجلها؟ أشقى أم سعيد؟ فيقال له: انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة، فينسخها فلا تزال معه. كذا في الثعلبي.

وفي مسلم عن ابن مسعود، أنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق:"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون في ذلك علقة مثل

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٤٨٤٥، وأخرجه عبد الله بن وهب في القدر وما ورد فيه من الآثار حديث رقم: ٣٢، وأخرجه الفريابي في القدر حديث رقم: ١٤٢ , ١٣٩، وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ٨٠١، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ١٠٤٧، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٤: ص ١٨٠، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٩١٧٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦٤٤، وفي الأوسط حديث رقم: ٦١٣، وفي الصغير حديث رقم: ٤١.

ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها "[1].

قلت: لعمري إن هذا الحديث مما يقطع الظهور، ويذيب القلوب، فنسأل الله سبحانه حسن الخاتمة، والفوز بسعادة الدارين.

وقال الإمام الفخر: في قوله تعالى ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ [غافر:٦٧] وحد الطفل؛ لأن الغرض الدلالة على الجنس، (والأشُد) كمال القوة والعقل والتمييز، وهو من ألفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد.

وحكى ابن عطية: في سن بلوغ الأشداء أقوالًا، فقيل: إنه ثلاثون، وقيل: ست وثلاثون، وقيل: أربعون، وقيل: ست وأربعون، وقيل: عشرون، وقيل: ثمانية وعشرون، وقيل: خمسة عشر. قال: وهذه الأقوال الأخيرة ضعيفة في (الأشُد).

وقال الفخر في قوله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ [النحل:٧٠]: المعنى أن منكم من يتوفي، ومنكم من يرد إلي أرذل العمر، وهو: الهرم، فيصير كما كان في أول الطفولية ضعيف البنية قليل الفهم، فإذا بلغ ذلك فقد قارب الرحيل من دار البوار إلى دار القرار، وزاره ملك الموت، وسيأتي باب ذكر الموت، والله أعلم.

لطيفة: قال العلماء: إن الله تعالى خلق من ذرية آدم أنبياء، وهم أشرف ذريته وأفضلهم، بل قال الإمام الفخر: أكثر أهل السنة: أن الأنبياء أفضل من الملائكة خلافًا للمعتزلة، و أبى إسحاق الإسفرائيني، والقاضي أبى بكر ابن الباقلاني، وأبى عبد الله الحاكم، و الحليمى، والإمام الفخر في المعالم، و أبى شامة القدسي، وابن حزم، حيث قالوا: الملائكة أفضل. قال بعضهم: ومحل الخلاف في غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، أما هو فأفضل الخلق بلا خلاف. ونقل الإمام الفخر الإجماع على ذلك.

وقد ذهب أكثر الأشاعرة إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة مطلقا خلافًا لمن قال بالتفصيل.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٠٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٤٥.

واختلف العلماء في عددهم، ففي التواريخ: أن عدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي منهم الرسل ثلاث مائة وثلاثة عشر، وحكاه الزمخشري في سورة الحج حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: وهذا الحديث رواه ابن حبان في صحيحه(١)، وقال ابن حجر المكي: صح خبر أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، وخبر أن عدد المرسلين ثلاث مائة وخمسة عشر، وفي حديث رواه أحمد في مسنده بسند ضعيف: " أن عدد الأنبياء مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل منهم ثلاث مائة وخمسة عشر "(٢).

وقيل: عددهم ألف ألف ومائتا ألف وخمسة وعشرون ألفًا، والمرسلون منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر.

وقيل: أربعة عشر، والمذكور منهم بلفظ القرآن ثمانية وعشرون نبيا.

وفي الثعلبي عن أنس، قال: (عدد الأنبياء عليهم السلام ثمانية آلاف، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل).

.وروى عن سلمان الفارسي حديثًا قال: "بعث الله أربعة آلاف نبي "(٣).

قال بعضهم: إن عدد الأنبياء والرسل لم ينحصر لقوله تعاليك ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر:٧٨] والأحاديث الواردة في عددهم بعضها ضعاف لا يعول عليه، وبعضها خبر آحاد، ولا يكفي في الاعتقاد.

وقال بعضهم: إن جميع الأنبياء عليهم السلام من ولد إبراهيم إلا ثمانية: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، ويونس. وذكروا أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب، على شيث خمسين، وإدريس ثلاثين، وإبراهيم عشرة، وعلي موسي عشرة قبل التوراة، ثم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان.

وقال بعضهم: أنزل الله على آدم عشر صحائف، وعلى إدريس خمسين، وعلى نوح عشرين، وعلى إبراهيم عشرة، وعلى موسى عشرة، ثم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، كذا قال الرملي في شرح الزبد له، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري حديث رقم: ٣٦١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث صدي بن عجلان حديث رقم: ٢١٧٨٤.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان حديث رقم:٣٧٦٩.

فصل في ذكر خلق الجن

قال الله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر:٢٧]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾ [الرحمن:١٥] قال الفخر: الذي عليه أكثر المفسرين أن الجان أبو الجن. وحكى عن ابن عباس، ومقاتل، وقتادة: (أنه إبليس). قال: وسمي الجان جانًا لتواريه عن الأعين، كما سمي الجنين جنينا لتواريه في بطن أمه.

وأما نار السموم، فقال مكي في تفسيره: (يروى أن الله تعالى خلق نارين، فمزج أحدهما بالأخرى، فأكلت إحداهما الأخرى، وهي نار السموم، فخلق إبليس اللعين منها).

وقال ابن مسعود: (هذه السموم جزء من سبعين جزءًا من السموم التي خلق الله منها الجان، وتلا هذه الآية).

وأما المارج ففيه للمفسرين أقوال؛ فقال مجاهد: (هو اللهب الصافي الذي لا دخان فيه). وقال ابن عباس: (هو ثعبان النار الذي يكون في لسانها إذا التهبت). وقيل: إنه المختلط بسواد النار، من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط.

وقد اختلف العلماء في إبليس فقيل: إنه من الجن. قال الفخر: وهو قول أكثر المتكلمين وجماهير المعتزلة. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا إبليس كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف:٥٠] الآية. وقيل: إنه من الملائكة. وقاله الإمام الفخر، وبه قال كثير من الفقهاء، قالوا: ولا ينافي كونه من الجن؛ لأن قبيله من الملائكة يسمون بالجن؛ لأنهم مستورون كالجنين الذي هو من الأستتار.

وقلت: ويؤيد هذا القول ما قاله الثعلبي. قال المفسرون: إن الله عز وجل خلق السماوات والأرض، وخلق الملائكة والجن، فأسكن الملائكة السماء، وأسكن الجن الأرض فعبدوا الله دهرًا طويلًا في الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فاقتتلوا وأفسدوا، فبعث الله تعالى إليهم جندًا من الملائكة يقال لهم: الجن، ومنهم إبليس، وهم من خزان الجنان، اشتق لهم اسما من الجنة، فهبطوا إلى الأرض، فطردوا الجن على وجوهها وألحقوهم بشعاب الجبال وجزائر البحور، وسكنوا الأرض، وخفف الله عنهم العبادة فأحبوا البقاء في الأرض لذلك، فأعطى الله إبليس ملك الأرض وملك السماء، وخزائن الجنان، فكان يعبد الله تارة في الأرض وتارة في السماء وتارة في الجنة، فلما دخله الكبر والعجب قال في نفسه: ما أعطاني الله عز وجل هذا المَلك إلا أني أكرم الملائكة عليه وأعظمهم منزلة لديه، فلما أظهر الكبر جاء العزل، فقال الله له ولجنده: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠]، فلما قال لهم ذلك كرهوا العزل، لأن

العزل شديد فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ أي: يصب الدماء بغير حق. قال: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من كبر إبليس.

قلت: لعمري؛ إن هذه القصة لموعظة للمتعظين ومدهشة لعقول العارفين، فانظر يا أخي إلى أي مرتبة كان اللعين فيها، وانظر إلى أي حاله أصبح اليوم عليها، نعوذ بالله من ذلك، ومن السلوك في المهالك، وفيها موعظة لمن قدمه ملك من الملوك على جنوده، وجعله أميرًا على جموعه وعبيده، أن لا يأمن عواقب الأمور، وأن يكون على حذر من المقدور، وقبل أن لا ينفعه الغرور.

وفي تفسير ابن عطية، قال ابن عباس: (كانت الجن قبل بنى آدم في الأرض فأفسدوا، وسفكوا الدماء، فبعث الله اليهم قبيلا من الملائكة فقتلتهم، وألحقتهم بجزائر البحار ورءوس الجبال، وجعل آدم وذريته خليفة في الأرض).

فصل في ذرية إبليس

قال الله تعالى ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء﴾[الكهف: ٥٠] يعني: نسله، وهم الشياطين. ذكر ابن إسحاق، ووهب بن منبه، وغيرهما: (أن الله تعالى خلق الجان من نار السموم، وخلق منه زوجته، كما خلق من آدم عليه السلام زوجته، فغشي الجان زوجته، فحملت وباضت إحدى وثلاثين بيضة، فمنها ذريته).

قال القرطبي في تفسيره: الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح حديث: **"لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منه، باض الشيطان وفرخ "**[1]. وهذا يدل على أن للشيطان ذرية من صلبه. انتهى.

قال الثعلبي: إني قاعد يوما إذ أقبل رجل ومعه دن، فوضعه، ثم جاء فقال: أنت الثعلبي؟ قلت له: نعم. قال: فأخبرني هل لإبليس من زوجه؟ قلت: ما شهدت نكاحها، ثم ذكرت قول الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء﴾. فعلمت أنه لا ذرية إلا لمن له زوجة. فقلت له: نعم له زوجة، فأخذ دنه وانطلق، فعلمت أنه مختبرني.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٤٥٤، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦١١٨، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦١٣١.

قال الثعلبي: وإنهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم. قال مجاهد: (من ذرية إبليس الولهان، وهو صاحب الطهارة والصلاة. وأبو مرة وبه يكنى، والحارث، والأعور، وخنزنب، وداهم، ومسوط وهو صاحب الأخبار، يلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا).

قال الفخر: اتفق العلماء على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينكحون. وأما الجن والشياطين فإنهم يأكلون ويشربون وينكحون، لقوله عليه السلام: "لا تستنجوا بالعظم ولا بالروث فإنه زاد إخوانكم من الجن "[1]. وقوله: "فإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله"[2].

والدليل على أنهم ينكحون ويتوالدون قوله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية.

وأما تقسيم الجن، فاعلم أنهم ضربان: شياطين، وغير شياطين، فالشياطين هم الأرواح الخبيثة، وغير الشياطين هم الأرواح الخيرة، وهم صالحو الجن. وقيل: إن الجن غير الشياطين.

قال الإمام الفخر: والأصح أن الشياطين قسم من الجن، فكل من كان منهم كافرا يسمى بهذا الاسم. وقال: قيل: الجن جنس، والشياطين جنس آخر، كما أن الإنسان جنس والفرس جنس آخر. وقال بعضهم: الجني إن خبث كان شيطانا، فإن زاد فعفريت.

وفي مسلم، عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ: ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ "[3].

وأما كون الجن يَرُون ولا يُرَوْن فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[4] [الأعراف:٢٧]. قال مجاهد: (قال إبليس: جعل لنا ثلاث: نَرَى ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخا فتي).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ١٨، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٤١٣٨.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٠٢٢, ٢٠٢٢، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ١٨٠٠, ١٧٩٩، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٣٧٧٦، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٣٢٦٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٦١٤٩, ٥٨١٣, ٥٤٩٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٣٣١, ٥٢٢٦.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨١٥، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١٣٩٦٨، وعبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٠٣٣.

(٤) قال الرازي: قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يدل على أن الإنس لا يرون الجن لأن قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يتناول أوقات الاستقبال من غير تخصيص، قال بعض العلماء ولو قدر الجن على

وقال الفخر: قال أصحابنا: إنهم يرون الإنس؛ لأنه تعالى خلق في أعينهم إدراكا، والإنس لا يرونهم لأنه تعالى لم يخلق هذا الإدراك في عيون الإنس. قال: وقالت المعتزلة: الحكمة في أن الإنس لا يرون الجن لرقة أجسام الجن ولطافتها، والحكمة في رؤية الجن للإنس لكثافة أجسام الإنس، والحكمة في أن يرى بعض الجن بعضا أن الله تعالى يقوى شعاع أبصار الجن ويزيد فيه، ولو زاد تعالى في قوتنا لرأيناهم.

وحكى القاضي أبو بكر ابن العربي عن علماء أهل الأصول: أنه جعل للنبي صلى الله عليه وسلم قوة يميز بها الشياطين في الهواء. وحكاه أيضًا عن الأنبياء عليهم السلام، وقال: قد كانت الجن تُرى في عهد سليمان ويُكلمون الناس، ثم إن الله تعالى حجبهم.

وأما تشكلهم على أشكال مختلفة[1]، فقال القاضي أبو بكر: ولسنا ننكر أن الله يكيفهم ويلفظ أجسامهم ويخلق لهم أعراضًا يزيد على ما في النار، فيخرجون عن كونهم نارًا، ويخلق

==

تغيير صور أنفسهم بأي صورة شاؤا وأرادوا، لوجب أن ترتفع الثقة عن معرفة الناس، فلعل هذا الذي أشاهده وأحكم عليه بأنه ولدي أو زوجتي جنى صور نفسه بصورة ولدي أو زوجتي وعلى هذا التقدير فيرتفع الوثوق عن معرفة الأشخاص، وأيضاً فلو كانوا قادرين على تخبيط الناس وإزالة العقل عنهم مع أنه تعالى بين العداوة الشديدة بينهم وبين الإنس، فلم لا يفعلون ذلك في حق أكثر البشر؟ وفي حق العلماء والأفاضل والزهاد، لأن هذه العداوة بينهم وبين العلماء والزهاد أكثر وأقوى، ولما لم يوجد شيء من ذلك ثبت أنه لا قدرة لهم على البشر بوجه من الوجوه. ويتأكد هذا بقوله: ﴿ مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سلطان إلاَّ أن دَعَوْتُكُمْ فاستجبتم لِي ﴾ [إبراهيم: ٢٢] [مفاتيح الغيب:٧/ ٧١].

(١) قال العيني في عمدة القاري١٥/ ١٨٣: قال القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلي: الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ويجوز أن تكون رقيقة وأن تكون رقيقة وأن تكون كثيفة. خلافا للمعتزلة في قولهم: إنهم أجسام رقيقة ولرقتها لا نراهم. قلنا: الرقة ليس بمانعة عن الرؤية في باب الرؤية، ويجوز أن تكون الأجسام الكثيفة موجودة ولا نراها؛ إذا لم يخلق الله فينا الإدراك. وحكى أبو القاسم الأنصاري عن القاضي أبي بكر: نحن نقول: إنما رآهم من رآهم؛ لأن الله خلق لهم الرؤية، وأن من لم يخلق له الرؤية لا يراهم، وأنهم أجساد مؤلفة وجثث، وقال كثير من المعتزلة: إنهم أجساد رقيقة بسيطة. وقال القاضي عبد الجبار: أجسام الجن رقيقة ولضعف أبصارنا لا نراهم لا لعلة أخرى، ولو قوى الله أبصارنا أو كثف أجسامهم لرأيناهم. وقال السهيلي: الجن ثلاثة أصناف كما جاء في حديث صنف على صور الحيات وصنف على صورة كلاب سود وصنف ريح طيارة، أو قال هفافة ذو أجنحة، وهم يتصورون في صور الحيات والعقارب وفي صور الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير، وفي صور الطير وفي صور بني أدم. وقال القاضي أبو

لهم صورا وأشكالًا مختلفة، وقد صفدوا وعملوا في الأعمال الشاقة من المحاريب والتماثيل والجفان، وذلك لا يكون إلا من الأجسام.

وقال أبو يعلي الحنبلي: إنهم أجساد مؤلفة، وأشخاص مختلفة، ويجوز رقتها وكثافتها، ولا قدرة لهم على تغيير خلقهم، وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات أو فعلًا فيحصل لهم ذلك بها وكذلك في تشكيل الملائكة.

وحكى الفخر عن بعض العلماء: أن الجن لو قدروا على تغيير أنفسهم على أي الصور شاءوا لم يبق أحد بزوجته ولا بولده لاحتمال أن يكون صورة شيطان.

وقال العلماء: إن الجن يتشكلون في الصور الخبيثة، كحيات وعقارب وكلاب، والملائكة يتصورون على الصور الجملية.

قلت: يرد على هذا أن ملك الموت ومنكر ونكير يتصورون للفاجر في أقبح صورة كما سيأتي، وأن الجن يتصورون بصورة بنى آدم كما يقع لمن يتزوج منهم، فلعل المراد بذلك غالبًا في الفريقين.

وقال السهيلي: الجن ثلاثة أصناف: على صورة الحية والكلب الأسود والريح الهفافة وهى السعالى.

وأما استراقهم السمع[1]، فقال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[الحجر:١٨] قال الثعلبي: قال ابن عباس: (تصعد الشياطين تسترق السمع، فينفرد

==

يعلى: ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضربا من ضروب الأفعال إذا فعله وتكلم به نقله من صورة إلى صور أخرى وأما أن يصور نفسه فذاك محال.

(١) قال السديّ: كانت الشياطين تسترق السمع فيسمعون كلام الملائكة فيما يكون في الأرض من موت وغيره فيأتون الكهنة ويخلطون بما يسمعون في كلّ كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني إسرائيل أنّ الجنّ تعلم الغيب، فبعث سليمان في الناس وجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال: لا أسمع أنّ أحداً يقول: إنّ الشياطين تعلم الغيب إلا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل شيطان على صورة إنسان فأتى نفراً من بني إسرائيل فقال: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبداً؟ قالوا: نعم قال: فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فأراهم المكان وأقام ناحية فقالوا: أدن فقال: لا ولكني ههنا فإن لم تجدوه فاقتلوني وذلك أنه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسي إلا احترق فحفروا وأخرجوا تلك الكتب قال الشيطان: إنّ سليمان كان يضبط الجنّ والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وفشا في الناس أن

المارد منها فيطير فيرمي بالشهاب، فيصيب جبهته أو جبينه أو حيث شاء الله فيلتهب، فيأتي أصحابه وهو يلتهب، فيقول: إنه كان من أمري كذا وكذا فيذهب أولئك إلى إخوانهم من الكهنة، فيزيدون عليها تسعًا وتسعين كذبة، فيحدث بها أهل الأرض، الكلمة حق، والتسعة والتسعون باطلًا، فإذا رأوا شيئًا مما قالوا قد كان صدقوهم بما جاءوا به كذبهم).

وقال ابن عباس أيضًا: (كانت الشياطين لا يحجبون عن السماوات فكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارهم فيلقون علي الكهنة، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا عن ثلاث سماوات، فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السماوات أجمع، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمى بشهاب).

وقال بعضهم: كان الرجم في الجاهلية أخف، فلما جاء الله بالإسلام، وبعث محمدًا عليه السلام ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا، فلا يفلت شيطان سمع البتة، ويروى أنها لا تسمع الآن شيئًا.

وقال ابن عطية: ظاهر الأحاديث أنهم يَستمعون حتى الآن لكنهم لا يسمعون، والكواكب الراجمة هي التي يراها الناس منقضة.

وقال النقاش، ومكى: ليست بالكواكب الجارية في السماء؛ لأن تلك لا تري حركتها، والراجمة ترى حركتها لقربها منا.

قال الفخر: واختلفوا في أن الجن هل يعلمون الغيب؟[1] والذي عليه أهل السنة أنهم لا يعلمونه. واحتج الفخر بقوله تعالى: ﴿أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[سبأ:١٤].

==

سليمان كان ساحراً وأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله سليمان من ذلك وأنزل تكذيباً لمن زعم ذلك واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان.

(١) قال الرازي: اختلفوا في أن الجن هل يعلمون الغيب؟ وقد بين الله تعالى في كتابه أنهم بقوا في قيد سليمان عليه السلام وفي حبسه بعد موته مدة وهم ما كانوا يعلمون موته، وذلك يدل على أنهم لا يعلمون الغيب، ومن الناس من يقول أنهم يعلمون الغيب، ثم اختلفوا فقال بعضهم إن فيهم من يصعد إلى السموات أو يقرب منها ويخبر ببعض الغيوب على ألسنة الملائكة، ومنهم من قال: لهم طرق أخرى في معرفة الغيوب لا

وأما قدرتهم على السريان في البشر، قال الفخر: المشهور أن الجن لهم قدرة على النفوذ والسريان في بواطن البشر، وأنكر ذلك المعتزلة.

وحكى الفخر عن بعض الناس أنهم أثبتوا لهم قدرة على الإحياء والإماتة، وعلى خلق الأجسام، وعلى تغيير الأشخاص عن صورها الأصلية وخلقها الأولية، قال: فأما أصحابنا فقد أقاموا الدلائل والبراهين على أن القدرة على الإيجاد والاختراع ليست إلا لله سبحانه وتعالى، ومذهب أهل السنة أنهم يدخلون بأذن المصروع، وأنكر طائفة من المعتزلة وغيرهم ذلك، وأحالوا وجود روحين في جسد مع إثباتهم الجن، وكذبهم أحمد بها من الأحاديث.

قال الأشعري وأهل السنة بصحته، لقوله تعالى: ﴿كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾[البقرة.٢٥٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في سبب الصرع: إنه قد يكون عن عشق وعن تناكح الإنس والجن، وقد يكون بغضا ومجازة مثل أن يؤذى بعضهم ببول أو صب ماء حار أو غسل، والإنسي لا يشعر بذلك فيعاقبونه بأكثر ما يستحق، وقد يكون عبثا كفعل السفهاء، وذلك كله راجع إلى أحكامنا في التحريم فمن لم يتعمد [الأذى] أو فعل ما أبيح له فعله في ملكه فعذره قائم، وليس لهم أن يسكنوا في ملك إنسي بغير إذنه، فلهذا يسكنون الخراب والفلوات ومواضع النجاسه كالحمام والحشوش والمزابل.

فصل في ذكر سبب انقياد الجن للعزائم والطلاسم والرقي

اعلم أن كفر الجن وشياطينهم يختارون الكفر والشرك ومعاصي الرب، ويشتهون الشرك ويطلبونه بمقتضي خبث أنفسهم، وإن كان موجبًا لعذابهم كالإنسان إذا فسدت نفسه يشتهي ما يضره، ويتلذذ به، بل يعشق ذلك عشقًا يفسد عقله ودينه، فالشيطان الخبيث إذا تقرب إليه صاحب العزائم والأقسام وكتب الروحانيات وارتكب المحرمات، إما بكتبه كلام الله بالنجاسات، أو بقلب الحروف والآيات، أو بقتل من يريد قتله، أو بفعل فاحشة فيه إجابته شياطينه وأعانوه على أغراضه، أو بعضها إما بأن يحمل في الهواء أو يفور الماء أو غير ذلك.

=

يعلمها إلا الله، واعلم أن فتح الباب في أمثال هذه المباحث لا يفيد إلا الظنون والحسبانات والعالم بحقائقها هو الله تعالى.[مفاتيح الغيب:١/ ٨٠].

وقال ابن إسحاق النديم: زعم المنجمون والسحرة أن الشيطان والجن والأرواح تطيعهم وتخدمهم وتتصرف بين أمرهم ونهيهم، وزعموا أنهم يستعبدون الشياطين بالقرابين والمعاصي وارتكاب المحظورات مما لله في فعلها سخط، وللشياطين في استعمالها رضى كترك الصلاة والصوم، وإباحة المحرمات.

وأما من يتمسك بالشرائع فزعم أن ذلك بطاعة الله عز وجل والابتهال إليه والإقسام على الأرواح والشياطين، وترك الشهوات، ولزوم العبادات، وأنهم يطيعونه إما لطاعة الله تعالى لأجل الإقسام به، وإما من مخافته منه تبارك وتعالى، ولأن في خاصة أسمائه وذكره قمع لهم وإذلال.

قال لبن إسحاق: يقال إن سليمان عليه الصلاة والسلام أول من استعبد الجن والشياطين، واستخدمها.

قلت: استخدامه لهم ثابت بنص القرآن، فالعزائم هي الأسماء التي يقسم بها علي الملائكة الموكلين بقبائل الجن لتحفظهم عن الإفساد في الأرض، فإذا أقسم عليها بما أمرت بتعظيمه من أسمائها أمرت بإحضار من طلبه حتي يقع فيه الحكم بالمراد، قالوا: وإنما حدث تولية الملائكة علي الجن من عهد سليمان عليه السلام؛ لأنه سأل من الله تعالى ذلك حين رأى الجن قد اشتغلت بالفساد في الأرض، فطلب من الله تعالى أن يولي على كل قبيلة من الجن ملكًا يضبطهم عن الفساد، ففعل تعالى له ذلك، أو إنما لم يحصل المراد عند بعض العزائم لخلل في تلك الأسماء المقسوم بها لأنها أعجمية، فإذا اختل منها حرف أو حركة فليس ذلك بالاسم إلى أمر الملك بتعظيمه فلا يجيب إلي المراد.

والطلاسم هي أسماء مخصوصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب في أجسام مخصوصة كالمعادن وغيرها، مع قوة نفس صالحة لهذا العمل فتحدث عندها أحكام مخصوصة كما زعم أربابه، وخواص النفوس تختلف باختلاف السجايا، فإن السجايا مختلفة بدليل اختلاف الصور، ولذلك بعض أهل العزائم يقسمون على الجن فتارة يبرون قسمه، وتارة لا يفعلون لعظمة الجني وقلة هيبته للمعزم كحال الإنس في ذلك، لكن الإنس أوفى بالوعد وأعدل، والجن أظلم وأكذب وأعذر، فيتلو العزيمة ولا يلتفت الجني إلي قائلها، ويسخر منه إذا طلب حبس الصارع أو قتله ويخيل إليه أنه قد فعل وليس كذلك.

والرقي هي ألفاظ خاصة يحدث عندها الشفاء من الأسقام والأوجاع والأسباب المهلكة، ثم ألفاظ الرقي منها ما هو مشروع كالفاتحة والمعوذتين، وبذلك نص الإمام أحمد وغيره: (أنه يجوز أن يكتب لمريض مصاب آيات بمداد وتغسل وتسقى للمريض). ومن الرقى ما هو غير مشروع كرقى الجاهلية، ولذلك منع الإمام مالك رحمه الله من الرقى بالعجمية.

والاستخدامات ضربان: كواكب وجان، فمتى قوبلت عندهم بنجور خاص على تقدم من الأفعال المحرمة كاللواط، فإن روحانية ذلك الكواكب أو ملوك الجن تكون مطيعة له متى أراد شيئا فعله.

وأما السحر فإنه يلتمس بالسيمياء والهيمياء، والطلسمات، والأوفاق، والخواص النفسية إلى النفوس، والحقائق والرقي، والتمائم، وقد قيل: السحر حبس لشيين: السيمياء والهيمياء.

فالسيمياء: عبارة عما يتركب من خواص أرضية أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات، ثم إن هذه الحقائق الخمس المدركات للحواس قد يكون لها وجود في الأعيان، يخلقها الله تعالى عند تلك المحاولات، وقد لا يكون لها وجود أصلًا وإنما هي تخيلات محضة، وقد تستولى على الأفهام حتي يتخيل الوهم معني السنين الطويلة في الزمان اليسير، ويكون الفصول بحدوث الأولاد وانقضاء الأعمار في ساعة واحدة، وقد تسلب الفكر الصحيح بالكلية، فيكون حال المسحور كحال النائم.

وحكى الأوزاعى: أن يهوديا صحبه في سفر فأخذ ضفدعًا وسحرها خنزيرا، فباعه لنصرانى، فلما ساروا إلى قريتهم عاد ضفدعا، فلحقوا اليهودى فلما قربوا منه رأوا رأسه قد سقط ففزعوا وولوا هاربين، ويقى الرأس يقول للأوزاعى: يا أبا عمرو؛ هل غابوا؟ إلى أن بعدوا عنه، فصار الرأس في الجسد.

والهيمياء: هي الخواص التي تضاف إلى الآثار السماوية من الاتصالات الفلكية وغيرها مما يتعلق بالأفلاك فيحدث عنها ما تقدم.

والفرق بين السيمياء والهيمياء، أن السيمياء مضافة إلى الأثار الأرضية، والهيمياء مضافة إلى الآثار الفلكية.

واختلف العلماء في تأثير السحر في الحقائق على قولين: فقيل: إنه لا يغير حقيقة وإنما هو تخييل، لقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[طه:٦٦][1]. وقيل: إنه يقع به التغيير والضنا والحب والبغض، وإنه يكون بأدوية كالمرائر والأكباد والأدمغة.

وأما طلوع الزرع في الحال، ونقل الأمتعة، والقتل على الفور، والعمى، والصمم ونحوه، وتعلم الغيب فلا يقع بالسحر؛ لأنه قد وقع القتل في السحرة، فلم يبلغ أحد منهم هذا المبلغ، ولم يسطتع سحرة فرعون الدفع عن أنفسهم.

وجوز بعضهم أن يسترق جسم الساحر حتى يلج في كوة ويجرى على خيط مسترق ويظهر في الهواء ويقتل غيره.

وقال القاضي: لا يقع هذا في مقدور البشر، وأجمعت الأمة على أنه لا يصل إلى إحياء الموتى وإبراء الأكمه، وفلق البحر، وإنطاق الخلق.

وإلى القول بحصول التغيير ذهب الشهاب القرافي، فيقتل الساحر، ويغير الخلق وينقل الإنسان إلى صور البهائم، قال: وهو الصحيح المنقول. وأجاب عن سحرة فرعون: بأنهم لما تابوا وأسلموا امتنعوا عن معاودة الكفر، وأنهم لم يصلوا إلى معرفة ذلك، أو أن بعض السحرة علم فرعون حجبًا وموانع يبطل بها سحر السحرة.

قلت: وفي هذه الأجوبة كلها نظر.

---

(١) قال الرازي: الهاء في قوله: ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ ﴾ كناية عن موسى عليه السلام والمراد أنهم بلغوا في سحرهم المبلغ الذي صار يخيل إلى موسى عليه السلام أنها تسعى كسعي ما يكون حياً من الحيات لا أنها كانت حية في الحقيقة ويقال إنهم حشوها بما إذا وقعت الشمس عليه يضطرب ويتحرك. ولما كثرت واتصل بعضها ببعض فمن رآها كان يظن أنها تسعى، فأما ما روي عن وهب أنهم سحروا أعين الناس وعين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَاس ﴾ [الأعراف: ١١٦] ويقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تسعى ﴾ فهذا غير جائز لأن ذلك الوقت وقت إظهار المعجزة والأدلة وإزالة الشبهة فلو صار بحيث لا يميز الموجود عن الخيال الفاسد لم يتمكن من إظهار المعجزة فحينئذ يفسد المقصود، فإذن المراد أنه شاهد شيئاً لولا علمه بأنه لا حقيقة لذلك الشيء لظن فيها أنها تسعى، أما قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً موسى ﴾ فالإيجاس استشعار الخوف أي وجد في نفسه خوفاً، فإن قيل: إنه لا مزيد في إزالة الخوف على ما فعله الله تعالى في حق موسى عليه السلام فإنه كلمه أولاً وعرض عليه المعجزات الباهرة كالعصا واليد، ثم إنه تعالى صيرها كما كانت بعد أن كانت كأعظم ثعبان، ثم إنه أعطاه الاقتراحات الثمانية وذكر ما أعطاه قبل ذلك من المنن الثمانية ثم قال له بعد ذلك كله: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وأرى ﴾ [طه:٤٦] [مفاتيح الغيب:١٠/ ٤٣٥].

وقال بعضهم: الأصح خلاف ما قاله القرافي، فإنه لم يقع، ولا سمع من عاقل من آدم عليه السلام إلى آخر وقت وزمان أن ساحرًا غير خلق الرحمن عز وجل عن صورة إنسان إلى صورة حيوان من حمار، أو فرس، أو سرحان، والحكايات في مثل ذلك خرافات تتحدث بها العجائز والبنات لا تروى بأحاديث صحيحة، وهي على المتحدث بها أعظم فضيحة.

قلت: ومما يؤيد هذا أنهم لو قدروا على تغيير الحقائق لقلبوا الأحجار ذهبا، والصخور إبلًا، وشاءوا واستغنوا وأغنوا الناس وذلك متفق، والله أعلم.

لطيفة: حكى أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي في الفنون قال: كان عندنا دار ببغداد كلما سكنها ناس أصبحوا موتى، فجاء رجل فاكتراها وارتضى بها، فبات وأصبح سالمًا، فتعجب الجيران فأقام مدة ثم انتقل، فسُئِلَ: فقال: لما بت بها صليت العشاء وقرأت شيئا من القرآن، فإذا شاب قد صعد من البئر، فسلم عليَّ، فَبهتُّ، فقال: لا بأس عليك، علمني شيئا من القرآن، فشرعت أعلمه، ثم قلت له: كيف أمر هذه الدار؟ فقال: نحن جن مسلمون نقرأ ونصلى، وهذه الدار ما يكتريها إلا الفساق، فيجتمعون على الخمر فنخنقهم، قلت: أنا أخافك في الليل فتعال نهارًا، قال: نعم. فكان يصعد من البئر في النهار فأقرئه، فبينما هو يقرأ ذات يوم إذ المعزم في الدرب يقول: المرقى من الذئب ومن العين ومن الجن. فقال: أي شيء هذا؟ قلت: معزم. قال: اطلبه، فقمت وأدخلته، وإذا أنا بالجني قد صار ثعبانا في السقف، فعزم الرجل فما زال يتدلى حتى سقط في وسط المنزل، فقام ليأخذه ويضعه في الزنبيل فمنعته، فقال: أتمنعنى من صيدى، فأعطيته دينارًا وراح، فانتفض الجنى وخرج وقد ضعف وانتحل واصفر، فقلت له: مالك؟ قال: قتلنى بهذه الأسماء، وما أظن أني أعيش، فاجعل بالك فمتى سمعت في البئر صراخًا فانهزم. قال: فسمعت في الليل النعى فانهزمت. قال ابن عقيل: فما بقى أحد يسكن هذه الدار.

وروى أبو يعلى الحنبلى: أن الخليفة المتوكل أرسل إلى الإمام أحمد صاحبًا له يُعْلِمَهُ أن له جارية بها صرع، ويسأله أن يدعو الله تعالى لها بالعافية، فأخرج له أحمد نعل خشب بشراك من خوص، وقال له: تمضي إلى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس الجارية، وتقول له - يعنى: للجنى - قال لك أحمد: أيما أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذا النعل سبعين، فمضى إليه وقال له مثل ذلك، فقال له المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة، لو أمرنا أحمد أن لا نقيم بالعراق ما أقمنا، إنه أطاع الله ورسوله، ومن أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء، وخرج من الجارية، وهدت ورزقت أولادًا، فلما مات أحمد عاودها هذا المارد، فأرسل المتوكل

إلى أبى بكر المروذى صاحب الإمام أحمد وعرفه بالحال، فأخذ المروذى النعل ومضى إلى الجارية، فكلمه العفريت على لسانها: لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل مثلك، أحمد أطاع الله تعالى فَأُمِرْنَا بطاعته.

واعلم أن الجن يهابوننا ويرهبون منا، قال مجاهد: (إنهم يهابونكم كما تهابونهم لاسيما من يذكر اسم الله أو يتلو القرآن لاسيما آية الكرسي والمعوذتين كما وردت الأخبار بذلك).

وعن مجاهد: (الشيطان أشد فزعا من أحدكم منه، فإن تعرض لكم فلا تفزعوا منه فيريبكم، ولكن شدوا عليه فإنه يذهب).

واعلم أنهم يبكون وينوحون على موت الصالح من الإنس ويرثونه بالأشعار، كما وقع ذلك منهم لما مات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وناحت الجن على من أصيب بصفين، وناحت على علي بن أبي طالب وأعلموا معاوية بموته، وناحت على الحسين إلى غير ذلك مما يطول.

ومن شعرهم لما مات عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه[1] [الطويل]:

لیبك على الإسلام من كان باكيا ... فقد أوشكوا هلكى وما قدم العهد

وأدبرت الدنيا وأدبر خيرها ... وقد ملها من كان يوقنه الوعد

وعن الحليمى أن الجن بكت على أبي حنيفة ليلة موته، وكانوا يسمعون الصوت ولا يرون الشخص [الرمل]:

ذهب الفقه فلا فقه لكم ... فاتقوا الله وكونوا خلفا

مات نعمان فمن هذا الذي ... يحيى الليل إذا ما هدفا

فصل في ذكر جملة من أحكام الجن

اعلم أن الجن مكلفون في الجملة إجماعاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ﴾[الذاريات:٥٦] الآية[2]. يدخل كافرهم النار إجماعًا، ومؤمنهم الجنة عند الأئمة

---

(١) وهناك أبيات في نفس المعنى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لِيَبكِ عَلى الإِسلامِ مَن كانَ باكِيًا ... فَقَد تُرِكَت أَركانُهُ وَمعالِمُه

لَقَد ذَهَبَ الإِسلامُ إِلّا بَقيَّةً ... قَليلٌ مِنَ الناسِ الَّذي هُوَ لازِمُه

(٢) قال الخازن: قوله عز وجل: ﴿ وما خلقت الجن والإنس ﴾ أي من المؤمنين ﴿ إلا ليعبدون ﴾ قيل هذا خاص بأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس « وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا

الثلاثة، خلافًا لأبي حنيفة، وهم فيها كغيرهم على قدر ثوابهم خلافًا لبعضهم، وتنعقد بهم الجماعة وليس منهم رسول، ويقبل قولهم إن ما بيدهم ملكهم مع إسلامهم وكافرهم كالحربي، ويحرم عليهم ظلم الآدميين وظلم بعضهم بعضا، وتحل ذبيحتهم، وبولهم وقيئهم طاهران، وهذا مذهب جمهور العلماء.

وقال بعضهم: لا ثواب للجن إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: (كونوا ترابا) مثل البهائم وهو قول أبي حنيفة. حكاه عنه ابن حزم.

وفي الثعلبي عن أبي الزناد قال: (إذا قضى الله بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قيل لسائر الحيوانات ومؤمني الجن: كونوا ترابًا، فيعودون ترابًا، والصواب أنهم يثابون على الطاعة، ويعاقبون على المعصية كما مر). وهو قول ابن أبي [ليلي]، ومالك، ونقل عن الأوزاعي، وأبي يوسف، ومحمد، والشافعي وأحمد: وسُئِلَ ابن عباس: (هل لهم ثواب؟ فقال نعم، لهم ثواب وعليهم عقاب).

وعن عمر بن عبد العزيز: (أن مؤمني الجن حول الجنة). وقال الضحاك: (إنهم يأكلون في الجنة ويشربون). وقال مجاهد: (يدخلونها، ولكن لا يأكلون ولا يشربون). وقال بعض العلماء إنا نراهم في الجنة ولا يرونا عكس الدنيا.

وأما نكاح الجن[1]: فذهب بعض العلماء إلى أنه لا يجوز لنا مناكحة الجن، لقوله تعالى: ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[النحل:٧٢]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ

= =

ليعبدون » وقيل: معناه وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقال علي بن أبي طالب إلا ليعبدون أي إلا لآمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي. وقيل: معناه إلا ليعرفوني وهذا حسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده. وقيل: معناه إلا ليخضعوا لي ويتذللوا لأن معنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق له. وقيل: معناه إلا ليوحدوني فأما المؤمن فيوحده اختياراً في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطراراً في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء [لباب التأويل في معاني التنزيل: ٥/ ٤٨٦].

(١) ذكر ابن أبي الدنيا في هواتف الجنان ١/ ١٦٩: حدثنا بشر بن بشار، عن عبد الله، حدثنا أبو الجنيد الضرير، حدثنا عقبة بن عبد الله « أن رجلا أتى الحسن بن أبي الحسن فقال: يا أبا سعيد إن رجلا من الجن يخطب فتاتنا فقال الحسن: لا تزوجوه ولا تكرموه، فأتى قتادة فقال: يا أبا الخطاب إن رجلا من الجن يخطب فتاة لنا فقال: لا تزوجوه ولكن إذا جاء فقولوا: إنا نحرج عليك إن كنت مسلما لما انصرفت عنا ولم تؤذنا فلما

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[الروم:٢١] وعليه بعض الحنابلة، وبعض متأخري الحنفية، وبعض الشافعية.

وفي رواية ابن لهيعة، عن يونس، عن الزهري: "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح الجن". وذهب بعض العلماء إلى جواز مناكحتهم، قال: سُئِلَ مالك عن رجل من الجن يخطب إلينا جارية يزعم أنه يريد الحلال، فقال: ما أرى بذلك بأسا في الدين.

وروى عن الحسن، وقتادة، والحكم، وإسحاق، كراهة ذلك. وعن زيد: (اللهم ارزقني جنية أتزوج بها تصاحبني حيثما كنت).

وأما أرواح الجن: فالصحيح أن ملك الموت يقبضها كما يقبض أرواح الإنسان. وقيل: إن أعوانه تنفرد بقبض أرواحهم، ونسب هذا القول للمبتدعة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

==

كان الليل جاء الجني حتى قام على الباب فقال: أتيتم الحسن فسألتموه فقال لكم: لا تزوجوه ولا تكرموه، ثم أتيتم قتادة فسألتموه فقال: لا تزوجوه ولكن قولوا له: إنا نحرج عليك إن كنت مسلما لما انصرفت عنا ولم تؤذنا قالوا: نعم فإنا نحرج عليك إن كنت رجلا مسلما لما انصرفت عنا ولم تؤذنا فانصرف عنهم ولم يؤذهم ».

حدثني الفضل بن إسحاق، حدثني أبو قتيبة، عن سفيان، عن الحجاج، عن الحكم، « أنه كره تزويج الجن». حدثنا الفضل بن إسحاق، حدثني أبو قتيبة، عن عقبة الأصم، سمع الحسن، وقتادة « وسئلا عن تزويج الجن، فكرهاه ».

الباب الرابع
في ذكر الموت وما يتعلق به

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥] لا خلاف بين علماء الإسلام أن كل نفس من نفوس الإنس والجن والملائكة والحيوانات البرية والبحرية، لا بد لها من ذوق الموت.

ولنذكر هنا قبل الشروع في المقصود فوائد:

الأولى: اختلف العلماء في حقيقة الموت، هل هو أمر وجودى أو عدمى؟ فقال الأشعرى: هو أمر وجودى لقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك:٢] والعدم لا يخلق. وقال بعضهم: هو أمر عدمى، وبه قال الزمخشري، ومعنى الخلق في الآية التقدير.

وعلى أنه أمر وجودي فهل هو جوهر أو عرض؟ تردد فيه بعضهم، والظاهر أنه جسم لحديث الصحيحين: "فيذبح "[1]. زاد بعضهم: " كما تذبح الشاة "[2]. والعرض لا يذبح، واختار هذا الحافظ السيوطي.

وقال القاضى عبد الوهاب المالكي: (الموت عبارة عن خلو الجسم من الروح).

وقال بعض علماء التصوف: ليس الموت بعدم صرف ولا بقاء محض، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، ومن حال إلي حال.

وقد جاء في الحديث الصحيح كيفية ذبح الموت بين الجنة والنار، في صفة كبش أملح.

قال بعض المحققين ممن يرى بأن الموت عدمي: ولعل هذا الكبش صورة ملك من الملائكة الذين يقبضون أرواح الخلائق، وأما الموت في نفسه فهو عدم محض راجع إلى سلب

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري حديث رقم: ٤٧٣٠، وجاء فيه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: "يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ: خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ ". وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥١.

(٢) أخرجه الضيء في المختارة من حديث أنس بن مالك ج٧/ ٤٩، وأخرجه أبو يعلى في معجمه حديث رقم: ٣١١.

الحياة، أو هو استعارة وكناية عن الخلود الدائم، فضرب المثل بالموت، ولا موت هناك حقيقة[1].

وأما الحياة، فقال الزمخشري: ما يصح بوجوده الإحساس. وقيل: ما يوجب كون الشيء حيا.

وحكى الثعلبي عن ابن عباس: (خلق الموت في صورة كبش أملح لا يمر بشيء إلا يجد ريحه، ولا يجد شيء ريحه إلا مات، وخلق الحياة علي صورة فرس لا تمر بشيء ولا تطأ شيئا، ولا يجد ريحها شيء إلا حيا، وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاها علي العجل).

الثانية: الروح والنفس. اختلف العلماء فيهما، هل هما شيء واحد أو شيئا ن؟

حكى ابن زيد: أن أكثر أهل العلم على أن النفس والروح اسمان لشيء واحد.

وقال ابن حبيب: هما شيئان، فالروح هو النفس المتردد في الإنسان، والنفس هي التي يقال لها: جسد مجسد، لها يدان ورجلان وعينان ورأس، وأنها هي التي تلذ وتفرح وتألم وتحزن، وإنها هي التي تتوفي في المنام، وتخرج وتسرح، وترى الرؤيا فتسر بها ترى أو تحزن به، ويبقى الجسم دونها بالروح لا يلذ ولا يفرح ولا يعقل حتى تعود إليه النفس، فإن أمسكها الله تعالى ولم يرجعها إلى جسدها تبعها الروح، فصارت معها شيئا واحدا ومات الجسم. وإن أرسلها إلى أجل مسمى وهو أجل الوفاة حيا الجسم، واحتج بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

فإذا فرعنا على قول الأكثر، وهو أن الروح والنفس شيء واحد، فاعلم أن العقلاء اختلفوا: هل النفس عبارة عن هذا الهيكل الإنساني المخصوص أو عبارة عن شيء آخر وراء هذا الهيكل؟

فذهب جمع عظيم من المتكلمين إلى الأول، وذهب آخرون إلى الثاني، قال بعض المحققين: وهو الصحيح، بدليل أن هذا الهيكل يلحقه الفناء بالموت والنفس باقية لا يلحقها الفناء، وأن الروح تنعم أو تعذب، على ما أخبر به الصادق المبلغ عن الله تعالى.

---

(١) قال النووي قَالَ الْمَازِرِيّ: الْمَوْت عِنْد أَهْل السُّنَّة عَرَض يُضَادّ الْحَيَاة، وَقَالَ بَعْض الْمُعْتَزِلَة: لَيْسَ بِعَرَضٍ؛ بَلْ مَعْنَاهُ: عَدَم الْحَيَاة، وَهَذَا خَطَأ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ خَلَقَ الْمَوْت وَالْحَيَاة ﴾ فَأَثْبَتَ الْمَوْت مَخْلُوقًا، وَعَلَى الْمَذْهَبَيْنِ لَيْسَ الْمَوْت بِجِسْمٍ فِي صُورَة كَبْش أَوْ غَيْره، فَيُتَأَوَّل الْحَدِيث عَلَى أَنَّ اللَّه يَخْلُق هَذَا الْجِسْم، ثُمَّ يُذْبَح مِثَالًا لِأَنَّ الْمَوْت لَا يَطْرَأ عَلَى أَهْل الْآخِرَة [شرح النووي على مسلم ٩/ ٢٣١].

وإذا قلنا: إن النفس ما وراء هذا الهيكل ففي حقيقتها للعقلاء أقوال، فقيل: إنها جوهر لطيف نوراني مشابك لهذا البدن، وهذا قول للإمام الفخر، ونحوه لإمام الحرمين: وهو أنها جوهر جسماني نوراني شريف حاصل في البدن سار فيه سريان السم، أو أنها جسم لطيف مشتبك بالأجسام اشتباك الماء بالعود الأخضر. قال الإمام النووي: وهذا أصح ما قيل فيها.

وقيل: إنها ليست جسما ولا جسمانية بل هي جوهر مجرد غير حال في البدن غير متحيز ولا حال في المتحيز، متصرف في البدن تصرف التدبير، وانقطاع تصرفه عنه هو الموت، وهو مذهب جمهور الفلاسفة، ومعمر المعتزلى، واختاره الغزالي والحلبى، وجمع من مشايخ الصوفية.

وقيل: إنها أجسام لطيفة حية لذواتها، سارية في الأخلاط، لا يتطرق إليها تبدل وانحلال، وبقاؤها فيها هو الحياة وانفصالها عنها هو الموت.

وقيل: إنها الأجزاء الأصلية من البدن الباقية من أول العمر إلى آخره، فتكون الأجزاء الأصلية لبدن شخص فاضلة لبدن شخص آخر وبالعكس. واختاره بعض المتكلمين.

وقيل: إنها الأرواح المكفوفة في الدماغ، تصلح لقبول قوى الحس والحركة نافذة في الأعضاء إلى جملة لبدن.وقيل: إنها الحرارة الغريزية، وبه قال جمع من الأطباء، قال بعضهم: ولعلها المراد في قول بعض الحكماء: أنها الأجزاء النارية السارية في البدن.

وقيل: إن النَفْس هو النَفَس المعبر عنه بالهواء. وقيل: إنها المزاج، وقيل: إنها الدم. وقيل: إنها الأخلاط الأربعة. وقيل: إنها صفة الحياة. وقيل: إنها الشكل والتخطيط. وقيل: إنها أجسام لطيفة محلها البطن الأيسر من القلب نافذة إلى جملة البدن. وقيل: إنها عرض لطيف هو ألطف المخلوقات وإصفاء الجواهر وأنوارها، بها ترى المغيبات، وبها يكون الكشف لأهل الحقائق.

وقيل: هي معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلو والعلم وغير ذلك. ألا ترى أنه إذا كان موجودًا يكون الإنسان بهذه الصفات.

قال بعضهم: وهذه الأقوال كلها اجتهادية والصحيح الوقف؛ لأن ذلك لا يعلم إلا بالتوقيف، ولم يرد فيه ما يفسر حقيقتها، قال تعالى لنبيه حين سأله اليهود عن الروح: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء:٨٥] فوجب المصير إليه. وقد أمسك عن الكلام فيها كثير من العلماء.

قال السيوطي في "شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور": وهذه الطريقة هي المختارة.

قال الجنيد: الروح شيء استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه، فلا يجوز لأحد البحث عنه بأكثر من أنه موجود. وعلى هذا ابن عباس وأكثر السلف. وقد ثبت عن ابن عباس أنه كان لا يفسر الروح.

ونقل أبو القاسم السعدى في الإفصاح: أن أماثل الفلاسفة توقفوا عن الكلام فيها، وقالوا: هذا أمر غير محسوس لنا، ولا سبيل للعقول إليه.

وأخرج ابن جرير بسند مرسل: " أن الآية لما نزلت قالت اليهود: هكذا نجده في التوراة"[1].

قال السيوطي: أبهمها الله في القرآن والتوراة، وكتم عن خلقه علمها فمن أين للخائضين الاطلاع على حقيقة أمرها؟

قال ابن بطال: الحكمة في ذلك تعريف الخلق عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم إلى رد العلم إليه.

وقال القرطبي: حكمته إظهار عجز المرء؛ لأنه إذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده، كان عجزه عن إدراك حقيقة الحق سبحانه وتعالى من باب أولى، وقريب منه عجز البصر عن إدراك نفسه.

وقال ابن أبي حاتم عن عبد الله بن بريدة، قال: "لقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح ".

وقالت طائفة: بل علمها وأطلعه الله تعالى عليها، ولم يأمره أن يطلع عليها أمته؛ لأن الله تعالى قد حسم باب الكلام فيها؛ لدقة معانيها، وضعف العقول عن فهمها، وللإفضاء إلى ما لا يليق، ولأنه لا حاجة للخلق بمعرفتها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الثالثة: في أن النوم وفاة، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢] قال الفخر: المقصود من الآية: أنه تعالى يتوفي الأنفس عند الموت وعند

---

(١) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ج٢١/ ١٢٧.

النوم، إلا أنه يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى وهي النائمة إلى أجل مسمى[1].

وفي الصحيح: "أن الله تعالى قبض أرواحنا حين شاء، وردها علينا حين شاء". فنطقت الشريعة بقبض الروح والنفس في النوم. قاله ابن عطية.

وقد كثرت الأقوال في ذلك: فحكى الثعلبي، عن ابن عباس، وغيره من المفسرين: (أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام، فتتعارف ما شاء الله، فإذا أراد الله جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله تعالى أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها).

وقال ابن عباس: (في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه).

وقال الفخر: النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني، إذا تعلق بالبدن حصل ضوءه في جميع الأعضاء وهو الحياة، فبوقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن وعن باطنه،

---

(١) قال الرازي: المقصود من الآية أنه تعالى يتوفى الأنفس عند الموت وعند النوم إلا أنه يمسك الأنفس التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى وهي النائمة إلى أجل مسمى أي إلى وقت ضربه لموتها فقوله تعالى: ﴿الله يَتَوَفَّى الأنفس حِينَ مَوْتِهَا﴾ يعني أنه تعالى يتوفى الأنفس التي يتوفاها عند الموت يمسكها ولا يردها إلى البدن وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الأخرى إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يعني أن النفس التي يتوفاها عند النوم يردها إلى البدن عند اليقظة وتبقى هذه الحالة إلى أجل مسمى، وذلك الأجل هو وقت الموت فهذا تفسير لفظ الآية وهي مطابقة للحقيقة، ولكن لا بد فيه من مزيد بيان، فنقول النفس الإنسانية عبارة عن جوهر مشرق روحاني إذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه في جميع الأعضاء وهو الحياة، فنقول إنه في وقت الموت ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه وذلك هو الموت، وأما في وقت النوم فإنه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن من بعض الوجوه ولا ينقطع ضوؤه عن باطن البدن، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد إلا أن الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص من بعض الوجوه، وإذا ثبت هذا ظهر أن القادر العالم الحكيم دبر تعلق جوهر النفس بالبدن على ثلاثة أوجه أحدها: أن يقع ضوء النفس على جميع أجزاء البدن ظاهره وباطنه وذلك اليقظة وثانيها: أن يرتفع ضوء النفس عن ظاهر البدن من بعض الوجوه دون باطنه وذلك هو النوم وثالثها: أن يرتفع ضوء النفس عن البدن بالكلية وهو الموت فثبت أن الموت والنوم يشتركان في كون كل واحد منهما توفياً للنفس، ثم يمتاز أحدهما عن الآخر بخواص معينة في صفات معينة، ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره إلا عن القادر العليم الحكيم، وهو المراد من قوله: ﴿إِنَّ فِي ذلك لآيات لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [مفاتيح الغيب:١٣/ ٢٦٧].

وبوقت النوم ينقطع تعلقه عن ظاهر البدن، فثبت أن الموت والنوم من جنس واحد؛ إلا أن الموت انقطاع تام والنوم انقطاع ناقص.

وقال الشيخ ابن عبد السلام: في كل جسد روحان، إحداهما: روح التيقظ التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان.

والأخرى: روح الحياة التي أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان حيًا فإذا فارقته مات. ويدل على روح الحياة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾[السجدة:١١]. ويدل على وجود روحي الحياة واليقظة قوله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ [الزمر:٤٢] الآية.

وقال ابن عبد البر في "التمهيد" عن بعض أصحاب الإمام مالك: (النفس جسد مجسد كخلق الإنسان، والروح كالماء الجاري)، واحتج بقوله: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ﴾ الآية. وقال: ألا ترى أن النائم قد توفي الله تعالى نفسه وروحه صاعد ونازل، والنفس تسرح في كل واد وترى ما تراه من الرؤيا، فإذا أذن الله في ردها إلى الجسد عادت، واستيقظ لعودها جميع أعضاء الجسد. قال: فالنفس غير الروح، والروح كالماء الجاري في البستان، فإذا أراد الله إفساد ذلك البستان منع منه الماء الجاري فتموت حياته؛ فكذلك الإنسان.

وقال بعضهم: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ بإزالة نفسها وتمييزها، ويتوفى التي لم تمت بإزالة تمييزها فقط.

وقد أشار ابن عطية إلي أن هذه الأقوال غلبة ظن، ورأى أن حقيقة الأمر في أنه سبحانه استأثر بعلم ذلك وغيبه عن عباده.

وقال مقاتل: (للإنسان حياة وروح ونفس، فإذا خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء لم تفارق الجسد، بل تخرج كحبل ممتد له شعاع، فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه، وتبقى الحياة والروح في الجسد، فيتقلب فيها ويتنفس، فإذا تحرك رجعت إليه أسرع من طرفة عين، فإذا أراد الله أن يميته في المنام أمسك تلك النفس التي خرجت).

وقال أيضًا: (إذا نام خرجت نفسه وسرحت، فإذا رأت الرؤيا رجعت فأخبرت الروح، وتخبر الروح القلب، فيصبح يعلم أنه رأى كيت وكيت).

وقال عكرمة أيضًا ومجاهد: (إذا نام الإنسان كان له سبب يجري فيه الروح، وأصله في الجسد فتبلغ حيث شاء الله فما دام ذاهبا فإن الإنسان نائم، فإذا رجع إلى البدن انتبه، وكان بمنزلة شعاع الشمس وهو ساقط بالأرض، وأصله متصل بها، والله سبحانه أعلم).

الرابعة: في الرؤيا. قال صاحب القبس: تقول: (رأيت رؤية) إذا عاينت ببصرك، (ورأيت رأي) إذا اعتقدت بقلبك. (ورأيت رؤيا بالقصر) إذا عاينت في منامك.

وقد يقال: إن الرؤيا تستعمل في اليقين؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾[الإسراء:٦٠]. بناء على مذهب الجمهور، وإنها في اليقظة، إذا علمت هذا ففي حقيقة الرؤيا للعلماء أقول:

فقال القاضي أبو بكر: هي خواطر واعتقادات.

وقال الإسفرائيني: هي إدراك بأجزاء لم تحلها آفة النوم، بل إدراك كإدراك اليقظان.

وقال ابن فورك: هي أوهام.

وقالت المعتزلة: هي تخاييل لا حقيقة لها ولا دليل فيها، وهذا من المعتزلة جار على أصولها في تخييلها على العامة من إنكار أصول الشرع في الجن وأحاديثها، والملائكة وكلامها، وإن جبريل عليه السلام لو كلم النبي صلى الله عليه وسلم بصوت لسمعه الحاضرون.

وقال الطبائعيون: منشؤها عن غلبة الأخلاط، فينسب إلى كل خلط ما يناسبه من ذلك.

وقالت الحكماء: إن صور العالم منقوشة في ظل العرش، فعند زوال الحجب الظلمانية تنتقش الصور الغيبية في غيب النفس. ومال إليه بعض الصوفية كابن العربي نزيل دمشق.

وقال صالح المعتزلي: هي رؤية عين. حكاه عنه صاحب القبس.

وقال قوم: هي رؤية بعينين في القلب يبصر بهما، وآذان في القلب يسمع بهما.

وقال قوم: إنها كلام الله تعالى للعبد في النوم لما في مسند أبى عبد الله الترمذي العارف، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الرؤيا للعبد كلام يكلمه الله سبحانه وتعالى في منامه". وهى البشرى المشار إليها في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤]. كذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي الدرداء وقال: "ما سألنى أحد قبلك"[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٠٩٧٢، وجاء فيه: عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ رَجُلٍ كَانَ يُفْتِي بِمِصْرٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، قَالَ: مَا سَأَلَنِي عَنْهَا أَحَدٌ مُنْذُ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ عَنْهَا، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ: " مَا سَأَلَنِي أَحَدٌ قَبْلَكَ: هِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، وَفِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ ".

وأخرج الحكيم بسند ضعيف عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام "(١).

وأخرج الحاكم في المستدرك، والطبراني في الأوسط، والعقيلي، عن ابن عمر، قال: لقي عمر عليا، رضي الله تعالى عنهما، فقال: يا أبا الحسن؛ الرؤيا منها ما يصدق ومنها ما يكذب؟ فقال: نعم. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **ما من عبد ولا أمة ينام فيمتلئ نومًا إلا يعرج بروحه إلى العرش، فالذي لا يستيقظ إلا عند العرش فتلك الرؤية التي تصدق، والتي تستيقظ دون العرش فتلك الرؤية التي تكذب**"(٢).

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: (إن الأرواح يعرج بها في منامها إلى السماء وتؤمر بالسجود عند العرش، فمن كان طاهرًا سجد عند العرش، ومن كان ليس بطاهر سجد بعيدًا عن العرش).

وأخرج ابن المبارك في الزهد، عن أبي الدرداء، قال: (إذا نام الإنسان عرج بروحه حتى يؤتى بها إلى العرش، فإن كان طاهرًا أذن لها بالسجود، وإن كان جنبًا لم يؤذن لها في السجود).

وقال ابن عبد السلام في روح اليقظة: أجرى الله العادة أنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظًا، فإذا خرجت من الجسد نام الإنسان، ورأت تلك الروح المنامات فإذا رأتها في السماوات صحت الرؤيا؛ لأنه لا سبيل للشيطان إلى السماوات، وإن رأتها دون السماء كانت من إلقاء الشياطين، فإذا رجعت استيقظ الإنسان كما كان.

قلت: أحسن ما قيل في هذا الباب كلام الكرماني، فإنه قال في كتابه الكبير: (الرؤيا ثمانية أقسام: المعبر منها واحد، وسبعة لا تعبر، فالسبعة: أربعة نشأت في الأخلاط الأربعة الغالبة على مزاج الرائي، فمن غلب عليه خلط رأى ما يناسبه، فمن غلبت عليه الصفراء رأى الألوان الصفراء والطعوم المرة والسموم والحرور والصواعق ونحو ذلك، ومن غلب عليه الدم رأى الألوان الحمراء والطعوم الحلوة وأنواع الطرب؛ لأن الدم مخرج حلو والصفراء مستحسنة مرة، ومن غلب عليه البلغم رأى الألوان البيضاء والأمطار والمياه والثلج، ومن غلب عليه السوداء رأى الألوان السود والأشياء المحرقة والطعوم الحامضة؛ لأنه طعم السوداء ويعرف ذلك بالأدلة الطبية. القسم الخامس: ما هو من حديث النفس، ويعلم ذلك بجولانه في اليقظة

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٤٨٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٣٩٦.

وكثرة الفكر فيه، فيستولى على النفس فتتكيف فيه فيراه في النوم. السادس: ما هو من الشيطان، ويعرف ذلك بكونه فيه حث على أمر تنكره الشريعة أو بأمر معروف جائز غير أنه يؤدي إلى أمر منكر كما إذا أمره بالتطوع بالحج فتضيع عائلته، أو يعق بذلك أبويه. السابع: ما كان فيه احتلام. الثامن: الذي يجوز تعبيره، هو ما خرج عن هذه، وهو من ملك الرؤيا من اللوح المحفوظ، فإن الله تعالى وكل ملكًا باللوح المحفوظ ينقل منه لكل أحد ما يتعلق به من أمر الدنيا والآخرة من خير أو شر، لا يترك من ذلك شيئا علمه من علمه أو جهله من جهله، ذكره من ذكره أو نسيه من نسيه. وهذا هو الذي يجوز تفسيره وما عداه فلا، والله أعلم).

الخامسة: في كون العمر يزيد وينقص. وفيه خلاف كثير بين العلماء، فمنهم من قال: يزيد وينقص. وبه قال الإمام عمر، وعبد الله بن مسعود، وأبو وائل، وكعب، وجماعة، ومنهم من قال: لا يزيد ولا ينقص. وبه قال الجمهور.

وحكى ابن عطية في تفسير سورة الأعراف: أنه مذهب أهل السنة. ولكل من الفريقين دليل من الكتاب والسنة.

واحتج أهل القول الأول من الكتاب بآيات منها قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[الرعد:٣٩] الآية. وجه الدليل منها أنه عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ[1].

قال الإمام الفخر: قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذلك القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر. قال: والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى

---

(١) قال الرازي: المحو ذهاب أثر الكتابة، يقال: محاه يمحوه محواً إذا أذهب أثره، وقوله: ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ قال النحويون: أراد ويثبته إلا أنه استغنى بتعدية للفعل الأول عن تعدية الثاني، وهو كقوله تعالى: ﴿والحافظين فُرُوجَهُمْ والحافظات ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وفي هذه الآية قولان:

القول الأول: إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ. قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر، وهو مذهب عمر وابن مسعود. والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لا أشقياء، وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والقول الثاني: أن هذه الآية خاصة في بعض الأشقياء دون البعض، وعلى هذا التقرير ففي الآية وجوه: الأول: المراد من المحو والإثبات: نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر بدلاً عن الأول. الثاني: أنه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة، لأنهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل ويثبت غيره [مفاتيح الغيب:٩/ ١٩٢].

الله تعالى أن يجعلهم سعداء لا أشقياء. وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر:١١]. أي: لا يطول عمر إنسان ولا ينقص إلا وهو في كتاب، أي: في اللوح المحفوظ.

قال الزمخشري: وصورته أن يكتب في اللوح المحفوظ: إن حج فلان ولم يغز فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فقد بلغ الستين، وقد عمر. وإذا أفرد أحدهما فلا يجاوز الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون. قال: وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه قال: "**إن الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**"[١].

وعن كعب، أنه قال حين طعن عمر رضي الله عنه: (لو أن عمر دعا الله لأخر في أجله. فقيل لكعب: أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس:٤٩]؟ قال: فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾).

قال الزمخشري: وقد استفاض على ألسنة الناس: أطال الله عمرك، وفسح في مدتك، وما أشبهه. ومنها قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ [الأنعام:٢] الآية. فثبت أن للإنسان أجلين، وتأولها حكماء الإسلام على ما حكاه الإمام الفخر: أن لكل إنسان أجلين: أحدهما: الآجال الطبيعية، الثاني: الآجال الإجرامية، فالآجال الطبيعية: هي التي لو بقى المزاج مصونًا عن العوارض الخارجية كالغرق والحرق ولسع الحشرات وغيرها لانتهت مدة بقائه إلى الأوقات الفلكية، والآجال الإجرامية: هي التي تحصل بسبب من الأسباب الخارجية كالغرق والحرق ولسع الحشرات.

واحتجوا من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم: "**صلة الرحم تزيد في العمر**"[٢].

وفي طريق آخر: "**صل رحمك يزد في عمرك**"[١].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٤٧٣٠، وابن الجوزي في البر والصلة حديث رقم: ٢٢٩.

(٢) أخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ١٠٢ , ١٠٠، وأخرجه عمر بن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال حديث رقم: ٣٨٥.

وفي آخر: "من أحب أن ينسأ له في عمره فليصل رحمه"[٢].

قال ابن عباس: (لكل واحد أجلان: أجل إلى الموت، وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان برًا تقيًا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر، وإن كان ضد ذلك نقص من العمر وزيد في أجل البعث).

واحتج أهل القول الثاني من الكتاب بآيات، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح:٤]. ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:١٤٥] ومنها قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ [الحديد:٢٢] ومنها قوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون:١١].

واحتجوا من السنة بحديث عبد الله بن مسعود: "أن الملك يكتب رزقه وأجله"[٣].

وبحديث: "فرغ ربكم من ثلاث.... " الحديث. فذكر منها الآجال.

وبحديث أم حبيبة حيث قالت: اللهم متعني بأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، وبزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها عليه الصلاة والسلام: "لقد سألت الله في آجال مضروبة، وأرزاق مقسومة لا يؤخر منها شيء"[٤].

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[الرعد:٣٩] الآية. بعدم حملها على العموم، فقال ابن جبير وقتادة: (المراد بالمحو والإثبات نسخ الحكم المتقدم بحكم آخر بدلا من الأول).

قلت: وفيه نظر؛ لأن القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ومن جملة ذلك الحكم، فلما جاز نسخ الحكم وإثباته فكذلك العمر.

==

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٣٣٠٨، وأخرجه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث حديث رقم: ٨٥٠.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٤٣٨، والحاكم في المستدرك ج٤/ ١٦٠.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم:٧٤٥٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٤٥.

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٠٢٣، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٤٢٤٢، والحميدي في مسنده حديث رقم: ١٢٥.

وقال أبو صالح والضحاك: (المراد بالآية محو ما في ديوان الحفظة مما ليس بحسنة ولا سيئة؛ لأنهم مأمورون بكتب على كل ينطق به الإنسان).

قلت: هو قريب ولكن المراد لا يدفع الإيراد.

وقال بعضهم: أراد بالمحو محو الذنوب من الصحائف بالتوبة.

وقال الحسن: (يمحو من حان أجله، ويدع ثابتًا من لم يحن أجله).

وقال الإمام علي: (يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها).

قلت: وفي كل من هذه الأجوبة نظر؛ لما مر ولأنه تخصيص من غير مخصص.

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ﴾[العنكبوت:٥٧] الآية. بأن المراد بالمعمر: الطويل العمر. والمراد بالناقص: قصير العمر. والمعنى: كل من طال عمره أو قصر فهو مكتوب في الكتاب.

وفسرها ابن جبير بوجه آخر، وهو أنه قال: (مكتوب في أول الكتاب عمره كذا وكذا ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة حتى ينقضي عمره). حكاه المفسرون عنه.

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ﴾[الأنعام:٢]. بأن المراد بالأجل الأول: أجل الماضين، وبالثاني: أجل الباقين. أوالمراد بالأول: أجل الموت، وبالثاني: أجل الحياة في الآخرة؛ لأنه لا آخر لها ولا انقضاء. أو أن الأجل الأول: هو بين خلق الإنسان إلى موته، والثاني: ما بين موته إلى بعثه. أو أن الأجل الأول هو النوم، والثاني هو الوفاة. أو أن الأول: ما انقضى من عمر كل واحد، والثاني: ما بقى من عمرك كل واحد. إلى غير ذلك من أقوال المفسرين.

وأجابوا عن حديث: "**صلة الرحم تزيد في العمر**"(١) بأجوبة؛ فقيل: المراد بالزيادة في العمر: السعة في الرزق واليسار والزيادة فيه؛ لأن الفقر موت كما في الآثار: (أن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام بأنه يموت عدوه ثم رآه بعد ينسج الخوص، فقال: يا رب وعدتنى أن تميته. قال: قد فعلت ذلك؛ لأني قد أفقرته).

قلت: وفي هذا الجواب نظر؛ لأن السعة في الرزق أمر قد فرغ منه في الأزل كالعمر.

---

(١) أخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ١٠٢ , ١٠٠، وأخرجه عمر بن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال حديث رقم: ٣٨٥.

وقيل: المراد بالزيادة في العمر: نفي الآفات عنهم، والزيادة في أفهامهم وعقولهم وبصائرهم.

قلت: وفيه نظر؛ لما مر.

وقيل: إن الله تعالى يكتب أجل عبده مائة سنة، وجعل تركيبه وبنيته وهيئته كتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه زاد الله في ذلك التركيب وفي تلك البنية، ووصل ذلك النقص فعاش عشرين أخرى حتى بلغ المائة، وهو الأجل الذي لا يستأخر عنه ساعة ولا يستقدم.

وقيل: إن هذه الزيادة بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ، فيظهر لهم أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله ما سيقع له من ذلك علما أزليا.

قال الجلال السيوطي: قد تظاهرت الأحاديث والآثار عندي على زيادة العمر ونقصه بالنسبة إلى ما كتب في اللوح المحفوظ أو برز إلى الملائكة، لا بالنسبة إلى علم الله تعالى، فإن علمه تعالى أزلي لا يتغير، والأشياء كلها واقعة على وفق علمه في الأزل من غير زيادة ولا نقص.

قلت: هذا حاصل كلام الفريقين في هذه المسألة، وما قالوه من دليل وتعليل، وهذا الجواب الأخير هو الحق إنْ شاء الله تعالى، ولعله مراد كل من الفريقين، والخلاف بينهم لفظي، والله تعالى أعلم.

فصل في الاستعداد للموت وذم الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ﴾[البقرة:٢٢٣]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ﴾[يونس:٢٤]. وقال تعالى: ﴿ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾[الحديد:٢٠]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذمها.

وفي حديث سهل بن سعد، وصححه الترمذي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء"**[1].

وعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما"**[1]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٢٠، وأخرجه ابن أبي عاصم في الزهد حديث رقم: ١٢٨، ١٣٠.

واعلم أنه لا ينبغي للعاقل أن ينظر إلى ما في أيدي الأغنياء؛ فإنه فتنة. وقد نهى الله نبيه عن ذلك فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾[طه:١٣١].

وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله"**[٢].

قال يحيى بن معاذ: العاقل المصيب من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخل فيه، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه، فإذا قطع العاقل بوجوب السفر فلا بد من الزاد: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]. وإذا جزم بمفاجآت العوائق والصوارف عن العمل، فالواجب البدار عند حلولها؛ فمن أيقن بالموت وعلم أنه نازل به لا محالة فلا بد له من الاستعداد بالأعمال الصالحة، ولا بد له من اجتناب الأعمال القبيحة؛ فإنه لا يدري متى ينزل به. ولقد أحسن من قال:

دع الدنيا ولا تركن إليها ... ومع من فر منها سل سبيلا

عساك بتركها تحظى بدار ... بها عين تسمى سلسبيلا

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: (ما رأيت يقينا أشبه بالشك من يقين الناس بالموت، ثم لا يستعدون له حتى كأنهم فيه شاكون، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]).

وفي الإحياء للغزالي قال بعض الحكماء: كرب بيد سواك لابد أن يلقاك، فاستعد له قبل أن يفجأك.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك، يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم: **"يتبع المؤمن بعد موته ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله ويبقى عمله"**[١].

==

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٢٢، وابن ماجه حديث رقم: ٤١١٢.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٦٦، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥١٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤١٤٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧٤٠٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧١٣، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٩٥٧١، وأخرجه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث حديث رقم: ١١٠٧، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ٧٣٦.

وفي البخاري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا"[٢].

وفي الترمذي: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله"[٣].

وأخرج البزار عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "أكثروا من ذكر هادم اللذات؛ فإنه ما ذكره أحد في ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا في سعة إلا ضيقه عليه"[٤].

وأخرج ابن ماجه عن عمر قال: "سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكرًا، وأحسنهم لما بعده استعدادًا، أولئك الأكياس"[٥].

وفي الترمذي: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله"[٦].

وأخرج سعيد بن منصور عن أبي الدرداء، قال: (موعظة بليغة وغفلة سريعة: كفي بالموت واعظًا، وكفي بالدهر مفرقًا، اليوم في الدور وغدًا في القبور).

==

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥١٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٦٣، وأخرجه الترمذي حديث رقم ٢٣٧٩، وأخرجه النسائي حديث رقم: ١٩٣٧.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٤٨٦ , ٥٢٢١ , ٤٦٢١، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣١٣ , ٢٣١٢، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ١٥٠٠ , ١٤٧٤، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤١٩١ , ٤١٩٠، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٧٣٥، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٤٤٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٥٩٧ , ٩٥٣٧ , ٩٢٩٤.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣١٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٥١٠،ج ٤: ص٥٧٩، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ٧: ص٥٢.

(٤) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٩٨٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٥٩.

(٦) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٥٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٦٦٧٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٥٧،ج ٤: ص٢٥١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ٣: ص٣٦٩، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٢١٨، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٣٤٨٩، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٤٨٥ , ٤٦٣، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ١٨٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٥٤٥، وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ١٧١، وأخرجه أحمد بن حنبل في الزهد حديث رقم: ٢٣٣٥ , ٢٠٥.

وقال رجل: يا رسول الله؛ من أزهد الناس؟ قال: "من لم ينس القبر والبِلَى، وترك فضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى، ولم يعد غدًا من أيامه، وَعَدَّ نفسه من أصحاب القبور"(١).

وقال علي بن أبي طالب: (القبر صندوق العمل، وبعد الموت يأتيك الخبر)، وقال أيضًا: (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا).

وأخرج أحمد في الزهد، عن البيهقي في شعب الإيمان، عن الربيع بن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كفي بالموت مزهدًا في الدنيا ومرغبًا في الآخرة "(٢).

وعن كعب قال: (من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا).

قلت: والأخبار والآثار في مثل ذلك كثيرة، فمن أراد المزيد فعليه بمطالعة كتب الصوفية يظفر بما يريد، والله أعلم.

فصل في المريض

وينبغى للمريض أن يغلب رجاؤه على خوفه كما ينبغى له عكس ذلك في صحته أن يحسن ظنه بربه، ففي مسلم عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاث: "لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله"(٣). وذلك ظاهر؛ لأن الخوف حينئذ يؤدى إلى اليأس والقنوط من رحمة الله، وذلك من الكبائر.

وفي الترمذي: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال: "كيف تجدك؟ قال: أرجو الله وأخاف ذنوبي. فقال عليه السلام: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه، وأمنه مما يخاف"(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٥٣٢١، وابن عدي في الكامل حديث ج٨/ ٩٥.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج٧/ ٣٥٣.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٨٠ , ٢٨٧٩، وأخرجه لبن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٤٧٧٥ , ١٤١٧٠ , ١٤١٢٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٣٨ , ٦٣٦، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٨٨٨، وأخرجه علي بن الجعد الجوهري في مسنده حديث رقم: ٢٩٨٧، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٢٩٠، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٣٣، وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ١٠٣٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله حديث رقم: ٤ , ١، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في الثبات عند المات حديث رقم: ٤٣.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٩٨٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٦١.

وينبغي أن يحب لقاء الله، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه"(١).

ومرض أعرابي فقيل له: إنك تموت. فقال: إلى أين يُذْهَبُ بي؟ فقيل: إلى الله. قال: مما كراهتي أن أذهب إلى من لا يُرى الخير إلا منه.

ويجب على المريض أن يسارع في أداء ما عليه من حقوق الله، وحقوق الآدميين، وأن يهتم بالوصية؛ ففي الترمذي وصححه ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه إلا ووصيته مكتوبة عنده"(٢).

وينبغي تنظيفه وإزالة الأذى عنه تهيؤًا للقاء الله تعالى، ويستحب توجيهه للقبلة وقراءة شيء من القرآن عنده،وتلقينه لا إله إلا الله، ففي مسلم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"(٣).

قال بعضهم: حكمة الأمر بذلك ليحصل له ما وعد به الحديث في قوله عليه السلام: "من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، حرمه الله على النار "(٤).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٠٨, ٦٥٠٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٨٦, ٢٦٧٥, ٢٦٧٧، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٠٩, ١٠٦٧, ١٠٦٦، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ١٨٣٨, ١٨٣٧, ١٨٣٦، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٦٤، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٧٥٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٥١٩٩, ١١٦٣٦, ٩١٥٧، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٠١٠, ٣٠٠٩، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١, ١٩٧٥, ١٧٥٨١٩٧٣، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٥٧٥.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٢٧٣٨، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٢٨، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٩٧٤، ٢١١٨.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٩١٩, ٩١٨، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٩٧٦؛ وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٣١١٧، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ١٨٢٦، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٤٤٦, ١٤٤٥, ١٤٤٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٦١٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٠٠٤, ٣٠٠٣, ٣٠٠٢، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٠٥٤, ٢٠٥٢, ٢٠٥١، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٩٦٦, ١٩٦٥، وأخرجه ابن الجارود النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة حديث رقم: ٤٩٨، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ١٠٣١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٣: ص٣٨٣.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٣١١٦، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢١٥٢٨.

أو لأنه موضع يتعرض فيه الشيطان لإفساد اعتقاد الإنسان، فيحتاج إلى مذكر ومنبه له على التوحيد، فقد جاء أن الشيطان يتخيل له في صورة أحد أبويه فيدعوه إلى دين النصرانية، وإلى دين اليهودية وغيرهما، فـ﴿ يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [إبراهيم:٢٧].

قلت: فيؤخذ من هذا التعليل أنه يستحب التعريض له بالتوبة والإقلاع عن الذنوب؛ ليكون مذكرًا له بها قبل معاينة أسباب الموت، فإنها بعد ذلك لا تنفع؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[النساء:١٨]. وقال الله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾[العنكبوت:٥٧]. ولذلك لم يقبل من فرعون حين أدركه الغرق فقال: ﴿آمَنْتُ﴾ [يونس:٩٠] الآية.

قال الفخر: فلو أنه أتى بذلك الإيمان قبل مشاهدة العذاب بلمحة لقُبِلَ منه إيمانه، وأما التوبة قبل معاينة أسباب الموت فمقبولة عند المحققين، ويدل عليه ما روى أبو أيوب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"يقبل الله توبة عبده ما لم يغرغر"(١). وفي رواية أخرى: "ما لم ترد الروح في حلقه ".

وقال عطاء: (يقبل الله توبة عبده قبل موته بفواق ناقة).

وقال الحسن: (إن إبليس لما أُهبط إلى الأرض قال: وعزتك يارب؛ لا فارقت ابن آدم ما دامت روحه في جسده، فقال الله: وعزتي وجلالي؛ لا أغلق عليه باب التوبة ما دامت الروح في جسده ما لم يغرغر).

فصل في ذكر ملك الموت وأعوانه

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١] الآية.

قال مقاتل، والكلبي: (بلغنا أن ملك الموت عزرائيل له أربعة أجنحة: جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب والخلق بين رجليه ورأسه وجسده كما بين السماء والأرض، وجعلت له الدنيا مثل راحة اليد فهو يقبض أنفاس الخلائق من مشارق الأرض ومغاربها، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب).

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٦٠٩، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ١٠٨٥.

وذكر ابن الجوزي: أن في حديث المعراج أن الدنيا بأسرها بين ركبتي عزرائيل كالطشت بين يدى أحدكم يقبض من حيث شاء.

وقال معاذ بن جبل: (إن لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب، وهو يتصفح وجوه الموتى، فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين، فإذا رأى إنسانًا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة، وقال: الآن يزأر بك عسكر الأموات).

وفي تذكرة القرطبي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه في كل يوم خمس مرات، فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته، فمن أهل بيته الناشرة شعرها، والضاربة وجهها، والباكية بشجوها، والصارخة بويلها، فيقول ملك الموت عليه السلام: ويلكم مم الجزع وفيم الفزع ما أذهب لواحد منكم رزقا، ولا قربت له أجلًا، وإن لي فيكم عودة، ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدًا، قال عليه الصلاة والسلام: والذي نفسي بيده؛ لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم". الحديث.

ومن مصائب الموت مشاهدة ملك الموت، ودخول الروع في الميت بحيث لا يعبر عنه؛ لعظم هوله ورؤيته، ولا يعرف حقيقة ذلك إلا من يشاهده، ففي الإحياء للغزالي عن ابن عباس، ما معناه: (أن إبراهيم عليه السلام سأل ملك الموت أن يريه صورته التي يقبض فيها روح المؤمن فأعرض عنه، ثم التفت فإذا هو شاب حسن الصورة، حسن الثياب، طيب الرائحة، حسن البشرة، فقال: يا ملك الموت؛ لو لم يكن للمؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه، وسأله أن يريه صورته التي يقبض فيها روح الفاجر، فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود قاتم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من مناخره ومن فيه لهيب النار، فغشي على إبراهيم، ثم أفاق، وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى، فقال: يا ملك الموت؛ لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه).

وفي "التذكرة": أن بعض الأنبياء قال لملك الموت: أما لك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك، قال: نعم، والله لي رسل كثيرة من الأعلال، والأمراض، والشيب، والهرم، وتغير السمع والبصر، فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك، ولم يتب ناديته إذا قبضته: ألم أقدم إليك رسولا بعد رسول، ونذيرًا بعد نذير، فأنا الرسول الذي ليس بعدي رسول، وأنا النذير الذي ليس بعدى نذير.

لطيفة: قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام:٦٠]. وقال الله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر:٤٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ﴾ [السجدة:١١]. وقال تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾[الأنعام:٦١]. الآية. الجمع بين هذه الآيات أن توفي الملائكة القبض والنزع، وتوفي ملك الموت الدعاء والأمر بدعاء الأرواح فتجيبه. وتوفي الله تعالى: خلق الموت.

وفي الخبر: (أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا، فقال ملك الحياة: أنا أحيي الموتى. وقال ملك الموت: أنا أميت الأحياء. فأوحى الله إليهما؛ كونا على عملكما، وما سخرتما له؛ فأنا المميت والمحيي، لا يميت ولا يحيي سواي).

وأما أرواح الجن، فالصحيح أن ملك الموت يقبضها كما يقبض أرواح الإنس. وقيل: إن أعوانه تنفرد بقبض أرواحها، ونسب هذا القول للمبتدعة، وكذلك يقبض أرواح الحيوانات على الأصح. قال بعضهم: ويدخل في الحيوانات الملائكة.

قلت: أو هم يموتون دفعة واحدة عند نفخ إسرافيل في الصور.

فصل في ذكر ذوق الموت وسكراته

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥]. لا خلاف بين علماء الإسلام أن كل نفس من نفوس الإنس والجن والملائكة، والحيوانات البرية والبحرية، لا بد لها من ذوق الموت. وكذلك الملائكة يموتون، خلافًا لابن حزم وموافقيه.

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾[ق:١٩]. قال الثعلبي: سكرة الموت، أي: غمرته وشدته كالسكر الذي يغلب على فهم الإنسان من الشراب والنوم؛ فللموت سكرة بعد سكرة، وشدة ألم سكرة الموت لا يعرفها إلا من ذاقها، ومن لم يذقها إنما يعرفها بالاستدلال بأحوال الناس في النزع.

ففي الترمذي عن عائشة، قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت، وعنده قدح فيه ماء، فجعل يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقول: "اللهم أعني على سكرات الموت"[1].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٩٧٨، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٦٢٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٣٧٨٩٤, ٣٧٨٣٤, ٢٣٩٥٩، والحاكم في المستدرك ج ٢: ص٤٦٥،ج ٣: ص٥٦، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٨٦٦، وأبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٤٥١٠.

وسُئِلَ كعب عن الموت؟ فقال: (الموت كغصن شوك أدخل في جوف رجل، فجذبه إنسان ذو قوة: فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى).

وفي الحديث: "والذي نفسي بيده؛ لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف"(١).

وفي البخري: أنه عليه الصلاة والسلام عند موته جعل يدخل يده في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: " لا إله إلا الله، إن للموت سكرات"(٢).

وفي الثعلبي عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته، وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض، تقول: عليك السلام، تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة "(٣).

قال الحكماء: إن النفس الناطقة لما تعلقت بالبدن، واستأنست به كرهت فراقه؛ لشدة الإلف بينهما بتكرر الدهور والأزمنة.

وقال ابن سينا: إن تعلق النفس بالبدن عظيم جدا، حتى إنها بعد المفارقة تشتاق إليه، وتلتفت إلى الأجرام البدنية المدفونة، فعلم بذلك أن تعلق النفس بالبدن في غاية الشدة، ولا ترضى فراقه بحال، حتى قيل: إن النفوس المقدسة كذلك.

وحُكِي: أن أفلاطون كان دائم البكاء، فسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال: إنما أبكي على مفارقة النفس عن البدن؛ لأنهما قد تآلفا زمنًا كثيرًا.

تنبيه: قال لقرطبي: لتشديد الموت على الأنبياء فائدتان:

إحداهما: تكميل فضائلهم ورفع درجاتهم، وليس ذلك نقصًا ولا عذابًا.

والثانية: أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت..

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٦٩٨٣عن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "احْضَرُوا مَوْتَاكُمْ وَلَقِّنُوهُمْ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ، بَشِّرُوهُمْ بِالْجَنَّةِ، فَإِنَّ الْحَلِيمَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَتَحَيَّرُونَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لأَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنِ ابْنِ آدَمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمَصْرَعِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمُعَايَنَةُ مَلَكِ الْمَوْتِ أَشَدُّ مِنْ أَلْفِ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَخْرُجُ نَفْسُ عَبْدٍ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْلَمَ كُلُّ عِرْقٍ مِنْهُ عَلَى حِيَالِهِ ".

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥١٠, ٤٤٤٩، والبيهقي في دلائل النبوة ج٧/ ٢٠٦، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في الثبات عند الممات حديث رقم: ٢٠.

(٣) أخرجه أبو الحسن الكتاني في تنزيه الشريعة المرفوعة ج٢/ ٣٧٥، وأخرجه القشيري في الرسالة القشيرية ج ١ / ١٦٤.

فصل في ذكر قبض روح المؤمن

فقال ابن عباس: (إن المؤمن إذا حضره الموت شهدته الملائكة، فيسلمون عليه ويبشرونه بالجنة).

وقال وكيع في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ [العنكبوت:٥٧]: (إن البشرى في ثلاث مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث).

وقال الحسن: (يقبض الملك روح المؤمن في ريحانة).

وعن ابن عباس: (أن الملائكة تنشط نفس المؤمن، فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير ثم يتناولها ملك الموت، وهو معنى قوله: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٢-٣]. فإن ذلك كان من المقربين، فيؤتى له بغصن من ريحان الجنة فيشمه، ثم يقبض روحه).

وقال ابن عباس أيضًا في قوله ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾: يعني أن الملائكة تنشط نفس المؤمنين عند الموت للخروج، وذلك بأنه ليس مؤمن يحضره الموت إلا عرضت عليه الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها أشباهًا من أهله، وأزواجه من الحور العين، فيدعونه إليها نفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم.

وأما (السابحات سبحًا) فقال علي رضي الله عنه: (هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين).

وكذلك (السابقات) هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

وقال مقاتل: (هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة التي تقبضها، وقد عاينت السرور شوقًا إلى الجنة والرحمة).

وفي النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: **"إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضيًا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فلهم أشد فرحًا به من أحدكم بغائب يقدم عليه، فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعل فلان؟ " الحديث**[1].

---

(١) أخرجه النسائي حديث رقم:١٨٣٣، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٠١٤، والحاكم في المستدرك ج١/ ٣٥٢.

وفي "التذكرة" عن أبي أيوب الأنصارى رضي الله عنه قال: (إذا قُبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير في الدنيا، فيقبلون عليه يسألونه، فيقول بعضهم لبعض: أَنْظِروا أخاكم حتى يستريح؛ فإنه كان في كرب شديد، قال: فيقبلون عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن رجل قد مات قبله، فيقول: إنه هلك. فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية).

وأخرج الترمذي الحكيم عن أنس، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى، فإن كان خيرًا استبشروا، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا "[١].

وفي "الدرة الفاخرة" للغزالي، قال: إذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه، عليهما أثواب حسنة، ولهما رائحة طيبة، فيلقونها في حريرة من حرير الجنة، ويعرجون بها في الهواء، فلا تزال تمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر حتى تنتهي إلى السماء الدنيا، ثم من سماء إلى سماء إلى السابعة، ثم يصعدون بها إلى سدرة المنتهى، ثم يمرون بها في بحر من نور ثم بحر من ظلمة ثم بحر من ماء ثم بحر من ثلج ثم بحر من برد، كل بحر طوله ألف عام: حتى ينتهوا بها إلى الحجب المضروبة على عرش الرحمن، وهو ثمانون ألف سرادق، فحينئذ ينادى منادٍ من وراء تلك الحجب من الحضرة القدسية: من هذه النفس التي جئتم بها؟ فيقال: فلان بن فلان. فيقول الجليل جل جلاله: قربوه، فنعم العبد كنت، فإذا وقف بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه هالك، ثم يعفوُ عنه سبحانه. ومن الناس من يصل إلى الكرسي ومنهم إلى الحجب، وإنما يصل إليه عارفوه.

قال في "التذكرة" عن الروح: والذي عليه أهل السنة أنه ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى فيسألها، فإن كانت من أهل السعادة قال لهم: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة، فيسيرون بها في الجنة على قدر ما يُغسل الميت، فإذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس، من تكلم بخير ومن تكلم بشر، فإذا

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٢٧٢، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في الثبات عند الممات حديث رقم: ٥٥.

وصل إلى قبره وصُلي عليه رد فيه الروح، وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملكان الفتانان على ما يأتي.

وعن عمرو بن دينار قال: (ما من ميت يموت إلا وروحه في يد ملك، ينظر إلى جسده كيف يغسل؟ وكيف يكفن؟ وكيف يمشى به؟).

لطيفة: أخرج الترمذي، وأبو نعيم، وغيرهما عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"ما من إنسان إلا وله بابان في السماء: باب يصعد فيه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات العبد المؤمن بكيا "**(١).

وأخرج ابن جرير، والبيهقي، وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: **"ما مات مؤمن غريب غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض، ثم قال: إنهما لا يبكيان على كافر "**(٢).

وأخرج أبو نعيم وغيره عن مجاهد، قال: (ما من مؤمن يموت إلا بكت عليه الأرض أربعين صباحًا).

وأخرج ابن أبي حاتم، والبيهقي، وغيرهما عن الإمام علي رضي الله عنه، قال: (إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء، ثم تلا: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان:٢٩]).

يعنى: أن قوم فرعون لم تكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى الله منهم خير؛ فلم تبك عليهم السماء والأرض.

قال الحسن: (بكاء السماء حمرتها). وكذلك قال سفيان الثوري.

وقال الإمام الفخر: إن عادة الناس بأن يقولوا في هلاك الرجل العظيم الشأن: إنه أظلمت له الدنيا، وكُسِفت الشمس والقمر لأجله، وبكت عليه الريح والسماء والأرض، ويريدون بتلك المبالغة في تعظيم تلك المصيبة لا نفس هذا الكذب، ولا شك أن مصيبة المؤمن عظيمة، والله سبحانه تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٥٥، وأخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم: ٣٢٧٤، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٤٥٩.

(٢) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ج٢١/ ٤٣، والبيهقي في شعب الإيمان ج٧/ ١٧٢، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ٥٠٧.

فصل في ذكر قبض روح الفاجر

قال الله تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴾ [النازعات:١] قال ابن عباس: (النازعات: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار).

ومعنى غرقا ما قال ابن مسعود: (أنفاس الكفار ينزعها ملك الموت من أجسادهم من تحت كل شعرة، ومن تحت الأطراف وأصول القدمين، ثم يفرقها ويردها في جسده، فهذا عمله بالكفار).

وقال ابن جبير: (نُزِعَت أرواحُهم ثم غرقت ثم قذف بها في النار). وقيل: يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق.

وفي النسائي من تتمة حديث أبي هريرة السابق: "وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسوح فيقولون: اخرجي ساخطة مسخوط عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتى يأتوا به أرواح الكفار"[١].

وفي الثعلبي في تفسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف:٤٠]، أي: أن أبواب السماء لا تُفتح لأرواحهم، ولا لأعمالهم الخبيثة، فلا يُصْعد بها بل يُهْوَى بها إلى سجين تحت الصخرة الخضرا التى تحت الأرض.

وذكر الثعلبي أيضًا عن أبي هريرة صفة قبض روح المؤمن، ثم قال: وإذا كان الرجل السوء قالوا لها: اخرجي أيتها النفس الخبيثة التي في الجسد الخبيث ذميمةً، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج. فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقولون: لا مرحبا بالنفس الخبيثة التي كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمةً؛ فإنه لا تفتح لك أبواب السماء. فتُرْسَل من السماء إلى الأرض فتصير إلى القبر.

وفي "الهداية" لمكي في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧] أنه رُوِي: أن أرواح الكفار يُصْعد بها إلى السماء، فتأبى السماء أن تقبلها ثم يُهْبَطُ بها إلى الأرض، فتأبى الأرض أن تقبلَها، فيُهْبَطُ بها إلى سبع أرضين حتي يُنْتَهى بها إلى سجين،

---

(١) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ١٨٣٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٠١٤، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٩٢٦, ١٩٧٢، وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين حديث رقم: ٢٤.

وهو خد إبليس فيخرج لها تحت خد إبليس كتاب فيختم ويوضع تحت إبليس لهلاكه للحساب.

وفي "الهداية" أيضًا: أن ابن عباس سأل كعبًا عن سجين، فقال: (هي الأرض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار تحت خد إبليس).

لطيفة: للمفسرين في (سجين) أقوال[1]:

فقيل: إنه مكان تحت خد إبليس في الأرض السابعة السفلى التي هي محل إبليس وجنوده.

وقيل: إنه صخرة عظيمة تأوي إليها أرواح الفجار.

---

(١) السجين اسم علم لشيء معين أو اسم مشتق عن معنى؟ قلنا فيه قولان:

الأول: وهو قول جمهور المفسرين: أنه اسم علم على شيء معين، ثم اختلفوا فيه، فالأكثرون على أنه الأرض السابعة السفلى، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء وقتادة ومجاهد والضحاك وابن زيد، وروى البراء أنه عليه السلام قال: " سجين أسفل سبع أرضين " قال عطاء الخراساني: وفيها إبليس وذريته، وروى أبو هريرة أنه عليه السلام قال: " سجين جب في جهنم "وقال الكلبي ومجاهد: سجين صخرة تحت الأرض السابعة.

القول الثاني: أنه مشتق وسمي سجيناً فعيلاً من السجن، وهو الحبس والتضييق كما يقال: فسيق من الفسق، وهو قول أبي عبيدة والمبرد والزجاج، قال الواحدي: وهذا ضعيف والدليل على أن سجيناً ليس مما كانت العرب تعرفه قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ما سجين ﴾ أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وقومك. ولا أقول هذا ضعيف، فلعله إنما ذكر ذلك تعظيماً لأمر سجين. كما في قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدين ﴾ [الإنفطار: ١٧] قال صاحب «الكشاف»: والصحيح أن السجين فعيل مأخوذ من السجن، ثم إنه ههنا اسم علم منقول من صف كحاتم وهو منصرف، لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف، إذا عرفت هذا، فنقول قد ذكرنا أن الله تعالى أجرى أموراً مع عباده على ما تعارفوه من التعامل فيما بينهم وبين عظمائهم. فالجنة موصوفة بالعلو والصفاء والفسحة وحضور الملائكة المقربين، والسجين موصوف بالتسفل والظلمة والضيق وحضور الشياطين الملعونين، ولا شك أن العلو والصفاء والفسحة وحضور الملائكة المقربين، كل ذلك من صفات الكمال والعزة، وأضدادها من صفات النقص والذلة، فلما أريد وصف الكفرة وكتابهم بالذلة والحقارة، قيل: إنه في موضع التسفل والظلمة والضيق، وحضور الشياطين، ولما وصف كتاب الأبرار بالعزة قيل: إنه ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: ١٨]. و﴿ يَشْهَدُهُ المقربون ﴾ [المطففين: ٢١].

وقد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه ﴿ فِي سِجِّينٍ ﴾ ثم فسر سجيناً ب ﴿ كتاب مَّرْقُومٌ ﴾ فكأنه قيل: إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه؟ أجاب القفال: فقال قوله: ﴿ كتاب مَّرْقُومٌ ﴾ ليس تفسيراً لسجين، بل التقدير: كلا إن كتاب الفجار لفي سجين، وإن كتاب الفجار كتاب مرقوم، فيكون هذا وصفاً لكتاب الفجار بوصفين أحدهما: أنه في سجين والثاني: أنه مرقوم، ووقع قوله: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴾ فيما بين الوصفين معترضاً، والله أعلم [مفاتيح الغيب:١٦/ ٤٠٥].

وقيل: إنه كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة.

وقيل: (إن سجينا شجرة سوداء تحت الأرضين السبعة مكتوب فيها اسم كل شيطان)، قاله أبي بن كعب.

وقيل: إنها صخرة تحت الأرض السفلى يجعل كتاب الفجار تحتها، قاله الكلبي وغيره.

وأما عِلّيّون فقيل: "إنه مكان في السماء السابعة تحت العرش "[1]. رواه البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل: (إنه لوح من زبرجدة خضراء معلقة تحت العرش أعمال الأبرار فيها مكتوبة)، قاله ابن عباس.

وقيل: إنه كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة، ومؤمني الثقلين.

وقيل: (إنه سدرة المنتهى)، قاله الضحاك.

وقيل: (هو قائمة العرش اليمنى)، قاله كعب وقتادة.

وقيل: (هو ساق العرش)، قاله مقاتل. وقيل: (هو الجنة)، قاله ابن عباس أيضًا[2].

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٧٨٩، والروياني في مسنده حديث رقم: ٣٩٢.

(٢) قال الرازي: اعلم أن لأهل اللغة في لفظ ﴿ عِلِّيِّينَ ﴾ أقوالاً، ولأهل التفسير أيضاً أقوالاً، أما أهل اللغة قال أبو الفتح الموصلي: ﴿ عِلِّيِّينَ ﴾ جمع علي وهو فعيل من العلو، وقال الزجاج: إعراب هذا الاسم كإعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع، كما تقول: هذه قنسرون ورأيت قنسرين، وأما المفسرون فروي عن ابن عباس أنها السماء الرابعة، وفي رواية أخرى إنها السماء السابعة، وقال قتادة ومقاتل: هي قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة، وقال الضحاك: هي سدرة المنتهى، وقال الفراء: يعني ارتفاعاً بعد ارتفاع لا غاية له، وقال الزجاج: أعلى الأمكنة، وقال آخرون: هي مراتب عالية محفوظة بالجلالة قد عظمها الله وأعلى شأنها، وقال آخرون: عند كتاب أعمال الملائكة، وظاهر القرآن يشهد لهذا القول الأخير لأنه تعالى قال لرسوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ تنبيهاً له على أنه معلوم له، وأنه سيعرفه ثم قال: ﴿ كتاب مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ المقربون ﴾ فبين أن كتابهم في هذا الكتاب المرقوم الذي يشهده المقربون من الملائكة، فكأنه تعالى كما وكلهم باللوح المحفوظ فكذلك يوكلهم بحفظ كتب الأبرار في جملة ذلك الكتاب الذي هو أم الكتاب على وجه الإعظام له ولا يمتنع أن الحفظة إذا صعدت بكتب الأبرار فإنهم يسلمونها إلى هؤلاء المقربين فيحفظونها كما يحفظون كتب أنفسهم أو ينقلون ما في تلك لصحائف إلى ذلك الكتاب الذي وكلوا بحفظه ويصير علمهم شهادة لهؤلاء الأبرار، فلذلك يحاسبون حساباً يسيراً، لأن هؤلاء المقربين يشهدون لهم بما حفظوه من أعمالهم، وإذا كان هذا الكتاب في السماء صح قول من تأول ذلك على أنه في السماء العالية، فتتقارب الأقوال في ذلك، وإذا كان الذي ذكرناه أولى.

فصل في ذكر القبر

اعلم أن القبر أول منازل الآخرة، لحديث عثمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**". قال: وقال رسول الله صلى الله وسلم: "**ما رأيت منظرا فظيعا إلا والقبر أفظع منه**"(١).

قال الترمذي: حديث حسن، وأخرجه الحاكم، وابن ماجه، ولهذا كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى تبتل لحيته، فقيل له: تَذْكُرُ الجنة والنار ولا تبكي وتبكي من هذا !! فَسَاق لهم الحديث.

وأخرج ابن ماجه عن البراء، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى وأبكى حتى بل الثرى، ثم قال: "**يا إخواني؛ لمثل هذا فأعدوا**"(٢).

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة إلى قبر فقال: "**ما يأتي على هذا القبر يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق: يا ابن آدم، كيف نسِيتني؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الوحشة، وبيت الدود، وبيت الضيق إلا على من وسعني الله عليه؟ ثم قال عليه الصلاة والسلام: إنه روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**"(٣).

= =

واعلم أن المعتمد في تفسير هذه الآية ما بينا أن العلو والفسحة والضياء والطهارة من علامات السعادة، والسفل والضيق والظلمة من علامات الشقاوة، فلما كان المقصود من وضع كتاب الفجار في أسفل السافلين، وفي أضيق المواضع إذلال الفجار وتحقير شأنهم، كان المقصود من وضع كتاب الأبرار في أعلى عليين، وشهادة الملائكة لهم بذلك إجلالهم وتعظيم شأنهم، وفي الآية وجه آخر، وهو أن المراد من الكتاب الكتابة، فيكون المعنى أن كتابة أعمال الأبرار في عليين، ثم وصف عليين بأنه كتاب مرقوم فيه جميع أعمال الأبرار، وهو قول أبي مسلم [مفاتيح الغيب: ١٦/ ٤١٠].

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٠٨، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٦٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٤٥٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٧٠،ج ٤: ص٣٣١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٤: ص٥٦، وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين حديث رقم: ١٩٦، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ف: ج ١: ص ٤٩٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤١٩٥.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٨٦١٣.

وأخرج الترمذي نحو هذا حسنه وزاد: "فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر: مرحبا وأهلا، أما إن كنت لأحبَّ من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وُلِّيتُكَ اليوم وصرتَ إليّ فسترى صنيعي، فيتسع له مَدَّ بصره، ويفتح له باب إلى الجنة، فإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر: لا مرحبا ولا أهلا، أما كنت لأبغَضُ من يمشي على ظهري إليّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إليّ فسترى صنيعي بك، قال: فيلتئم عليه حتى يلتقي وتختلف أضلاعه "[١]. الحديث.

وأخرج أحمد، والبيهقي، وغيرهما عن جابر بن عبد الله، قال: لما دفن سعد بن معاذ رضي الله عنه سَبّح النبي صلى الله عليه وسلم، وسَبّح الناس معه طويلا، ثم كَبّر وكبر الناس معه، ثم قالوا: يا رسول الله لم سَبحت؟ قال: "لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه "[٢].

وأخرج أحمد، وابن جرير، والبيهقي، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجيا منها لنجا منها سعد بن معاذ"[٣].

وعن الحسن: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين دُفِنَ سعد بن معاذ: "إنه ضُمَّ في القبر ضمةً حتى صار مثل الشعيرة، فدعوت الله أن يفرج عنه ذلك بأنه كان لا يستبرئ من البول "[٤].

وأخرج البيهقي وغيره: أنَّ عائشة قالت: يا رسول الله؛ إنك منذ حدثتني بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس تنفعني بشيء، قال: "يا عائشة؛ إن أصوات منكر ونكير في أسماع المؤمنين كالإثمد في العين، وإن ضغطة القبر على المؤمن كالأم المشفقة، يشكو إليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزًا رفيقا، ولكن يا عائشة ويل للشاكّين في الله، كيف يضغطون في قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة "[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٦٠.

(٢) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٤٦١١، وأخرجه محمد بن إسحاق الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار حديث رقم: ١٨٦.

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٣٧٦١، وابن جرير الطبري في تهذيب الآثار حديث رقم: ٨٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان ج١/ ٣٥٨.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم:٧٠٣٤، والحاكم في المستدرك ج٣/ ٢٠٦، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٥٧٤٦.

(٥) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين حديث رقم: ٩٨.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن محمد بن صبيح، قال: (بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره ناداه بعض جيرانه من الموتى: أيها المتخلف في الدنيا بعد إخوانه؛ أما كان لك فينا معتبر؟! أما كان لك في تقدمنا إياك فكرة؟! أما رأيت وقوعنا وأنت في المهلة؟! فهلا استدركت ما فات، وتناديه بقاع الأرض: هلا اعتبرت بمن غاب من أهلك في بطني).

وأخرج الخطيب في تاريخه عن يزيد الرقاشي، قال: (بلغني أن الميت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله، ثم أنطقها الله فقالت: أيها المنفرد في حفرته؛ انقطعت عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم غيرنا).

وأخرج الديلمي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **تجهزوا لقبوركم؛ فإن القبر يقول في كل يوم سبع مرات: يابن آدم الضعيف؛ ترحم في حياتك على نفسك قبل أن تلقاني أترحم عليك** ".

فصل في ذكر سؤال منكر ونكير عليهما السلام وهما فَتَّانا القبر

قال الجلال السيوطي: قد تواترت الأحاديث بذلك من رواية أنس، والبراء، وتميم الداري، وبشير، وثوبان، وجابر، وعبد الله بن رواحة، وعبادة بن الصامت، وحذيفة، وضمرة، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وعمر، وعثمان، وعمرو بن العاص، وأبي أمامة، وأبي الدرداء، وأبي رافع، وأبي سعيد الخدري، وأبي قتادة، وأبي هريرة، وأبي موسى، وعائشة، وأسماء، انتهى.

والدليل على سؤال الملكين من الكتاب قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية، جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم "**أنها في سؤال الملكين** ". وحكى عبد الوهاب الإجماع في أن القصد به التثبيت عند المسألة إذا علمت هذا، فمذهب أهل الحق أن سؤال الملكين حق خلافا للزنادقة.

ففي مسلم عن أنس بن مالك، قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: "**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع خفق نعالهم، قال: فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال نبي الله: فيراهما جميعا**". قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، ويملأ عليه خَضِرًا إلى يوم يبعثون.

زاد البخاري: "وأما الكافر أوالمنافق فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين "[1].

وفي الترمذي وحسنه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أقبر الميت، أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، ثم يُفتح له قي قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم؟ فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتي يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا، قال: سمعت الناس يقولون شيئا فقلت مثله ما أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه "[2].

وأخرج الحاكمْ، والبيهقي، وغيرهما، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنت إذا كنت في أربعة أذرع في ذراعين، ورأيت منكرًا ونكيرًا؟ قلت: يا رسول الله؛ وما منكر ونكير؟ فقال: فتانا القبر، يبحثان الأرض بأنيابهما، ويطآن في شعورهما،

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٣٧٤ , ١٣٣٨، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٧٠، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧٥١، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٢٠٥١ , ٢٠٥٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٤٣١٢١٣ , ١٣٠٣٥ , ٠٣٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣١٢٠ , ٣١١٧، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٢١٨٩ , ٢١٨٨، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ٤: ص٨٠، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٧٠٤٧ , ٧٠٤٦، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١١٨٠، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٨٦٤ , ٨٦٣، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٢١٣٧ , ٢١٣٢، وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين حديث رقم: ١٩٠ , ١٦ , ١٤، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٦٨٧.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ١٠٧١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣١١٧، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٨٦٤، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٢١٣٧، وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين حديث رقم: ٤٤، وأخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين ج ١: ص ٢٣.

أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف، معهما مِرْزَبَّة لو اجتمع عليها أهل منى، لم يطيقوا رفعها، وهي أيسر عليهما من عصاتي هذه، فامتحناك، فإن تلويت ضرباك بها ضربة تصير بها رمادًا. قلت: يا رسول الله؛ وأنا كحالي هذه؟ قال: نعم. قال: إذا أكفيكهما "[1].

وفي "الدرة الفاخرة" للغزالي من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: يا رسول الله؛ ما أول ما يلقى الميت في قبره؟ فقال: "يا ابن مسعود؛ ما سألني عنه أحد غيرك، فأول ما يناديه ملك اسمه رومان، فيقول: يا عبد الله؛ اكتب عملك، فيقول: ليس معي دواة ولا قرطاس، ولا قلم، فيقول: هيهات؛ كفنك قرطاسك، ومدادك ريقك، وقلمك إصبعك، ثم يقطع له قطعة من كفنه، فيكتب وإن كان غير كاتب في الدنيا، ويذكر حينئذ حسناته كيوم واحد". الحديث.

وفي حديث ضمرة مرفوعًا:" فتانو القبر أربعة: منكر، ونكير، وناكر، وناكور، وسيدهم رومان ". قال ابن الجوزى: هذا الحديث لا أصل له، وضمرة تابعي[2].

وسُئِلَ شيخ الإسلام ابن حجر: هل يأتي الميت ملك اسمه رومان؟ فأجاب: أنه ورد بسند فيه لين.

قلت: والأحاديث في سؤال الملك وفي رواية سؤال الملكين قد كثرت، وفيما ذكرناه لمن وفق والله أعلم فوائد:

الأولى: قال القرطبي: جاء في رواية سؤال ملك، وفي رواية سؤال ملكين، ولا تعارض، بل ذلك بالنسبة إلى الأشخاص، فرب من يأتيه اثنان معًا، وآخر يأتيه ملك واحد. قال: ويحتمل أن يأتي اثنان معًا، ويكون السائل أحدهما.

الثانية: قال القاضي: إن من لم يدفن ممن بقى على وجه الأرض يقع لهم السؤال والعذاب، ويحجب الله أبصار المكلفين عنْ رؤية ذلك، كما حجبها عن رؤية الملائكة والشياطين، قال: وترد الحياة إلى المصلوب، ونحن لا نشعر به، كالنائم يرى في المنام العقوبة له، وأنواع الشدائد، ونحن لا نشعر، وكذلك يضيق عليه الجو كضمة القبر، ولا ينكر شيئا من ذلك من خالط

---

(١) أخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر حديث رقم:٨٧، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه حديث رقم:٦٧٣٨، والربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم:٨١٢.

(٢) أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات الكبرى ج٣/ ٢٣٤، والجورقاني في الأباطيل والمناكير حديث رقم:٢٩١، والكتاني في تنزيه الشريعة ج٢/ ٣٧٢.

الإيمان قلبه، وكذلك من تفرقت أجزاؤه، يخلق الله الحياة في بعضها أو كلها ويوجه السؤال عليها، قاله إمام الحرمين.

الثالثة: قال ابن عبد البر: لا يكون السؤال إلا لمؤمن أو منافق كان منسوبًا إلى دين الإسلام، بخلاف الكافر فإنه لا يسأل. وخالفه القرطبي، وابن القيم، وقالا: أحاديث السؤال فيها التصريح بأن الكافر والمنافق يُسألان. قال السيوطي: ما قالاه ممنوع؛ فإنه لم يجمع بينهما في شيء من الأحاديث، وإنما ورد في بعضها ذكر المنافق، وفي بعضها بدله الكافر، وهو محمول على أن المراد به المنافق.

الرابعة: قال الحكيم الترمذي: سؤال المقبور خاص بهذه الأمة. وخالفه آخرون، فقالوا: السؤال لهذه الأمة وغيرها. قال ابن عبد البر: ويدل للترمذى قوله عليه السلام: **"إن هذه الأمة تبتلى في قبورها"**[1]. وقوله: **"أوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم"**[2].

الخامسة: إنما سميا منكرًا ونكيرًا؛ لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين، ولا خلق الملائكة، ولا خلق البهائم، ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين، جعلهما الله تكرمة للمؤمنين، وهتكًا للمنافقين في البرزخ.

السادسة: قال القرطبي: إن قيل: كيف يخاطب الملكان جميع الموتى في الأماكن المتباعدة في الوقت الواحد؟ فالجواب: أن عظم جثتيهما يقتضى ذلك، فيخاطب الخلق الكثير في الجهة الواحدة في المرة الواحدة مخاطبة واحدة بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون من سواه.

قال السيوطي: ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك كما في الحفظة، قال: ثم رأيت الحليمي من أصحابنا ذهب إليه.

السابعة: سُئِلَ الحافظ ابن حجر عن الميت: إذا سُئِلَ: هل يقعد أم يسأل وهو راقد؟ فأجاب: يقعد. وسُئِلَ عن الروح: هل تلبس الجثة كما كانت؟ فأجاب: نعم. لكن ظاهر الخبر أنها تحل في نصفه الأعلى، وسُئِلَ: هل يكشف له حتى يرى النبي صلى الله عليه وسلم؟

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٧٠، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٦١٧، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٠٠٠، وابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ١٢٢.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم ٨٦، والنسائي حديث رقم: ٢٠٦٥، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٢٥٤٧٦، والدارمي في سننه حديث رقم: ١٥٢٧.

فأجاب: بأنه لم يرد في ذلك حديث، ولكن ادعاه بعض من لا يحتج به بغير مستند سوى قوله في هذا الرجل، ولا حجة فيه؛ لأن الإشارة للحاضر ذهنًا.

قال ابن القيم: الأحاديث مصرحة بإعادة الروح إلى البدن عند السؤال، لكن لا على هذه الحالة المعهودة بيننا، كما أن حياة النائم وهو حي غير حياة المستيقظ.

وقال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية: الأحاديث متواترة على عود الروح إلى البدن وقت السؤال.

وقالت طائفة: السؤال للبدن بلا روح، منهم ابن الزعفراني، وأنكره الجمهور.

وقالت طائفة: السؤال للروح بلا بدن. قاله ابن حزم، وابن عقيل، وابن الجوزى.

والصحيح قول ابن تيمية وابن القيم.

الثامنة: ذهب قوم إلى أن فتنة السؤال تتكرر سبعة أيام، وأخرج أحمد في الزهد، وأبو نعيم عن طاوس، قال: (إن الموتى يفتنون في قبورهم سبعًا، فكانوا يستحبون أن يطعم عنهم تلك الأيام). وفي رواية عبيد بن عمير زيادة: (أن المنافق يفتن أربعين صباحًا).

التاسعة: سُئِلَ ابن حجر عن الأطفال: هل يسألون؟ فأجاب: بأن الذي يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفًا. وقد جزم الشافعية بأن الطفل لا يلقن بعد الدفن، والتلقين يختص بالبالغ. ذكره النووى في الروضة وغيره، وهو دليل على أن الأطفال لا يسألون، وبذلك أفتى ابن حجر كما مر.

وحكى ابن القيم قولين للحنابلة: أحدهما: نعم يسألون؛ لحديث أنه عليه السلام صلى على صبي فقال: "اللهم قه عذاب القبر". وهذا هو الذي جزم به القرطبي، وقال به الضحاك رضى الله عنه، ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال بعضهم: يسألون عن الإقرار الأول حين أخذ الميثاق. والثاني: لا يسألون؛ لأن السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول، فيسأل: هل آمن بالرسول أو لا؟

قال النسفي في "بحر الكلام": الأنبياء والأطفال وأطفال المؤمنين ليس عليهم حساب ولا عذاب، ولا سؤال منكر ونكير.

العاشرة: فإن قيل: مقتضى قول الفتنة سبعة أيام كما مر مشروعية التلقين في الأيام السبعة، فالجواب: أن التلقين لم يثبت فيه حديث صحيح ولا حسن، بل حديثه ضعيف باتفاق المحدثين، ولهذا ذهب جمهور الأمة إلى أن التلقين بدعة، وإنما استحبه ابن الصلاح، وتبعه

النووي، وجماعات من أصحابنا الحنابلة نظرًا إلى جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ولم يرد التلقين إلا ساعة الدفن خاصة.

فصل في ذكر عذاب القبر ونعيمه

وهو ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقال الله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر:٤٦] الآية. قال عكرمة، و محمد بن كعب: (هذه الآية تدل على عذاب القبر؛ لأن الله تعالى ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك فقال: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦]).

وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [السجدة:٢١] الأدنى: عذاب القبر، والأكبر: يوم القيامة.

وقال أبو سعيد الخدري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾[طه:١٢٤]. قال: (يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويسلط عليه في قبره تسعة وتسعون تنينًا، لكل تنين سبعة رءوس تنهشه، وتخدش لحمه حتى يبعث، ولو أن تنينًا نفخ في الأرض لم تنبت زرعًا).

وأما السنة فأحاديث جمة، منها في صحيح مسلم، عن زيد بن ثابت، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا في الإشراك. فقال: إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع منه: ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن " الحديث[1].

وأخرج الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة "[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٧٠.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٣٧٩، ٦٥١٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٦٨، ٢٨٦٩.

وفي الصحيح: "أن الميت يعذب ببكاء الحي عليه "[١]. أي: أن ذلك يحزنه ويسوءه، كما في بعض التأويلات.

وفي الحديث: " يؤلم الميت في قبره ما يؤلم الحي في بيته ". وقد نهى عليه السلام عن كسر عظام الميت، ومر برجل قاعد على قبر فنهاه، وقال: "لا تؤذوا الموتى في قبورهم ". والأحاديث والأخبار والحكايات الواردة بعذاب القبر كثيرة جدًا.

وأما نعيمه: ففي الطبراني الكبير بسند رجاله ثقات، عن عبد الله بن عمر، وفيه قال عن المؤمن: " فيؤمر بقبره فيوسع له طوله سبعون، وعرضه سبعون، وينبذ فيه الريحان ويبسط فيه الحرير، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فينظر إلى مقعده في الجنة بكرة وعشيا ".

وأخرج ابن أبي شيبة، عن أبي هريرة، قال: (لا يقبض المؤمن حتى يرى البشرى، فإذا قبض نادى فليس في الدار دابة صغيرة ولا كبيرة إلا وهي تسمع صوته إلا الثقلين الجن والإنس: تعجلوا بي إلى أرحم الراحمين، فإذا وضع على سريره قال: ما أبطأ ما يمشون، فإذا أدخل في لحده أقعد فأرى مقعده من الجنة وما أعد الله له، وملء قبره من روح وريحان ومسك، فيقول: يارب قدمني، فيقال: لم يأن لك، إن لك إخوة وأخوات لما يلحقوا، ولكن نم قرير العين). قال أبو هريرة: (فوالذي نفسي بيده؛ ما نام نائم شاب طاعم ناعم، ولا فتاة نومة بأقصر ولا أحلى من نومه حتى يرفع رأسه إلى البشرى يوم القيامة).

وقال أبو حيان في تفسيره عن قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾[آل عمران:١٦٩] اختلف الناس في هذه الحياة؛ فقال قوم: معناها بقاء أرواحهم دون أجسادهم، لأنا نشاهد فسادها وفناءها.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٢٩٢، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٩٣٢، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ١٨٤٩، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٥٩٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٥٢٢٥ , ١٩٢١٦ , ٦١٤٧، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣١٣٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٢١٥، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٠٨٢ , ٢٠٧٨ , ٢٠٧٦، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٩٨٧، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ١٠: ص٥٨، ج ٤: ص٧١، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٥٩٧٤، وأخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني حديث رقم: ٣١٩.

وذهب آخرون إلى أن الشهيد حي الجسد والروح، ولا يقدح في ذلك عدم شعورنا به، فنحن نراهم على صفة الأموات وهم أحياء كما قال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾[النمل:٨٨].

وكما ترى النائم على هيئته وهو يرى في منامه ما يتنعم به أو يتألم، يؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤]. ولأنه لو كان المراد حياة الروح فقط لم يكن للشهيد مزية عن غيره، وقد يكشف الله لبعض الأولياء فيشاهد ذلك.

نقل السهيلي في "دلائل النبوة" عن بعض الصحابة: أنه حفر في مكان فانفتحت طاقة، فإذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه، وأمامه روضة خضراء، وذلك بأحد وعلم أنه من الشهداء؛ لأنه رأى في صفحة وجهه جرحًا.

وحكى اليافعي في "روض الرياحين" عن بعض الصالحين قال: حفرت قبرًا لرجل من العباد وألحدته، فبينما أنا أسوى اللحد إذ سقطت لبنة من قبر يليه فنظرت، فإذا بشيخ جالس في القبر عليه ثياب بيض تقعقع، وفي حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب، وهو يقرأ فيه، فرفع رأسه إليَّ وقال لي: قامت القيامة رحمك الله، فقلت: لا. قال: رد اللبنة إلى موضعها عافاك الله، فرددتها.

قلت: وبالجملة فالأحاديث، والأخبار، والآثار، والحكايات، والمنامات في هذا الباب مما يطول ذكرها، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بكتاب "أهوال القبور" لابن رجب، و"شرح الصدور" للجلال السيوطي، والله أعلم.

فصل في ذكر الكلام على الأرواح

اختلف العلماء هل العذاب على الروح والجسد معًا؟ أو على الروح فقط؟ المشهور أنه عليهما معًا. وفي الإحياء للغزالي: أن ابن عمر قال: إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا التراب شيئا، وإنما الأرواح هي التي تعاقب وتثاب إلى يوم القيامة.

وقال اليافعي: مذهب أهل السنة: أن أرواح الموتى ترد في بعض الأوقات من عليين أو من سجين إلى أجسادهم في قبورهم عند إرادة الله تعالى، وخصوصًا ليلة الجمعة فيجلسون ويتحدثون، وينعم أهل النعيم، ويعذب أهل العذاب. قال: وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم أو العذاب ما دامت في عليين أو سجين، وفي القبر يشترك الروح والجسد.

وفي "بحر الكلام" للنسفي: أرواح العصاة في جوف طيور سود تحت الأرض السابعة، وهى متصلة بأجسادها فتعذب الأرواح وتتألم الأجساد منه كالشمس في السماء ونورها في الأرض.

وقال ابن القيم: إن الأرواح لها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل للجسد من النعيم والعذاب ما كتب له. وحكي عن طائفة من المتكلمين: أن الأرواح تموت بموت الأجساد، ونسب هذا إلى المعتزلة، وهو مذهب الفلاسفة، زعموا: أن الأرواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين، فإذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا. وقال بهذا جماعة من فقهاء الأندلس، منهم: عبد الأعلى، والسهيلي، وأبو بكر ابن العربى.

وقد اشتد نكير العلماء لهذه المقالة حتي قال سحنون بن سعيد وغيره: هذه أقوال أهل البدع والنصوص الكثيرة الدالة على بقاء الأرواح بعد مفارقتها للأبدان ترد ذلك وتبطله، بل القرآن يرد عليهم، قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]. والذائق لا بد أن يبقى بعد المذوق، بل الصحيح أن الروح لا تفنى أصلًا، ولا عند النفخ في الصور كما سيأتي.

وقال ابن القيم: اختلف في أن الروح تموت مع البدن أم البدن وحده قولان، الصواب أنه إن أريد بذوقها الموت مفارقتها للجسد، فنعم هي ذائقة الموت بهذا الاعتبار، وإن أريد أنها تنعدم أصلًا، فلا بل هي باقية بعد خلقها بالإجماع في نعيم أو عذاب.

وقال أيضًا: علي قاعدة أهل السنة أن الروح ذات قائمة بنفسها، تصعد وتنزل، وتتصل وتنفصل، وتذهب وتجيء، وتتحرك وتسكن. وعلى هذا أكثر من مائة دليل مقررة.

وأجمع أهل السنة على أن الروح محدثة مخلوقة، ولم يخالف في ذلك إلا الزنادقة، ونسب هذا إلى أفلاطون. وقال بعضهم: إن الأرواح خلقت قبل الأجساد واستدل بحديث: "إن الله تعالى خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف".

فائدة في مستقر الأرواح بعد الموت

وذلك أقسام: أما أرواح الأنبياء عليهم السلام فهى في الجنة. قال بعضهم: هم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [الواقعة:١١-١٢] فلا شك أن أرواحهم عند الله في أعلى عليين.

وثبت في الصحيح: أن آخر كلمة تكلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته أنه قال: "اللهم الرفيق الأعلى"[١].

وقال رجل لابن مسعود: (قبض رسول الله صلي الله عليه وسلم أين هو؟ قال: في الجنة).

قال ابن القيم: فإن للروح شأنًا فتكون في الرفيق الأعلى، وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد السلام، وهي في مكانها هناك. وقد رأى صلى الله عليه وسلم موسى في السماء السادسة أو السابعة، فالروح كانت هناك في مثال البدن، ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على من يسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى. ولا تنافي بين الأمرين؛ فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل بعضهم ذلك بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض، وإن كان غير تام المطابقة من حيث أن الشعاع إنما هو عرض للشمس، وأما الروح فهي في نفسها تنزل وكذلك رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء ليلة الإسراء في السماوات. والصحيح أنه رأى فيها الأرواح في مثال الأجساد مع ورود أنهم أحياء في قبورهم يصلون. وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من صلى عليّ عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيًا بلغته"[٢]. أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة.

وقال: "إن الله وكل بقبري ملكًا أعطاه أسماء الخلائق، فلا يصلي على أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه "[٣]. أخرجه البزار والطبراني من حديث عمار بن ياسر.

هذا مع القطع بأن روحه في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء وهو الرفيق الأعلى، فثبت بهذا أن لا منافاة بين كون الروح في عليين أو الجنة أو السماء، ومع ذلك فلها بالبدن اتصال بحيث

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٠٩, ٦٣٤٨, ٤٤٣٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٤٤٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٩٠٧ , ٢٤٠٦١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٣: ص٣٨١، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم١٥٠٧ :، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٤٤٥٩، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٠٨٧، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم: ٤٩٣، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ١٥٣، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٤٩٣، وأخرجه الطبراني في الدعاء حديث رقم: ١١٠٢، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة حديث رقم: ٥٥٢، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير حديث رقم: ٤٨٠.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج٢/٢١٨، وأخرجه أيضا في حياة الأنبياء في قبورهم حديث رقم:٧٣٥.

(٣) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٤٢٥.

تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ، وإنما يستغرب هذا الكون الشاهد لهذا الكون الدنيوي الذي ليس فيه ما يشابه هذا وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير هذا المألوف في الدنيا. انتهى كلام العلامة ابن القيم.

وفي "بحر الكلام" للنسفي: أرواح الأنبياء تخرج من جسدها، ويصير مثل صورتها مثل المسك والكافور، وتكون في الجنة تأكل، وتشرب، وتنعم، وتأوى بالليل إلى قناديل معلقة تحت العرش.

وأما أرواح الشهداء: فأكثر العلماء على أنها في الجنة، وقد تكاثرت الأحاديث بذلك كحديث مسلم، وأحمد، وأبي داود، وغيرهم، أخرج مسلم عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أرواح الشهداء عند الله في حواصل طير خضر، تسرح في أنهار الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش** "[1].

وأخرج أحمد، وأبو داود، والبيهقي، عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لما أصيب أصحابكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش** "[2]. والأحاديث في ذلك كثيرة.

وروي عن مجاهد، أنه قال: (ليس الشهداء في الجنة، ولكنهم يرزقون منها).

وقال: (إنهم أحياء عند ربهم يرزقون من ثمر الجنة، ويجدون ريحها وليسوا فيها).

ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد، والطبراني، والبيهقي، وابن أبي شيبة، بسند حسن، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهَرٍ بِبَابِ الْجُنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجُنَّةِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً**"[1].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٦٦٢٤.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٢٥٢٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٣٨٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٢٩٧،ج ٢: ص٨٨، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ق: ج ٩: ص١٦٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم٢٣٣١ :، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٦٧٩، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٧٧٥، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٠١، وأخرجه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين حديث رقم: ١٢٤، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٦: ص ٢٢٨، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٢٩٢، وأخرجه ابن المنذر في تفسير القرآن حديث رقم: ١١٧٨.

وأجيب بأن هذا في عموم الشهداء، والذين في القناديل تحت العرش خواصهم. أو أن المراد بهم هنا غير شهيد المعركة كالمطعون، والمبطون، والغريق، وغيرهم ممن ورد النص بأنه شهيد أو سائر المؤمنين، فإن كل مؤمن بالله ورسله يقال فيه شهيد، كما روي عن أبي هريرة، أنه قال: (كل مؤمن صديق وشهيد. فقيل: ما تقول يا أبا هريرة؟ فقال: اقرءوا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد:١٩] الآية).

وفي حديث البراء: أنه عليه السلام قال: "مؤمنو أمتي شهداء "[٢]. ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية.

وأخرج ابن منده عن كبشة أم كلثوم، قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الروح، فوصفها صفة لكنه أبكى أهل الميت فقال: "إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مياهها، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش، يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا وآتنا ما وعدتنا "[٣]. الحديث.

قلت: هذا حديث عام في المؤمنين، ولعل المراد به خاص؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [آل عمران:١٧٠]. وقوله في الحديث: "ألحق بنا إخواننا ".

وقال القرطبي في حديث كعب: "نسمة المؤمن طائر"[٤] وهو يدل على أنها تكون طائرًا على صورته إلا أنها تكون فيه.

==

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٣٨٦، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ١٢٣، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٨٢٥، والبيهقي في شعب الإيمان ج٤/ ١٩، وابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ١٩٥٤٩.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٢: ص ٤١٤.

(٣) أخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم:٥٦٧.

(٤) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٢٠٧٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٧١، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٥٣٦٠ , ١٥٣٥١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٤٦٥٧، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٢٢١١، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٢٢٠٨، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ٨٩٧، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣١٩٥، وأخرجه الحسن بن علي الجوهري في مسنده حديث رقم: ٢١٣، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم: ٧٠٢، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٠٣.

وفي رواية عن ابن مسعود عن ابن ماجه: **"أرواح الشهداء عند الله كطير خضر"**[1]. ولفظ ابن عمر: "في صور طير بيض". وفي لفظ: **"أرواح الشهداء طير خضر"**[2].

قال القابسي: أنكر العلماء رواية في حواصل طير؛ لأنها حينئذ تكون محصورة مضيقًا عليها. ورد بأن الرواية ثابتة والتأويل محتمل، وهو أن (في) بمعنى (على)، نحو: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه:٧١] والمعنى: أن أرواحهم على طير خضراء، ولا مانع من أن تكون في الأجواف حقيقة، ويوسعها الله تعالى حتى تكون أوسع من الفضاء. ولا يخفي فساد من قال: يلزم أن يكون روحان في جسد وهو محال؛ لأن المستحيل قيام حياتين بجوهر واحد. وأما روحان في جسد فلا، كالجنين في بطن أمه، وروحه غير روحها.

والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين قيل أرواحهم في الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء يخلق لهم أجساد وهى الطير التي تكون في حواصلها؛ ليكمل بذلك نعيمها، فيكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل في سبيل الله؛ فعوضوا عنها بهذه الأجساد في البرزخ.

قال الشيخ ابن عبد السلام: الموت عبارة عن نزع الروح من الجسد، لا إلى جسد آخر، والمجاهد تنقل روحه إلى طير أخضر، فقد انتقل من جسد إلى آخر بخلاف غيره. يؤيده ما روى عن ابن عمر: (أنها تركب في جسد آخر). فهو وإن كان موقوفًا فله حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال من قبيل الرأي.

قال السيوطي: وقد رأيت له شاهدًا مرفوعًا وساق الحديث، وقال فيه: **"يهبط الله جسدًا من السماء يجعل فيه روحه ثم يصعد بها إلى الله، فما يمر بسماء من السماوات إلا شيعته الملائكة حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فإذا انتهى به وقع ساجدًا، ثم يؤمر به فيكسى سبعين حلة من الإستبرق، ثم يقال: اذهبوا به إلى إخوانه من الشهداء فاجعلوه معهم"** الحديث.

الثاني: أن الشهداء يرزقون من الجنة، وغيرهم لم يثبت في حقهم مثل ذلك. وإن جاء أنهم يعلقون في شجر الجنة، فقيل: معناه التعلق. وقيل: الأكل من الشجرة. وعلى كل تقدير، فلا يلزم مساواتهم للشهداء في كمال تنعمهم في الأكل، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٢٨٠١.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ١٦٤١، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٤١١، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ١٥٦.

وأما أرواح بقية المؤمنين فقيل: في السماء السابعة. أخرج أبو نعيم بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرواح المؤمنين في السماء السابعة ينظرون إلى منازلهم في الجنة "[١].

وأخرج أيضًا عن وهب بن منبه، قال: (إن لله في السماء السابعة دارًا يقال لها: البيضاء، تجتمع فيها أرواح المؤمنين، فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح يسألون عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم عليهم).

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن عمر: أنه عزى أسماء بابنها عبد الله بن الزبير، وجثته مصلوبة. فقال:(لا تحزني فإن الأرواح عند الله في السماء، وإنما هذه جثث).

وقيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى؛ لأنها تأوي إليها الأرواح وهي تحت العرش، فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها. نص على ذلك الإمام أحمد، فقال: (أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار). واستدل بحديث كعب بن مالك، وأم هانئ، وأبي هريرة، وأم بشر، وعبد الله بن عمرو، نحوها.

وأخرج مالك في الموطأ، وأحمد، والنسائي بسند صحيح، عن كعب بن مالك، قال: (إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه).

وأما أطفال المسلمين فالجمهور على أنهم في الجنة. وحكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك، وكذلك نص الإمام الشافعي على أنهم في الجنة. وأخرج أحمد، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " أولاد المؤمنين في جبل من الجنة يكفلهم إبراهيم وسارة حتى يردهم إلى آبائهم "[٢]. وفي حديث آخر: "كل مولود يولد في الإسلام فهو في الجنة شبعان ريان، يقول: يا رب أورد علي أبوي "[٣].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان ج١/ ٢٠٣.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٨١٢٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٤٦، والحاكم في المستدرك ج١/ ٣٨٤.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج١٠/ ١٠٥، والدارقطني في السنن حديث رقم: ٤٤٢٤. والطراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٤٦٠٣.

وأخرج سعيد بن منصور، عن مكحول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن ذراري المسلمين أرواحهم في عصافير خضر في شجر الجنة يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام"[1]. وقالت طائفة من الصحابة: (الأرواح عند الله). صح ذلك عن ابن عمر.

وأخرج ابن منده من طريق الشعبي عن حذيفة قال: (إن الأرواح موقوفة عند الرحمن تنظر توعدها حتى ينفخ فيها).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سُئِلَ عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هم؟ فقال: (صور طير بيض في ظل العرش).

وقالت طائفة: أرواح بني آدم عند أبيهم في البرزخ عن يمينه وشماله لما في الصحيحين في قصة الإسراء: "فلما فتح عَلَوْنَا السماء؛ فإذا رجل قاعد على يمينه أَسْوِدَةٌ وعلى يساره أَسْوِدَةٌ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. فقلت لجبريل: من هذا؟ قال: آدم، وهذه الأَسْوِدَةُ عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار" الحديث[2].

قال بعضهم: وعلى هذا أجمع أهل العلم، قال ابن حزم: هو قول جميع أهل الإسلام، وهو قول الله تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة:٨-٩] الآية. فلا تزال الأرواح هناك حتى يتم عددها برجوعها إلى البرزخ فتقوم الساعة.

قال بعضهم: وظاهر هذا القول يقتضى أن أرواح الكفار في السماء، وهو مخالف للقرآن والحديث: "أن السماء لا تفتح لروح الكافر".

والجواب: أنه ورد في بعض طرق الحديث ما يزيل هذا الإشكال ولفظه: "وإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته، فإذا كان روح المؤمن قال: روح طيبة اجعلوها في عليين، وإذا كان روح الكافر قال: روح خبيثة اجعلوها في سجين " الحديث[3].

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه حديث رقم: ٥١٤.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٤٩، ٣٣٤٢، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٥، وأخرجه أحمد حديث رقم: ٢٠٧٨٠، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٠٦.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٧٦.

ففي هذا أنه تعرض عليه أرواح ذريته في السماء، وأنه يؤمر بجعل الأرواح في مستقرها، فدل على أن الأرواح ليس محل استقرارها في السماء الدنيا، وزعم ابن حزم: أن الله تعالى خلق الأرواح جملة قبل الأجساد، وأنه جعلها في برزخ، وذلك البرزخ عند منقطع العناصر حيث لا ماء ولا هواء ولا نار ولا تراب، وأنه إذا خلق الأجساد أدخل فيها تلك الأرواح ثم يعيدها عند قبضها إلى ذلك البرزخ، وتعجل أرواح الأنبياء والشهداء إلى الجنة.

وقال بعض المحققين: وهذا قول لم يقله أحد من المسلمين ولا هو من جنس كلامهم، وإنما هو من جنس كلام الفلاسفة.

وقيل: إن الأرواح كلها في الصور، وقيل: إنها إذا خرجت تكون بين السماء والأرض، وقيل: (إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت). أخرجه ابن منده عن سعيد بن المسيب عن سلمان.

قال ابن القيم: (البرزخ) هو الحاجز بين الشيئين، فكأنه أراد في أرض بين الدنيا والآخرة، وقيل: (أن أرواح المؤمنين مرسلة تذهب حيث شاءت). أخرجه ابن أبي الدنيا عن مالك بن أنس.

وقالت طائفة: تجمع الأرواح بموضع من الأرض، فأرواح المؤمنين تجمع بالجابية، وقيل: ببئر زمزم، وأرواح الكفار تجمع ببئر برهوت. فالجابية: موضع بالشام، وبرهوت: باليمن، ورجح هذا القاضي أبو يعلى الحنبلي، وهو مخالف لنص الإمام أحمد: (أن أرواح الكفار في النار)، ولعل لبئر برهوت اتصالًا بجهنم في قعرها. كما روي أن تحت البحر جهنم.

وأخرج الحاكم: (أن كعب الأحبار أرسل إلى عبد الله بن عمر يسأله عن أرواح المؤمنين أين تجتمع؟ وأرواح أهل الشرك أين تجتمع؟ فقال: فأما أرواح المؤمنين فتجتمع بأريحا، وأما أرواح أهل الشرك فتجتمع بصنعاء، فصدقه كعب على ذلك).

وقيل: إن الأرواح على أفنية قبورها، وبه قال ابن وضاح وجماعة، قال ابن عبد البر: هذا أصح ما قيل. قال: وحديث السؤال، وعرض المقعد، وعذاب القبر، وزيارة القبور، والسلام عليهم وخطابهم مخاطبة الحاضر العاقل دال على ذلك.

قال ابن العربي: وهو أصح ما ذهب إليه، ووجه هذا القول قوله عليه الصلاة والسلام حين خرج إلى المقابر: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين"[1]. والسلام إنما يكون على الموجود لا على المعدوم.

وفي الصحيح أنه عليه السلام قال: "ما من أحد يمر بقبر أخيه، كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عرفه ورد عليه والسلام"[2].

وفي الصحيح: أنه عليه الصلاة والسلام نادى أهل القليب فقال له عمر في ذلك. فقال: "ما أنتم بأسمع منهم إلا أنهم لا يستطيعون أن يجيبوا"[3]. إلى غير ذلك من الأحاديث.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى. مسألة مقر الأرواح بعد الموت عظيمة لا تتلقى إلا من السمع. وقد قيل: إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة الشهداء، وغيرهم إذا لم تحبسهم كبيرة ونحوها لقوله تعالى ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٨-٨٩] ثم قال: إن أريد بقولهم هذا أنها ملازمة للقبور لا تفارقها فهو خطأ يرده الكتاب والسنة، وعرض المقعد لا يدل على أن الروح في القبر، ولا على فنائه. بل يدل على أن

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٩٧٦, ٢٥٢، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٣٢٣٧، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٢٠٣٩, ١٥٠، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٠٦, ١٥٤٦، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم٦٠ :، وأخرجه لبن حنبل في مسنده حديث رقم. ٢٤٩٤٢, ٢٤٢٧٩, ٨٦٦١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٢٤٠, ٣١٧١, ١٠٤٦، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٣٦٠، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢١٨٥ , ٥٨٢، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٨٦٥ , ٢١٧٧ , ١٤٣، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ١: ص٨٢،ج ٤: ص٧٨،ج ٤: ص٧٨، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٢٠٦، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٧٢، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٥٣٢، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٤٦١٩, ٤٥٩٣.

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ج٧/ ٦٠.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٣٧٠، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٧٦، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٢٠٧٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٣٦٢, ١١٦٠٩, ١٨٣، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٢٢١٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٨٥٧، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٤٠٥, ١٢١١، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٨٧٨، وأخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٢٢٦٤.

لها اتصالا به فصح أن يعرض عليها مقعدها فإن للروح شأنًا فتكون في الرفيق الأعلى، وهي متصلة بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها رد السلام، ثم قال: فللروح من سرعة الحركة والانتقال الذي كلمح البصر ما يقتضي خروجها من القبر إلى السماء في أدنى لحظة وشاهد ذلك روح النائم، فقد ثبت أن روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق، وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد إلى جسده في أيسر زمان، قال: فثبت بهذا ألَّا منافاة بين كون الروح في عليين أو الجنة أو السماء، وقد مر بعض كلامه في هذا فراجعه.

وقال أيضًا: لا يحكم على قول من هذه الأقوال بالصحة، ولا على غيره بالبطلان. بل الصحيح: أن الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت ولا تعارض بين الأدلة، فإن كلًّا منها وارد على فريق من الناس بحسب درجاتهم في السعادة والشقاوة، فمنها أرواح في أعلى عليين وهم الأنبياء وهم متفاوتون في منازلهم، ومنها أرواح في طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح الشهداء لا جميعهم؛ فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره كما في الحديث.

ومنهم من يكون على باب الجنة كما في حديث ابن عباس، ومنهم من يكون محبوسًا في قبره كحديث صاحب الشملة: " أنها تشتعل عليه نارًا في قبره"[1]، ومنهم من يكون محبوسًا في الأرض لم تصل روحه إلى الملأ الأعلى لكونها روحًا سفلية أرضية، والأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما أنها لا تجامعها في الدنيا.

فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأصحاب عملها والمرء مع من أحب[2]، ومنها أرواح تكون في بحر سن دم إلى غير ذلك، فليس للأرواح مستقر واحد، ومع ذلك فلها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل له من النعيم ما كتب له.

قلت: كلام ابن القيم هذا والذي قبله في غاية التحقيق، لله دره من إمام، لقد جمع فأوعى، وقد أشار الحافظ ابن حجر في فتاويه لشيء من ذلك. فقال: إن أرواح المؤمنين في عليين، وأرواح الكفار في سجين، ولكل روح اتصال بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة بل أشبه شيء به حال النائم، وإن كان هو أشد من حال النائم اتصالًا، قال: وبهذا يجمع بين ما ورد من أن مقرها في عليين أو سجين. وبين ما نقله ابن عبد البر عن الجمهور من أنها

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٧٠٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١١٨.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦١٦٨، ٦١٦٩، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٤٤.

عند أفنية قبورها، ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف، وتأوي إلى محلها في عليين أو سجين. قال: وإذا نقل الميت من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر، وكذا لو تفرقت الأجساد. انتهى.

وقال صاحب "الإفصاح": المنعم على جهات مختلفة فمنها ما هو طائر في شجر الجنة، ومنها ما هو في حواصل طير خضر، ومنها ما هو في حواصل طير بيض، ومنها ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها ما يأوي في قناديل تحت العرش، ومنها ما هو في أشخاص صور من صور الجنة، ومنها ما هو في صورة تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها ما تسرح وتتردد إلى صورتها تزورها، ومنها ما تتلقى أرواح المقبوضين، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل، ومنها ما هو في كفالة آدم، ومنها ما هو في كفالة إبراهيم.

قال القرطبي: وهو قول حسن يجمع الأخبار حتى لا تتدافع.

وقال الحكيم الترمذي: الأرواح تجول في البرزخ، فتبصر أحوال الدنيا، والملائكة تتحدث في السماء عن أحوال الآدميين، وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنان إلى حيث شاءت على أقدارهم من السعي إلى الله أيام حياتهم، والله أعلم.

فصل في ذكر زيارة القبور

وهي مستحبة لأجل الاعتبار وحصول الثواب للزائر والمزور، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن فيها بعد ذلك[1]، وقد زارت عائشة رضي الله عنها قبر أخيها عبد الرحمن رضي الله عنه، وكان ابن عمر لا يمر بقبر أحد إلا وقف وسلم عليه، وقال حاتم الأصم: (من مر بالمقابر فلم يتفكر، ولم يدع لهم، فقد خان نفسه وخانهم).

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم"**.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب حديث رقم:٩٧٩، وفيه: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، وَنَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ، وَنَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ إِلَّا فِي سِقَاءٍ، فَاشْرَبُوا فِي الْأَسْقِيَةِ كُلِّهَا وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا ".

وأخرجه الترمذي حديث رقم: ١٠٥٤، وجاء فيه: " قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْآخِرَةَ ". قَالَ: وَفِي الْبَابِ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَنَسٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأُمِّ سَلَمَةَ. قَالَ أَبُو عِيسَى: حَدِيثُ بُرَيْدَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا يَرَوْنَ بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ بَأْسًا، وَهُوَ قَوْلُ: ابْنِ الْمُبَارَكِ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاق.

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يمر بقبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام "(١).

قلت: الظاهر -والله أعلم- أنه لا ثواب للميت في رده السلام؛ لأن التكليف انقطع عنه بموته في حق نفسه، ولا يرد حصول الثواب له بدعاء الأحياء ونحوه؛ لأنه ليس من فعل نفسه حينئذ، ويستحب لمن زار المقابر أو مر بها أن يقول: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم"(٢). كما وردت بهذا الأحاديث الصحيحة، ولا يتمسح بالقبر، ولا يقبله، ولا يمسه فإن ذلك من عادة النصارى.

قال نافع: رأيت ابن عمر رضي الله عنهم مائة مرة فأكثر يجيء إلى الروضة فيقول: (السلام عليك أيها النبي صلي الله عليك وسلم، السلام على أبي بكر، السلام على أبي)، وينصرف.

وقال أبو أمامة: (رأيت أنس بن مالك أتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف بين يديه حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم علي النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف).

واعلم أن الميت يعرف زائره ويدل على ذلك الحديث الصحيح السابق، لكن اختلف العلماء في الوقت لذي يرى فيه الميت من زاره ويعرفه. فقالت الحنابلة: يعرف الميت زائره يوم الجمعة قبل طلوع الشمس.

وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة. فقيل له: لو أخرت إلى يوم الاثنين، فقال: (بلغني أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة، ويومًا قبله ويومًا بعده).

وفي أسئلة الداودي أنه قال: تنزل الأرواح يوم الجمعة وليلة الجمعة وليلة الاثنين، وتعرف ما يقال لها.

وقال الضحاك: (من زار قبرًا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة).

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٣٨٨٠، والخطيب في تاريخ بغداد ج٧/ ٥٨.

(٢) أخرجه مسم حديث رقم: ٩٧٧، وابن ماجه حديث رقم: ١٥٤٧، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٢٤٧٥.

وقال رجل من آل عاصم الجحدري: رأيت عاصمًا في منامي بعد موته بسنين، فقلت له: أليس قدمت؟ قال: بلى. فقلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الله، أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله المزني، فتبلغنا أخباركم. فقلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ فقال: هيهات؛ بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح. فقلت: هل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعم، نعلم بها عشية الجمعة، ويوم الجمعة كله، ويوم السبت إلى طلوع الشمس. فقلت: كيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: بفضل يوم الجمعة وعظمه.

قلت: هذا كله في غير النبي صلى الله عليه وسلم كما وردت بذلك الأخبار، بل الصواب إن شاء الله تعالى: أن الميت يعرف زائره كل وقت، واختاره من الحنابلة الشيخ عبد القادر الجلي قدس الله سره، وكذلك ابن القيم، وقال: الأحاديث والآثار تدل على أن الزائر متى جاء علم به المزور، وسمع كلامه، وأنس به، ورد عليه، وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم، وأنه لا توقيت في ذلك. انتهى. وهو ظاهر الحديث الصحيح السابق، والله أعلم.

قال سليمان بن سحيم: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله؛ هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: نعم، وأرد عليهم. واعلم أن الأموات ينتفعون بدعاء الأحياء لهم وبصدقتهم عنهم، كما وردت بذلك الأخبار.

أخرج البيهقي في شعب الإيمان، والديلمي، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" ما الميت في قبره إلا كالغريق المتغوث، ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو ولد أو صديق ثقة، فإذا ألحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإن الله ليدخل على أهل القبور أمثال الجبال، وإن هدايا الأحياء للأموات الاستغفار لهم "**[1].

وأخرج الطبراني عن ثوبان: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **"كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، واجعلوا زيارتكم لها صلاة عليهم واستغفارًا لهم"**[2].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن بعض السلف، قال: (رأيت أخًا لي في النوم بعد موته. فقلت: أيصل إليك دعاء الأحياء؟ قال: إي والله يترفرف مثل النور ثم نلبسه).

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم: ج٦/ ٢٠٣.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٤١٩.

وأخرج أبو نعيم، والبزار، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سبع يجري للعبد أجرها بعد موته وهو في قبره: من علم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا صالحًا يستغفر له بعد موته "(١).

وأخرج البخاري في الأدب، ومسلم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له "(٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي قلابة، قال: (أقبلت من الشام إلى البصرة، فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بالليل، ثم وضعت رأسي على قبر، فنمت ثم انتبهت فإذا بصاحب القبر يشتكي، ويقول: لقد آذيتني الليلة، ثم قال: إنكم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل، إن الركعتين اللتين ركعتهما خير من الدنيا وما فيها، ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيرًا أقرئهم منا السلام؛ فإنه يدخل علينا من دعائهم نور مثل الجبال).

وأخرج أيضًا عن بشار بن غالب، قال: رأيت رابعة العدوية في النوم وكنت كثير الدعاء لها، فقالت لي: يا بشار؛ هداياك تأتينا على أطباق من نور عليها مناديل الحرير.

وأخرج الطبراني في الأوسط، بسند ضعيف، عن أنس مرفوعًا: "أمتي أمة مرحومة، تدخل قبورها بذنوبها، وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها باستغفار المؤمنين لها "(٣).

وقد نقل غير واحد الإجماع على أن الدعاء ينفع الميت، ودليله من القرآن قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾[الحشر: ١٠] الآية.

تنبيه: اختلف العلماء في وصول ثواب القراءة للميت، فجمهور السلف على الوصول وهو مذهب الأئمة الثلاثة، وخالف في ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه في إحدى قوليه مستدلًا بقوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[النجم: ٣٩] وأجيب بأن الآية منسوخة أو

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٢٧٥٨، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٧٢٨٩.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٣٥، والترمذي حديث رقم: ١٣٧٦، وأخرجه النسائي حديث رقم: ٣٦٥١، وأبو داود حديث رقم: ٢٨٨٠، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٨٦٢٧.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ١٨٧٩.

أن ذلك كان لقوم إبراهيم وموسى خاصة، أو أن المراد بالإنسان هنا الكافر إلى غير ذلك من الأجوبة.

قلت: يلزم الإمام الشافعي حيث استدل بهذه الآية أن يقول بعدم حصول الثواب لهم والأجر بدعاء الأحياء ونحوه، مع أنه لا يمكن القول بذلك لما ورد من الأحاديث، ولا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء، لا سيما والمسلمون لم يزالوا في كل مصر يجتمعون ويقرءون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعًا.

قال القرطبي: وقد كان الشيخ ابن عبد السلام يفتي بأنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ، فلما توفي رآه بعض أصحابه في النوم فقال له: إنك تقول: لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ ويُهدي إليه، فكيف الأمر؟ فقال: كنت أقول ذلك في دار الدنيا، والآن رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى.

وقال الإمام النووي في "شرح المهذب": يستحب لزائر القبور أن يقرأ شيئا من القرآن، ويدعو لهم عقبها. نص عليه الشافعي، واتفق عليه الأصحاب، زاد في موضع آخر: وإن ختموا القرآن على القبر كان أفضل. وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ينكر ذلك أولا حيث لم يبلغه أثر، ثم رجع حين بلغه.

وفي "الإحياء" للغزالي: عن الإمام أحمد بن حنبل قال: (إذا دخلتم المقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب، و﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، والمعوذتين، واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم).

قلت: والأخبار والآثار في هذا كثيرة، والله أعلم.

الباب الخامس
في ذكر أشراط الساعة واقترابها

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾[القمر:١] وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾(١) [الأنبياء:١] لا يقال: كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه بألف عام فأكثر؟ لأنا نقول: أن الأجل إذا مضى أكثره وبقي أقله حَسُنَ أن يقال فيه: (اقترب الأجل)، فأجل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله، ولقرب قيام الساعة عند الله تعالى جعلها كغد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨] وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج:٦-٧].

وفي الترمذي وصححه، عن أنس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ"(٢) وأشار بالسبابة والوسطى، فما فضل إحداهما على الأخرى.

---

(١) قال الرازي: اعلم أن قوله تعالى: ﴿ اقترب لِلنَّاسِ حسابهم ﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: القرب لا يعقل إلا في المكان والزمان، والقرب المكاني ههنا ممتنع فتعين القرب الزماني، والمعنى اقترب للناس وقت حسابهم.

المسألة الثانية: لقائل أن يقول كيف وصف بالاقتراب، وقد عبر بعد هذا القول قريب من ستمائة عام والجواب من ثلاثة أوجه: أحدها: أنه مقترب عند الله تعالى والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعذاب وَلَن يُخْلِفَ الله وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧]. وثانيها: أن كل آت قريب وإن طالت أوقات ترقبه، وإنما البعيد هو الذي انقرض قال الشاعر:

فلا زال ما تهواه أقرب من غد ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

وثالثها: أن المعاملة إذا كانت مؤجلة إلى سنة ثم انقضى منها شهر، فإنه لا يقال اقترب الأجل أما إذا كان الماضي أكثر من الباقي فإنه يقال: اقترب الأجل، فعلى هذا الوجه قال العلماء: إن فيه دلالة على قرب القيامة، ولهذا الوجه قال عليه السلام: « بعثت أنا والساعة كهاتين » وهذا الوجه قيل إنه عليه السلام ختم به النبوة، كل ذلك لأجل أن الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي.

المسألة الثالثة: إنما ذكر تعالى هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكون أقرب إلى تلافي الذنوب والتحرر عنها خوفاً من ذلك، والله أعلم.

المسألة الرابعة: إنما لم يعين الوقت لأجل أن كتمانه أصلح، كما أن كتمان وقت الموت أصلح.[مفاتيح الغيب:١٠/ ٤٩٢].

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٠٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٥٢، وفيه: قَالَ شُعْبَةُ: وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: (كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى) فَلَا أَدْرِي أَذَكَرَهُ عَنْ أَنَسٍ أَوْ قَالَهُ قَتَادَةُ.

وحديث الصحيحين من مرفوع ابن عمر: "إنما أجلكم في من مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر إلى مغرب الشمس"(١).

وفي لفظ آخر: "إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس"(٢).

وفي الثعلبي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وقد كادت الشمس تغيب ما بقي من دنياكم فيما مضى إلا مثل ما بقي من هذه اليوم، وما ترى من الشمس إلا يسيرًا".

إذا علمت هذا فاعلم أن وقت إتيان الساعة مبهم، انفرد الله سبحانه وتعالى بعلمه وأخفاه عن عباده لأنه أصلح لهم. قال الإمام الفخر: كما أن كتمان وقت الموت أصلح لهم. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾[الأعراف:١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[لقمان:٣٤]. قال الفخر: قال المحققون السبب في إخفاء علم الساعة عن العباد أنهم إذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها، فكان ذلك أدعى للطاعة وأزجر عن المعصية.

قلت: وقد احتج كثير من العلماء على تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو من نظر، فمنهم من قال: بقى لها كذا، ومنهم من قال: يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا.

فجاء الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى ورد ذلك كله في كتاب "الكشف"، وذكر هو تقريبًا أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف أو أقل أو أزيد، وهذا أيضًا مردود لأن كل من

==

وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢١٤، وقال: وَأَشَارَ أَبُو دَاوُدَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، فَمَا فَضَّلَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٤٥٩، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٨٧١، ومالك في الموطأ برواية الشيباني حديث رقم: ١٠٠٧، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٦٣٩، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٥٨٣٨، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٢٧، وأخرجه أيضا في المعجم الأوسط حديث رقم: ٤٩٤، وأخرجه أيضا في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٢٨٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٥٧، ٧٤٦٧، ٧٥٣٣، وأخرجه أيضا في خلق أفعال العباد حديث رقم: ٦٢٣، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٦٠٩٨، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٥٤٥٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج٦/ ١١٨.

تكلم بشيء من ذلك فهو ظن وحسبان لا يقوم عليه من الوحي برهان، لكن الشارع صلوات الله وسلامه عليه ذكر لقرب قيام الساعة علامات وأشراطً، منها صغرى، ومنها كبرى، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

تنبيه: اعلم أن في مدة عمارة الأرض أقوالًا، فقيل: أنه لا يعلم مقدار عمارتها إلا الله تعالى، وهو الصحيح الذي لا شك فيه، وقيل: أن مدة عمارة الأرض سبعة آلاف سنة، وقيل غير ذلك.

أما أهل القول الأول فقالوا: لم يرد في ذلك نص من القرآن، ولم يثبت فيه حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. فالأحسن الوقف لأنه لا يعلم إلا بالتوقيف.

وأما أهل القول الثاني فهم جماعة منهم ابن عباس في رواية ابن جبير عنه، وحكى عن وهب بن منبه وحكاه المفسرون عن اليهود.

وقالت الفلاسفة: إن تدبير هذا العالم الذي نحن فيه للسنبلة، فإذا استكمل العالم قطع هذه المبسافة وقع النفاد والدثور، ثم عاد التدبير إلى الميزان فتجتمع المواد وتبدأ النشور عودًا.

قال البكري: وسلطان الحمل عندهم اثنا عشر ألف سنة، والثور أحد عشر ألف سنة، ثم كذلك على التوالي حتى تكون قسمة الحوت ألف سنة، فجميع ذلك ثمانية وسبعون ألف سنة، فإذا انصرمت هذه المدة انقضى عالم الكون والفساد.

قال: وهذا قول هرمس، وزعم أنه لم يكن في عالم الحمل والثور والجوزاء على الأرض حيوان، فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهو أم لأرض، فلما كان عالم الأسد تكونت الدواب وذوات الأربع، فلما كان عالم السنبلة تولد الإنسانان الأولان أدمانوس وحوانوس.

وزعم بعضهم: أن مدة العالم مقدار قطع الكواكب الثابتة لدرج الفلك، والكوكب منها يقطع البرج في ثلاث مائة سنة، فذلك ست وثلاثون ألف سنة وهي ألف وعشرون كوكبًا.

قلت: وما ذهب إليه هؤلاء فهو تخيلات فاسدة وتوهمات كاذبة لا دليل عليه من السنة والكتاب، ولا مستند لهم فيه إلا مجرد الرأي الفاسد المخالف للصواب، فلا عبرة بنقولهم ولا بقولهم وتعليلهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل في الأشراط الصغرى

قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد:١٨] ففي الترمذي وصححه عن أنس: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، وتكثر النساء وتقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد "[١].

وفي الترمذي أيضًا عن علي بن أبي طالب، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا فَعَلَتْ أُمَّتِي خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً حَلَّ بِهَا الْبَلَاءُ "، فَقِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: " إِذَا كَانَ الْمَغْنَمُ دُوَلًا، وَالْأَمَانَةُ مَغْنَمًا، وَالزَّكَاةُ مَغْرَمًا، وَأَطَاعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ وَعَقَّ أُمَّهُ، وَبَرَّ صَدِيقَهُ وَجَفَا أَبَاهُ، وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ فِي الْمَسَاجِدِ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلُبِسَ الْحَرِيرُ، وَاتُّخِذَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْدَ ذَلِكَ رِيحًا حَمْرَاءَ أَوْ خَسْفًا وَمَسْخًا "[٢]. وفي سنده ضعف.

وفي مرفوع أبي هريرة: "والذي بعثني بالحق؛ لا تقوم الساعة حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف، قالوا: ومتى ذلك يا نبي الله؟ قال: إذا رأيت النساء ركبن السروج، وكثرت القينات، وشُهِدَ بشهادة الزور، وشرب المصلون في آنية أهل الشرك الذهب والفضة، واستغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء ".[٣] الحديث.

وفي ابن أبي الدنيا: (أن في التوراة: ليكونن مسخ وقذف وخسف في أمة محمد في أهل القبلة باتخاذهم القينات، وضربهم بالدفوف، ولباسهم الحرير والذهب، وإذا تكافأ الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ورغبت العرب في العجم، فعند ذلك ليقذفن برجال من السماء بالحجارة يشدخون بها في طرقهم كما فُعِلَ بقوم لوط، وليمسخن آخرون قردة وخنازير كما فُعِلَ ببني إسرائيل، وليخسفن بقوم كما خسف بقارون).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٢٣١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٧٣، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٠٥، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٤٥.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٠٥، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَلَا نَعْلَمُ أَحَدًا رَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ غَيْرَ الْفَرَجِ بْنِ فَضَالَةَ، وَالْفَرَجُ بْنُ فَضَالَةَ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، وَضَعَّفَهُ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ، وَقَدْ رَوَاهُ عَنْهُ وَكِيعٌ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٤٥٥٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٣٧، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٠٦١.

وعن سالم ابن أبي الجعد: (ليأتين على الناس زمان يجتمعون فيه على باب رجل منهم ينتظرونه أن يخرج إليهم، فيخرج وقد مُسخ قردًا أو خنزيرًا، وليمرن الرجل على الرجل في حانوته يبيع، فيرجع إليه وقد مسخ قردًا أو خنزيرًا).

وعن مالك بن دينار: (بلغني أن ريحًا وظلمة تكون في آخر الزمان فيفزع الناس إلى علمائهم فيجدونهم قد مسخوا).

وفي مرفوع أبي أمامة: "يكون في أمتي فزعة فيصير الناس إلى علمائهم؛ فإذا هم قردة وخنا".

ومنها ما روي عن حذيفة: " من اقتراب الساعة إذا أمات الناس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واشتغلوا بالنساء، وباعوا الدين بالدنيا، ويكون الكذب صدقًا، والحرير لباسًا، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وائتمن الخائن، وخون الأمين، وصدق الكاذب، وكذب الصادق، وكثر القذف، وكان الأمراء والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعرفاء ظلمة، والقراء فسقة، وتكثر الخطايا، ويقل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحليت المصاحف، وصفرت المساجد، وطولت المنابر، وعطلت الحدود، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال. وحلف بغير الله، وشهد المؤمن قبل أن يستشهد، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة" الحديث.

ومنها: "ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله ناله من غباره "(١).

ومنها: إتيان الرجال بعضهم بعضًا، وإتيان النساء بعضهم بعضًا، وكشف العورات مع عدم الحياء والمبالاة بذلك، والاستهزاء بهيئة أرباب الشرع.

ومنها ما ورد: "لا تقوم الساعة حتى يتغايروا على الغلام كما يتغاير الرجلان على المرأة".

ومنها زخرفة المساجد لرواية: "ما منا من عمل بعمل قوم لوط ألا زخرفوا مساجدهم"(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٠٣٨، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٦٢٣٣، والبيهقي في السنن الكبرى ج٥/ ٢٧٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٧٤١، وأبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٥٢٥٥.

ومنها مخالطة العلماء للسلاطين لحديث: "إذا رأيتم العالم يخالط السلطان فاعلم أنه لص"[١].

ومنها ذل العرب لرواية: "إذا ذلت العرب فقد ذل الإسلام"[٢]. وورد من اقتراب الساعة هلاك العرب.

ومنها المباهاة بالمساجد لحديث: "من أشراط الساعة أن يتباهى الناس بالمساجد"[٣].
وورد: "أراكم ستشرفون مساجدكم بعدي كما شرفت اليهود كنائسها والنصارى بيعها "[٤].
وورد: "إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم "[٥].

ومنها تحلية البيوت لرواية: "إن الله لم يأمركم أن تكسوا الحجارة والطين ".

ومنها إعراض الأكابر عن الأذان وتركه للسفلة، وعدم المبالاة بها يأخذ الآخذ من حلال أو غيره.

ومنها تطويل المنارات، وكثرة الصفوف مع تباغض القلوب، واتخاذ المحاريب للمساجد، وإمارة الصبيان، ولا يسلم الرجل إلاَ على من يعرفه، ومنها عدم قسمة الميراث، وظهور الفحش، وسوء الجوار، وقطع الأرحام، ومداومة النوم والكسل، وضعف اليقين، ومنها أن يوسد الأمر إلى غير أهله، وصيرورة الحكم رشوة، وخروج إبليس في صورة عالم بالأسواق يقول: اسألوني أنا أنا، ومنها: التوسع في المعايش والملابس، إلى غير ذلك مما وردت به الأخبار والآثار والأحاديث، وحذفت من هذه الأحاديث ذكر الرواة خشية التطويل.

ومنها: رفع الأسافل لحديث: "إذا كانت الحفاة العراة رءوس الناس فذلك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذلك من أشراطها"[٦].

---

(١) ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة حديث رقم: ١٢٥٤.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ١٨٨١، وابن أبي حاتم في العلل حديث رقم: ٢٦٤٢.

(٣) أخرجه النسائي حديث رقم: ٦٨٩، وأبو داود حديث رقم: ٤٤٩، وابن ماجه حديث رقم: ٧٣٩، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١١٩٧١، والدارمي في سنه حديث رقم: ١٤٠٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٧٤٠.

(٥) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة حديث رقم: ٣٦

(٦) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٢، وابن ماجه حديث رقم: ٦٤، وابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ٢٠٩٥.

والمراد به رفع الأسافل، وهذا معنى ما في صحيح البخاري: "**إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة، قلت: يا رسول الله ما إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة** "[١].

والبهم: صغار أولاد الضأن، وقيل: صغار الحيوان مطلقاً، فإن أردنا بالبهم الضأن فهو مفتوح الباء، وإن أردنا الإبل فهو مضموم الباء.

وفي البخاري: "**إذا تطاول رعاء البُهم** "[٢]. بضم الباء، والتطاول في البنيان مكروه، وجاء في بعض الآثار ما ظاهره: أن التطاول في البنيان ممنوع إلا لحاجة.

ومنها: "**أن تلد الأمة ربتها**"[٣]، وفي رواية: "**ربها**"، وفي رواية: "**بعلها**". أما على رواية ربتها أو ربها: فللعلماء فيها أقوال:

فقيل: إنه إشارة إلى العقوق، وأن الولد يكون لأمه كالسيد الساخط لأمته.

وقيل: إشارة إلى بيع أمهات الأولاد فيملك الحرامة.

وقيل إشارة إلي كثرة التسري ورفض التزويج، فيكون الولد أرفع من أمه.

وقيل: إشارة إلى كثرة الزنا، فقد تلد الأمة وتلقي ولدها منبوذا فربما ملكها بعد وهو لا يعلم.

وأما على رواية بعلها، فقيل: المراد بالبعل: الزوج، والمعنى: أن يكثر السبي فيتزوجها وهو لا يعلم.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٩، ٦٤٩٦، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٤، والبيهقي في السنن الكبرى ج١٠/ ١١٨.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٠.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ١١، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٦١٠، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٦٩٥، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٤٩٩٠، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٦٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٣٦٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٦٨، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٧٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ١٠: ص٢٠٣، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٢٤٤٠، وأخرجه الفريابي في القدر حديث رقم: ٢٠٨، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد في: ج ١: ص١٠٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٦، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٧٨٢، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم: ٣٦٧, ٣٦٣.

وقيل: المراد به المالك، قال ابن عباس: (لم أدر ما البعل حتى رأيت أعرابيًا في يده ناقة، فقلت: لمن هذه الناقة؟ قال: أنا بعلها). أي: مالكها، وعن آخر من الأعراب أنه قال لناقة: أنا بعلها، فجعل الصبيان يقولون له: يا زوج الناقة

ومنها: كثرة الفتن، ففي مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج. قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل "**(١).

وفي الترمذي وصححه عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"بادروا بالأعمال قبل أن تروا فتنًا كقطع الليل المظلم؛ يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويصبح كافرًا ويمسي مؤمنًا، يبيع دينه بعرض دنياه "**(٢).

وفي مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: ليتني مكانه"**(٣).

وفي لفظ آخر: **"والذي نفسي بيده؛ لا تمر الدنيا - أو لا تذهب الدنيا- حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه، ويقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء"**(٤).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٩١، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٨٦١٥.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٢٠، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢١٩٥، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٢٦٢ ,٤٢٥٩، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٣٩٦١، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٨, ١٠٣٩٣١٦٥٠ ,٢٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٧٠٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣: ص٥٣١،ج ٤: ص٤٤٠، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ١٣٩، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم٣٠٩ :، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٨: ص١٩١، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٤٤١، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ٦٥٠، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٥١٥.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧١١٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٠٨، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٥٧٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٤٨٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم٦٧٠٧ :، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٩٧٥، وأخرجه الحسن بن علي الجوهري في مسنده حديث رقم: ٥٣٩، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم: ٤٨٩، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ١٧٧ , ١٧٥.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٠٩، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٣٧.

وفي الترمذي وصححه عن الزبير بن عدي، قال: دَخلنا على أنسِ بنِ مالكٍ قال فَشَكونَا إليهِ ما نَلقَى من الحجَّاجِ. فقال: "ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم"[١]. سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم.

قلت: وبالجملة فجميع العلامات الصغرى قد ظهرت في زماننا هذا ما عدا علامة أو علامتين، فالله تعالى يلطف بالمسلمين عند ظهورهما، وعند ظهور الأشراط الكبار.

فصل في ذكر الأشراط الكبرى

وهي أنواع وردت بها الأحاديث واشتهرت بين المسلمين، وقد ورد في الحديث الصحيح بيان علامات منها. فعن مسلم عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: "اطلع علينا رسول صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر، فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خُسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمين تطرد الناس إلى محشرهم"[٢]. وها أنا أذكر هذه العلامات المشهورة الصحيحة.

العلامة الأولى: طلوع الشمس من مغربها

وهو ثابت بالسنة، ففي مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا لم أنسه بعد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا منها "[٣].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٠٦٨، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٠٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٤٠٦, ١١٩٣٨، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٩٥٢، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٤٠٣٧، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٢١٢.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٥٠, ٢٩٠٤, ٢٩٠٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٤١، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٥٧١٠, ١٥٧٠٨.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٤، وأبو داود حديث رقم: ٤٣١٠، وابن ماجه حديث رقم: ٤٠٦٩، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٦٨٤٢.

وفي مسلم أيضًا عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام:١٥٨] "[1].

وفي بعض طرق البخاري: "حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها"[2] الحديث.

وفي مسلم عن أبي ذر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوما: " أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن هذه تجرى حتى تنتهى إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارجعى من حيث أتيت، فترجع، فتصبح طالعة من مطلعها حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخرج ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارجعى من حيث جئت، فترجع طالعة من مطلعها، تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهى إلى مستقرها ذلك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعى أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، فقال عليه الصلاة والسلام: ذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام:١٥٨] الآية"[3]. إلى غير ذلك من الأحاديث التى في مسلم وغيره.

وقد ذكر المحققون: أن باب التوبة يغلق بطلوع الشمس من مغربها، وهو غير الغلق بالغرغرة، فمن كان على شيء بعده استمر له ذلك فلا يتغير حاله كافرا كان أو عاصيًا، فلا يقبل إسلام الكافر، ولا توبة العاصي، ولا يكتب عمل بعد ذلك لارتفاع الصحف، وجفاف الأقلام، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة، وقد ورد في الأحاديث: "أن الله جعل للتوبة بابًا عرضه سبعون عاما "[4]. وفي بعضها: " عرض ما بين مصراعيه ما بين المشرق والمغرب، لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها "[5].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٥٩، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٨٣٩٣، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٣٨، و الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٧١١.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم:٤٦٣٥، وأبو داود حديث رقم: ٤٣١٢، وابن ماجه حديث رقم: ٤٠٦٨، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٧١٢١.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٠، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١١١١، وأبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٦٦٠١.

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٧٠، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١٧٦٢٩.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٣٨٣.

قال بعضهم: والحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم قال للنمروذ: ﴿فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وأن السحرة والمنجمة عن آخرهم ينكرون ذلك، ويقولون: هو غير كائن، فيطلعها الله يوما من المغرب ليرى المنكرين قدرته، وإن الشمس في ملكه إن شاء أطلعها من المشرق أو المغرب.

تنبيه: ذكر الحليمى أن أول الآيات الدجال، ثم نزول عيسى، ثم طلوع الشمس من مغربها، وقال الحليمي: إن الآيات أمارات الساعة إما على قربها أو حصولها، وأن من الأول: الدجال، ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، والخسوف، ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التى تحشر الناس.

وهذا معارض بحديث مسلم الصحيح الثابت عن عبد الله بن عمرو: " **أن أول الآيات طلوع الشمس من المغرب** "[1]. واستشكل حديث مسلم بأنه لو كان طلوع الشمس قبل نزول عيسى لم ينفع الكفار إيمانهم في زمانه؛ لما مر من أن باب التوبة يغلق، ولكنه ينفعهم إذا لو لم ينفعهم لما صار الدين واحدا بإسلام من أسلم منهم، وقد اضطرب كلام العلماء من المحدثين والمفسرين في الجواب عن ذلك، وفي الجمع بين الأحاديث الواردة في هذا الباب، والحاصل أنه أجيب عن ذلك بجوابين:

أحدهما للإمام البيهقي، قال: إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق، احتمل أن يكون المراد نفي قبول توبة الذين شاهدوا طلوع الشمس من مغربها، فإذا انصرفوا وتطاول الزمن وعاد بعضهم إلى الكفر عاد تكليف الإيمان بالغيب، وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسى احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث ابن عمرو آيات أخرى غير الدجال ونزول عيسى، وهذا هو المعتمد لما مر من أن باب التوبة يغلق من طلوع الشمس إلى قيام الساعة.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٤، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٣١٠، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٦٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٦٨٤٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٤٧، وأخرجه الطياليسي في مسنده حديث رقم: ٢٣٦٢، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٣٢٦، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٧١٦، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٠: ص ١٧، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٨٩٣.

الثاني: أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير العالم العلوي، وينتهى ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

وقال الحاكم: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج في ذلك اليوم أو الذي تقرب منه، والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلًا للمقصود من إغلاق باب التوبة.

قلت: وهذا كله كلام في غاية التحقيق جدير بأن يتلقى بالقبول لما فيه من التدقيق قد قرره الحفاظ الأعلام وعلماء الإسلام، والله سبحانه أعلم.

فائدة: أخرج أحمد، و نعيم بن حماد عن ابن عمر، ويرفعه: "الآيات خرزات منظومات في سلك، إذا انقطع السلك تبع بعضها بعضا "[1].

وأخرج ابن عساكر من حديث حذيفة بن أسيد، يرفعه: "بين يدي الساعة عشر آيات كالنظم في الخيط، إذا سقط منها واحدة توالت "[2].

وفي الثعلبي وغيره عن عبد الله بن عمر: (ويبقى الناس بعد طلوع الشمس من مغربها مائة وعشرين سنة).

وجاءت في رواية أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يلتقي الشيخان الكبيران، فيقول أحدهما لصاحبه: متى ولدت؟ فيقول: زمن طلعت الشمس من مغربها ".

وذكر أهل الحديث: أن تلك السنين تمر مرًا سريعًا كمقدار مرور مائة وعشرين شهرًا، أو دون ذلك. كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة يرفعه: "لا تقوم الساعة حتى تكون السنة كالشهر "[3]. الحديث.

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧٠٠٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٤٧٣، ج٤: ص٥٤٦، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٩٩٥٩.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج٢٨/ ٢٦٥.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٣٢، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٥٦٠، والداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٣٩١, ٢٤٥، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٧٩٣.

العلامة الثانية: خروج الدابة

وهو ثابت بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل:٨٢] الآية. وأما السنة فأحاديث جمة في البخاري ومسلم وغيرهما.

واختلف العلماء في صفتها، ففي حديث حذيفة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "دابة الأرض طولها ستون ذراعًا، لا يدركها طالب، ولا يفوتها هارب"[١].

وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تخرج دابة الأرض من أجياد، فيبلغ صدرها الركن اليماني، ولم يخرج ذنبها بعد، وهي دابة ذات وبر وقوائم ".

وفي حديث حذيفة يرفعه: "أول ما يبدو منها رأسها معلمة ذات وبر وريش "[٢].

وقال علي رضي الله عنه: (تخرج ثلاثة أيام، والناس ينظرون إليها فلا يخرج إلا ثلثها).

وروي: (لا يخرج إلا رأسها فيبلغ عنان السماء أو تبلغ السحاب).

وعن أبي هريرة: (أن فيها من كل لون، وما بين قرنيها فرسخ للراكب).

وقال وهب: (وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير).

وقال ابن جريج: (رأسها رأس الثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إبل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب تيس، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا بذراع آدم عليه السلام).

وقال كعب: (صوتها صوت حمار).

واختلف العلماء في موضع خروجها، ففي الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم: أنه سُئِلَ: من أين تخرج؟ فقال: "من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى"[٣]. قال الزمخشري: يعني المسجد الحرام.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٨٤، والطيالسي في مسنده حديث رقم: ١١٦٥، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٣٠٣٥، والداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٥٩٧.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ج١٨/ ١٢٥، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٥٩٧.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٨٤، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ١٦٣٥، والطبري في جامع البيان ج ١٨: ص ١٢٥.

وفي البيهقي وغيره من مرفوع أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بئس الشعب شعب أجياد". قالها مرتين أو ثلاثة، قالوا: ومما ذاك يا رسول الله؟ قال: "تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من في الخافقين "(١).

وعن بريدة يرفعه: ذهب بي رسول الله إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال عليه السلام: "تخرج الدابة من هذا الموضع"(٢).

وروي: "أنها تخرج ثلاث خرجات: تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن، ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرًا طويلًا، فبينما الناس في أعظم المساجد وأكرمها على الله تعالى، فما يهولهم إلا خروجها من بين الركنين عن يمين الخارج من المسجد، فقوم يهربون، وقوم يقفون نظارة".

وقيل: تخرج من الصفا.

روي: "بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ اضطربت الأرض تحتهم، وتحركت تحرك القنديل، وانشق الصفا مما يلي المسعى، فتخرج من الصفا".

وفي سعيد بن منصور من قول ابن عباس: (أن دابة الأرض تخرج من بعض أودية تهامة ذات زغب وريش لها أربع قوائم). الحديث.

واختلف العلماء في كلامها في قوله تعالى: ﴿ تُكَلِّمُهُم﴾ [النمل:٨٢]، قرأ العامة بالتشديد من التكليم، وقرأ أبو رجاء العطاردي (تَكْلِمُهُم) بفتح وتخفيف اللام من الكلم، وهو الجرح، أي: تسمهم، وعن أبي الجوزاء: (سألت ابن عباس عن هذه الآية ﴿تُكَلِّمُهُم﴾ أو ﴿تَكْلِمُهُم﴾؟ فقال: كل ذلك تفعل)(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٤٤٤٩، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ١٤٨٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٦٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٢٥١٣، وأبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم: ٦٦٧١.

(٣) قولُه تَعَالى: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ ﴾. قرأ أهل الكوفة بالفتح، واحتجوا بقراءة ابْنُ مَسْعُود ﴿تُكَلِّمُهُمْ بِأَنَّ النَّاسَ ﴾ بالباء فلما سقطت الباء حكمت عليها بالنَّصبِ، و " أنّ " إذا كانت فِي موضع اسم كانت فِي موضع الرَّفع والنَّصب والجرّ، لأنها تعرب كسائر الأسماء. وقرأ الباقون بالكسرِ عَلَى الاستئناف، لأنَّهم جعلوا الكلام عند قوله ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ تامًا.

وقولُه تَعَالى: ﴿ تُكَلِّمُهُمْ ﴾. اتفق القراءُ عَلَى تشديدِ اللَّام إلا ابنَ عبَّاس فإنه قرأ: ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُم دَآبَّةً من الْأَرْضِ تَكْلِمُهُمْ ﴾ مخففا، أي: تَسِمُهُم؛ تَجْرَحُهُمْ. تَقُولُ العرب: كلمتُ زيدًا أي: جَرَحْتُهُ، وكلَّمْتُهُ من

واختلف العلماء في كلامها للناس ما هو؟ فقال السدى: تكلمهم ببطلان الأديان كلها إلا دين الإسلام، وقيل: إنها تقول: يا فلان أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار، وقيل: إنها تكلم الناس بلسان عربي، فتقول: إن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي؛ لأن خروجها من الآيات، وتقول: ﴿أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨]، وقد مر أنها تصرخ ثلاث صرخات يسمعها من في الخافقين. وعن ابن عمر: (تستقبل المغرب فتصرخ ثم الشام ثم اليمن). وفي الحديث: "لها عنق مشرف يراها مَنْ بالمشرق كما يراها مَنْ بالمغرب، لها وجه كوجه إنسان، ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب، معها عصا موسى وخاتم سليمان، تنادي بأعلى صوتها: ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ [النمل:٨٢] ثم بكى عليه الصلاة والسلام". الحديث.

وأما وسمها، ففي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الحق ليجتمعون، فيقولون لهذا: يا مؤمن، ولهذا: يا كافر"[1].

وروي: " أنها تضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه، وتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وتنكت للكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه، وتكتب بين عينيه كافر، فتجلو وجه المؤمن بالعصا،وتخطم أنف الكافر بالخاتم "[2].

وعن ابن عمر: (أنها تمر بالإنسان يصلي فتقول: ما الصلاة من حاجتك، فتخطمه). وقد كثرت فيها الأحاديث والآثار فلا نطيل بذكرها، والله أعلم.

==

الكَلَامِ. وربما قيل في الجراحة: كلَّمته بالتَّشديد، ولا يقال: كلمته في الكلام بالتَّخفيف.[إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ١٦٥].

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣١٨٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧٨٧٧، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٨٦١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٨٥، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٥١١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره حديث رقم: ١٦٥٩٢، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ج١٨/ ١٢٥.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٦٦، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٧٨٧٧، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٨٩٥.

العلامة الثالثة: خروج المهدي

وقد كثرت فيه الأقوال حتى قيل: (لا مهدي إلا عيسى)، والصحيح أنه غيره، وأنه يخرج قبل نزول عيسى، وقد كثرت في خروج المهدي الروايات.

فعند ابن الإسكاف مرضيا مسندا إلى جابر: (من كذب بالدجال فقد كفر، ومن كذب بالمهدي فقد كفر). ألا ترى أن الشارع أخبر به وبشر كما ثبت ذلك بالروايات.

ففي رواية صالح، عن ابن عباس: (المهدي اسمه محمد بن عبد الله، وهو رجل ربعة مشرب بحمرة، يفرج الله به عن هذه الأمة كل كرب، ويصرف بعد له كل جور).

وفي مرفوع عمران بن حصين: أنه حين ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله؛ كيف لنا حتى نعرفه؟ قال:"هو من ولدي، كأنه من رجال بني إسرائيل، كان في وجهه الكوكب الدري في اللون، في خده الأيمن خال أسود، ابن أربعين سنة "[١]. الحديث.

وفي مرفوع ابن عباس: " ملك الأرض مؤمنان وكافران، فالمؤمنان: ذو القرنين وسليمان، والكافران: نمروذ وبخت نصر، وسيملكها خامس المهدي من أهلي "[٢].

وفي الحديث: "يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا "[٣]، وعند أبي داود: "المهدي منا أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا "[٤].

زاد أبو نعيم: " أشم الأنف، أفرق الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض عدلًا، ويفيض المال فيضًا، بكفه اليمنى خال ".

وفي مرفوع علي: "أنه كث اللحية، أكحل العينين، براق الثنايا، في وجهه خال، وفي كفه علامة ". وفي أبي داود: "مولده بالمدينة من أهل بيت النبوة ".

وفي مرفوع ابن عمرو بن العاص، عند أبي نعيم، وأبي بكر بن المقرئ، في معجمه: "يخرج المهدي من قرية يقال لها: كرعة "[٥].

---

(١) أخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٦٠٠، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ٧٤٩٥.

(٢) ذكره النقاش في فنون العجائب حديث رقم: ٨٠.

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٧٤٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٢٦، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٥٨٦, ٥٥٦, ٥٥٥، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٠٤٩, ١٠٤٨, ١٠٤٧.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٢٨٥.

(٥) أخرجه ابن المقرئ في معجمه حديث رقم: ٩٤.

وقال بعضهم: إنه يخرج من المغرب، وإنه من أجل ذلك سمي بنو إدريس أنفسهم بالمهدية، طمعًا أن يكون منهم، وأنه يرفع الجور عن الأرض، ويبلغ الإسلام المشارق والمغارب، ويفتح قسطنطينية.

قلت: وبالجملة فقد تكاثرت بحديث المهدي الروايات والآثار التي يطول ذكرها.

وقد ذكر العلماء أن أول ظهوره شابًا من المدينة، ثم يخاف على نفسه من القتل فيفر إلى مكة مختفيًا، ثم إلى الطائف، ثم يرجع إلى مكة، فيرونه بالمطاف عند الركن، فيقهرونه على المبايعة بالإمامة، ثم يتوجه للمدينة ومعه المؤمنون، فيبعث إليه السفياني جيشًا عظيمًا فيخسف الله بهم الأرض، ثم يسير إلى جهة الكوفة، ثم يعود منهزمًا من جيش السفياني، ثم يخرج الله على السفياني من أهل المشرق وزير المهدي فيستخلص من السفياني ما أخذه، ثم ينهزم السفياني إلى الشام، فيقصده المهدي فيذبحه عند عتبة بيت المقدس كما تذبح الشاة، ويغنمه ومن معه من أخواله الذين هم جنده من بني كلب، ولا أكثر من تلك الغنيمة، ثم يسير بالمؤمنين إلى المغرب مع ما أورثه الله من الغنى بعد شدة الضيق، ثم ينتهي إلى قسطنطينية فيفتحها ويخرج كنوزها، ثم يقاتل الروم، ثم الدجال ثم يلتئم الأمر لرسول الله عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء، ولا يقلد المهدي أحدًا من المجتهدين بل هو مجتهد ولا يرى بالرياء، ولا بالمداهنة، ويكون معه أهل الكهف أعوانا له، ويقع الأمن والبركة في الأرض.

وزعمت الشيعة: أنه محمد ابن الحنفية، وأنه لم يمت، وسيكون ويظهر حتى يسوق العرب بعصي واحدة.

وقال بعض العلماء: يجوز كون المهدي موجودًا الآن، وأنه لا مانع من طول عمره إلى الزمن المعهود. قال بعضهم: وفيه نظر؛ إذ لم يرد بذلك أثر.

إذا تقرر هذا فاعلم أن لخروج المهدي علامات جاءت بها الآثار والأخبار، فأول علامات وجود المهدي: كسوف القمر والشمس، ونجم الذنب والظلمة، وتحارب القبائل بذي القعدة، وسماع الصوت برمضان، وذكروا لخروج المهدي آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان على ما فيه، والشمس في النصف منه.

وقال شريك كما في أبي نعيم في "الفتن": (بلغني أن القمر قبل خروجه ينكسف مرتين برمضان)، وورد عن كعب: (يطلع نجم بالمشرق وله ذنب يضيء). وفيه عن أبي جعفر: (لا يخرج حتى تروا الظلمة).

وعن الديلمي يرفعه: "تكون هذه في رمضان توقظ النائم وتفزع اليقظان"(١). ومن وجه آخر: "يكون صوت في رمضان في نصف الشهر يصعق منها سبعون ألفا، ويعمى مثلها، ويصم مثلها، ويخرس مثلها، ويتفتق من الأبكار مثلها، وإن ذلك من جبريل "(٢).

وذكروا من أمارات خروجه أيضًا ما ورد عن علي: (لا يخرج حتي يقتل ثلث، ويموت ثلث، ويبقى ثلث).

وفي أثر ابن سيرين: (حتي يقتل من تسعة سبعة). وفي مسطر الوراق: (حتي يكفر بالله جهرًا، وحتي يبصق بعضهم علي بعض).

وفي الحديث: "لا يخرج المهدي حتي يخرج ستون كذابًا كلهم يقول: أنا نبي ".

في أثر خالد بن معدان: (يهزم السفياني الجماعة ثم يملك، ولا يخرج المهدي حتى يخسف بقرية بالغوطة تسمى حرستا).

وقال ابن المسيب: (في الفتنة قبله يكون في أولها لعب الصبيان، كلما سكنت من جانب هاجت من آخر، فلا تزال حتى حين ينادي مناد: ألا إن الأمير فلان ذلكم الأمير حقا ثلاثا، وذكروا أن النداء بالمحرم).

وفي أثر ابن المسيب: (يطلع كف من السماء وينادي. إلخ. وفي رواية أخرى له: ينادي: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]. وفي لفظ مالك ينادي: أن هذا المهدي فبايعوه).

إذا علمت هذا فاعلم أن الفتن تظهر قبل خروجه ويندرس الإسلام، ولا يبقي من أنصار الحق إلا عدة أهل بدر، يعني: الخلص، ويستولي السفياني على البلاد ويدور الأمصار والأقطار، ويحل عرى الإسلام، ويقتل أهل العلم، ويحرق المصاحف، ويخرب المساجد ونحوها، ويستبيح الحرام، ويحرم الحلال، ولا يرتدع عن الظلم، ويخرج في ستين وثلاث مائة

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥١٧، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني ٢٦٨٢.
(٢) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ٦٣٤.

ألف راكب، فينزل في الشام بدمشق فيبايعه من كلب ثلاثون ألفًا، ويبعث جيشًا إلى العراق فيقتل بالزوراء مائة ألف، وينحدرون إلى الكوفة فينهبونها.

وذكروا أن اسم السفياني: عروة بن محمد أبو عتبة. وفي "عقد الدر": هو من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان. ملعون في السماء والأرض وهو أكثر خلق الله ظلمًا. فعند ذلك يرحم الله العباد والبلاد بظهور المهدي، ويخرج براية النبي صلى الله عليه وسلم من مرا معلمة سوداء مربعة، فيها حجر لم تنشر منذ توفي صلي الله عليه وسلم.

وفي الحديث: **"لا تحشر أمتي حتى يخرج المهدي يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة، ويخرج إليه الأبدال من الشام، والنجباء من مصر، وعصائب أهل المشرق، حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الركن والمقام، ثم يتوجه إلى الشام وجبريل على مقدمته، وميكائيل على يساره، ومعه أهل الكهف أعوان له، فيفرح به أهل السماء، والأرض، والطير، والوحش، والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمتد الأنهار، وتضعف الأرض أكلها، قال: فيقدم إلى الشام فيأخذ السفياني فيذبحه تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية. قال حذيفة: يا رسول الله؛ كيف يحل قتالهم وهم يوحدون؟ قال: ياحذيفة؛ هم يومئذ على ردة يزعمون أن الخمر حلال ولا يصلون "[1].**

---

(١) أخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٥٩٧، وهو حديث طويل جاء فيه: عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " تَكُونُ وَقْعَةٌ بِالزَّوْرَاءِ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا الزَّوْرَاءُ؟ قَالَ: " مَدِينَةٌ بِالْمَشْرِقِ بَيْنَ أَنْهَارٍ يَسْكُنُهَا شِرَارُ خَلْقِ اللهِ، وَجَبَابِرَةٌ مِنْ أُمَّتِي، تُقْذَفُ بِأَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنَ الْعَذَابِ: بِالسَّيْفِ، وَخَسْفٍ، وَقَذْفٍ، وَمَسْخٍ "، وَقَالَ: " إِذَا خَرَجَتِ السُّودَانُ طَلَبَتِ الْعَرَبَ، يَنْكَشِفُونَ حَتَّى يَلْحَقُوا بِبَطْنِ الأَرْضِ أَوْ قَالَ: بِبَطْنِ الأُرْدُنِّ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ السُّفْيَانِيُّ فِي سِتِّينَ وَثَلاثِ مِائَةِ رَاكِبٍ، حَتَّى يَأْتِيَ دِمَشْقَ، فَلا يَأْتِي عَلَيْهِ شَهْرٌ حَتَّى يُبَايِعَهُ مِنْ كَلْبٍ ثَلاثُونَ أَلْفًا، فَيَبْعَثُ جَيْشًا إِلَى الْعِرَاقِ، فَيُقْتَلُ بِالزَّوْرَاءِ مِائَةُ أَلْفٍ، وَيَنْحَدِرُونَ إِلَى الْكُوفَةِ فَيَنْهَبُونَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَخْرُجُ دَابَّةٌ مِنَ الْمَشْرِقِ، يَقُودُهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، يُقَالُ لَهُ: شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ، فَيَسْتَنْقِذُ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ سَبْيِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَيَقْتُلُهُمْ، وَيَخْرُجُ جَيْشٌ آخَرُ مِنْ جُيُوشِ السُّفْيَانِيِّ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَنْهَبُونَهَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ يَسِيرُونَ إِلَى مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ بَعَثَ اللهُ. جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ، فَيَقُولُ: يَا جِبْرِيلُ عَذِّبْهُمْ فَيَضْرِبُهُمْ بِرِجْلِهِ ضَرْبَةً، فَيَخْسِفُ اللهُ. بِهِمْ فَلا يَبْقَى مِنْهُمْ إِلا رَجُلانِ، فَيَقْدَمَانِ عَلَى السُّفْيَانِيِّ فَيُخْبِرَانِهِ خَسْفَ الْجَيْشِ، فَلا يَهُولُهُ، ثُمَّ إِنَّ رِجَالا مِنْ قُرَيْشٍ يَهْرُبُونَ إِلَى قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَيَبْعَثُ السُّفْيَانِيُّ إِلَى عَظِيمِ الرُّومِ أَنِ ابْعَثْ إِلَيَّ بِهِمْ فِي الْمَجَامِعِ، قَالَ: فَيَبْعَثُ بِهِمْ إِلَيْهِ فَيَضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ بِدِمَشْقَ ". قَالَ حُذَيْفَةُ: حَتَّى إِنَّهُ يُطَافُ بِالْمَرْأَةِ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فِي الثَّوْبِ عَلَى مَجْلِسٍ مَجْلِسٍ، حَتَّى تَأْتِيَ فَخِذَ السُّفْيَانِيِّ، فَتَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْمِحْرَابِ قَاعِدٌ، فَيَقُومُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ: " وَيْحَكُمْ أَكَفَرْتُمْ بِاللهِ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ، إِنَّ هَذَا لا

وفي رواية نعيم بن مروي أبي جعفر: " يظهر المهدي بمكة عند العشاء معه راية الرسول، وقميصه وسيفه، وعلامات، ونور، وشأن، وإذا صلى العشاء نادى بأعلى صوته: أذكركم الله أيها الناس، ومقامكم بين يدي ربكم، فقد أنجز الحجة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئا، وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات القرآن، وتكونوا أعوانا على الهدى، ووزراء على التقوى، فإن الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وإني أدعوكم إلى الله ورسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء السنة، فيظهر في ثلاث مائة؛ عدة أهل بدر- أي: تقريبا- فيفتح الله له أرض الحجاز، ويبعث بجنوده إلى الآفاق، ويموت الجور وأهله، ويفتح الله على يده القسطنطينية ".

وفي الحديث: "يكون في أمتي المهدي إن طال عمره أو قصر ملك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين"[1]. وفي حديث آخر: "لا تنقضي الدنيا حتى يملك الأرض رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله جورا، يملك سبع سنين "[2].

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يكون في أمتي المهدي إن قصر عمره فسبع سنين، وإلا فثمان، وإلا فتسع سنين، تنعم أمتي في زمانه نعيما لم ينعموا مثله قط "[3]. الحديث.

==

يَحِلُّ "، فَيَقُومُ فَيَضْرِبُ عُنُقَهُ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ، وَيَقْتُلُ كُلَّ مَنْ شَايَعَهُ عَلَى ذَلِكَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ مُنَادٍ: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ قَطَعَ عَنْكُمْ مُدَّةَ الْجَبَّارِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَشْيَاعِهِمْ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَوَلاكُمْ خَيْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، فَالْحَقُوا بِهِ بِمَكَّةَ فَإِنَّهُ الْمَهْدِيُّ وَاسْمُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ "، قَالَ حُذَيْفَةُ: فَقَامَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ الْخُزَاعِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ لَنَا بِهَذَا حَتَّى نَعْرِفَهُ؟ فَقَالَ: " هُوَ رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ كِنَانَةَ مِنْ رِجَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطَوَانِيَّتَانِ، كَأَنَّ وَجْهَهُ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ فِي اللَّوْنِ، فِي خَدِّهِ الأَيْمَنِ خَالٌ أَسْوَدُ، بَيْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةٍ، فَيَخْرُجُ الأَبْدَالُ مِنَ الشَّامِ وَأَشْبَاهُهُمْ، وَيَخْرُجُ إِلَيْهِ النُّجَبَاءُ مِنْ مِصْرَ....".

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٨٦٣٤.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٢٨٢، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٣٥٦٣، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٠٦١.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٣٢، وابن ماجه حديث رقم: ٤٠٨٣، ونعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٠٤٨.

وقيل: يملك المهدي تسعا وثلاثين سنة، وقيل: ثلاثين سنة، وقيل: بقاء المهدي أربعون سنة، وعن الزهري: (يعيش المهدي أربع عشرة سنة، ثم يموت موتا). وعن علي: (يلي المهدي أمر الناس ثلاثين أو أربعين سنة).

وذكروا: أنه يسلم الأمر لروح الله عيسى عليه السلام بعد اقتداء عيسى به في صلاة الصبح مع الناس، بعد أن يقول له المهدي: تقدم يا روح الله فصل بنا. فيقول: إنكم معشر الأمة أمراء بعضكم على بعض، تقدم أنت فصل بنا. فيصلي بهم، ولا يصلي عيسى وراء المهدي غير تلك الصلاة، ثم يستمر المهدي على الصلاة وراء عيسى عليه السلام بعد تسليمه الأمر إليه، ويكون معه حتى يقتل عيسى الدجال بباب لد[1] - كما سيأتي - ثم يرجع مع سيدنا عيسى إلى بيت المقدس، فيموت المهدي، ويصلي عليه عيسى عليه السلام، ويدفنه هناك.

قلت: وللعلماء في السفياني والقحطاني والمهدي والتميمي وحروبهم كلام كثير، الله تعالى أعلم بصحته، فلا حاجة لنا بذكره إذ لم يصح من ذكر الملاحم إلا النذر اليسير، وقد أفردت المهدي برسالة مفردة فراجعها.

قال السمعاني: سمعت أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول: (ثلاث كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، وبعض التفاسير).

قال الخطيب: وهذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها؛ لعدم عدالة ناقليها وزيادات القصاص فيها.

---

(١) قال الحموي: لُد: بالضم والتشديد، وهو جمع ألدُّ والألد الشديد الخصومة. قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يدرك عيسى ابن مريم الدجال فيقتله. قال المعلى بن طريف مولى المهدي:

يا صاح إني قد حججت... وزُرتُ بيت المقدس

وأتيتُ لداً عامداً..... في عيد مَاري سرجس

فرأيتُ فيه نسوةً........ مثل الظباءِ الكُنس

ولُد اسم رملة يقتل عندها الدجال ذكره جميل في شعره فقال:

تذكَّرَ أنساً من بثينة ذا القلبُ... وبثنة ذكرَاها لذي شجن يَصْبُو

وحنت قلوصي فاستمعت لسجرها... برملة لد وهي مثنية تحبو

نسبوا إليها: أبا يعقوب بن سَيار اللُّدي حدث عن أحمد بن هشام بن عَمار الدمشقي روى عنه أبو بكر أحمد بن محمد بن عبدُوس سمع منه في حدود سنة ٣٦٠ [معجم البلدان: ٤/ ٢١].

فأما كتب الملاحم فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم والفتن المنتظرة غير أحاديث يسيرة.

وأما كتب التفسير فمن أشهرها كتاب الكلبي، ومقاتل بن سليمان، وقد قال أحمد في تفسير الكلبي: (من أوله إلى آخره كذب، قيل له: فهل النظر فيه يحل؟ قال: لا).

وأما المغازي فمن أشهرها كتاب ابن إسحاق، وكان يأخذ عن أهل الكتاب، وقال الشافعي: (كتب الواقدي كذب، وليس في المغازي أصح من مغازي موسى بن عقبة). انتهى.

فمن صحيح الملاحم قتال الروم وفتح القسطنطنية على يد المهدي، ففي مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "هل سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، فإذا قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر، سقط أحد جانبيها، ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر، سقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلونها فيغنمون، فبينما هم يقسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ، فيقولون: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون "[1].

العلامة الرابعة: خروج الدجال

مأخوذ من الدجل وهو: التغطية، وسمي الكذاب دجالًا؛ لأنه يغطي الحق بباطله، وقال ابن دريد: سمى دجالًا لأنه يغطي الحق بالكذب، وفي "التذكرة" للقرطبي: اختلف في تسمية دجالا على عشرة أقوال.

واعلم أن الدجالين كثير، ففي الترمذي وصححه عن أبي هريرة، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبًا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله"[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٢١، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٧٦، والداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٦٢٤.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٦٠٩، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٢٦، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢١٨، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٧١٨٧، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥١٥٠، والداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٤٤٢.

وفي بعض الروايات: "كلهم يكذب على الله"[١]. وفي بعضها: "يزعم أنه نبي فمن قاله فاقتلوه، ومن قتل منهم أحدًا فله الجنة "[٢].

لكن أعظم الدجالين فتنة المسيخ الدجال، ففي مسلم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب"[٣] الحديث.

وفي البخاري عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر "[٤].

وفيه أيضًا: "ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته الدجال، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإن يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه، فليس يخفي عليكم أن ربكم ليس بأعور، وأنه أعور العين اليمنى كأن عينيه عنبة طافية "[٥].

وفي مسلم: " الدجال ممسوخ العين، مكتوب بين عينيه ك ف ر، يقرؤه كل مسلم "[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٣٣٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٢٢٦، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ١٩٨١، وأخرجه الشافعي في السنن المأثورة رواية المزني حديث رقم: ٥٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٥٩٤، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٤٤٤.

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج١١/ ٤١٥.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧١٣١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٤٥، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١١٥٩٣.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٠٨, ٧١٣١, ٤٤٠٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٤٥, ٢٢٤١، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٣٢٠, ٤٣١٦، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٧٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٦٨٠, ١١٣٤٣, ٢١٤٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٢٢, ٦٧٩٦, ٦٧٨٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٣٠.

(٥) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٣١٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٦٨٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٧٨٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٣٧،ج ٤: ص٥٤٢، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٤٤٥, ١٢٠٢، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٠١٧، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٨٩٧، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٧١٨، وحنبل بن إسحاق في الفتن حديث رقم: ١٧.

(٦) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٤.

وفي ابن أبي شيبةمن مرفوع أنس: "الدجال أعور عينه اليمنى، عليها ظفرة مكتوب بين عينيه ك ف ر "(١).

وعند الحاكم والطبراني: " مطموس عينه اليسرى، والأخرى كأنها عنبة طافية، أشبه الناس به عبد العزى بن قطن "(٢).

وفي مرفوع أبي سعيد، عند ابن أبي شيبة وأحمد، وصححه الحاكم: "ما بعث نبي إلا وقد حذر قومه الدجال، وأنا أنذركموه، فوصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وعينه اليمنى عوراء جاحظة كأنها نخامة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنه كوكب دري "(٣).

وفي أبي داود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن المسيح الدجال قصير أفحج، جعد أعور، مطموس العين "(٤).

وفي مسند أبي بكر ابن أبي شيبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أما مسيخ الضلالة فرجل أجلى الجبهة، ممسوح العين اليسرى، عريض المنخر، فيه دفاء"(٥)، أي: انحناء.

وفي مسلم من حديث تميم الداري، في صفة الدجال حين رآه بالدير: "فإذا رجل أعظم إنسان رأيناه قط خلقا، وأشده وثاقًا، مجموعة يداه إلى عنقه، وما بين ركبتيه إلى كعبه بالحديد"(٦). وفيه أيضًا: "ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال"(٧).

قلت: وبالجملة فالأحاديث والأخبار في ذلك كثيرة لا تليق بهذا المختصر.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٨٤٦٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٩٢، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١١٧١٢.

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٠٢٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٤٢، وابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٨٤٧٢.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٣٢٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٢٢٥٧، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٦٨١، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم: ١٢٢٦، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٤٠٩، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٤٤٦.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٨٤٥٤.

(٦) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٥، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٣٢٥، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٦٢٧.

(٧) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٥٥٦.

تنبيه: اختلف العلماء في تعيين الدجال: فقيل إنه ليس بإنسان، وإنما هو شيطان موثق بسبعين حلقة في بعض جزائر اليمن، لا يعلم من أوثقه، أسليمان أو غيره؟ فإذا أراد الله ظهوره فك عنه كل عام حلقة، وإذا أبرز أتته أتان عرض ما بين أذنيها أربعون ذراعًا، فيضع على ظهرها منبرًا من نحاس، فيقعد عليه، ويتبعه قبائل الجن يخرجون إليه خزائن الأرض، وقيل: إنه من ولد شق الكاهن، أو هو شق نفسه أنظره الله تعالى وكانت أمه جنية عشقت أباه فأولدها، وكان الشيطان يعمل له الأعاجيب، فأخذه سليمان فحبسه بجزيرة من جزائر البحر، قال بعضهم: وهذا ليس بشيء، والذي اعتمده المحدثون بعد الخلاف الكبير أن الدجال هو: ابن صياد اليهودي(١)، الذي رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، ورآه تميم بالجزيرة مع

---

(١) جاء في صحيح البخاري الحديث رقم: ٣٠٥٥، أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ انْطَلَقَ فِي رَهْطٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مَعَ النَّبِيِّ قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ حَتَّى وَجَدُوهُ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ وَقَدْ قَارَبَ يَوْمَئِذٍ ابْنُ صَيَّادٍ يَحْتَلِمُ، فَلَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ حَتَّى ضَرَبَ النَّبِيُّ ظَهْرَهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ: " أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ، فَقَالَ: ابْنُ صَيَّادٍ لِلنَّبِيِّ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ لَهُ: النَّبِيُّ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، قَالَ النَّبِيُّ: مَاذَا تَرَى؟ قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ: يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ، قَالَ النَّبِيُّ: خُلِطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ، قَالَ النَّبِيُّ: إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيئًا، قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ هُوَ الدُّخُّ، قَالَ النَّبِيُّ: اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ النَّبِيُّ: إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ ".

وقال ابن حجر في فتح الباري ٩/ ٢٩١: قَالَ الزَّيْن بْن الْمُنِير، إِنَّمَا عَرَضَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَام عَلَى اِبْن صَيَّاد بِنَاء عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الدَّجَّال الْمُحَذَّر مِنْهُ. قُلْت: وَلَا يَتَعَيَّن ذَلِكَ، بَلْ الَّذِي يَظْهَر أَنَّ أَمْره كَانَ مُحْتَمَلًا فَأَرَادَ اِخْتِبَاره بِذَلِكَ فَإِنْ أَجَابَ غَلَبَ تَرْجِيح أَنَّهُ لَيْسَ هُوَ، وَإِنْ لَمْ يُجِبْ تَمَادِي الِاحْتِمَال، أَوْ أَرَادَ بِاسْتِنْطَاقِهِ إِظْهَار كَذِبه الْمُنَافِي لِدَعْوَى النُّبُوَّة، وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَاد أَجَابَهُ بِجَوَابٍ مُنْصِف فَقَالَ " آمَنْت بِاللَّهِ وَرُسُله ". وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: كَانَ اِبْن صَيَّاد عَلَى طَرِيقَة الْكَهَنَة يُخْبِر بِالْخَبَرِ فَيَصِحّ تَارَة وَيَفْسُد أُخْرَى، فَشَاعَ ذَلِكَ وَلَمْ يَنْزِل فِي شَأْنه وَحْي، فَأَرَادَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُلُوك طَرِيقَة يَخْتَبِر حَاله بِهَا، أَيْ فَهُوَ السَّبَب فِي اِنْطِلَاق النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ، وَقَدْ رَوَى أَحْمَد مِنْ حَدِيث جَابِر قَالَ " وَلَدَتْ اِمْرَأَة مِنْ الْيَهُود غُلَامًا مَمْسُوحَة عَيْنه، وَالْأُخْرَى طَالِعَة نَاتِئَة، فَأَشْفَقَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُون هُوَ الدَّجَّال ". وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي بَكْرَة مَرْفُوعًا " يَمْكُث أَبُو الدَّجَّال وَأُمّه ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَد لَهُمَا ثُمَّ يُولَد لَهُمَا غُلَام أَضَرّ شَيْء وَأَقَلّه مَنْفَعَة، قَالَ وَنَعَتَهُمَا فَقَالَ: أَمَّا أَبُوهُ فَطَوِيل ضَرْب اللَّحْم كَأَنَّ أَنْفه مِنْقَار، وَأَمَّا أُمّه فَرْضَاخِيَّة " أَيْ بِفَاءٍ مَفْتُوحَة وَرَاء سَاكِنَة وَبِمُعْجَمَتَيْنِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهَا ضَخْمَة طَوِيلَة الْيَدَيْنِ " قَالَ فَسَمِعْنَا بِمَوْلُودٍ بِتِلْكَ الصِّفَة، فَذَهَبْت أَنَا وَالزُّبَيْر بْن الْعَوَّام حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَبَوَيْهِ - يَعْنِي اِبْن صَيَّاد - فَإِذَا هُمَا بِتِلْكَ الصِّفَة " وَلِأَحْمَد وَالْبَزَّار مِنْ حَدِيث أَبِي ذَرّ قَالَ " بَعَثَنِي النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُمّه فَقَالَ: سَلْهَا كَمْ حَمَلَتْ بِهِ؟ فَقَالَتْ حَمَلْت بِهِ اِثْنَى عَشَر

الجساسة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه في نفر من أصحابه، فلما نظر إليه عرفه، فدعا الله سبحانه فرفعه إلى جزيرة من جزائر البحر إلى وقت خروجه، واستشكل بأن ابن صياد مات بالمدينة مسلمًا، وصلى عليه عمرو، حلف جابر أنه ليس بالدجال، وأجيب بأن ابن صياد شيطان تبدى في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان، فانتظر مع قرينه إلى الأجل المعلوم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

واسم الدجال عند اليهود: (المسيح ابن داود). قالوا: يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه البر والبحر، ويرد الملك إلينا، وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله، وكذبوا في زعمهم، وقالوا أيضًا: منا الذي البحر إلى ركبتيه، والسحاب دون رأسه، يأخذ الطير بين السماء والأرض.

وإذا تقرر ذلك فاعلم أن الدجال يخرج من أرض المشرق من أرض خرسان، ومعه اليهود من أصبهان وغيرها، وقيل: يخرج من يهودية أصبهان، وقيل: من أرض كوثي بالكوفة، وأكثر من يتبعه اليهود والنساء والأعراب.

= =

شَهْرًا، فَلَمَّا وَقَعَ صَاحَ صِيَاحَ الصَّبِيّ اِبْن شَهْر " اِنْتَهَى، فَكَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْأَصْل فِي إِرَادَة اِسْتِكْشَاف أَمْره. وقال: وَأَمَّا جَوَاب اِبْن صَيَّاد بِالدُّخِّ فَقِيلَ إِنَّهُ اِنْدَهَشَ فَلَمْ يَقَع مِنْ لَفْظ الدُّخَان إِلَّا عَلَى بَعْضه، وَحَكَى الْخَطَّابِيُّ أَنَّ الْآيَة حِينَئِذٍ كَانَتْ مَكْتُوبَة فِي يَد النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَهْتَدِ اِبْن صَيَّاد مِنْهَا إِلَّا لِهَذَا الْقَدْر النَّاقِص عَلَى طَرِيقَة الْكَهَنَة، وَلِهَذَا قَالَ لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " لَنْ تَعْدُو قَدْرك " أَيْ قَدْر مِثْلك مِنْ الْكُهَّان الَّذِينَ يَحْفَظُونَ مِنْ إِلْقَاء شَيَاطِينهمْ مَا يَحْفَظُونَهُ مُخْتَلَطًا صِدْقه بِكَذِبِهِ. وَحَكَى أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيّ أَنَّ السِّرّ فِي اِمْتِحَان النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ بِهَذِهِ الْآيَة الْإِشَارَة إِلَى أَنَّ عِيسَى ابن مَرْيَم يَقْتُل الدَّجَّال بِجَبَلِ الدُّخَان، فَأَرَادَ التَّعْرِيض، لِابْنِ الصَّيَّاد بِذَلِكَ وَاسْتَبْعَدَ الْخَطَّابِيُّ مَا تَقَدَّمَ وَصَوَّبَ أَنَّهُ أَخْبَأَ لَهُ الدُّخّ وَهُوَ نَبْت يَكُون بَيْن الْبَسَاتِين، وَسَبَب اِسْتِبْعَاده لَهُ أَنَّ الدُّخَان لَا يُخَبَّأ فِي الْيَد وَلَا الْكُمّ. ثُمَّ قَالَ: إِلَّا أَنْ يَكُون خَبَأَ لَهُ اِسْم الدُّخَان فِي ضَمِيره، وَعَلَى هَذَا فَيُقَال: كَيْف اِطَّلَعَ اِبْن صَيَّاد أَوْ شَيْطَانه عَلَى مَا فِي الضَّمِير؟ وَيُمْكِن أَنْ يُجَاب بِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُون النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحَدَّثَ مَعَ نَفْسه أَوْ أَصْحَابه بِذَلِكَ قَبْل أَنْ يَخْتَبِرهُ فَاسْتَرَقَ الشَّيْطَان ذَلِكَ أَوْ بَعْضه.

قَالَ الْعُلَمَاء: اِسْتَكْشَفَ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْره لِيُبَيِّن لِأَصْحَابِهِ تَمْوِيهه لِئَلَّا يَلْتَبِس حَاله عَلَى ضَعِيف لَمْ يَتَمَكَّن فِي الْإِسْلَام وَمُحَصَّل مَا أَجَابَ بِهِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَهُ عَلَى طَرِيق الْفَرْض وَالتَّنَزُّل: إِنْ كُنْت صَادِقًا فِي دَعْوَاك الرِّسَالَة وَلَمْ يَخْتَلِط عَلَيْك الْأَمْر آمَنْت بِك. وَإِنْ كُنْت كَاذِبًا وَخُلِطَ عَلَيْك الْأَمْر فَلَا. وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبك وَالْتِبَاس الْأَمْر عَلَيْك فَلَا تَعْدُو قَدْرك.

وعن كعب: (الدجال تلده أمه بقوص من أرض مصر، وبين مولده ومخرجه أربعون سنة). أخرجه نعيم من طريق كعب.

وفي الترمذي: (أنه يخرج من خراسان). وفي مسلم عن أنس مرفوعًا: "يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفا عليهم الطيالسة"[١].

وفي الطبراني: "يخرج الدجال من قبل أصبهان المشرق معه قوم وجوههم كالمجان "[٢].

وفي الديلمي من مرفوع علي، يرفعه: "يَخْرُجُ الدَّجَّالُ وَمَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ الْحَاكَةِ، عَلَى مُقَدَّمَتِهِ [أَشْعَرٌ مَنْ فِيهِمْ يَقُولُ: بَدْرٌ بَدْرٌ]"[٣].

وفي أثر كعب: (بمقدمة الأعور ست مائة ألف يلبسون التيجان، وخروجه من أرض المشرق).

وفي المستدرك صحيحًا، وابن عساكر من مروي ابن عمر يرفعه: "يخرج الأعور الدجال من يهودية أصبهان، ثم يخلق له عين، والأخرى كأنها كوكب ممزوجة بدم، يشوي في الشمس سمكًا، ويتناول الطير من الجو له ثلاث صيحات يسمعها أهل المشرق والمغرب "[٤].

إذا علمت هذا ففي الحديث: "أن قبل خروجه بثلاث سنين، أول سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والسنة الثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والسنة الثالثة تمسك السماء ما فيها والأرض ما فيها ويهلك كل ذي ضرس وظلف "[٥] انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٧، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٦٣٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧١٩١، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ٣٣٨.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ج١/ ٤٩٢، والكتاني في تنزيه الشريعة ج١/ ٢٥٥، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة ج١/ ٢٠١.

(٤) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٩٣١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٢٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٦٣٩، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٩٩٨٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ج٣٨/ ١٠.

(٥) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٠٣١، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٧٣٨، وأخرجه البغوي في تفسيره معالم التنزيل حديث رقم: ١٠٣٣، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٤٧٢.

وقد ورد: (أنه إذا خرج يكون معه صورة جنة ونار، ويكون ذلك على طريق التخييل لا الحقيقة، ومن أدخله جنته كانت عليه نارًا، ومن أدخله ناره كانت عليه جنة، ويكون معه جبال من خبز، أي: من أصله كالبر). ذكره الحافظ ابن حجر.

ويتسلط على كل الحبوب والأقوات حتى الفول، خلافًا لمن استثناه مدعيًا أن على رأسه ألفًا، أو مدة سوداء تشبه الألف إذ هو كلام لا أصل له، ولا يدع ماء إلا دخله ووردهُ، ويدعو الناس إلى الإيمان به، وأنه ربهم وإلههم، ويدخل البحر المالح في أعمق مكان منه فيصل إلى حقويه، فيأخذ بيده منه السمك، ويده تمتد إلى السحاب، ولا يبقى منه بلا فتنه على ما ورد إلا سبعة آلاف امرأة، واثنا عشر ألف رجل، ويقاتل المهدي بالشام بعد أن يعلم المهدي بأمره، وهو مع المسلمين. يقاتلون الروم، ثم ينزل ابن مريم والمهدي بالشام بعد أن يجمع المهدي الناس لقتاله، فتعمهم ضبابة من غمام ثم ينكشف عنهم مع الصبح، فيرون عيسى قد نزل، ويكون نزوله عند المنارة البيضاء، والناس يريدون صلاة الصبح ثم بعد الصلاة يتبعونه، وقد فر ومن معه هاربين، فيدركونه فيقتله عيسى بيده بحربتِهِ، التي نزل بها من السماء بباب لد الشرقي، وقتله بالحربة لا ينافي ذبحه بالسكين أيضًا إذ كلاهما سلاح لعيسى عليه السلام، ولا يترك عيسى ومن معه من المسلمين أحدًا من عسكر الدجال بلا قتل، فيقتلون اليهود ومن اقتدى به حتى لو تستر اليهودي بشيء أنطق الله ذلك الشيء حجرًا كان أو غيره، فيقول: تعالَ يا مسلم فإن ورائي يهوديًا فاقتله، إلا ما كان من شجر الغرقد، فإنه لا يدل على من وراءه: جاءت بذلك كله الآثار والأحاديث والأخبار وستسمع ذلك مفصلًا.

ففي مسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر، فيقول الحجر أوالشجر: يا مسلم! هذا يهودي خلفي فاقتله إلا الغرقد "**(١). وفي البخاري نحوه.

وعن ابن أبي شيبة من مرفوع عائشة، قالت: **"دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فسألني: ما يبكيك؟ فقلت: ذكرت الدجال يا رسول الله فبكيت، فقال: إن يخرج وأنا فيكم حي كفيتموه، وإن يخرج بعدي فإنْ ربكم ليس بأعور، وأنه يخرج في يهودية أصبهان**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٢٩٢٦، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٢٤، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٤٧٦، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٤٤٩.

حتى يأتي المدينة، فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام؛ مدينة بفلسطين بباب لد، فينزل ابن مريم فيقتله، ثم يمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلًا مقسطًا "[١].

وفي مسلم عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من بلد إلا سَيَطَؤُهُ الدجال إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين تحرسها، فينزل بِالسَّبْخَةِ فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه منها كل كافر وكل منافق "[٢].

وفي البخاري: "فلا يقربها الدجال ولا الطاعون "[٣]. وورد أيضًا: "أنه يبلغ كل منهل إلا أربعة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى، ومسجد الطور، فيقتل وهو قاصد لبيت المقدس "[٤]. كما سيأتي.

وفي مرفوع ابن مسعود، عند نعيم في الفتن، وهو عند الحاكم وقد ضعفه: "بين أذني الدجال أربعون ذراعًا، وخطو حماره ثلاثة أيام، يخوض البحر كما يخوض أحدكم الساقية، ويقول: أنا رب الغافلين، وهذه الشمس تجري بإذني، أتريدون أن أحبسها؟ فيحبس الشمس حتى يجعل اليوم كالشهر، واليوم كالجمعة. ويقول: أتريدون أن أسيرها لكم، فيقولون: نعم. فيجعل اليوم كالساعة "[٥]. الحديث.

وجاء أيضًا عن الإمام أحمد، وابن خزيمة، وأبي يعلى، والحاكم، وأيضًا من مروي جابر، مرفوعًا: "يخرج الدجال في خفقة من الدين، وإدبار من العلم، فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسنة، واليوم كالشهر، واليوم كالجمعة، وسائر أيامه كأيامكم هذه، وله حمار يركبه، عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعًا، فيقول للناس: أنا ربكم. وهو أعور، وإن ربكم

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٨٤٧٠، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم:٦٨٨.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٨٨١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٠٣، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٦٣٩ , ٦٣٢، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٠٣٨، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في صفة النفاق ونعت المنافقين حديث رقم: ١٤٤.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧١٣٤ من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٥٧١.

(٥) أخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٥٢٠.

ليس بأعور، مكتوب بين عينيه (كـ فـ ر) مهجاه يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب، يرد كل ماء ومنهل، إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه، وقامت الملائكة على أبوابها، ومعه جبال من خبز، والناس جياع، والناس في جهد إلا من اتبعه، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول: الجنة، ونهر يقول: النار، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهي النار، ومن أدخل الذي يسميه النار فهي الجنة "[١] الحديث.

وفي المستدرك صحيحًا: " له حمار ما بين أذنيه أربعون ذراعاً، يمكث أربعين عامًا، فيطأ كل منهل في كل سبعة أيام، يسير معه جبلان أحدهما فيه أشجار وثمار، وأحدهما فيه دخان ونار. يقول: هذه الجنة، وهذه النار"[٢]. وورد: "أن خطوة حماره مسيرة ثلاثة أيام، وأنه لا يسخر له من الدواب إلا الحمار".

وفي مسلم عن المغيرة بن شعبة، قال: قلت: يا رسول الله؛ إنهم يقولون معه الطعام والأنهار، قال:"هو أهون على الله من ذلك"[٣].

وفي مسلم أيضًا عن حذيفة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الدجال: "أن معه نارًا وماء، فناره ماء بارد، وماؤه نار، فلا تهلكوا "[٤].

وذكر الحافظ ابن حجر سير الدجال في الأرض ومجيئه دمشق عند بابها الشرقي، وأمره السحاب بالمطر فيمطر، والنهر أن يسيل فيسيل إليه، وأن يرجع فيرجع، وأن ييبس فييبس، ويأمر جبل سيناء وجبل زيتا أن ينفطها، ويثير الريح سحابًا من البحر تمر الأرض بأمره، ويخوض في البحر ثلاث خوضات في اليوم فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد، الحديث بطوله في الحاكم، وفي مسند أبي داود الطيالسي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن مع الدجال ملكين يشبهان نبيين

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٤٥٣٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٣٠.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧١٢٢، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٢, ٢٩٤١, ٢١٥٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٧٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٠٠, ٦٧٨٢، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٢٢٨٦، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٥٤٥، وأخرجه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح الكافي حديث رقم: ٥٧٩.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٦، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٢٢٨٧٢، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٨٢٣.

من الأنبياء أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، فيقول: ألست بربكم أحيي وأميت؟ فيقول أحدهما: كذبت، فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه، ويقول الآخر: صدقت، وذلك فتنة"[1].

وفي مرفوع جابر عند الحاكم: "ما كانت ولا تكون فتنة حتى تقوم الساعة أعظم من فتنة الدجال، وما من نبي إلا وقد حذر قومه الدجال ". الحديث.

وعند ابن أبي شيبة من قول ابن مسعود، وفيه طول: (وإن قومًا لا يصحبونه إلا للأكل من الطعام والشراب، ويقولون: إنا نعلم أنه كذاب، وأنه إذ نزل غضب الله نزل عليهم كلهم).

وفي مسلم من حديث النواس بن سمعان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن لبث الدجال في الأرض أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله؛ أفي ذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له"[2]. الحديث.

قال بعضهم: وعلى قياس الصلاة تقدير وقت الصوم، والحج للعمرة، وحول نصاب الزكاة، وقد ثبت: (أن الله تعالى لا يسلط الدجال بالقتل على أحد إلا على رجل واحد؛ يخرج إليه ذلك الرجل وهو شاب حسن، فيقول له الدجال: أتؤمن بي وبألوهيتي؟ فيقول له: إنك اللعين الكذاب – أو الدجال – فيقتله ويشقه نصفين، ويمشي الدجال بحماره بين الشقين، ويقول له: قم حيًا بإذني، فيعود حيًا، ثم يقول له بعد ذلك: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا يقينا إنك اللعين الدجال).

قال إبراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم في مسلم: أنه الخضر، قال بعضهم: لأن ذلك الراوي إبراهيم أبو إسحاق السبيعي كما توهم القرطبي.

وفي مسلم من حديث النواس بن سمعان: "قلنا: يا رسول الله؛ ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله؛ فذلك اليوم الذي كسنة، أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له. قلنا: يا رسول الله؛ وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث اشتد به الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٩٠، وأخرجه الطيالسي حديث رقم: ١٢٠٢.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٩، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٣٢١.

ويستجيبون له، فيأمر بالسماء فتمطر لهم، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا، وأشبعه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي ما فيك من كنز، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل. ثم يدعو رجلًا ممتلئا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل يتهلل وجهه، ويضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطرّ، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله " الحديث.

وفي رواية الإمام أحمد، ومسلم، من حديث ابن عمرو، يرفعه: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين يومًا، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيطلبه فيهلكه"[١].

وفي مسند أحمد من مروي جابر مرفوعًا، وفيه قال عن الدجال: "ومعه فتنة عظيمة، يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس، ويقتل نفسًا ثم يحييها لا تسلط على غيرها من الناس، فيقول للناس: أيها الناس؛ هل يفعل مثل هذا إلا الرب؟ فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم فيحصرهم فيشتد حصارهم، ويجهدهم جهدًا شديدًا، ثم ينزل عيسى عليه السلام فينادي من السحر، فيقول: يأيها الناس؛ ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني، فينطلقون، فإذا هم بعيسى عليه السلام فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه، فحين يراه الكذاب ينماث[٢] كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى أن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله؛ هذا يهودي، فلا يترك ممن كان تبعه أحدًا إلا قتله "[١].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٣، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم:٦٥١٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٥٣.

(٢) ينماث: ميث: ماثَ الشيءَ مَيْثًا: مَرَسَه. وماثَ المِلحَ في الماء: أذابه؛ وكذلك الطين، وقد انماثَ. الليث: ماث يُميثُ مَيْثًا: أذابَ الملح في الماء حتى امَّاثَ امِّياثًا. وكلُّ شيءٍ مَرَسته في الماء فذاب فيه، من زعفرانٍ وتمرٍ وزبيبٍ وأَقِط، فقد مِثْتَه ومَيَّثْتَه. وأَماث الرجلُ لنفسه أَقِطًا إِذا مَرَسْتَه في الماء وشرِبْتَه؛ وقال رؤبة:

فَقُلْتُ، إِذا أَعْيا امْتِياثًا مائِثُ ... وطاحتِ الأَلْبانُ والْعَبائِثُ

وفي "التذكرة": "فيصلى بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام: افتحوا الباب، فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلا، فإذا نظر إليه الدجال ومعه سبعون ألف يهودي ذاب كما يذوب الملح في الماء، وانطلق هاربًا، فيقول عيسى عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله ". الحديث.

العلامة الخامسة: نزول عيسى بن مريم عليه السلام

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء:١٥٩] أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان حتى تكون الملة واحدة ملة إبراهيم حنيفًا، ونوزع في الاستدلال بهذه الآية، وإن الضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ لليهودي المحتضر، يؤيد هذا قراءة أُبَي قبل موتهم، قيل لابن عباس: (أرأيت لو خر ذلك الميت من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهواء. فقيل له: أرأيت إن ضرب عنق أحدهم؟ قال: يتلجلج بلسانه).

واستدل بعض العلماء علي نزوله بقوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران:٤٦]، قال: المراد بكونه كهلًا بعد نزوله من السماء، لأنه رفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وذلك قبل الكهولية، ورد بأن ابن ثلاثين يسمى كهلًا، وأما السنة فلا نزاع فيها وقد وردت بذلك روايات عديدة في البخاري ومسلم وغيرهما. وأما الإجماع فقد اجتمعت الأمة على نزوله، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة وأجمعوا على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية، وليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت صفة نبوته قائمة به، ويتسلم الأمر من المهدي ويكون المهدي مع أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي من جملة أتباعه، ويصلي عيسى وراء المهدي صلاة الصبح، وذلك لا يقدح في قدر نبوته، ويسلم المهدي لعيسى الأمر، وكل ما معه من تابوت بني

= =

يقول: لو أعياه المَريضُ من التمر والأقِط فلم يجد شيئًا يمتاثُه ويشرب ماءه، فيتبلغ به لقلة الشيء وعَوَزِ المأكول. ابن السكيت: ماث الشيءَ يموثُه ويَميثُه، لغة، إذا دافَه. الجوهري: مِثْتُ الشيءَ في الماء أَميثه لغة في مُثْتُه إذا دُثْتَه فيه. وفي حديث أبي أُسَيد: فلما فرغ من الطعام أماثَتْه فسقته إياه؛ قال ابن الأثير: هكذا روى أماثَتْه، والمعروف ماثَتْه. وفي حديث عليّ: اللهمَّ مِثْ قلوبَهم، كما يُماثُ الملح في الماء. والمَيْثاءُ: الأَرضُ الليِّنةُ من غير رمل وكذلك الدَّمِثَة؛ وفي الصحاح: المَيْثاء الأَرض السَّهلة، والجمع مِيثٌ.[لسان العرب:ميث].

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٤٥٣٧.

إسرائيل، ويقتل الدجال كما مر، ويموت المهدي ببيت المقدس، وينتظم الأمر كله لعيسى عليه السلام، فيستولي على سائر البلاد.

وسُمِي المسيح لأنه يمسح الأرض، أي: يقطعها. قاله ثعلب. قال في "التذكرة" عن عيسى: إنه تارة بالشام، وتارة بمصر، وتارة على سواحل البحار، وفي المهامة والقفار. والمسيح الدجال، كذلك فسمي عيسى والدجال بذلك لجولانهما في الأرض، وقيل: سُمِي عيسى المسيح، لأنه يلبس المسيح من الشعر، أو لأنه مسيح القدمين، أو لأنه خرج من بطن أمه كأنه ممسوح الرأس، أو لأنه مسح عند ولادته بالدهن، أو لمسح زكريا إياه، أو لحسن وجهه، لأن المسيح في اللغة: الجميل الوجه، وقيل غير ذلك إلى أربعين قولًا، ذكرها الحافظ ابن حجر.

وأما زمانه عليه السلام، فزمان خير وبركة، فيقع في زمنه من الأمن ونماء الرزق وكثرة البركة ما هو أعظم من زمن المهدي بأضعاف مضاعفة، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة.

ففي مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "لينزلن ابن مريم حكمًا عدلًا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد، وأنه ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا كفه على أجنحة ملكين، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه حيث ينتهي طرفه "[١].

وفيه أيضًا: "أنه يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها"[٢]. الحديث.

وفي الصحيح عن عيسى: "أنه خليفة على أمتي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه ربعة - وفي لفظ: رجل مربوع - إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان كأن رأسه يقطر ماء، وأنه لم يصبه بلل، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهدم الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٥٥، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٣١٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٥٨.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٩، وابن ماجه حديث رقم: ٤٠٧٥، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١٧١٧٧.

حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات، فلا تضرهم فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفي ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه". الحديث.

ومما جاء صحيحًا بلفظ: "أن عيسى نازل فيكم، وأنه خليفتي عليكم، فمن أدركه فليُقرئ له سلامي، فإنه يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويحج في سبعين ألفًا فيهم أصحاب الكهف، ويتزوج امرأة من يزد، ويذهب البغضاء والتحاسد، وتعود الأرض إلى هيئتها على عهد آدم عليه السلام حتي يترك القلاص ترعى، فلا يسعي عليها أحد، وترعى الغنم مع الذئب، ويلعب الصبيان بالحيات فلا تضرهم، ويلقي الله البركة في الأرض في زمانه حتى لا تقرض فأرة جرابًا، وحتى يدعى الرجل إلى المال فلا يقبله وتشبع الرمانة أهل المسكن ".

وورد أيضًا: "أن الرمانة تغلب العشرة أكلا، وكذا القطف من العنب، ويفيض المال ".

وفي مرفوع أبي هريرة عند أحمد، وابن جرير، بلفظ: "ينزل ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصليب، وتجتمع له الصلاة، ويعطي المال لا يقبل، ويوضع الخراج، وينزل الروحاء فيحج منها ويعتمر "[1].

وفي مرفوع أبي هريرة أيضًا عند أحمد والطبراني: "إلا أن عيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول، إلا أنه خليفتي في أمتي من بعدي، إلا أنه يقتل الدجال، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها، إلا من أدركه مسلمًا فليقرأ عليه السلام "[2]. وبالجملة فالأحاديث في مثل هذا كثيرة.

وأما عمره عليه السلام: ففي بعض الروايات: أنه يمكث أربعين سنة. وورد: أنه يمكث بعد قتل الدجال أربعين سنة.

وفي رواية الإمام أحمد، ومسلم، من حديث ابن عمر، يرفعه: "يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود الثقفي، فيطلبه فيهكله، يمكث الناس سبع سنين ليس بين الناس عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه"[3]. الحديث.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٧٨٤٣، والبيهقي في السنن الكبرى ج٦/ ١٠١.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٩٠١٧، والطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٠٣٧.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٣، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٤٩٢٩.

قال الحافظ السيوطي: قد كنت أفتيت بأن ابن مريم يمكث في الأرض بعد نزوله سبع سنين، واستمريت على ذلك مدة من الزمان، حتى رأيت البيهقي اعتمد مكثه في الأرض أربعين سنة معتمدًا ما أفاده الإمام أحمد في روايته بلفظ: "**ثم يمكث ابن مريم في الأرض أربعين سنة بعد قتله الدجال** ".

وهذا هو المرجع لأن زيادة الثقة يحتج بها، ولأنهم يأخذون برواية الأكثر، ويقدمونها على رواية الأقل فإن معه من زيادة العلم، ولأنه مثبت والمثبت مقدم.

وفي الزهد لأحمد: " **يمكث ابن مريم أربعين سنة في الأرض، لو يقول للبطحاء: سيلي عسلا، لسالته**". وفي تاريخ البخاري، كالطبراني. "**يدفن ابن مريم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فيكون قبره رابعًا** ".

وفي المواهب القسطلانية: يبقى في البيت موضع قبر يدفن فيه عيسى بن مريم ويكون قبره الرابع.

وفي المنتظم لابن الجوزى، عن ابن عمر: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "**ينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد له** "[1].

ذكر بعضهم ولدين: أحدهما موسى والآخر محمد، وأن أمهما من يزد، وقال: "**ويمكث خمسًا وأربعين سنة، ثم يموت فيدفن معي في قبري، فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين يدي أبي بكر وعمر** ".

قال بعض مشايخنا: وذكر رابع القبور، ولا ينافي "**معي في قبرى** " لشدة القرب؛ إذ هو لقربه كأنه معه أو بتقدير: (في جانب قبرى) لينطبق الكلام ويتسق، انتهى والله أعلم.

العلامة السادسة: خروج يأجوج ومأجوج

وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وأما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء:٩٦] الآية.

وأما السنة ففي صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان مرفوعًا: "**أن الله تعالى يوحي إلى عيسى عليه السلام بعد قتله الدجال، أني قد أخرجت عبادًا لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه ماء،**

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في المنتظم ج٢/ ٣٩.

ويحصرون عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله تعالى، فيرسل الله عليهم النغف[١] في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم[٢] ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيرًا كأعناق البخت[٣]، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتي يتركها كالزلفة[٤]، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها[٥] ". الحديث[٦].

وفي الثعلبي من مرفوع حذيفة، بعد أن ذكرهم سيد المرسلين: يا رسول الله كم أمة؟ قال: **"أمم كل أمة أربعمائة ألف، لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه، وهم من ولد آدم، فيسيرون إلى خراب الدنيا وتكون مقدمتهم بالشام، وساقتهم بالعراق، فيمرون بأنهار الدنيا ويشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية، حتى يأتوا بيت المقدس فيقولون: قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء "[٧]**.الحديث.

---

(١) النغَفُ، بالتحريك والغين معجمة: دود يسقط من أُنوف الغنم والإبل، وفي الصحاح: الدود الذي يكون في أُنوف الإبل والغنم، واحدته نغَفة. ونغِفَ البعيرُ: كثر نَغَفُه.

(٢) الزَّهَم بالتحريك: مصدَر، زَهِمتْ يدُه تزهَمُ من رَائِحة اللحم: والزُّهْمَة بالضم: الرّيحُ المُنتِنَة، أرادَ أن الأرض تُنْتِن من جِيَفِهم.

(٣) البُخْت والبُخْتِيَّة: دَخِيل في العربية، أعجمي مُعَرَّبٌ، وهي الإِبل الخُراسانيَّة، تُنْتَجُ من بين عربيةٍ وفالِجٍ؛ وبعضهم يقول: إِن البُخْتَ عَرَبيّ؛ ويُنْشِدُ لابنِ قَيس الرُّقَيَّات: لَبَنُ البُخْتِ في قِصاعِ الخَلَنْجِ قال ابن بري: صواب إِنشاده لبنَ البُخْتِ، بنصب النون.

(٤) زَلَفٌ: مصانع الماء، وتُجمَع على المَزَالِف أيضا. آراد: أن المطَر يُغَدِّرُ في الأرض فتَصِير كأنها مَصْنَعة من مصانِع الماء، وقيل: الزلَفَة: المِرآةُ شبَّهها بها لاسْتِوائها ونَظَافَتِها، وقيل: الزلَفة: الرَّوضة، ويقال: بالقاف أيضا.

(٥) قحف: في الحديث: تأكل العِصابة يومئذ من الرُّمّانة، ويَسْتَظِلُّون بِقِحفها. أراد قِشْرها، تشبيها بِقِحْف الرأس، وهو الذي فوق الدِّماغ. وقيل: هو ما انْفَلَق من جُمْجمَته وانْفَصَل. ومنه حديث أبي هريرة في يوم اليَرْموك: فما رُئِيَ مَوْطِنٌ أكثر قِحْفا ساقِطا. أي: رأسا، فكنَى عنه ببعضه، أو أراد القِحْفَ نفْسَه.

(٦) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٩، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٤٠، وابن ماجه في سننه حديث رقم: ٤٠٧٥.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان حديث رقم: ج٢١/١٩.

وعند الإمام أحمد، وابن ماجه، وأبي يعلى، وابن حبان، والحاكم وصححه، من مرفوع أبي سعيد: "يفتح ليأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس كما قال الله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦] فيغشون الناس، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض حتى إن بعضهم ليمر بالنهر، فيقول: قد كان ههنا ماء مرة حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا أخذ في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء، ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مختضبة دما للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل دودًا في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري لنا نفسه، فينظر ما فعل هذا العدو فيتجرد رجل منهم محتسبًا نفسه قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فيقول: يا معشر المسلمين ألا أبشروا؛ إن عز وجل قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم"[1]. الحديث.

وقال النسوي وغيره في يأجوج ومأجوج: يخرجون مقدمتهم بالشام، وساقتهم ببلخ، فيأتي أولهم البحيرة بحيرة طبرية فيشربون ماءها، ويأتي وسطهم فيلحسون ما فيها، ويأتي آخرهم فيقول لقد كان ههنا ماء، ويكون مكثهم في الأرض سبع سنين، فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض، فهلم نقاتل أهل السماء فيرمون بنشابهم، فيردها الله مخضبة دمًا، فيقولون: قد فرغنا من قتال أهل السماء، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون موتى، ثم يرسل الله عليهم السماء فتجرفهم إلى البحر.

وفي "الملل" وغيرها كما في نعيم بن حماد: (أن الطير ترمي بجيفهم إلى البحار).

وفي مرفوع ثوبان عن الحاكم: " سيوقد المسلمون من جعبهم وقسيهم ونشابهم سبع سنين ".

وفي الطبراني من مرفوع النواس بن سمعان: "سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج وأترستهم سبع سنين "[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٧٩، وأحمد في منسده حديث رقم: ١١٣٢٣، وأبو يعلى في مسنده حديثه رقم: ١٣٥١، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٣٠، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٨٩.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني حديث رقم: ١٤٩٥.

وروى الربيع عن أبي العالية، قال: (يمكث الناس بعد هلاك يأجوج ومأجوج عشرين سنة يحجون ويعتمرون).

فائدة: (يأجوج ومأجوج) علمان أعجميان، ولذلك مُنعا من الصرف، ويجوز قراءتهما بالهمز، وتركه، وبلا همز هما من (يج وماج) إذا اضطرب، وذلك مناسب لشأنهم، وقد جاء أجوج بهمزة ممدودة من أجيج النار، بمعنى التهابها، أو (الأج) وهو سرعة العدو، أوالإجاج: أي الملوحة[1].

وَذُكِر عن كعب: (أن آدم احتلم ذات يوم، وامتزجت نطفته بالتراب، فخلقوا من ذلك فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم).

قال الإمام النووي: وهذا منكر جدًا لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب.

قال الحافظ ابن حجر: لأن النبي لا يحتلم، وقال: إنهم كما جزم به وهب، من ولد يافث، وقيل: من الترك، قاله الضحاك، وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الديلم، ومن طريق أبي هريرة يرفعه: "ولد نوح سام وحام ويافس، فولد لسام العرب وفارس والروم، وولد لحام القبط والبربر والسودان، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة"[2]. وفي سنده ضعف.

وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: (أن يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح).

وفي رواية سعيد بن بشر، عن قتادة، قال: (يأجوج ومأجوج ثنتان وعشرون قبيلة، بني ذو القرنين السد علي إحدي وعشرين، وكانت قبيلة منهم غائبة في الغزو؛ وهم الأتراك فبقوا دون السد).

---

(١) قال الزمخشري: اسمان أعجميان بدليل منع الصرف. وقرىء: «مهموزين». وقرأ رؤبة: «آجوج وماجوج»، وهما من ولد يافث. وقيل: يأجوج من الترك، ومأجوج من الجيل والديلم.. ﴿مُفْسِدُونَ فِي الأرض﴾ قيل: كانوا يأكلون الناس، وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلاّ أكلوه، ولا يابساً إلاّ احتملوه، وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً [الكشاف: ٤/ ٥٠]

وقال الليث: الهمز لغة رديئة، قال ابن عباس: يأجوج رجل ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح فيإجوج، ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار، وقال علي عليه السلام: منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول. وقال السدي: الترك سرية من يأجوج ومأجوج.

(٢) أخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٢٦٤٤، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ٢٨٧٢.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، من طريق السدي، من أثر قوي: (التُرك سرية من سرايا يأجوج ومأجوج، خرجت تغير، فجاء ذو القرنين فبنى السد، فبقوا خارجًا عنه).

وسُئِلَ علي كرم الله وجهه عن الترك كما عند ابن المنذر، فقال: (هم سيارة ليس لهم أصل، هم من يأجوج ومأجوج، خرجوا يغيرون على الناس، فجاء ذو القرنين فسد بينهم وبين قومهم، فذهبوا سيارة في الأرض).

وأما كثرة يأجوج ومأجوج فلا يعلمها إلا الله، روى ابن مردويه، والحاكم، من حديث حذيفة، مرفوعًا: "يأجوج ومأجوج أمتان، كل أمة أربعمائة ألف رجل، لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح". الحديث.

وأخرج ابن حبان صحيحًا من حديث ابن مسعود، يرفعه: "أن يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم لصلبه ألفًا من الولد "[1].

وفي أبي الشيخ، وابن المنذر، من قول حسان بن عطية: (هم أمتان، في كل أمة أربعمائة ألف أمة لا تشبه واحدة الأخرى).

وبالسند المتصل إلى مكحول: (الأرض مسيرة مائة عام، ثمانون منها يأجوج ومأجوج، وهما أمتان، كل أمة أربعمائة ألف لا تشبه أمة الأخرى).

وعند أبي الشيخ من أثر أبي أمامة: (الدنيا سبعة أقاليم، فيأجوج ومأجوج ستة، والباقي إقليم واحد).

وعن خالد الأشبح: (أن بني آدم وبنى إبليس ثلاثة أثلاث، ثلثان بنو إبليس، وثلث بنو آدم، وبنوا آدم ثلاثة أثلاث، ثلثان يأجوج ومأجوج، وثلث سائر النامس، والناس بعد ذلك ثلاثة أثلاث، ثلث الأندلس، وثلث الحبشة، وثلث سائر الناس العرب والعجم).

وعند ابن أبي حاتم: (الإنس عشرة أجزاء، فتسعة أجزاء منها يأجوج ومأجوج، وجزء سائر الناس).

وورد عند عبد الرزاق كالحاكم من طريق النكالي، من قول ابن عمر: (أن الله جزأ الملائكة والجن والإنس عشرة أجزاء؛ فتسعة منهم الملائكة، وجزء واحد الجن والإنس، وجزء الملائكة عشرة أجزاء؛ تسعة منهم الكروبيون، والذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون،

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٢٨.

وجزء الإنس والجن؛ عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن، فلا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة، وجزء الإنس عشرة، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج). الحديث.

وسأل وهب ابن عمرو: أهم من ولد آدم؟ فقال له: نعم، ومن بعدهم ثلاث أمم، وذكر تاويل وتاريس ومنسك.

ومن طريق ابن عمر، وعند الحاكم، وابن مردويه: (أن يأجوج ومأجوج من ذرية آدم، ووراؤهم ثلاث أمم، ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفًا فصاعدًا). وورد مثله بسند صحيح عن عبد الله بن سلام.

وأما صفتهم فورد: أن منهم من يفترش أذنه طوله وعرضه سواء، ومنهم من هو كالأرزة الطويلة، ومنهم من له أربعة أعين، عينان في رأسه، وعينان في صدره، ومنهم من له رجل واحدة، ومنهم من هو ملبس شعرا كالبهائم، ومنهم من لا يشرب غير الدم شيئا.

ومن طريق شريح بن عبيد عن كعب: (هم ثلاثة أصناف؛ صنف أجسادهم كالأرزة، أي: شجر كبار جدًا، قال: وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون الأخرى).

وصحح الحاكم وغيره عن ابن عباس: " **يأجوج ومأجوج شبر وشبران وأطوالهم ثلاثة أشبار وهم من ولد آدم**".

وبالسند إلى الزهري من قوله: (إنهم ثلاثة أمم؛ منسك وتاويل وتاريس، فصنف منهم مثل الأرز، أي الشجر الطويل، وصنف منهم عرض أحدهم وطوله سواء، وصنف منهم يفرش إحدي أذنيه ويلتحف الأخرى).

وفي حديث حذيفة قلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا، قال: "**ثلاثة أصناف، صنف منهم أمثال الأَرْزِ، قال: قلت: يا رسول الله؛ ما الأَرْزِ؟ قال: شجر بالشام طول عشرون ومائة ذراع في السماء، ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش -وذكر ما مر- وزاد: لا يمرون بفيل ولا وحش ولا طير ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدمتهم بالشام، وساقتهم بالمشرق، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية** "[1]. الحديث.

وذكر بعضهم: (أن فيهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة، يأكلون اللحوم نية).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٨٥٥.

وفي مرفوع أبي هريرة: "أن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كانوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كانوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء الله تعالى واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس"(١). الحديث.

قلت: وبالجملة فالأخبار فيهم مما يطول ذكرها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

العلامة السابعة: ظهور الدخان

قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾(٢) [الدخان: ١٠] قال ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وزيد بن علي: (هو دخان قبل قيام الساعة، يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت أُوقد فيه، ولم يأت بعد وهو آت).

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٨٠، وأخرجه أحمد حديث رقم: ١٠٢٥٤، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٦٤٣٦.

(٢) قال ابن الجوزي: اختلفوا في هذا الدخان ووقته على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه دخان يجيء قبل قيام الساعة، فروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إن الدُّخان يجيء فيأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزّكام. وروى عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوتُ على ابن عباس ذاتَ يوم، فقال: ما نمتُ الليلة حتى أصبحتُ، قلت: لمِ، قال: طلع الكوكب ذو الذَّنَب، فخشيتُ أن يطرق الدخان، وهذا المعنى مروي عن علي، وابن عمر، وأبي هريرة، والحسن.

والثاني: أن قريشاً أصابهم جوع، فكانوا يرون بينهم وبين السماء دخاناً من الجوع؛ فروى البخاري ومسلم في» الصحيحين « من حديث مسروق، قال: كنا عند عبد الله، فدخل علينا رجل، فقال: جئتُكَ من المسجد، وتركتُ رجلاً يقول في هذه الآية ﴿ يوم تأتي السماءُ بدخانٍ مُبينٍ ﴾: يغشاهم يومَ القيامة دخان يأخذ بأنفاسهم حتى يصيبَهم منه كهيئة الزكام؛ فقال عبد الله: من عَلِم عِلْماً فلْيَقُل به، ومن لم يَعْلَم فلْيَقُل: الله أعلم، إنما كان هذا لأن قريشاً لمّا استعصت على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنيِّ يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعل الرجلُ ينظُر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فقالوا ﴿ ربَّنا اكشف عنّا العذاب إنّا مؤمنون ﴾، فقال الله تعالى: ﴿ إنّا كاشِفو العذابِ قليلاً إنكم عائدون ﴾، فكشف عنهم، ثم عادوا إلى الكفر، فأخذوا يومَ بدر، فذلك قوله: ﴿ يومَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبرى﴾، وإلى نحو هذا ذهب مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وابن السائب، ومقاتل.

والثالث: أنه يوم فتح مكة لمّا حُجبت السماءُ بالغبرة، حكاه الماوردي.[زاد المسير:٥/ ٣٤٧].

وروى الحافظ الحسن بن محمد بسنده: "يجيء دخان فيملأ ما بين السماء والأرض حتى لا يدرى مشرق من مغرب، ويأخذ الكافر فيخرج من مسامعه، ويكون على المؤمن كهيئة الزكمة"[1].

وفي حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن من أشراط الساعة دخانًا يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث في الأرض أربعين يومًا، فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدخان من أنفه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره ".

وقيل: المراد بالدخان المذكور في الآية دخان الجوع، الذي كان حال بين أبصار قريش وبين السماء.

ففي الصحيح قال مسروق: كنا عند ابن مسعود جلوسًا وهو مضطجع بيننا، فقال رجل: يا أبا عبد الرحمن؛ إن قاصًا عند أبواب كندة يقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] إنه دخان يأتى قبل يوم القيامة يأخذ بأنفاس الكفار والمنافقين، وأسماعهم، وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه مثل الزكام، فجلس ابن مسعود وهو غضبان، فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم شيئا فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل: الله أعلم، فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] وسأحدثكم عن ذلك، أن قريشا لما أبطت عن الإسلام دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "اللهم سبع سنين كسني يوسف عليه السلام ". فأصابهم من الجهد والجوع ما أكلوا به العظام والميتة والجلود، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان من ظلمة أبصارهم من شدة الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب، فقال: يا محمد؛ إنك جئت تأمر بالطاعة وصلة الرحم، وأن قومك قد هلكوا، فادع الله لهم فإنهم لك مطيعون. قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢]، فدعا فكشف. فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان:١٥] أي: إلى كفركم[2].

قلت: كلام ابن مسعود موافق لظاهر الآية، فلا دليل فيها للجمهور، وإنما الدليل السنة، ولعلها لم تبلغ ابن مسعود حين أنكر ذلك.

---

(١) أخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم: ٣٩٩، وأخرجه مجاهد بن جبر في تفسير القرآن حديث رقم: ٢٨٠٣.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم:٤٨٢١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٠٠.

ففي مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال: "ما تتذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. فقال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات، فذكر الدجال، والدخان، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم "(١).

قال في "التذكرة": قد روي عن ابن مسعود إنهما دخانان، قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: (هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقى يملأ ما بين السماء والأرض، ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة وأما الكافر فيثقب مسامعه، فيبعث الله عند ذلك الريح الجنوب من اليمن، فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار الناس).

العلامة الثامنة: خراب الكعبة

ففي الصحيحين من مرفوع أبي هريرة، وكذا في الطبراني من مرفوع ابن عمر: " يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليتها، ويجردها من كسوتها، فلكأني أنظر أصيلع يضرب عليها بمسحاته وبمعوله "(٢).

وفي البخاري: "كأني أنظر إلى أسود أفحج(٣)، يهدم الكعبة حجرًا حجرًا "(١). الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٠٣، وأخرجه أحمد حديث رقم: ١٥٧٠٨، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٧٩١.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٥٩٦ , ١٥٩١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩١١ , ٢٩١٠، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٢٩٠٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧٠١٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٧٥١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٤٥٣، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٠٨٧ , ٣٨٧٣، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٤: ص٣٤٠، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ١١٨٠، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٤٦٤، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٨٨٣ , ١٨٧٢، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن ف: ج ١: ص ٢٨٥.

(٣) الفحج: تباعد ما بين أوساط السَّاقَيِن في الإنسان والدابة؛ وقيل: تباعُدُ ما بين الفَخِذَين؛ وقيل: تباعُد ما بين الرجلين، والنعت أَفْحَجُ، والأُنثى فَحْجاء؛ وقد فَحِجَ فَحَجًا وفَحْجَة، الأَخيرة عن اللحياني. وفي الحديث: أنه بال فلما فَحَّجَ رِجْليه أي فَرَّقَهُما. والأَفْحَجُ: الذي في رِجْليه اعْوِجاجٌ. ورجل أَفْحَجُ بَيِّنُ الفَحَج: وهو الذي تَتَدانى صُدُور قَدَمَيْه وتَتَباعَد عَقِباه وتَتَفَحَّجُ ساقاهُ؛ وفي الحديث في صفة الدَّجّال: أَعْوَر أَفْحَج. وحديث الذي يُخَرِّب الكعبة: كأَني به أَسْوَدَ أَفْحَجَ يَقْلَعُها حَجَرًا حَجَرًا؛ ودابَّة فَحْجاء، وتَفَحَّجَ وانْفَحَجَ.

وعن الثقات من الحفاظ: يمكث الناس ما شاء الله في الخصب والدعة بعد يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس، وخروج الدابة، قالوا: ثم تخرج الحبشة وعليهم ذو السويقتين، فيخربون مكة، ويهدمون الكعبة، ثم لا تعمر بعدها أبدًا، وهم الذين يستخرجون كنز فرعون، وقارون بمصر، قالوا: فيجتمع المسلمون فيقاتلونهم فيقتلونهم، ويسلبونهم حتى يباع الحبشى بعباه.

وفي الحديث: " **حجوا قبل أن لا تحجوا، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ليرفعن هذا البيت من بين أظهركم حتى لا يدري أحدكم أين كان مكانه بالأمس**"(٢).

وفي حديث حذيفة مرفوعًا: "**كأني أنظر إلى حبشى أحمر الساقين، أزرق العينين، أفطس الأنف، كبير البطن، وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له، وهم ينقضونها حجرًا حجرًا، ويتداولونها بينهم حتى يطرحوها في البحر**". الحديث.

العلامة التاسعة: رفع القرآن من المصاحف ثم من الصدور

قرر الأئمة أنه يرفع أولًا من المصاحف، وذلك أنهم يبيتون فيصحبون وليس فيها حرف مكتوب، ثم يرفع من الصدور عقب ذلك لأعجل زمن، حتى لا يكون منه شيء محفوظ حتى يقول الحافظ للآخر، وقد سأله الآخر: كنت أحفظ شيئًا ونسيته، لا أدري ما هو؟

وفي الحديث: "**أكثروا من الطواف بالبيت قبل أن يرفع، وينسى الناس مكانه، وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع. قيل: وكيف يرفع ما في صدور الرجال؟ قال: يسري عليهم ليلًا فيصبحون منه فقراء، وينسون قول لا إله إلا الله**".

وفي مرفوع ابن عمر، وعند الديلمي: "**لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث جاء، فيكون له دوي حول العرش كدوي النحل، فيقول عز وجل: ما لك؟ فيقول: منك خرجت، وإليك أعود، أتلى فلا يعمل بي**".

= =

والفَحْج، بالتسكين: مِشْيَة الأَفحَج. والتَفَحُّجُ، مثل التَّفَشُّجِ: وهو أن يُفَرِّج بين رِجْلَيه إذا جلس، وكذلك التَّفْجِيجُ مثل التَّفْشِيج.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٥٩٥، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٠١١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٧٥١.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٤٤٨، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم: ٢٧٦٩، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٤: ص٣٤٠،ج ٤: ص٣٤١.

وفي مرفوع حذيفة عند ابن ماجة: "يدرس الإسلام حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، ويسري على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية" الحديث(١).

العلامة العاشرة: عود أهل الأرض كلهم كفارًا

ففي رواية مسلم، وأحمد، والترمذي، من مرفوع أنس: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله "(٢).

وصح في المستدرك من مرفوع عائشة: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللاة والعزى، ويبعث الله ريحًا طيبة فتوفي من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من خير، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم"(٣).

وفي حديث عقبة: أنه قال عبد الله بن عمرو: "ويبعث الله ريحًا ريحها ريح المسك، ومسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا – وفي لفظ أحدًا –في قلبه مثقال حبة خردل من الإيمان إلا قبضته ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة ".

وفي مرفوع عمرو: "لا تقوم الساعة حتى يبعث الله ريحًا لا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته، ويلحق كل قوم بما كان يعبد آباؤهم في الجاهلية، ويبقى عجاج من الناس لا يؤمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، يتناكحون في الطرق، فإذا كان ذلك اشتد غضب الله على أهل الأرض فأقام الساعة ".

وفي مسلم: "لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس"(١). وفي البخاري: " أشرار الخلق من تدركهم الساعة "(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٠٤٩، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٧٣، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٨٣٨.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٥٠، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٢٠٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٦٦٩ , ١١٦٣٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٤٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٤٩٤،ج ٤: ص٤٩٥،ج ٤: ص٤٩٥، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٢٩٤، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٩٨٠، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٥٢٦.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٠٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٤٤٦،ج ٤: ص٥٤٩، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٩: ص١٨١، و أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٤٥٦٤.

وفي مرفوع عبد الله بن عمرو، وعند ابن أبي شيبة: "لا تقوم الساعة حتى يتسافر الناس في الطرق تسافر الحمر ". وفي لفظ: "حتي يتهارجون[٣] في الطرق تهارج الحمر فيأتيهم إبليس فيصرفهم إلى عبادة الأوثان ".

وفي مرفوع أبي هريرة عند الحاكم: "وحتى تؤخذ المرأة جهارًا نهارًا، تنكح وسط الطريق، لا ينكر ذلك أحد "[٤]. وفي لفظ: "حتى ينكح أحدكم أمه، فيكون أمثلهم يومئذ الذي يقول: لو تنحيتما عن الطريق قليلًا، فذلك فيهم مثل أبي بكر وعمر فيكم ".

وفي مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص: "أن الله يرسل ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير إلا قبضته حتى لو أن أحدهم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه "[٥]. الحديث.

وقال في "التذكرة" عن بعض العلماء: إذا أراد الله انقراض الدنيا، وتمام لياليها، وقربت النفخة، خرجت نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تبيت معهم وتقيل حتى يجتمع الخلق بالمحشر؛ الإنس والجن والدواب والوحش والسباع والطير والهوام وحشاش الأرض، وكل من له روح، فبينما الناس قيام في أسواقهم يتبايعون وهم مشتغلون إذا هم بهدة عظيمة من السماء يصعق منها نصف الخلق، فلا يقومون من صعقتهم مدة ثلاثة أيام، والنصف الآخر

==

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٥١، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٤١٣٣, ٣٧٢٧، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٨٥٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٤٩٤، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم٣٠٩ :، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٣٨٦، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٠٥٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٢٤٨، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم: ٧١٦, ٧١٥، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٢٣٤٨، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ٩٠٢، وأخرجه الداني في السنن اسواردة في الفتن حديث رقم: ٤١١، وأخرجه ابن أبي الدنيا في العقوبات حديث رقم: ٢٩٥.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٠٦٧.

(٣) الهَرْجُ: الفِتْنَةُ والاختلاط: وقد هَرَجَ الناس يَهْرِجونَ بالكسر هَرْجًا. وفي حديث أشراط الساعة: يكون كذا وكذا ويكثُر الهَرْجُ قيل: وما الهَرْجُ يا رسول الله؟ قال: القتلُ.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٤٩٥.

(٥) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٤٣.

من الخلق تذهل عقولهم، فيبقون مدهوشين قيامًا على أرجلهم، فبينما هم كذلك إذا هدة أخرى أعظم من الأولى قطيعة كالرعد القاصف، فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر:٦٨]، وذلك هو قيام الساعة.

الباب السادس
في قيام الساعة وخراب هذا العالم وتغيير نظامه

اعلم أن الساعة آتية لا ريب فيها، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، لم يخالف في ذلك إلا كل كفور ملحد، مكذب لله ورسوله والكتب الإلهية، وهي تأتى الناس بغتة، كما قال: تعالى: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وفي حديث الشيخين عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها "**(١).

وفي التنزيل: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧].

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: **" كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه، وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ فيه "**(٢).

وفي "التذكرة" قالت عائشة: (يا كعب؛ أخبرنى عن إسرافيل. فقال كعب: عندكم العلم، قالت: أجل فأخبرنى، فقال: له أربعة أجنحة: جناحان في الهواء، وجناح قد تسربل به، وجناح على كاهله، والعرش على كاهله، والقلم على أذنه، وهو جاث على ركبته وقد نصب الأخرى ملتقم الصور، محنيا ظهره، شاخصا ببصره). الحديث. وهو غريب.

وفي "التذكرة" أيضًا من حديث أبي هريرة، قلت: يا رسول الله؛ وما الصور؟ قال: **"قرن. فقلت: وكيف هو؟ قال: هو عظيم، والذي نفسي بيده إن عظم دارة فيه كعرض السماء**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧١٢١, ٦٥٠٦، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٥٩، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٢٣٧، وأخرجه الداني في السنن الواردة في الفتن حديث رقم: ٣٨٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٥٥١.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٣١، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٨٨٥٧, ١١٢٩٩, ٣٠٠١، وأخرجه لبن حبان في صحيحه حديث رقم: ٨٢٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٥٩،ج ٤: ص٥٥٩، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٠١٦، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٥٣٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٠٨٤، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٧٨٨١، وأخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده حديث رقم: ٩٠، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٣٩٧, ٣٩٦.

والأرض، فينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين". الحديث(١). وهو منقطع.

وفي حديث ابن مسعود: " يقوم ملك الصور بين السموات والأرض فينفخ فيه، والصور قرن، فلا يبقى لله خلق في السموات والأرض إلا مات إلا ما شاء ربك".

وسماه الله بالناقور في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨] قال المفسرون: الصور ينقر فيه مع النفخ الأول لموت الخلق.

واختلف العلماء في عدد النفخات، فقيل: ثلاث؛ نفخة الفزع،ونفخة الصعق،ونفخة البعث. وهذا اختيار ابن العربي وغيره.

وقيل: نفختان ونفخة الفزع وهي نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لها، أي: فزعوا فزعًا ماتوا منه. واختار هذا القرطبي في التذكرة وصححه.

فصل في نفخة الفزع وما يكون من تغيير أحوال العالم

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥] من رجوع ومرد. قاله ابن عباس وقتادة.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [النمل: ٨٧] وفسر الزمخشري المستثنى في هذه الآية بمن ثبت الله قلبه من الملائكة، وهم جبريل، وميكائيل وإسرافيل، وملك الموت. وقيل غير ذلك.

وإنما يحصل الفزع لشدة ما يقع من الهول عند تلك النفخة؛ لأنه إذا نفخ في الصور نفخة الفزع تزلزلت الأرض، وتحركت السماء، وتناثرت النجوم، وتفجرت البحار، وذهلت المراضع، ووضعت الحوامل، وعطلت العشار، واختلطت الإنس والجن والدواب والوحوش، وماج بعضهم في بعض.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾(٢) [التكوير: ٤].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ج٢٤/٦٦.

(٢) قوله: ﴿ وإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾. فيه قولان: القول الأول: المشهور أن ﴿ العشار ﴾ جميع عشراء كالنفاس في جمع نفساء، وهي التي على حملها عشرة أشهر، ثم اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم، و ﴿ عطلت ﴾ قال ابن عباس: أهملها أهلها لما جاءهم من أهوال يوم

قال الثعلبي: (العشار) النوق الحوامل التى أتى على حملها عشرة أشهر واحدها عشر، ثم لا يزال اسمها كذلك حتى تضع لتمام سنة، وهي أنفس ما يكون عند أهلها، ومعنى عطلت، أي: نسيت، وأهملت، تركها أربابها لشدة الأمر، وكانوا قبل ذلك لازمين لأذنابها، وخوطبت العرب بأمر العشار لأنها أكثر أموالهم.

قال مكي: (قد عطلها أهلها وأهملوها فلا يسألون عنها لهول ما فجأهم).

وفي تفسير الثعلبي، ومكي، عن أبي بن كعب: (ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت، وفزعت الجن إلى الإنس، والإنس إلى الجن، واختلطت الدواب والطيور والوحوش، وماج بعضها في بعض، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥] قال: فتقول الجن للإنس: نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فإذا هو يتأجج نارًا، فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى، وانشقت السماء إلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأهلكتهم، وتتغير أحوال العالم من الأرض والجبال والبحار والسماء والشمس والقمر والنجوم إلى غير ذلك).

ولنذكر هنا أمورًا تحصل عند نفخة الفزع من تغيير هذا العالم:

الأول: فيما يصيب الأرض، وقد جاء فيها آيات منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] أي: شدة الحركة على الحالة الهائلة حتى ينهدم كل بناء على وجهها.

وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١] أي: تحركت كحركة شديدة لقيام الساعة، قال ابن عباس: (هي عند النفخة الأولى)، وعلى هذا جمهور المفسرين.

وحكى الفخر عن علقمة، والثعلبي: (أنها تكون في الدنيا، ويكون بعدها طلوع الشمس من مغربها).

وقال في "التذكرة": إن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم، بل قال: إن جميع هذه الكوائن إنما تكون بعد النشأة الثانية.

= =

القيامة، وليس شيء أحب إلى العرب من النوق الحوامل، وخوطب العرب بأمر العشار لأن أكثر مالها وعيشها من الإبل[مفاتيح الغيب:١٦/ ٣٧٢].

ويؤيد الجمهور قوله تعالى: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة:٤] أي: رجفت، وزلزلت، وحُركت تحريكًا حتى ينهدم كل بناء على وجهها.

قال المفسرون: ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها، وينكسر كل شيء عليها من الجبال. وقال الثعلبي: تكون كالسفينة الموسوقة في البحر تضربها الأمواج وتقلبها الرياح.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات:٦] أي: تميد الأرض بالناس على ظهرها، وتذهل المراضع، وتضع الحوامل، ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها وأدبارها فترجع، ويولي الناس مدبرين.

ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا﴾ [الفجر:٢١] قال الثعلبي: أي مرة بعد مرة زلزلت فكسر بعضها بعضًا فتكسر كل شيء على ظهرها، وقيل: دقت جبالها حتى استوت في الانفراش فذهبت دورها وقصورها وجبالها وسائر أبنيتها حتى تصير، كما قال ابن عباس: (تمد الأرض مد الأديم).

ومنها قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [الحاقة:١٤]، قال المفسرون: أي رفعت الأرض من جميع جهاتها مع الجبال بما يشاؤه الله تعالى من ريح أو ملائكة أو قدرة، فدكتا دكة واحدة.

الدك: الدق إلا أنه أبلغ منه، والمعنى: كسرتا كسرة واحدة فصارتا فيها كثيبا مهيلا منبثا. أو المعنى: فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا مستوية لا ترى فيها عوجًا ولا أمتى.

الثاني: فيما يصيب الجبال، وقد جاء فيها آيات منها قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة:٥] الآية.

قال الثعلبي: (فتت فصارت كالدقيق المبسوس) وهو المبلول قاله ابن عباس، والبسيسة عند العرب: الدقيق أي السويق يلت فيجعل زادًا، وقال الكلبي: (معنى بست، أي: صيرت على وجه الأرض)، وقال مجاهد: (لتت لتًا)، وقال الحسن: (قلعت من أصولها فذهبت).

واختلف المفسرون في تفسير الهباء. فقال ابن عباس: (إنه ما يرى في شعاع الشمس من الصور اللطيفة حتى تدخل من الكوة). وقال أيضًا: (إنه الرماد يطير من النار إذا أضرمت فإذا وقع لم يكن شيئا). وقال علي رضي الله عنه: (إنه رهج الدواب) أي: ما سطع من سنابك الخيل.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل:١٤] فسر الثعلبي الكثيب بالرمل المجتمع، والمهيل بالسيال المتناثر إذا مسسته تتابع.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج:٩] ففي الثعلبي: أن أول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا، ثم عهنا منفوشًا؛ وهو الصوف المصبوغ. ولا يقال: العهن إلا للمصبوغ، ثم هباء منثورًا.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل:٨٨] قال بعض المفسرين: معناه أنه إذا كانت الجبال هباء منبثًا، سير الله ذلك الغبار بين السماء والأرض كالسحاب، وظاهر كلام الزمخشري أنها تسير كالسحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد، وهي تمر مرًا حثيثًا كما يمر السحاب.

وقال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [الكهف:٤٧] الآية، أي: نزيلها من أماكنها على وجه الأرض، ونسيرها كما نسير السحاب.

قال الإمام الفخر: ليس في الآية ما يدل إلى أين تسير. قال: فيحتمل أن يقال: إن الله عز وجل يسيرها إلى الموضع الذي يريده، ولم يبين ذلك الموضع لخلقه. قال: والحق أن الله يسيرها إلى العدم لقوله تعالى: ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[1] [طه:١٠٥].

---

(١) قوله: ﴿ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: إنما قال: ﴿ فَقُلْ ﴾ مع فاء التعقيب لأن مقصودهم من هذا السؤال الطعن في الحشر والنشر، فلا جرم أمره بالجواب مقروناً بفاء التعقيب. لأن تأخير البيان في مثل هذه المسألة الأصولية غير جائز، أما في المسائل الفروعية فجائزة، لذلك ذكر هناك قل من غير حرف التعقيب.

المسألة الثانية: الضمير في قوله: ﴿ يَنسِفُهَا ﴾ عائد إلى الجبال والنسف التذرية، أي تصير الجبال كالهباء المنثور تذرى تذرية فإذا زالت الجبال الحوائل فيعلم صدق قوله: ﴿ يتخافتون ﴾ قال الخليل: ﴿ يَنسِفُهَا ﴾ أي يذهبها ويطيرها، أما الضمير في قوله: ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ فهو عائد إلى الأرض فاستغنى عن تقديم ذكرها كما في عادة الناس من الإخبار عنها بالإضمار كقولهم: ما عليها أكرم من فلان وقال تعالى: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ وإنما قال: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ﴾ ليبين أن ذلك النسف لا يزيل لاستواء لئلا يقدر أنها لما زالت من موضع إلى موضع آخر صارت هناك حائلة، هذا كله إذا كان المقصود من سؤالهم الاعتراض على كيفية المخافتة، أما لو كان الغرض من السؤال ما ذكرنا من أنه لا نقصان فيها في الحال فوجب أن لا ينتهي أمرها إلى البطلان، كان تقرير الجواب: أن بطلان الشيء قد يكون بطلاناً يقع توليدياً، فحينئذ يجب تقديم النقصان على البطلان وقد يكون بطلاناً يقع دفعة واحدة، وههنا لا يجب تقديم النقصان على البطلان، فبين الله تعالى أنه

قلت: أحسن من هذا وأظهر أن يستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ:٢٠] قال مكي: أي لا شيء كما أن السراب لا شيء.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه:١٠٥] الآية. قال الإمام الفخر: وصف الله الأرض بأوصاف أحدها كونها قاعًا. قال: وهو المكان المطمئن من الأرض. وقيل: منتقع الماء. وثانيها كونها صفصفا: وهو الذي لا نبات عليه.

وقال أبو مسلم: (القاع) الأرض الملساء المستوية. وكذلك الصفصف. وثالثها كونها لا ترى فيها عوجا ولا أمتا. العوج ظاهر، والأمت قال الزمخشري: هو النتوء اليسير.

قال الفخر: ويحصل بهذه الصفات الأربعة أن الأرض تكون في ذلك اليوم ملساء خالية من الارتفاع والانخفاض، وأنواع الانحراف والاعوجاج.

وقال أيضًا في تفسير: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف:٤٧] أي: لم يبق على وجهها شيء من العمارات، ولا شيء من الجبال، ولا شيء من الأشجار، فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها. قال: وهو المراد بقوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه:١٠٧].

فائدة: في تبديل الأرض

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨] الآية. ما المراد بالتبديل؟ هل هو تبديل ذات أو تبديل صفات؟

قال العلامة البيضاوي: التبديل يكون في الذات، كقولك: بدلت الدراهم بالدنانير. وعليه قوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[النساء:٥٦]، وفي الصفة كقولك: بدلت الحلقة خاتمًا إذا أذبتها وغيرت شكلها، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان:٧٠] والآية تحتملها.

قال الحافظ السيوطي: اختلفت الأحاديث والآثار في الأرض المبدلة، وقد وقع الخلاف قديمًا للسلف في ذلك. وهل التبديل تغيير ذاتها أو صفاتها فقط؟ انتهى.

فالقائلون بأنه تبديل ذات منهم ابن مسعود، وكعب الأحبار، وابن جبير، وغيرهم، واختلفت أقوالهم فقال ابن مسعود: (تبدل الأرض كلها نارًا يوم القيامة).

= =

يفرق تركيبات هذا العالم الجسماني دفعة بقدرته ومشيئته فلا حاجة ههنا إلى تقديم النقصان على البطلان. [مفاتيح الغيب:١٠/ ٤٦٩].

وقال كعب الأحبار، وأبي بن كعب: (تصير السموات جنانًا، ويصير مكان البحر نارًا، وتبدل الأرض غيرها، أي: مما لم يكن بحارًا). فقد ورد أن ما صار نارًا من البحار يعود على بقية الأرض، فيدعها جمرة واحدة من نار.

وعن علي: (تبدل الأرض من فضة والسموات من ذهب).

وقال ابن جبير، ومحمد بن كعب: (تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه)، لحديث الشيخين من مرفوع أبي سعيد الخدري: "تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفاها الجبار بيده، كما يتكفي أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة "[(١)].

قال ابن برجان في "الإرشاد": تبدل الأرض خبزة فيأكل المؤمن من بين رجليه ويشرب من الحوض. قال عكرمة:(تبدل الأرض أرضا بيضاء مثل الخبزة، يأكل منها أهل الإسلام حتى يفرغوا من الحساب).

قال ابن حجر: ويستفاد منه أن المؤمنين لا يعاقبون بالجوع في طول زمن الموقف.

والقائلون بأنه تبديل صفة؛ منهم ابن عباس وغيره قالوا: (إن تبديل السماء ذهاب شمسها وقمرها وانكدار نجومها، وتبديل الأرض ذهاب جبالها وأنهارها وأشجارها).

وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨] قال: (يزلد فيها وينقص، وتذهب أكامها من أماكنها وجبالها وأوديتها وشجرها وما فيها، وتمد مد الأديم العكاظي أرضا بيضاء مثل الفضة، لم يسفك عليها دم، ولم يعمل عليها خطيئة، والسموات تذهب شمسها وقمرها).

ويؤيد هذا حديث أبي هريرة: "تبدل الأرض غير الأرض، فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة، فإذا هم في هذه المبدلة

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٢٠، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٩٥، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٩٦٢، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٩٨، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٤٧٥ , ٢٠٥، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٦٩٥، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣١٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٦٩٣.

في مثل مواضعهم الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها "[١].

وهذا ظاهر ما مر في صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة النقى ليس فيها علم لأحد "[٢].

والعفر: بياض يقرب إلى الحمرة، والنقي بكسر القاف: وهو الحوارى، ومعنى ليس فيها علم لأحد، أي: ليس فيها علامة سكنى أو بناء أو أثر لأحد.

واختلفوا في وقت التبديل، فقيل: (إن ذلك قبل يوم الحساب)، وقاله ابن مسعود.

وقيل: إن تبديلها والناس على الصراط لحديث مسلم عن عائشة: قلت: يا رسول الله؛ أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨] أين الناس؟ قال: "على الصراط"[٣].

وفي الترمذي عن عائشة: "قلت: يا رسول الله؛ فأين الناس يومئذ؟ قال: على جسر جهنم"[٤].

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ١٠، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٣٨٦.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٢١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٩٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٢٠، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ٩٦، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٧٥٤٩، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ١٠٦٩، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٣: ص ٧٣٢، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٦٩٢.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٩٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٣١٢١، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٧٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٤٥٠١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٨٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٣٥٢، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٤٧١، وأخرجه مجاهد بن جبر في تفسير القرآن حديث رقم: ١٤٢٣، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٣: ص ٧٣٦،ج ١٣: ص ٧٣٧،ج ١٣: ص ٧٣٧، وأخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٤١.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٤١، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٣٨٩، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٨١٦، وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ١٢٨٩.

وفي حديث آخر لمسلم: جاء حبر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ قال: "هم في الظلمة دون الجسر"[١].

قلت: هذا حاصل ما قاله كل من الفريقين، والجمع بين القولين هو ما أشار إليه صاحب "الإفصاح": من أنه لا تعارض بين هذه الآثار وأن الأرض والسموات تبدل كرتين.

الأولى: أنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أولا كواكبها، وتكسف شمسها وقمرها، وتصير كالمهل، ثم تكشط عن رءوسهم، ثم تسير الجبال، ثم تموج الأرض، ثم تصير البحار نيرانًا، ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر، فتصير الهيئة غير الهيئة، ثم إذا نفخ في الصور نفخة الصعق طويت السماء والأرض، وبدلت السماء سماء أخرى، وبدلت الأرض، وتمد مد الأديم العكاظي وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر على ظهرها، وفي بطنها.

وتبدل أيضًا تبديلا ثانيا، وذلك إذا وقفوا في المحشر، فتبدل لهم الأرض التي يقال لها: الساهرة، يحاسبون عليها، وهي أرض عفراء، وهي البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم حرام قط، ولا جرى عليها ظلم قط، وحينئذ يقوم الناس على الصراط على متن جهنم وهي كالهالة جامدة، وهو لا يسع جميع الخلائق، وإن كان قد يروى أن مسافته ألف سنة صعودًا، وألف سنة هبوطًا، وألف سنة استواءً، لأن الخلق أكثر من ذلك، فيقوم من فضل منهم عن الصراط على متن جهنم، وهي كالهالة الجامدة، وهي الأرض التي قال عبدالله: إنها أرض من نار يغرق فيها البشر، فإذا حوسب الناس على الساهرة وجازوا الصراط وحصل أهل الجنان من وراء الصراط وأهل النيران في النار وقام الناس على حياض الأنبياء يشربون، بدلت الأرض كقرصة النقي، فأكلوا من تحت أرجلهم، وعند دخولهم الجنة تكون خبزة واحدة، أي: قرصًا واحدًا يأكل منه جميع الخلق ممن دخل الجنة، وأدمهم زيادة كبد ثور الجنة وزيادة كبد النون.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣١٧، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٢٢، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٨٤٣، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٧١٠، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج ١: ص١٦٩، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤١٦٨، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٢٨٦٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٣: ص ٧٣٨.

وقال الحافظ ابن حجر: لا تنافي بين تبديل الأرض وأحاديث مدها والزيادة فيها والنقص منها؛ لأن ذلك كله يقع لأرض الدنيا، لكن أرض الموقف غيرها فإنهم يزجرون من أرض الدنيا بعد تغييرها، بما ذكر إلى أرض الموقف.

قال: ولا تنافي أيضًا بين أحاديث مصيرها خبزة ونارًا بل يجمع بأن بعضها يصير خبزة وبعضها، وهو أرض البحر خاصة، لكن قد مر أن الأرض كلها تكون نارًا يوم القيامة، وقد يجاب بأن أرض البحر نارًا في الابتداء بطريق الأصالة ثم البقية بالتبعية، والله سبحانه أعلم.

الأمر الثالث: فيما يصيب السماء

وفيها آيات منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨] فقيل: المهل عكر الزيت، وقيل: القار المذاب، وقيل: ما أذيب من الفضة والنحاس، ومنها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

قال مجاهد: (تدور دورا). وقال قتادة: (مورها تحركها). وقال الضحاك: (مورها استدارتها، وتحركها لأمر الله، وموج بعضها في بعض).

وقال ابن عباس: (مورها تشققها). وقيل: إن معنى تمور تتكفأ كما تتكفأ السفينة حتى تذهب ولا تكون شيئا.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧] قال بعض المفسرين: إنه انشقاقها في المحشر، وإنها تصير أبوابًا لنزول الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان:٢٥]

وقال مكي في تفسير ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١] وذلك يوم القيامة كان لونها لون الورد الأحمر، وهو تفسير ابن عباس. وقال قتادة: إنها اليوم خضراء وسيكون لونها أحمر. وقال ابن جريج: تدور السماء فتصير ذائبة حمراء كالدهن الذائب حتى يصيبها حر جهنم.

وأما الدهان فقال مجاهد والضحاك: إن الدهان والدهن شيء واحد. وقيل: الدهان الجلد الأحمر، والدهان جمع دهن. قال زيد بن أسلم: تكون كعكر الزيت. وقال أبو الجوزاء: تكون كصفاء الدهن. وقال الزمخشري: كدهن الزيت كما قال: كالمهل وهو دردى الزيت.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٦] أي: ضعيفة مسترخية بعد إحكامها وقوتها.

قال الفراء: وهي تشققها والملك على أرجائها: أي علي جوانبها وحافاتها، واحدها رجا مقصور، وذلك أن السماء مسكن الملائكة، فإذا انشقت انتقلوا إلى جوانبها.

وقال الضحاك: تكون الملائكة على حافاتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها.

الأمر الرابع: فيما يصيب الشمس والقمر

قال الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير:١] أي. كسفت وذهب ضوءها.

ففي حديث أبي هريرة: "أن ذلك بعد نفخة الفزع وقبل قيام الساعة ". وهو قول أبي بن كعب، وبه قال االغزالي، وظاهر كلام جمع من المفسرين أن ذلك إنما هو يوم القيامة.

قال ابن عباس: (تكويرها إدخالها في العرش)، ولا شك أن ذلك لا يكون إلا في يوم القيامة فهي موجودة فيه، ثم يذهب بها بعد ذلك إما إلى إدخالها في العرش كما قال ابن عباس والضحاك، وإما إلى حيث شاء الله، وإما إلى النار كما قال الزمخشري.

يروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] الآية. قال بعضهم: يؤخذ بالشمس والقمر فيلقيان ويرمى بهما دليله قوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩].

وقال عطاء بن يسار: (يجمع بينهما يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر، فيكونان نار الله الكبرى). وقال علي وابن عباس: (يدخلان في نور الحجب).

الخامسة: فيما يصيب النجوم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير:٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار:٢] ومعناها: سقوط الكواكب إلى الأرض، وقد جاء أنها تسقط عند موت الملائكة الذين كانوا يحبسونها وهي معلقة بين السماء و لأرض.

وفي حديث أبي هريرة: "إذا سارت السماء كالمهل تتناثر النجوم ويسقط شمسها وقمرها".

السادس: فيما يصيب البحار

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَت﴾ [الانفطار:٣] أي: فاضت وملئت.

قال الضحاك والربيع بن خيثم، وغيرهما: تفجيرها فيضها.

قال الغزالي: قد تفجر بعضها في بعض حتى امتلأ عالم الهواء ماء.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦] وهو بمعنى الأول عند الضحاك، والربيع.

وقيل: معنى (سجرت) فجر بعضهاعلى بعض، العذب والمالح فصارت كلها بحرًا واحدًا، قاله مجاهد، والضحاك، ومقاتل.

وقيل: معنى (سجرت) يبست حتى لا يبقى من ماءها قطرة. قاله الحسن، وقتادة.

وقيل: معنى (سجرت) أضرمت نارًا. قاله ابن عباس، ووهب وسفيان، وابن عطية، وابن زيد.

وفي الثعلبي: قال ابن عباس: (يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحار فيبعث الله عليها ريحًا دبورًا فتنفخها حتى تصير نارًا).

قلت: ويمكن الجمع بين الأقوال المتقدمة بأن يقال: إن البحار تفيض أولًا ولكثرة فيضها تصير بحرًا واحدًا، ثم تنشف حتى لا يبقى منها قطرة ثم بعد ذلك يضرم مكانها نارًا. وفي ذلك آيات دالات على كمال قدرته، ووجوب وحدانيته لا إله إلا هو الفعال لما يريد.

وفي مكي: قال ابن عباس: (جهنم في البحر الأخضر تكور الشمس والقمر فيه). انتهى.

فإن قلت: قد مر عن ابن عباس ومن وافقه أنه يذهب بالشمس إلى العرش أو الحجب. وكلامه هنا مخالف لما مر. وهو قول الزمخشري؟

قلت: يمكن الجمع بأن يقال: تكور في النار أولًا ليراها من عبدها تبكيتًا له ثم يذهب بها إلى العرش، فتأمل.

فصل في ذكر نفخة الصعق

وفيها هلاك كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وقد فسر المفسرون الصعق بالموت.

قال الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ [الأنعام:٧٣] أنه لا شبهة عند أهل الإسلام في أن الله خلق قرنًا ينفخ فيه ملك من الملائكة، وذلك القرن يسمى بالصور على ما ذكره الله في مواضع من القرآن.

وأما سرعة زمن وقوعها فقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧] قال الفخر: هذا يدل على كمال القدرة.

وقال: معناه إن لمح البصر عبارة عن انتقال الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها، والحدقة مؤلفة من أجزاء لا تتجزأ فلمح البصر عبارة عن المرور على تلك الأجزاء التى تألفت منها الحدقة، ولا شك أن تلك الأجزاء كثيرة، والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من آنات متعاقبة، والله قادر على إقامة القيامة في آن واحد من تلك الآنات، فلهذا قال تعاليك ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل:٧٧].

وقال الزجاج: لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر، وإنما وصف سرعة القدرة على الامتثال بها، وأخبر أن البعث والإحياء في قدرته ومشيئته كلمح البصر، نزلت في الكفار الذين استعجلوا قيام الساعة.

فائدة: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] فمقتضى هذه الآية هلاك كل شيء إلا وجهه، وهو قول في المسألة، قالوا: إن الله يُفني كل شيء حتى الجنة والنار، ولا يبقى شيء سواه، وهو معنى قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد:٣].

قال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه ومعرفته أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] واقع عليه سبحانه خاصة. ولو كان هناك أحد لأجابه سبحانه حين يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦] فيقول: لك يا واحد يا قهار.

وقيل: إن هناك أشياء لا تفنى؛ لأن الله خلقها للبقاء فمنها الجنة والنار لا يفنيان أبدًا.

قلت: وهو الحق في المسألة. نص عليه الإمام أحمد. وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: ما هو قابل للهلاك، ولم يخلق للبقاء أو ما من شيء إلا هو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجهه سبحانه.

وفي الثعلبي: قال الضحاك: كل شيء هالك إلا وجه الله تعالى، والجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والأرواح.

وفي "التذكرة": لم يبلغنا في خبر صحيح ولا معلول أنه يهلك العرش فلتكن الجنة مثله. وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] فالضمير عائد على الأرض، ومقتضاها هلاك كل من عليها. قال ابن عباس: (لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة: هلك أهل الأرض). فنزلت ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فأيقنت الملائكة بالهلاك، إذا تقرر هذا فقد اختلف

العلماء في المستثنى في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ﴾ [الزمر: ٦٨] فقيل: الملائكة جبريل، وميكائيل، وحملة العرش، وقيل: الأنبياء، وقيل: الشهداء، وقيل: موسى.

وقال الحسن: استثنى طوائف من السماء يموتون بين النفختين. قال بعضهم: والصحيح أنه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح، والكل محتمل.

قال الحليمي مستشكلًا: من زعم أن الاستثناء لأجل حملة العرش، أو جبريل، أوميكائيل، أو ملك الموت، أو زعم أنه لأجل الولدان والحور العين، أو لموسى، فإنه لا يصح شيء منها لأن حملة العرش وجبريل وميكائيل ليسوا من سكان السموات والأرض؛ لأن العرش فوق السموات، وحملته كذلك وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصافين المسبحين حول العرش، وكذلك الحور والولدان في الجنة وهي فوق السماء دون العرش، وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء، وصرفه إلى موسى لا وجه له؛ لأنه قد مات حقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية، وأطال صاحب التذكرة الكلام على هذا ولم يأت عنه بجواب سديد.

قلت: والذي يزيل هذا الإشكال أن قوله تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨] ليس المراد به السموات والأرض بخصوصهما، بل هو كناية عمن هو فوق ومن هو أسفل، فدخل في ذلك العالم بأسره فصح حينئذ الاستثناء، وإنما خصص سبحانه السموات والأرض بالذكر؛ لأنها هي المشاهدة عندنا والمرئية لنا.

كما قال في الجنة: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران:١٣٣] مع أنها أعظم من ذلك قطعًا فليس ذلك إلا كناية عن سعتها، ولم يقل العرش والكرسي مع أنهما أعظم من السموات والأرض لما علمت، فتأمل.

وقال يحيى بن سلام في تفسيره: بلغنى أن آخر من يبقى من الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يقول الله عز وجل لملك الموت: مت. فيموت.

وهذا قد جاء مرفوعًا في حديث أبي هريرة، وفي الثعلبي من حديث أبي هريرة: "أنه إذا لم يبق أحد إلا الله فكان أولًا كما كان آخرًا، طوى السماء كطى السجل للكتاب، ثم قال: أنا الجبار، لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد، ثم يقول: لله الواحد القهار، ثم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ".

وفي البخارى من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟"[1].

وفي مسلم يقول: "أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟"[2].

وفي "الدرة الفاخرة": ثم يثني الله سبحانه على نفسه بما شاء، ويفتخر بالبقاء المستمر والعز الدائم والملك الباقى والقدرة الظاهرة والحكمة الباهرة. والله أعلم.

فصل في ذكر نفخة البعث

وقد جاء في القرآن آيات كلها تدل على نفخة البعث منها قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس:٥١] وقوله ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون:١٠١] الآية. وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق:٢٠] وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ:١٨] وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨] وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨].

قال الكلبي وغيره: (هي نفخة البعث).

(والناقور) فاعول من النقر كأنه الذي من شأنه أن ينقر فيه للتصويت. وقوله: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ [ق:٤١-٤٢] الآية.

قال المفسرون: المنادي هو إسرافيل ينفخ في الصور، وينادي: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إن إسرافيل ينفخ، وجبريل ينادي، والمكان القريب هو صخرة بيت المقدس.

قاله جماعة من المفسرين: وهي وسط الأرض. قال كعب: (وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلًا، والصيحة المذكورة هي نفخة البعث).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٣٨٢، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٩٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٦٤٦، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٧٦٤٥، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٨٥٠، وأخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده حديث رقم: ٩٢، وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية حديث رقم: ٣٠١، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٩٢، وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ١٢٧٨، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٤٧١.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٩٠، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٩٨، وأبو داود حديث رقم: ٤٧٣٢، وأخرجه أبو يعلى حديث رقم: ٥٥٥٨، وأخرجه عبد بن حميد حديث رقم: ٧٤٢، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٣٧٢.

إذا علمت هذا فقد اختلف العلماء في مقدار ما بين نفخة الصعق ونفخة البعث، فورد في الخبر: أن بين النفختين أربعين عامًا. وقال الحليمي: اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة.

وفي مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما بين النفختين أربعون"[١]. قالوا: يا أبا هريرة؛ أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا، قال: أبيت قالوا: أربعون عامًا، قال: أبيت[٢]. الحديث.

وقول أبي هريرة: (أبيت) فيه تأويلان: فقيل: أبيت، أي: امتنعت من بيان ذلك لكم وتعبيره. وقيل: أبيت، أي: أبيت أن أسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

قال الغزالي: حدثني من لا أشك في علمه ومعرفته أن سر ذلك وأمره لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لأنه من أسرار الربوبية.

وفي مسلم، وابن ماجة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة"[١].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٩٣٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٥٦، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٢١٨٨، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في تلبيس إبليس حديث رقم: ٣٧، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٠٢٧، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٣١٦، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٨٢٩، وأخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين ج ١: ص ٢٤.

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري ج١٣/ ٤٦٩: قَوْله: (أَبَيْت) بِمُوَحَّدَةٍ أَيْ اِمْتَنَعْت عَنْ الْقَوْل بِتَعْيِينِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي فِي ذَلِكَ تَوْقِيف، وَلِابْنِ مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيق أَبِي بَكْر بْن عَيَّاش عَنْ الْأَعْمَش فِي هَذَا الْحَدِيث فَقَالَ "أَعْيَيْت" مِنْ الْإِعْيَاء وَهُوَ التَّعَب، وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى كَثْرَة مَنْ يَسْأَلهُ عَنْ تَبْيِين ذَلِكَ فَلَا يُجِيبهُ، وَزَعَمَ بَعْض الشُّرَّاح أَنَّهُ وَقَعَ عِنْدَ مُسْلِم أَرْبَعِينَ سَنَة وَلَا وُجُود لِذَلِكَ، نَعَمْ أَخْرَجَ اِبْن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيق سَعِيد بْن الصَّلْت عَنْ الْأَعْمَش فِي هَذَا الْإِسْنَاد " أَرْبَعُونَ سَنَة " وَهُوَ شَاذّ. وَمِنْ وَجْه ضَعِيف عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ " مَا بَيْنَ النَّفْخَة وَالنَّفْخَة أَرْبَعُونَ سَنَة " ذَكَرَهُ فِي أَوَاخِر سُورَة ص، وَكَأَنَّ أَبَا هُرَيْرَة لَمْ يَسْمَعهَا إِلَّا مُجْمَلَة فَلِهَذَا قَالَ لِمَنْ عَيَّنَهَا لَهُ " أَبَيْت ". وَقَدْ أَخْرَجَ اِبْن مَرْدَوَيْهِ مِنْ طَرِيق زَيْد بْن أَسْلَم عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ " بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ مَاذَا؟ قَالَ: هَكَذَا سَمِعْت " وَقَالَ اِبْن التِّين: وَيُحْتَمَل أَيْضًا أَنْ يَكُون عَلِمَ ذَلِكَ لَكِنْ سَكَتَ لِيُخْبِرَهُمْ فِي وَقْت، أَوْ اِشْتَغَلَ عَنْ الْإِعْلَام حِينَئِذٍ. وَوَقَعَ فِي " جَامِع اِبْن وَهْب " أَرْبَعِينَ جُمُعَة، وَسَنَده مُنْقَطِع.

وفي رواية أخرى: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق، ومنه يركب". قال أهل اللغة: يقال: عجم وعجب بالميم والباء لغتان، وهو جزء لطيف في أصل الصلب، وقيل: هو رأس العصعص.

وفي الثعلبي في تفسير سورة الزمر: أن من حديث أبي هريرة الطويل: "إن الله تعالى يرسل مطرًا على الأرض، فينزل عليها أربعين يومًا حتى يكون فوقهم اثنى عشر ذراعًا، فيأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم، كما كانت قال الله تعالى: ليحي حملة العرش، ليحي جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يأمر الله إسرافيل، فيأخذ الصور فيضعه على فيه، ثم يدعو الأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورًا، والأخرى ظلمة فيقبضها جميعًا، ثم يلقيها في الصور، ثم يأمره أن ينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كلها كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، ثم يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي؛ لترجعن كل روح إلى جسدها، فتدخل الأرواح في الخياشيم، ثم تمشي في الأجساد مشى السم في اللديغ، ثم تشقق الأرض عنكم سراعًا، فأنا أول من تنشق عنه الأرض، فتخرجون منها إلى ربكم تنسلون"[٢].

وفي الثعلبي أيضًا في تفسير سورة الأعراف، وفي تفسير ابن عطية: قال أبو هريرة، وابن عباس: (إذا مات الناس كلهم في النفخة الأولى أمطر عليهم أربعين عامًا ماء كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان، فينبتون من قبورهم بذلك المطر كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح، ثم تلقى عليهم نومة فينامون في قبورهم، فإذا

==

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٩٣٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٥٨, ٢٩٥٧, ٢٩٥٦، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧٤٣، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٢٠٧٧، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٦٦، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٥٦٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٠٩٩, ٩٢٤٤, ٨٠٨٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣١٣٩, ٣١٣٨، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٣٩٥, ٢٢١٥، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٩٩١، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٢٨٩، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٩٤٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٢٩٨, ٦٥١، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٢٢٨٥، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٣١, ٧٤٥٠، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٨٢٩.

(٢) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٣٢.

نفخ في الصور النفخة الثانية، قاموا وهم يجدون طعم النوم في أعينهم كما يجده النائم إذا استيقظ من نومه، فعند ذلك يقولون: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس:٥٢].

وأما قوله تعالى: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢] ففي كونه من كلام الكفار أو من كلام الملائكة قولان للمفسرين، وقال مجاهد: إن للكافرين هجعة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم النوم، فإذا أصيح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينتظرون ما يراد بهم.

وقال عكرمة: إن للذين يغرقون في البحر، وتقتسم لحومهم الحيتان، ولا يبقى منهم شيء إلا العظام، فتلقيها الأمواج إلى الساحل فتمكث حينًا، ثم تصير نخرة، ثم تمر بها الإبل فتأكلها، ثم تسير الإبل فتبعرها، ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه، ثم تخمد تلك النار فتجيء الريح فتلقى ذلك الرماد على الأرض، فإذا جاءت النفخة فإذا هم قيام ينظرون يخرج أولئك وأهل القبور سواء.

وقال العلماء: إن الله تعالى يجمع ما تفرق من أجساد الناس من بطون السباع، وحيوانات الماء، وبطن الأرض، وما أصاب النيران منها بالحرق، والمياه بالغرق، وما أبلته الشمس، وذرته الرياح، فإذا جمعها وأكمل كل بدن منها ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح في الصور، وأمر إسرافيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فترجع كل روح إلى جسدها فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ [الزمر:٦٨].

تنبيه: قيام الناس من الأجداث لرب العالمين قد جاء في غير موضع من القرآن قال: تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر:٧] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦]. والمراد بالقيام: قيامهم من مصارعهم حيث كانوا في سائر أقطار الأرض، وأول من ينشق عنه القبر النبي صلى الله عليه وسلم.

ففي مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: **"أنا سيد ولد آدم، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع"**(١).

وفي البخاري: **"أنا أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى عليه السلام متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة "**(٢).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٢٧٩، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٧٤٤.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٨١٣.

وفي بعض ألفاظ البخاري[١]: **"فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور "**[٢].

وأخرج الترمذي الحكيم عن ابن عمر، قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر، فقال: **"هكذا نبعث يوم القيامة "**[٣].

وفي الثعلبي وغيره عن أبي هريرة: **"ثم تنشق عنكم الأرض، وأول من تنشق عنه الأرض أنا فتنسلون سراعًا إلى ربكم عن سن الثلاثين "**[٤].

---

(١) قَالَ الْحَافِظُ ابن حجر في فتح الباري عند شرح هذا الحديث بطرقه: أَيْ فَلَمْ يَكُنْ مِمَّنْ صَعِقَ، أَيْ فَإِنْ كَانَ أَفَاقَ قَبْلِي فَهِيَ فَضِيلَةٌ ظَاهِرَةٌ وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ إِسْتَثْنَى اللهُ فَلَمْ يُصْعَقْ فَهِيَ فَضِيلَةٌ أَيْضًا.

وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: " فَلَا أَدْرِي كَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَيْ فَأَفَاقَ قَبْلِي أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي صُعِقَهَا لَمَّا سَأَلَ الرُّؤْيَةَ، وَبَيَّنَ ذَلِكَ اِبْنُ الْفَضْلِ فِي رِوَايَتِهِ بِلَفْظِ: " أُحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ أَوْ كَانَ مِمَّنْ إِسْتَثْنَى اللهُ أَنَّ فِي رِوَايَةِ اِبْنِ الْفَضْلِ وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ بَيَانُ السَّبَبِ فِي إِسْتِثْنَائِهِ وَهُوَ أَنَّهُ حُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ فَلَمْ يُكَلَّفْ بِصَعْقَةٍ أُخْرَى، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (مِمَّنْ إِسْتَثْنَى اللهُ قَوْلُهُ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ) إِنْتَهَى كَلَامُ الْحَافِظِ.

قَالَ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِ مُسْلِمٍ: قَالَ الْقَاضِي هَذَا مِنْ أَشْكَلِ الْأَحَادِيثِ لِأَنَّ مُوسَى قَدْ مَاتَ فَكَيْفَ تُدْرِكُهُ الصَّعْقَةُ وَإِنَّمَا تَصْعَقُ الْأَحْيَاءَ، وَقَوْلُهُ: مِمَّنْ إِسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ حَيًّا وَلَمْ يَأْتِ أَنَّ مُوسَى رَجَعَ إِلَى الْحَيَاةِ وَلَا أَنَّهُ حَيٌّ كَمَا جَاءَ فِي عِيسَى، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ". قَالَ الْقَاضِي فَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذِهِ الصَّعْقَةَ صَعْقَةُ فَزَعٍ بَعْدَ الْبَعْثِ حِينَ تَنْشَقُّ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فَتَتَنَظِمُ حِينَئِذٍ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَفَاقَ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَفَاقَ مِنَ الْغَشْيِ، وَأَمَّا الْمَوْتُ فَيُقَالُ بُعِثَ مِنْهُ وَصَعْقَةُ الطُّورِ لَمْ تَكُنْ مَوْتًا وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي " فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ إِنْ كَانَ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَأَنَّ نَبِيَّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ شَخْصٍ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. قَالَ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مِنَ الزُّمْرَةِ الَّذِينَ هُمْ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُمُ الْأَرْضُ فَيَكُونُ مُوسَى مِنْ تِلْكَ الزُّمْرَةِ وَهِيَ وَاللهُ أَعْلَمُ زُمْرَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ. إِنْتَهَى.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٩١٧ ,٤٦٣٨ ,٣٣٩٨، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٨٣٨، وأخرجه محمد بن إسحاق الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار حديث رقم: ١٨٣.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٦٦٩، وابن ماجه حديث رقم: ٩٩.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٦٧٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٥٨٩ ,١٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٤٧٨ ,٦٤٧٦ ,٦٢٤٢، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في

وفي لفظ: "كأنكم أبناء ثلاث وثلاثين مهطعين إلى الداعي، فتقفون في موقف واحد سبعين عامًا حفاة عراة غرلًا بُهما، لا ينظر الله إليكم ولا يقضي بينكم، فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع ويلجمهم العرق"[1]. الحديث.

وفي بعض طرق حديث الصور الطويل عند علي بن معبد: " فتخرجون منها شبابًا كلكم أبناء ثلاث وثلاثين، واللسان يومئذ بالسريانية "[2].

وفي "الدرة الفاخرة": إذا استوى كل أحد قاعدًا على قبره فمنهم العريان والمكسو والأسود والأبيض، ومنهم من يكون له نور كالمصباح الضعيف، ومنهم من يكون له نور كالشمس الناصع، فلا يزال كل واحد منهم مطرقًا برأسه ألف عام حتى تقوم من الغرب نار لها دوي فتدهش لها رءوس الخليقة إنسًا وجنًا وطيرًا ووحشًا، فيؤتى لكل واحد عمله، ويقول له: قم فانهض إلى المحشر.

==

مسنده حديث رقم: ٤٤٣، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ٩: ص٤، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٨٣٤، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٧٦.

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٦٤٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٦٦٢٩.

الباب السابع
في ذكر المحشر والموقف وما يتعلق بذلك

(الحشر) لغة الجمع تقول: حشرت الناس إذا جمعتهم، والمراد به في القيامة جمع الأجزاء بعد التفرق مع إحياء الأبدان بعد موتها. هذا مذهب الجمهور، وهو أن المعاد للأرواح بأبدانها.

وقيل: المعاد للأبدان فقط، وهو قول كثير من المتكلمين الجهمية والمعتزلة القائلين بأن الإنسان عبارة عن هذا الهيكل المحسوس لا غير.

وقيل: المعاد للأرواح فقط، وهو قول الفلاسفة والملاحدة

وأجمع أهل السنة أن الأجساد الدنيوية تعاد بأعيانها وأعراضها، واعلم أن موضع الحشر على الأرض بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات:١٣-١٤] أي: على ظهر الأرض. والعرب تسمى الفلاة وظهر الأرض ساهرة؛ لأن فيها نوم الحيوان وسهره.

قال ابن عباس، والحسن، وعكرمة: ﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ أي: على الأرض.

وأما السنة ففي مسلم عن سهل بن سعد، مرفوعًا: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي، ليس فيها علم لأحد"(١). أي: ليس فيها علامة سكني أو بناء أو أثر لأحد.

وفي النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على أنهم يحشرون إلى أرض الشام، ونقل بعض المفسرين عن وهب بن منبه: (أن الساهرة جبلى إلى حيث بيت المقدس)، وقال آخرون: (هو موضع جبل حبسان وجبل أريحا يمده الله كيف شاء).

وفي "الدرة الفاخرة": الذي يحشر الناس عليه هي الأرض الثانية وهي الساهرة. وقيل:هي أرض من فضة لم يعص الله عليها. وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:٤٨] حكاه مكي في تفسيره.

إذا تقرر هذا فاعلم أن العبد يبعث على حالته عند خروجه من بطن أمه، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٩٣، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٦٩٢.

قال أكثر العلماء: كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلًا. كذلك يوم القيامة نظيره قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:٩٤].

وفي مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا. قلت: يا رسول الله؛ الرجال والنساء جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: يا عائشة؛ الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلي بعض**"[١]. والغرل جميع أغرل، وهو الأقلف.

وفي مسلم أيضًا: "**ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة:١١٧] الآية**"[٢].

لطيفة: أخرج أبو داود، والحاكم وصححه، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري: أنه لما احتضر دعا بثياب جدد يلبسها ثمَ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن الميت يبعث في ثيابه التى يموت فيها** "[٣].

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن معاذ بن جبل: أنه دفن أمه في ثياب جدد. وقال: (أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها).

وعن عمر بن الخطاب قال: (أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يبعثون فيها يوم القيامة).

قال القرطبى: هذه الأحاديث معارضة بحديث الحشر عراة، فبعضهم قال بظاهرها، والأكثر حملوها على الشهيد الذي أمر أن يدفن بثيابه التى قتل فيها، وأن أبا سعيد سمع الحديث في الشهيد فحمله على العموم.

وقال البيهقي: يجمع بأن بعضهم يحشر عاريًا، وبعضهم بثيابه، أو يخرجون من قبورهم بثيابهم التى ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٦١، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٧٦، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال حديث رقم: ٢٣٢.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٢٩٧.

(٣) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٣١١٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣١٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٤٠، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ٣: ص٣٨٤.

قال: وبعضهم حمل حديث: "أن الميت يبعث في ثيابه على العمل الصالح"؛ لقوله: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦].

وأما الحديث الصحيح: "أن أول من يكسى إبراهيم". فقال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من قبره في ثيابه التى مات فيها، والحلة التى يكساها حينئذ من حلل الجنة.

وأخرج الخطيب عن ابن مسعود، قال: (يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقا لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه).

فصل

واعلم أن العبد يبعث على ما مات عليه، ففي مسلم عن جابر مرفوعًا: "يبعث كل عبد على ما مات عليه"[1]. وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف:٢٩] يبعث المؤمن مؤمنًا، والكافر كافرًا.

وفي الصحيحين: "أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق في عنقه، والقدح بيده، وهو أنتن من كل جيفة على الأرض، يلعنه كل من يمر به من الخلق ".

وفي الصحيح: "أن المقتول في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يشخب دما؛ اللون لون دم والريح ريح المسك"[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٨٠، وأخرجه لبن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٤٥٢٤ , ١٤١٣٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣١٩ , ٧٣١٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٤٥٢،ج ٢: ص٤٩٠، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٩٠١، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٠١٣، وأخرجه سفيان الثوري في تفسيره حديث رقم: ٢٨٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٥٣١، وأخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه فى: ج ١: ص٢٩، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في صفة النفاق ونعت المنافقين حديث رقم: ٢٩.

(٢) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٣١٤٧، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ١٠٠١، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٧٣٢٥ , ٧٣٠٤، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٤٣٤٠، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٣٦٢، وأخرجه الحسن بن علي الجوهري في مسنده حديث رقم: ٥٤٨.

وفي مرفوع ابن عمر: "ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت، ولا في قبورهم، ولا في منشرهم، كأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رءوسهم وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن "(١).

وفي الثعلبي في تفسير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: ٩] قال: النبي صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة، فيقول: من أنت؟ والله أني أراك امْرَأَ صِدْقٍ. فيقول له: أنا عملك. فيكون له نورًا وقائدًا إلى الجنة، والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة، فيقول له: من أنت؟ فوالله أني أراك امرأ سوء. فيقول له: أنا عملك. فينطلق به إلى النار حتى يدخلها"(٢).

وذكر الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم:٨٥-٨٦] الآية. عن علي رضي الله عنه قال: (والذي نفسي بيده؛ إن المتقين إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض؛ لها أجنحة عليها رحال الذهب).

(والوفد): القوم الركبان يغدون على الملك. (والسوق): القوم يساقون على أرجلهم.

وقال علي أيضًا: (ما يحشرون والله على أرجلهم إلا على نوق رحالها ذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن نهموها طارت).

وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ قال: ركبانًا، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ قال: عطاشا.

وفي الترمذي وأبي داود والبيهقي عن أبي هريرة مرفوعًا: "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: ركبانًا، ومشاة، وعلى وجوههم. فقال رجل: يا رسول الله؛ أو يمشون على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم"(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٩٤٤٥، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٨٢، والبغوي في معالم التزيل حديث رقم: ٩٨٣.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٢: ص ١٢٣.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣١٤٢، والبيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ١٠٦٨، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٦٨٩.

وأخرج الشيخان عن أنس: أن رسول صلى الله عليه وسلم سُئِلَ: كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: "أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرًا أن يمشيه على وجهه يوم القيامة"[1].

قال الغزالي: وفي طبع الآدمى إنكار ما لم يأنس به ولم يشاهده ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشى على بطنها لأنكر المشي من غير رجل، والمشي بالرجل أيضًا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك وإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا.

وفي الثعلبي وغيره من حديث معاذ بن جبل قال: قلت: يا رسول الله؛ أرأيت قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ آية ١٨] فقال عليه السلام: "يا معاذ؛ لقد سألت عن أمر عظيم. ثم أرسل عينيه بالبكاء وقال: يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتًا، قد ميزهم الله من جماعات المسلمين وبدل صورهم، فمنهم على صورة القردة وعلى صورة الخنازير، وبعضهم منكسون أرجلهم أعلا ووجوههم يسحبون عليها، وبعضهم عمي، وبعضهم صم، وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم، يسيل القيح من أفواههم يقذرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلبين على جذوع النار، وبعضهم أشد نتنًا من الجيف، وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران، فأما الذين على صورة القردة فالنمام من الناس، والذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكث، والمنكسون فأكلة الربا، والعمى الذين يجورون في الحكم، والصم والبكم الذين يعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم، والمقطعة أيديهم وأرجلهم فالذين يؤذون الجيران، والمصلبين على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنًا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من أموالهم، والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء".

وأخرج البزار عن أبي هريرة مرفوعًا: "يحشر المتكبرون يوم القيامة في صورة الذر"[2].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٢٣، ٤٧٦٠، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٩٢، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٨٧٢، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٦٦٣٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال حديث رقم: ٢٤٠.

وأخرج أيضًا عن جابر مرفوعًا: " يبعث الله يوم القيامة ناسًا في صورة الذر تطأهم الناس بأقدامهم فيقال: ما بال هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتكبرون في الدنيا ".

وفي الطبراني مرفوعًا: "ذو الوجهين في الدنيا يأتي يوم القيامة وله وجهان من نار"[١].

وأخرج ابن حبان والحاكم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: " من كانت عنده امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل"[٢]. وفي لفظ: "ساقط".

وأخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم وأبو يعلى وابن حبان مرفوعًا: "يبعث الله يوم القيامة قومًا من قبورهم تأجج أفواههم نارًا، فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: ألم تر أن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]"[٣].

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعًا: "ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولًا، لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل "[٤].

وفي رواية الطبراني: " ما من أمير عشرة إلا أتى الله يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه؛ فإن كان محسنًا فك عنه، وإن كان مسيئًا زيد غلًا إلى غله"[٥].

وأخرج أبو يعلى والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس مرفوعًا: "مَنْ سُئِلَ عن علم فكتمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار، ومن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار "[٦].

قلت: وبالجملة فالأحاديث في مثل هذا مما يطول ذكرها، ولا شك أن الناس مختلفون في حشرهم، ومتنوعون أنواعًا كثيرة، نسأل الله العافية.

تنبيه: ورد في الحشر ما ظاهره التعارض منها قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس آية ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء آية ٩٧].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٢٧٨.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٤٢٠٧، والحاكم في المستدرك ج٢/ ١٨٦.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٥٦٦، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٧٤٤٠، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ٤٨٨١.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢١٩٥٦.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٤٧٦٣.

(٦) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٥٨٥.

وقال تعالى: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ [يس آية ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الأعراف آية ٦]، وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج آية ٤٣] وهو التعارف والسؤال تخاطب مضاد للصمم والبكم والإسراع مخالف للحشر على الوجوه.

والجواب: أن الناس ليسوا في ذلك اليوم على حالة واحدة كما مر، فاختلفت الأخبار عنهم لاختلاف أحوالهم أو إن لهم في القيامة حالات شتى، فتارة يكونون هكذا، وتارة هكذا على حسب ما وردت به الأخبار، فسبحان القادر على كل شيء.

فصل في ذكر الوقوف بالمحشر

قال الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف آية ٤٧]، وقال: ﴿اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء آية ٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ آية ١٨] أي: زمرًا زمرًا.

قال أبوهريرة: (إن الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وإنسان).

وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير آية ٥] (يحشر كل شيء حتى أن الذباب ليحشر).

والحاصل أن الله سبحانه يجمع في ذلك اليوم الأولين والآخرين، حتى لا يدرى الشخص أين يضع قدمه لشدة الزحام.

ففي تفسير مكي: يحشر الناس يوم القيامة على أرض قد مدها الله تعالى مد الأديم العكاظي، فهم في ضيق مقامهم فيها كضيق سهام اجتمعت في كنانتها، فالسعيد يومئذ من وجد لقدمه مقامًا. قال: وأكثر الأقدام يومئذ بعضها على بعض.

واختلف العلماء في مقدار الوقوف بالمحشر:

قال مكي في تفسير: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[المطففين آية ٦] روي أن الناس يقومون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق، فيقومون مقدار أربعين عامًا، وهذا أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة: "يحشر الناس حفاة عراة مشاة غرلًا قيامًا أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء. قال: فيلجمهم العرق من شدة الكرب"[1]. الحديث.

---

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٦٤١.

وعن ابن مسعود أنه قال: (يمكثون أربعين سنة رافعي رءوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد، قد ألجم العرق كل بر وفاجر، قال: فينادي مناد: أليس عدلًا من ربكم أنه خلقكم ثم صوركم ثم رزقكم ثم توليتم غيره، أن يولى كل عبد منكم ما تولى في الدنيا؟ فيقولون: بلى).

وقيل: يقومون مائة سنة حكي ذلك عن ابن عمر وقيل: يقومون مقدار سبعين عامًا حكي ذلك عن أبي هريرة. وقيل: إن مقدار الوقوف: ثلثمائة سنة.

قاله كعب وغيره: وورد به الحديث، روى أبو هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لبشر الغفارى: " كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس لرب العالمين، مقداره ثلثمائة سنة من أيام الدنيا، لا يأتيهم خبر من السماء، ولا يؤمر فيهم بأمر، فقال بشر: إنه المستعان يا رسول الله"[1]. الحديث.

وقيل: إن مقداره ألف سنة. أخرج الطبراني: أن ابن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال له: "أما مقام الناس بين يدي رب العالمين فألف سنة لا يؤذن لهم".

وأخرج البيهقي عن ابن عمر مرفوعًا: "يمكثون ألف عام في الظلمة يوم القيامة لا يكلمون". وقيل: مقداره خمسون ألف سنة.

أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عمر قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: "كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم"[2].

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي بسند حسن عن أبي سعيد الخدري قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج آية٤]: ما أطول هذا اليوم؟! فقال: "والذي نفسي بيده؛ إنه ليخففه على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا".

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: (ما قدر طول يوم القيامة على المؤمن إلا كقدر ما بين الظهر إلى العصر).

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٤: ص ١٩٠.

(٢) أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك ج ٤: ص٥٧٢، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ٧١٤٣

وأخرج ابن المبارك والطبراني وابن حبان عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تجمعون يوم القيامة فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها، فيقومون فيقال لهم: ماذا عملتم؟ فيقولون: ربنا ابتليتنا فصبرنا، ووليت الأمور والسلطان غيرنا. فيقول الله: صدقتم، فيدخلون الجنة قبل الناس بزمن، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال والسلطان. قالوا: فأين المؤمنون يومئذ. قال: يوضع لهم منابر من نور، ويظلل عليهم بالغمام، ويكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار"(١).

وبالجملة فالأحاديث في هذا كثيرة شهيرة، وسيأتي الكلام آخر الكتاب إن شاء الله تعالى على معنى قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج آية ٤٧].

وأخرج ابن عساكر: أن عكرمة سأل ابن عباس عن يوم القيامة: أمن الدنيا هو؟ أو من يوم الآخرة؟ قال: (صدر ذلك اليوم من الدنيا، وآخره من الآخرة).

فصل فيما يلقاه الناس في الموقف من الأهوال

أخرج ابن المبارك عن كعب قال: (لو أن رجلًا كان له مثل عمل سبعين نبيًا يخشى أن لا ينجو من شر ذلك اليوم).

وأخرج البيهقي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ [سورة إبراهيم:٤٢-٤٣]. قالوا: انتزعت قلوبهم حتى صارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا ترجع إلى أماكنها.

وأخرج ابن المبارك: أن الأقدام يوم القيامة مثل النبل في القرن، والسعيد الذي يجد لقدمه موضعًا يضعها عليه، وإن الشمس تدني من رءوسهم، إما قال: ميل أو ميلان، ثم يزاد في حرها بضعة وستون ضعفًا.

وفي الصحيحين عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال: "يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه"(٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤١٩.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٣١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٦٥، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٧٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٦٠٣٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه

وعند الشيخين مرفوعًا: "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعًا ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم"[١].

وفي مسلم عن المقداد بن الأسود مرفوعًا: " تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا. وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه"[٢]. قال العلماء: وهذا من الخوارق الواقعة يوم القيامة.

وأخرج أحمد والطبراني عن أبي إمامة مرفوعًا: " تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا، تغلي منها الهام كما تغلى القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم"[٣]. الحديث.

وأخرج أحمد والطبراني بسند جيد عن أنس يرفعه قال: "لم يلق ابن آدم شيئا منذ خلقه الله أشد عليه من الموت، ثم إن الموت أهون عليه مما بعده، وأنهم ليلقون من هول ذلك اليوم شدة حتى يلجمهم العرق، حتى إن السفن لو أجريت فيه لجرت"[٤].

وأخرج الطبراني وأبو يعلى وابن حبان والبيهقي عن ابن مسعود قال: (الأرض يوم القيامة نار كلها، والجنة من ورائها ترى كواعبها وأكوابها، فيعرق الرجل حتى يسيخ عرقه في الأرض قدر قامته، ثم يرتفع حتي يبلغ أنفه وما مسه الحساب).

==

حديث رقم: ٧٣٣٢، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٥٩٣، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٥٥٦١، وأخرجه أبو بكر بن المقرئ في معجمه حديث رقم: ٧٦٧، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٤: ص ١٩٠،ج ٢٤: ص ١٩٢، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٣٢٦، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال حديث رقم: ١٣٣.

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٣٢، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٦٦.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٦٦، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦٠٢.

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢١٦٨١، وأخرجه أبو القاسم الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٩٩٣.

(٤) أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٩٧٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢١٥٦.

وأخرج البزار والحاكم عن جابر مرفوعًا: "إن العرق ليلزم المرء في الموقف حتى يقول: يارب إرسالك بي إلى النار أهون علي مما أجد. وهو يعلم ما فيها من شدة العذاب"[(١)].

وأخرج البيهقي عن ابن عمر وقال: (يشتد كرب ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق. قيل له: فأين المؤمنون؟ قال: على كراسي من ذهب ويظلل عليهم الغمام).

وأخرج هناد عن ابن مسعود قال: (إن الفجار ليلجمهم العرق يوم القيامة قبل الحساب. قيل: فأين المؤمنون؟ قال: على كراسي قد ظلل عليهم الغمام، ما طول ذلك اليوم عليهم إلا كساعة من نهار).

وأخرج ابن المبارك والبيهقي عن أبي موسى الأشعرى قال: (الشمس فوق رءوس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه متعلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**"[(٢)].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٧٧، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية حديث رقم: ٤٥٥٠.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٤٢٣ , ٦٦٠، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٠٣٣، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٩١، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ١٧٧٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٩٣٧٣، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ٣٥٨، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٣٨ , ٤٤٨٦، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٧٠٢١، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٣٠٥، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ٤٦٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ١٠: ص٨٧،ج ٤: ص١٩٠،ج ٨: ص١٦٢، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٢٠٠٥، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم: ٣٥١ , ٢٥٧ , ٤٨، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٣٢٤، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٦١٦ , ٦١٥.

قال صاحب "مطامح الأفهام": إظلال الله عز وجل لهم عبارة عن أنه يقيهم أهوال المحشر، ويعصمهم من حر الشمس حينئذ، ويحميهم من شدة العطش الذي يصيب الخلق حينئذ من طول الوقوف.

وأخرج أحمد والحاكم عن سهل بن حنيف مرفوعًا: " **من أعان مجاهدًا في سبيل الله، أو غارمًا في عثرته، أو مكاتبًا في رقبته، أظله الله يوم لا ظل إلا ظله**"(١).

وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعًا: " **من أطعم الجائع حتى يشبع أظله الله تحت ظل عرشه**"(٢).

وأخرج الأصبهاني والديلمي عن أنس مرفوعًا: "**التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة**"(٣).

وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعًا: "**أظله الله في ظله يوم القيامة من أنظر معسرًا**"(٤).

وأخرج أيضًا عن جابر مرفوعًا: "**من كفل يتيمًا أو أرملة أظله الله في ظله يوم القيامة**"(٥).

وأخرج الطبراني وابن عدي والأصبهاني عن أبي هريرة مرفوعًا: "**أوحى الله إلى إبراهيم: يا خليلي؛ حَسِّنْ خُلُقَكَ ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار، وإن كلمتى سبقت لمن حَسُنَ خُلُقُهُ أَنْ أُظِلَّهُ تحت عرشي، وأن أسكنه في حضرة قدسي، وأدنيه في جواري**"(٦).

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٥٥٥٧ , ١٥٥٥٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٢١٧،ج ٢: ص٨٩، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ٤٨٢٥، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ١٠: ص٣٢٠، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ٦٢، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٩٩ , ٦٨٦٠، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٤٧١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٥٩١ , ٥٥٩٠، وأخرجه عمر بن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال حديث رقم: ٤٤٦.

(٢) أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق حديث رقم: ١٦٤.

(٣) اخرجه الترمذي حديث رقم: ١٢٠٩، وأخرجه الدارمي حديث رقم: ٢٥٣٩.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧٩٢٠.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٩٢٩٢.

(٦) أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٥٠٦، وأخرجه ابن عدي في الكامل ج٨/ ١٩٤.

وأخرج أحمد والبيهقي عن عائشة مرفوعًا: " أتدرون من السابقون إلى ظل الله يوم القيامة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، ويحكمون للناس حكمهم لأنفسهم "(١).

وأخرج الحاكم وابن أبي الدنيا عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صل على الجنائز لعل ذلك يحزنك؛ فإن الحزين في ظل الله"(٢).

وأخرج أبو الشيخ والديلمى عن أنس مرفوعًا: "ثلاثة في ظل العرش يوم القيامة: واصل الرحم، يزيد الله في رزقه ويمد في أجله، وامرأة مات زوجها وترك عليها أيتامًا صغارًا، فقالت: لا أتزوج، أقيم على أيتامي حتى يموتوا أو يغنيهم الله، وعبد صنع طعامًا فأضاف ضيفه وأحسن نفقته، فدعا عليه اليتيم والمسكين فأطعمه".

وأخرج الطبراني والديلمي عن أبي أمامة مرفوعًا:" ثلاثة في ظل الله يوم القيامة: رجل حيث توجه علم أن الله تعالى معه، ورجل دعته امرأة إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل يحب الناس لجلال الله "(٣).

وأخرج الديلمي عن علي مرفوعًا: " حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه "(٤).

وأخرج ابن شاهين والديلمي عن عمر بن الخطاب مرفوعًا: "يصيح صائح يوم القيامة: أين الذين عادوا المرضى في الدنيا فيجلسون على منابر من نور يحدثون الله، والناس في الحساب"(٥).

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعًا: "بَشِّرِ الْمُدْلِجِينَ فِي الظُّلَمِ بِمَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَفْزَعُ النَّاسُ وَلا يَفْزَعُونَ "(٦).

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٣٧٨٧٦، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٦٦٧٩، وأخرجه أحمد بن حنبل في الزهد حديث رقم: ٢٣٦٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ٣٧٧.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٩٣٥.

(٤) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٠١.

(٥) أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال حديث رقم: ٤٨٠.

(٦) أخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٠٣٣، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ٧٦٣٣.

وأخرج مسلم عن ابن عمر مرفوعًا: "إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين العرش؛ هم الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"(١).

وأخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: " يقول الله يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي"(٢).

وأخرج أحمد وابن حبان والترمذي عن معاذ بن جبل مرفوعًا: " المتحابون في الله على منابر من نور في ظل العرش، يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء"(٣).

وأخرج الطبراني بسند جيد عن ابن عباس مرفوعًا: "إن لله جلساء يوم القيامة عن يمين العرش على منابر من نور، وجوههم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين، قيل: من هم؟ قال: المتحابون لجلال الله"(٤).

وأخرج أيضًا بسند لا بأس به عن أبي أيوب مرفوعًا: " المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش"(٥).

وفي مرفوع ابن عمر: " إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در، ثم ينادي مناد: أين الفقهاء؟ وأين الأئمة والمؤذنون؟ اجلسوا على هذه، فلا روع عليكم ولا خوف حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب"(٦).

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن ابن عمر مرفوعًا: "إن لله عبادًا اختصهم لنفسه لقضاء حوائج الناس وآلى علي نفسه أن لا يعذبهم بالنار؛ فإذا كان يوم القيامة أجلسوا على منابر من نور يحادثون الله، والناس في الحساب"(١).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٤٢، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٤٧٩.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٥٦٨، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ١٧٧٦، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٢٠٠٤، وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ٧١١.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٩٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢١٥٥٨، وأخرجه ابن حبان حديث رقم: ٥٧٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٦٧.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٢٦٨٦.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٣٩٧٣.

(٦) أخرجه الرازي في فضائل القرآن حديث رقم: ١٣١.

قلت: وبالجملة فالأحاديث في مثل هذا مما يطول ذكرها، وإذا تأملت وجدت المسلمين ولله الحمد بخير، نسأل الله سبحانه أن يميتنا على الإسلام في خير وعافية، آمين. والله سبحانه أعلم.

فصل في الشفاعة العظمى العامة

وستأتي الشفاعة الخاصة، قد مر أن مقدار الوقوف بالمحشر خمسون ألف سنة، وأن الشمس تدنى من رءوس الخلائق مقدار ميل، وأن عرق الخلق ينزل في الأرض سبعين باعًا، حتى قال بعض السلف: لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وأذابت الجوامد ونشفت الأنهار، فإذا حصل ذلك الكرب العظيم لجميع الخلق من إنس وجن ووحش وطير وطال مقامهم واشتد زحامهم؛ احتاجوا لشفاعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وهي الشفاعة الكبرى التي تعم جميع الخلائق وتنقذهم من طول الوقوف وشدة الحر والعطش وكثرة العرق، قال الله سبحانه: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] قال علماء التفسير: إن المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه هو الشفاعة، بل قال الواحدى: أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة.

أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال: أتي رسول الله صلي الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه، فنهش منها نهشة ثم قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مما ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي، وينفذ لهم البصر، وتدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه وما بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم عليه السلام، فيأتون آدم عليه السلام ويقولون: يا آدم؛ أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ فيقول آدم عليه السلام: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وأنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحًا، فيقولون: يا نوح؛ أنت

==

(١) أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٣٣٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٤٠٠٥.

أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم؛ أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، فذكر كذباته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى؛ أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى؛ أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبًا، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد. فيأتونني فيقولون: يا محمد؛ أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فآتي تحت العرش، فَأَقَعُ ساجدًا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يَا مُحَمَّدُ؛ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي". الحديث(١).

وذكر الغزالي في "الدرة الفاخرة": أن بين إتيان أهل الموقف آدم وإتيانهم نوحًا ألف سنة، وكذا بين كل نبي ونبي.

قال الحافظ ابن حجر: ولم أقف لذلك على أصل. قال: وقد أكثر في هذا الكتاب من إيراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشيء منها.

وفي حديث أبي هريرة: "ثم يأتوننى فإذا جاءونى خرجت حتى آتي قدام العرش فأخر ساجدًا، فلا أزال ساجدًا حتى يبعث الله ملكًا فيأخذ بعضدى فيرفعني، فيقول الله عز وجل: يا

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٣٤٠، ٣٣٦١، ٤٧١٢، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٩٦، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٣٤، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٩٣٤٠، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم: ٢٧٠.

محمد. فأقول: نعم، وهو أعلم، فيقول: ما شأنك؟ فأقول: يا رب؛ وعدتنى الشفاعة فشفعني في خلقك واقض بينهم، قال: فيقول: قد شفعتك، ائتهم واقض بينهم، قال عليه الصلاة والسلام: فأنصرف حتى أقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا حسا من السماء شديدًا فهالنا، فينزل أهل سماء الدنيا بِمِثْلَيْ من في الأرض من الإنس والجن حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض لنورهم فأخذوا مَصَافَّهُمْ، فقلنا: أفيكم ربنا؟ فقالوا: لا، وهو آت، ثم ينزل أهل السموات على قدر ذلك على التضعيف حتى ينزل الجبار في ظلل من الغمام والملائكة، ولهم زجل من تسبيحهم، يقولون: سبحان الملك ذى الملكوت رب العرش والجبروت سبحان الحي الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، قدوس قدوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذى الجبروت والملكوت والكبرياء والسلطان والعظمة، سبحانه أبدًا أبدًا. فينزل تعالى جل ذكره يحمل عرشه ثمانية يومئذ وهم اليوم أربعة، أقدامهم على تخوم الأرض السفلى، والسموات إلى حجزهم، والعرش على مناكبهم، فيضع الله جل ذكره كرسيه حيث شاء من الأرض، ثم ينادي نداء يسمعه الخلائق: يا معشر الجن والإنس؛ إني أنصت من يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع كلامكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا لي فإنما هي صحائفكم وأعمالكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[1].

وقال الإمام الفخر: روى الضحاك عن ابن عباس قال: (تشق السموات سماء سماء، فينزل سكانها فيحيطون بالعالم فيصيرون سبع صفوف حول العالم، ثم يؤتى بجهنم فإذا رآها أهل الأرض ندوا فلا يأتون قطرًا من أقطار الأرض إلا وجدوا سبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر آية ٣٢-٣٣] أي: منصرفين.

وقال زيد: نادين فارين غير معجزين، وأورد الفخر على نزول الملائكة سؤالًا وهو أنه قال: قد ثبت أن الأرض بالقياس إلى السماء كحلقة في فلاة من الأرض، فكيف بالقياس إلى العرش والكرسي؟ قال: فملائكة هذه المواضع بأسرها أي شيء يسعها؟ وحكى عن بعض المفسرين جواب ذلك، وهو: أن الملائكة تكون في الغمام. انتهى.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ج٣/ ٦١١.

والأحسن أن يقال: إن الله تعالى يزيد في سعة الأرض كيف شاء، لا إله إلا هو على كل شيء قدير.

فصل في إتيان الله تعالى إلى المحشر

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر آية ٢٢] وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة آية ٢١٠] الآية. الظلل: جمع ظلة وهو ما أظل، والغمام لا يظل لأنه أرق السحاب وأصفاه وأحسنه، وهو الذي ظلل بني إسرائيل، والغمام المذكور هنا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [الفرقان آية ٢٥]. قال المفسرون: غمام أبيض رقيق مثل الضباب، ولم يكن إلا لبنى إسرائيل في التيه.

إذا تقرر هذا فاعلم أن ظاهر هذه الآية غير معمول به لاقتضاءه الإتيان وهو الانتقال والحركة، وقد أجمع العقلاء من المفسرين وغيرهم أن المجيء والذهاب على الله تعالى محال. حكاه الإمام الفخر؛ لأن كل ما صح عليه ذلك وجب أن يكون محدثًا، تعالى الله عن ذلك، فإذا ثبت صرف الآية عن ظاهرها ففي تأويلها مذهبان، فمذهب السلف الصالح لا يجوز التأويل خوفا من الوقوع في الخطأ.

قال الكلبي: هذا من السر المكتوم الذي لا يفسر.

قال الثعلبي: ومالك والأوزاعى وأحمد وإسحاق وجماعة من المشايخ يقولون في هذه وأمثالها: اقرءوها كما جاءت بلا كيف. ومذهب الخلف قالوا: يجوز التأويل. وهو قول الجمهور والمتكلمين.

واختلفوا في تأويل هذه الآية، فقيل: يقدر آيات أو أمر، أي: هل ينظرون إلا أن تأتيهم آيات الله أو أمر الله. فجعل مجيء الآيات أو الأمر مجيئًا له على سبيل التفخيم لشأن الآيات أو الأمر كما يقال: (جاء الملك) إذا جاء جيش عظيم من جهته. وكما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ ﴾ [المجادلة آية ٥] أي: أولياء الله، وقيل: تقدير الآية (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعد من العذاب) فحذفه إبهاما عليهم؛ لأنه أبلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في كل وجه،ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر آية ٢].

وقيل: إن في بمعنى الباء أي: بظلل من الغمام فيها عذابهم.

وقيل: أن المراد بذلك تصوير غاية الهيبة ونهاية الفزع لشدة ما يكون في يوم القيامة.

وقيل: إن الإتيان في الظلل مضاف إلى الملائكة، والمضاف إلى الله تعالى الإتيان فقط، وتكون الآية على التقديم وَالتأخير وهو قول القفال.

قلت: وفيه نظر.

وقيل: إن المخاطب بها اليهود والمعنى: لا يقبلون دينك يا محمد إلا أن يأتيهم الله الآية كما سألوا موسى حين قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فيمكن إجراء الآية على ظاهرها؛ لأن مذهبهم يجوز المجيء والذهاب على الله تعالى، وكانوا يقولون: أن الله تعالى تجلى لموسى على الطور في ظلل من الغمام، وطلبوا مثل ذلك من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وصحح الفخر هذا القول، وقال: على هذا التقدير فالآية حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبيه ولا يحتاج حينئذ إلى التأويل ولا إلى حمل اللفظ على المجاز.

وقال بدر الدين الزركشي: قال مسلمة بن القاسم في كتاب "**غرائب الأصول**": حديث تجلي الله يوم القيامة ومجيئه في الظلل محمول على أن الله يغير أبصار خلقه حتى يروه كذلك، وهو على عرشه غير متغير عن عظمته ولا منتقل عن ملكه.

كذلك جاء معناه عند عبد العزيز الماجشون قال: (فكل حديث جاء في التنقل والرؤية في المحشر معناه أنه تعالى يغير أبصار خلقه فيرونه نازلا ومتجليًا ويناجي خلقه ويخاطبهم وهو غير متغير عن عظمته ولا منتقل؛ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير).

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[1] [القلم آية ٤٢] أي: عن أمر عظيم شديد، وكثير من العرب يجعل كشف الساق استعارة عن تفاقم الأمر وشدته، فيقولون: (كشفت الحرب عن ساقها) أي: عن شدتها وعظمتها.

---

(١) قال الرازي: في تفسير الساق وجوه: الأول: أنه الشدة، وروي أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

سن لنا قومك ضرب الأعناق... وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال: وهو كرب وشدة وروى مجاهد عنه قال: هو أشد ساعة في القيامة، وأنشد أهل اللغة أبياتاً كثيرة منها: فإن شمرت لك عن ساقها... فدنها ربيع ولا تسأم

ومنها: كشفت لكم عن ساقها... وبدا من الشر الصراح

وقال جرير: ألا رب سام الطرف من آل مازن... إذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال آخر: في سنة قد شمرت عن ساقها... حمراء تبرى اللحم عن عراقها

وقال آخر: قد شمرت عن ساقها فشدوا... وجدت الحرب بكم فجدوا

ثم قال ابن قتيبة أصل هذا أن الرجل إذاوقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه، يشمر عن ساقه، فلا جرم يقال في موضع الشدة: كشف عن ساقه، واعلم أن هذا اعتراف من أهل اللغة بأن استعمال الساق في الشدة مجاز، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة، فإذا أقمنا الدلائل القاطعة على أنه تعالى، يستحيل أن يكون جسماً، فحينئذ يجب صرف اللفظ إلى المجاز، واعلم أن صاحب «الكشاف» أورد هذا التأويل في معرض آخر، فقال: الكشف عن الساق مثل في شدة الأمر، فمعنى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم، ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل، ثم أخذ يعظم علم البيان ويقول لولاه: لما وقفنا على هذه الأسرار وأقول: إما أن يدعى أنه صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، أو يقول: إنه لا يجوز ذلك إلا بعد امتناع حمله على الحقيقة، والأول باطل بإجماع المسلمين، ولأنا إن جوزنا ذلك انفتحت أبواب تأويلات الفلاسفة في أمر المعاد فإنهم يقولون في قوله: ﴿ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأنهار ﴾ [البقرة: ٢٥] ليس هناك لا أنهار ولا أشجار، وإنما هو مثل للذة والسعادة، ويقولون في قوله: ﴿ اركعوا واسجدوا ﴾ [الحج: ٧٧] ليس هناك لا سجود ولا ركوع. وإنما هو مثل للتعظيم، ومعلوم أن ذلك يفضي إلى رفع الشرائع وفساد الدين، وأما إن قال: بأنه لا يصار إلى هذا التأويل إلا بعد قيام الدلالة على أنه لا يجوز حمله على ظاهره، فهذا هو الذي لم يزل كل أحد من المتكلمين (إلا.) قال به وعول عليه، فأين هذه الدقائق التي استبد هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان، فرحم الله أمرأ عرف قدره، وما تجاوز طوره القول الثاني: وهو قول أبي سعيد الضرير: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، أي عن أصل الأمر، وساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر، وساق الإنسان، أي يظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها القول الثالث: يوم يكشف عن ساق جهنم، أو عن ساق العرش، أو عن ساق ملك مهيب عظيم، واللفظ لا يدل إلا على ساق، فأما أن ذلك الساق ساق أي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه والقول الرابع: وهو اختيار المشبهة، أنه ساق الله، تعالى الله عنه روى عن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام: « أنه تعالى يتمثل للخلق يوم القيامة حين يمر المسلمون، فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله فيشهدهم مرتين أو ثلاثاً ثم يقول: هل تعرفون ربكم، فيقولون: سبحانه إذا عرفنا نفسه عرفناه، فعند ذلك يكشف عن ساق، فلا يبقى مؤمن إلا خر ساجداً، ويبقى المنافقون ظهورهم كالطبق الواحد كأنما فيها السفافيد » واعلم أن هذا القول باطل لوجوه أحدها: أن الدلائل دلت على أن كل جسم محدث، لأن كل جسم متناه، وكل متناه محدث ولأن كل جسم فإنه لا ينفك عن الحركة والسكون، وكل ما كان كذلك فهو محدث، ولأن كل جسم ممكن، وكل ممكن محدث وثانيها: أنه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق أن يعرف، لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن، أما لو حملناه على الشدة، ففائدة التنكير الدلالة على التعظيم، كأنه قيل: يوم يكشف عن شدة، وأي شدة، أي شدة لا يمكن وصفها وثالثها: أن التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق، وإنما يحصل بكشف الوجه القول الثاني: أن قوله: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ ليس المراد منه يوم القيامة، بل هو في الدنيا، وهذا قول أبي مسلم قال: أنه لا يمكن حمله على يوم القيامة لأنه تعالى قال في وصف هذا اليوم: ﴿ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السجود ﴾ ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف،

وقال بعض أهل اللغة: إن الرجل كان إذا وقع في شدة كشف عن ساقه وشمر لها. وهذا إيذان أن ذلك الوقت في غاية الشدة والصعوبة ولذلك جاء: بـ (ساق) نكرة إذ ليست لها غاية تدرك فتعرف.

قال ابن عباس: هذا أشد ساعة في القيامة ولو أراد ساقا معهودة لجاء بالألف واللام. وقيل: المعنى أنه يكشف عن ساق العرش أو عن جهنم بأن يكشف عنها الغطاء. وقيل: المعنى يوم يشتد الحال.

وعن جعفر: يكشف عن الأهوال والشدائد والصراط والحساب، فمن سبقت له العناية والرحمة سلم من تلك الأهوال والشدائد.

وليس المراد حقيقة الجارحة المعروفة لغة لإفضائه إلى التركيب والتجسيم والكفر، تعالى الله عن ذلك، بل لابد من حمل هذا وما شاكله على ما يليق بعظمة الله تعالى وجلاله.

إذا علمت هذا فحكى الثعلبي عن ابن عباس مرفوعًا، قال: "من الغمام طاقات يأتي الله تعالى فيها محفوفة بالملائكة وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة آية ٢١٠] "(١). وقال الحسن: ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ أي: في سترة من الغمام، فلا ينظر إليهم أهل الأرض.

وحكى الفخر عن مقاتل قال: (تنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من سكان الأرض، ثم تنشق سماء سماء، ثم ينزل الكروبيون حملة العرش، ثم ينزل الرب جل جلاله).

= =

بل المراد منه، إما آخر أيام الرجل في دنياه كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الملئكة لاَ بشرى ﴾ [الفرقان: ٢٢] ثم إنه يرى الناس يدعون إلى الصلوات إذا حضرت أوقاتها، وهو لا يستطيع الصلاة لأنه الوقت الذي لا ينفع نفساً إيمانها، وإما حال الهرم والمرض والعجز وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون إلى السجود وهم سالمون مما بهم الآن، إما من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت أو من العجز والهرم، ونظير هذه الآية قوله: ﴿فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الحلقوم ﴾ [الواقعة: ٨٣] واعلم أنه لا نزاع في أنه يمكن حمل اللفظ على ما قاله أبو مسلم، فأما قوله: إنه لا يمكن حمله على القيامة بسبب أن الأمر بالسجود حاصل ههنا، والتكاليف زائلة يوم القيامة فجوابه أن ذلك لا يكون على سبيل التكليف، بل على سبيل التقريع والتخجيل، فلم قلتم: إن ذلك غير جائز [مفاتيح الغيب:٧/ ١٢٤-١٢٥].

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ج٣/ ٦٠٩.

وفي الثعلبي عن أبي هريرة قال: (إذا كان يوم القيامة يأتى الله تعالى في ظلل من الغمام فيتكلم بكلام طلق ذلق، فيقول: أنصتوا، فطال ما أنصت لكم منذ خلقتكم، أرى أعمالكم وأسمع أقوالكم، فإنما هي صحائفكم تقرأ عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

وأخرج الطبراني عن ابن عمرو مرفوعًا قال: " **إن الله يجمع الأمم يوم القيامة ثم ينزل عن عرشه إلى كرسيه، وكرسيه وسع السموات والأرض**"[١].

وأخرج الدارقطني، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي الدنيا عن ابن مسعود مرفوعًا. قال: " **يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قيامًا أربعين سنة شاخصة أبصارهم ينظرون فصل القضاء، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادِ مناد: أيها الناس؛ ألم ترضوا عن ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا أن يولي كل إنسان منكم ما كان يعبد في الدنيا ويتولى؟ أليس ذلك عدلًا من ربكم؟ قالوا: بلى. قال: فلينطلق كل إنسان منكم إلى ما كان يتولى في الدنيا. ويمثل لهم ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر والأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، حتى يمثل لهم الشجر والعود والحجر، ويبقى أهل الإسلام، فيمثل لهم الرب تعالى، فيأتيهم فيقول: لم لا تنطلقون؟ فيقولون: إن لنا ربًا ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرفون ربكم إذا رأيتموه؟ فقالوا: بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه. قال: وما هي؟ قالوا: الساق، فيكشف عن ساق. قال: فيخر كل مؤمن ساجدًا، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون، ثم يؤمرون فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره علي قدر الجبل بين يديه، ومنهم من يعطي نوره دون ذلك**". الحديث.[٢]

---

(١) أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حديث رقم: ١٠٢٣٩.

(٢) أخرجه الدارقطني في الرؤيا حديث رقم: ١١٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٢/ ٣٧٦، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٩٧٦٣، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم:

فصل في الإتيان بالجنة وجهنم للمحشر

قال الله تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١]. (أزلفت) أي: قربت حتى يراها كل أحد من أهل المحشر، وبروز النار ظهورها في المحشر، وعند ذلك يكون الفزع الأكبر؛ لأن الله تعالى يأمر بالجنة فتزخرف وتزلف ويؤتى بها ولها نسيم طيب أعبق ما يكون وأزكى، فيوجد ريحها من مسيرة خمس مائة عام فتبرد النفوس وتحيى القلوب إلا من كانت أعمالهم خبيثة، فيمنعون من ريحها، فتوضع عن يمين العرش، ثم يؤمر أن يؤتى بالنار فيؤتى بها تقاد بسبعين ألف زمام، في كل زمام سبعون ألف حلقة، لو جمع حديد الدنيا كله ما عدل منها حلقة واحدة، ولها شهيق وزفير ورعد وشرر ودخان يفور حتى يسد الأفق ظلمته، وتشرد من أيدي الخزنة، ولم يقدروا على إمساكها لعظم شأنها، حتى يجثو كل من بالموقف على ركبتيه حتى المرسلين، ويتعلق إبراهيم وموسى وعيسى بالعرش وكل منهم يقول: نفسي نفسي.

وفي تفسير الثعلبي. قال أبو سعيد: لما نزلت: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر آية ٢٣] تغير لون النبي صلى الله عليه وسلم وعرق في وجهه حتى اشتد على أصحابه، ثم قال: "أقرأني جبريل: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر آية٢١-٢٣] قال علي رضي الله عنه: كيف يجاء بها؟ قال: يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع، ثم أتعرض لجهنم فتقول: مالي ومالك يا محمد، فقد حرم الله لحمك علي. فلا يبقى أحد إلا قال: نفسي نفسي، وإن محمدًا يقول: يا رب أمتي أمتي"[1].

وفي مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"[2].

==

٣١، الشاشي في مسنده حديث رقم: ٤١٠، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٣٩.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط في تفسير القرآن المجيد سورة الفجر.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٤٥، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٧٣، وأخرجه والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٤٢٨.

وقال ابن مسعود ومقاتل في هذه الآية: (تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش، فـ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾.

وفي تفسير مكي في قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ من حديث أبي هريرة قال: "يأمر الله عز وجل جهنم فيخرج منها عنق من نار ساطع فينطق يقول: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يس آية ٦٠]. قال: فيتميز الناس ويجثون وهي التي يقول الله عز وجل: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية آية ٢٨] الآية"(١).

وفي الثعلبي: قال سليمان: إن في القيامة ساعة، وهي عشر سنين يحشر الناس فيها جثاة على ركبهم، حتى أن إبراهيم عليه السلام ينادي: نفسي نفسي، لا أسألك إلا نفسي.

وقال كعب: (تزفر جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثى على ركبتيه يقول: يا رب نفسي نفسي، ثم إن هذا لفي كتاب الله: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ [النحل آية ١١١] أي: تخاصم وتحتج عن نفسها بما أسلفت من خير أو شر مشتغلة بها لا تفزع إلى غيرها.

فصل في عرض الخلق على الله

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة آية ١٨] وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [هود لية ١٨] وقال: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف:٤٨]. قال الفخر: في تفسير الصف وجوه:

أحدها: أن تعرض الخلق على الله تعالى صفا واحدًا ظاهرين بحيث لا يحجب بعضهم بعضًا.

وثانيها: لا يبعد أن يكونوا صفوفا يقف بعضهم وراء بعض كالصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض، وعلى هذا التقدير فالمراد من قوله تعالى: ﴿صَفًّا﴾ صفوفا كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلا﴾ [غافر آية ٦٧] أي: أطفالا.

وثالثها: المراد به قيامًا. كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ [الحج آية ٣٦] أي: قائمة.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ج١٩/ ٤٧٠.

أخرج ابن ماجة عن أبي موسى الأشعرى مرفوعًا: " **تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فتطاير الكتب في الأيدي، فأخذ بيمينه وأخذ بشماله**"(١).

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال: (تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما العرضة الثالثة فتطاير الكتب في الأيمان والشمائل).

قال الحكيم الترمذي: الجدال للأعداء، يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حجتهم، والمعاذير لله، يعتذر إلى آدم وإلى أنبياءه ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعث بهم إلى النار، والعرضة الثالثة للمؤمنين، وهو العرض الأكبر، يخلو بهم فيعاتب من يريد عتابه في تلك الخلوات حتى يذوق وبال الحياء والخجل، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم.

وأخرج ابن مندة في التوحيد عن معاذ بن جبل مرفوعا. قال: "**إن الله ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير قطيع: يا عبادى؛ أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأسرع الحاسبين، أحضروا حجتكم، ويسروا جوابا، فإنكم مسئولون محاسبون، يا ملائكتى؛ أقيموا عبادى صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب**".

وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعًا: "**إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم، فأحسنوا أسمائكم**"(٢).

وأخرج أبويعلى بسند رجاله ثقات عن أبي سعيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إذا جمع الله الناس في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضا وخزنتها يكفونها، وهي تقول: وعزة ربي؛ لتخلن بيني وبين أزواجى، أو لأغشين الناس عنقا واحدة. فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل متكبر جبار. فتخرج لسانها فتلقطهم من بين ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها، ثم تستأخر ثم تقبل يركب بعضها بعضا، وخزنتها يكفونها**

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٧٧.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٩٤٨، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٦٩٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢١١٨٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٨١٨، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٩:ص٣٠٦، وأخرجه علي بن الجعد الجوهري في مسنده حديث رقم: ٢٤٩٢، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٢١٣.

وهي تقول: وعزة ربي؛ لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقا واحدة. فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل جبار كفور فتلقطهم من بين ظهراني الناس فتقذفهم في جوفها، ثم تستأخر ثم تقبل يركب بعضها بعضا، وخزنتها يكفونها وهي تقول: وعزة ربي؛ لتخلن بيني وبين أزواجي أو لأغشين الناس عنقا واحدة. فيقولون: ومن أزواجك؟ فتقول: كل مختال فخور. فتلقطهم بلسانها فتقذفهم في جوفها، ثم تستأخر، ويقضي الله بين العباد"[1].

وأخرج البزار واللفظ له، وأحمد، وأبو يعلى، والطبراني عن أبي سعيد مرفوعا: "يخرج عنق من النار يوم القيامة فيتكلم بلسان طلق ذلق، لها عينان تبصر بهما، ولسان تتكلم به، فتقول: أني أمرت بمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبمن قتل نفسا بغير نفس. فتنطلق بهم قبل سائر الناس بخمس مائة عام"[2].

وفي كلام ابن عباس: (يخرج عنق من النار فيشرف على الخلائق، له عينان يبصران، ولسان فصيح فيقول: أني وكلت منكم بثلاثة: بكل جبار عنيد، وبمن قتل نفسًا بغير نفس، وبمن جعل مع الله إلها آخر. فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيجلس بهم في جهنم ثم يخرج ثانية فيقول: أني وكلت منكم بمن آذي الله ورسوله فيلقطهم لقط الطير حب السمسم، فيجلس بهم في جنهم، ثم يخرج ثالثة فيقول: وكلت بأصحاب التصاوير فيلقطهم من الصفوف لقط الطير حب السمسم، فيجلس بهم في جهنم، فإذا أخذ أولئك نشرت الصحف ووضعت الموازين ودعي الخلائق للحساب).

فصل في الإتيان بالصحف وأخذها باليمين والشمال

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير آية ١٠] قال الثعلبي: أي التى فيها أعمال بنى آدم نشرت للحساب، وإنما يؤتى بالصحف إلزاما للعبد. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء آية ١٣]. ومعنى طائره: عمله. وما قدر عليه من خير وشر. قال مقاتل والكلبي: خيره وشره معه لا يفارقه.

---

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١١٤٥، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٥٩٦, ٤٥٥٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٩٦١، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ١١٤٦، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣١٨.

وأخرج العقيلي عن أنس مرفوعًا، قال: "الكتب كلها تحت العرش؛ فإذا كان يوم القيامة بعث الله ريحا فتطيرها بالأيمان والشمائل، أول خط فيها: ﴿اقْـرَأْ كِتَابَـكَ كَفَـى بِنَفْسِـكَ الْيَـوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٤]"(١). قال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئا في الدنيا.

وذكر الغزالي: بينما الناس في الموقف إذ طلعت عليهم سحابة سوداء فأمطرتهم صحفا منشرة، فصحيفة المؤمن ورقة ورد، وصحيفة الكافر ورقة سوداء، ثم تطير الصحف منشورة لأصحابها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ولو أخذه مطويًا لم يجد أين ينشره لكثرة الزحام.

وقال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف آية ٤٩]. قال الفخر وغيره في هذا الكتاب: هو صحائف الأعمال توضع في هذا اليوم لكل إنسان في يده، إما في اليمين وإما في الشمال. قال: والمراد بالكتاب الجنس وهو صحيفة الأعمال.

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ قال المفسرون: يعني الكتب التي فيها أعمال العباد.

وقال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ [عبس آية ١٣] الآية. قال مكي: في صحف كتبتها الملائكة، ومعنى مرفوعة يعني في اللوح المحفوظ.

(والسفرة): جمع سافر، وهم الكتبة من الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم. وقيل في هذه الصحف: إنها اللوح المحفوظ. وقيل: كتب الأنبياء عليهم السلام.

وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ ﴾ إلى قوله: ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق آية ١٧-١٨]. (الرقيب): الحافظ، (والعتيد): الحاضر، (والمتلقيان) هم الملكان اللذان يكتبان الأعمال ويثبتانها في صحفها، أحدهما عن اليمين وهو صاحب الحسنات، والآخر عن الشمال وهو صاحب السيئات، فيكتبان على العبد جميع ما يلفظ به من قول كما قال تعالى.

قال مجاهد: يكتبان عليه كل شيء حتى أنينه في مرضه -وقد مر الكلام على هذا في الملائكة الحفظة فراجعه-، وقال تعالى: ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا ﴾ [الإسراء آية ٧١] (الفتيل): هو القشر الذي في شق النواة.

قال الفخر: وهذا يضرب المثل به للشيء الحقير. وروى مجاهد عن ابن عباس: (أن الفتيل هو الوسخ الذي يظهر بفتل الإنسان إبهامه بسبابته).

(١) أخرجه العقيلي في الضعفاء ج٤/ ١٥٦٦.

وإنما خص القراءة بمن أوتي كتابه بيمينه دون من أوتيه بشماله؛ لأن أهل الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فيستولي الخوف والدهش على قلوبهم ويثقل لسانهم، فيعجزوا عن القراءة الكاملة، وأما أصحاب اليمين فإذا طالعوها ألفوها على الكمال فيقرءون كتابهم على أحسن الوجوه وأتمها، ثم لا يقنع أحدهم بقراءته وحده بل يقول لأهل المحشر: ﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ [الحاقة آية ١٧]. كذا قال الفخر.

وأخرج ابن المبارك: قال عمر لكعب: (حدثنا من حديث الآخرة، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ، فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله، ثم يؤتى بالصحف التى فيها أعمال العباد فتنشر حول العرش، ثم يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه).

وأخرج الديلمي عن أبي هريرة مرفوعا، قال: "عنوان كتاب المؤمن يوم القيامة حسن ثناء الناس"[1]. وكذا قال ابن مسعود: ع(نوان صحيفةِ المؤمن يوم القيامة الثناء الحسن).

وفي تفسير مكي في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق آية ٨] عن عائشة رضى الله عنها قالت: يا نبي الله؛ كيف يحاسب حسابا يسيرا؟ قال: "يعطى العبد كتابه بيمينه فيقرأ سيئاته ويقرأ الناس حسناته، ثم يحول صحيفته فيحول الله حسناته، فيقرؤها الناس فيقولون: ما كان لهذا العبد من سيئة"[2].

وأما الأهل الذي ينقلب إليهم فهم أهله في الجنة، وفي الترمذي وحسنه وابن حبان والبيهقي والبزار وابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء آية ٧١] قال: "يدعى الرجل فيعطي كتابه بيمينه، ويمد في جسمه ستون ذراعًا ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد، فيقولون: اللهم ائتنا بهذا، وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم فيقول: أبشروا؛ فإن لكل واحد منكم مثل ذلك، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعًا، ويجعل على رأسه تاج من نار، فيراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من شر هذا، اللهم لا تأتينا بهذا. فيأتيهم فيقولون: اللهم أخره. فيقول: أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا".

---

(١) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ج٣/ ٥٠.

(٢) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع في تفسير القرآن حديث رقم: ٦٩.

وأخرج أحمد عن عائشة قالت: "قلت: يا رسول الله؛ هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال: أما عند ثلاث فلا: عند الميزان حتى يعلم أيثقل أم يخف، وعند تطاير الكتب فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله، وحين يخرج عنق من النار"(١). الحديث.

وقال ابن المسيب في الذي يأخذ كتابه بشماله: (تلوى يده خلف ظهره، ثم يعطى كتابه). وقيل: تنزع من صدره إلى خلف ظهره وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق آية ١٠] قال: يجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه، ومعنى يدعو ثبورا، أي: ينادي بالثبور والهلاك، واثبوراه، واويلاه.

لطيفة: روي أن أول من يأخذ كتابه بيمينه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وروي أيضًا أن أول من يأخذ كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الأسد، وهو أول من يدخل الجنة من هذه الأمة، وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة. وروي أن أول من يأخذ كتابه بشماله الأسود أخو أبي سلمة المذكور. وروي أنه يمد يده ليأخذه بيمينه فيجذبه ملك فيخلع يده فيأخذه بشماله من وراء ظهره.

فصل في ذكر الميزان

والصحيح إن المراد بالميزان: الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم، وفيه آيات، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء آية ٤٧].

قال الفخر في تفسير هذه الآية: إن قول أئمة السلف أنه سبحانه يضع الموازين الحقيقية ليزن بها الأعمال. قال الحسن: هو ميزان له كفتان ولسان، وهو بيد جبريل عليه السلام.

وقال الفخر والثعلبي: روي أن داود عليه السلام سأل ربه جل جلاله أن يريه الميزان؛ فلما رآه غشي عليه، فلما أفاق قال: يا إلهي؛ من ذا الذي يقدر أن يملأ كفة حسناته، فقال: إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة.

وقال الفخر في تفسير سورة الأعراف: إن عبد الله بن سلام قال: إن ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والإنس يستقبل به العرش، إحدى كفتيه على الجنة والأخرى على جهنم، لو وضعت السموات والأرض في إحداهما لوسعتهن، وجبريل آخذ بعموده ينظر إلى لسانه.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٤٢٧١، وأخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين ج ١: ص ٢٤.

قلت: وفي كلام ابن سلام: أن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك إرتضاه الأئمة.

وفي "الدرة": ينصب الميزان وهو كفتان: كفة عن يمين العرش من درة بيضاء، وكفة عن يساره من ظلمة.

وفي "التذكرة" للقرطبي: المتقون توضع حسناتهم في الكفة النيرة، وصغائرهم في الكفة الأخرى، فلا يجعل الله لتلك الصغائر وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى لا ترتفع، وترفع المظلمة ارتفاع الفارغ الخالي، وأما الكفار فيوضع كفرهم وأوزارهم في الكفة المظلمة، وإن كان لهم أعمال بر وضعت في الكفة الأخرى، فلا يقاومها إظهارًا لفضل المتقين وذل الكافرين.

وأخرج الحاكم في "المستدرك" وصححه على شرط مسلم عن سلمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعهن، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"**(١).

وفي الثعلبي وغيره، وأخرجه ابن جرير في تفسيره وابن أبي الدنيا عن حذيفة قال: (صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام).

وفي الثعلبي عن أنس: (أن ملكا من ملائكة الله عز وجل موكل يوم القيامة بميزان ابن آدم، فيؤتى به حتى يوقف بين كفتي الميزان، فيوزن عمله؛ فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمعه الخلائق باسم الرجل الأسعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وإن خفت موازينه نادى الملك الأشقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا).

ونقل المفسرون عن مجاهد: (أن المراد بالميزان: العدل).

قال الفخر: ويروى مثله عن قتادة والضحاك، قال: وحكاه أبن جبير عن ابن عباس، وبه قال الأعمش وكثير من المتأخرين، ورده الفخر وقال: إن حمل الموازين على مجرد العدل وصرف اللفظ عن الحقيقة إلى المجاز من غير ضرورة غير جائز، لا سيما وقد جاءت الأحاديث الكثيرة بالأسانيد الصحيحة في هذا الباب.

وأخرج أبو الشيخ في تفسيره من طريق الكلبي عن ابن عباس قال: (الميزان له لسان وكفتان).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٨٦.

واختلف العلماء: هل الميزان واحد أو أكثر؟

فقال الحسن ابن أبي الحسن البصرى: لكل واحد ميزان لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء آية ٤٧].

وقال بعضهم: الأظهر إثبات الموازين يوم القيامة لا ميزان واحد لقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾. وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ [الأعراف آية ٨]. قال: وعلى هذا فلا يبعد أن يكون لأفعال القلوب ميزان وللجوارح ميزان، ولما يتعلق بالقول ميزان ولم يرض ابن عطية هذا القول، وقال: إن الناس على خلافه، وإنما لكل واحد وزن مختص به والميزان واحد.

وأجاب بعضهم: إنما جمع الموازين في الآية لكثرة من توزن أعمالهم، أو هو جمع تفخيم.

واختلف العلماء في الموزون:

فقيل: يوزن العبد مع عمله، وقيل: يجسد العمل ويوزن، والصواب ما صححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما: (أن الموزون الصحائف).

قال الفخر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عما يوزن يوم القيامة؟ فقال: "الصحف". وهو مذهب المفسرين لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فعلى هذا فالثقل الذي يكون في الميزان إنما يكون في صحائف الأعمال. وحكاه ابن عطية عن أبي المعالي. قال ابن عطية: وهذا أقربها.

ونقل المفسرون عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأخرجه الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يصاح برجل من أمتي على رءوس الأشهاد يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل منها مد البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فيقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: أفلك عذر أو حسنة؟ فيقول: لا يا رب. فيقول الله: بلي إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم. فيخرج له بطاقة[1] فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تظلم. فتوضع**

---

(١) قال المباركفوري: الْبِطَاقَةُ رُقْعَةٌ صَغِيرَةٌ يُثْبَتُ فِيهَا مِقْدَارُ مَا تُجْعَلُ فِيهِ إِنْ كَانَ عَيْنًا فَوَزْنُهُ أَوْ عَدَدُهُ، وَإِنْ كَانَ مَتَاعًا فَثَمَنُهُ، قِيلَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُشَدُّ بِطَاقَةٍ مِنْ الثَّوْبِ فَتَكُونُ الْبَاءُ حِينَئِذٍ زَائِدَةً وَهِيَ كَلِمَةٌ كَثِيرَةُ الِاسْتِعْمَالِ بِمِصْرَ. وَفِي الْقَامُوسِ: الْبِطَاقَةُ كَكِتَابَةٍ الرُّقْعَةِ الصَّغِيرَةِ الْمَنُوطَةِ بِالثَّوْبِ الَّتِي فِيهَا رَقْمُ ثَمَنِهِ سُمِّيَتْ لِأَنَّهَا تُشَدُّ بِطَاقَةٍ مِنْ هُدْبِ الثَّوْبِ [تحفة الأحوذي:٦/ ٤٣٨].

السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فتطيش السجلات وتثقل البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء"[١]. فثبت بهذا الحديث الصحيح أن الموزون إنما هو صحائف الأعمال.

قال النسفي: إن الإيمان لا يوزن؛ لأنه ليس له ضد يوضع في كفة أخرى لأن ضده الكفر. والإيمان والكفر لا يكونان في الإنسان الواحد.

قلت: وورد أيضًا: (أن البكاء من خشية الله لا يوزن لعظمه عند الله). أخرج أحمد مرفوعًا:" أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكى، فقال: من هذا؟ قال: فلان. قال: جبريل عليه السلام: إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء فإن الله يطفئ بالدمعة الواحدة بحورًا من نار جهنم"[٢].

وفي مرفوع البيهقي: "لو أن باكيًا بكى في أمة من الأمم لرحموا، وما من شيء إلا له مقدار وميزان إلا الدمعة؛ فإنها تطفأ بها بحار من نار"[٣].

وأخرج البزار والطبراني والدارقطني والأصبهاني عن أنس مرفوعًا، قال: "يؤتى يوم القيامة بصحف مختمة، فتنصب بين يدى الله، فيقول الله: ألقوا هذه واقبلوا هذه. فتقول الملائكة: وعزتك ما كتبنا إلا ما عمل. فيقول عز وجل: إن هذا كان لغير وجهى، وإني لا أقبل اليوم إلا ما ابْتُغِيَ به وجهى"[٤]. والأحاديث في هذا وأمثاله كثيرة فلا تليق بهذا المختصر.

لطيفة: اختلف العلماء: ما الحكمة في وزن الأعمال مع أن الله تعالى عالم بكل شيء قبل وزنه؟!

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٦٣٩، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٠٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٢٢٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ١٦، وأخرجه أبو طاهر السلفي في الوجيز في ذكر المجاز والمجيز حديث رقم: ٦، وأخرجه أبو طاهر السلفي في مشيخة محمد الرازي ابن الحطاب حديث رقم: ١٥، وأخرجه الذهبي في المعجم المختص بالمحدثين في: ج ١: ص ٤٠، وأخرجه ابن جماعة في مشيخة ابن جماعة في: ج ١: ص١٥٦.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد حديث رقم: ١٤٣.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج١/ ٤٩٥.

(٤) أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٦٠٣، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم:١٢٩.

قال الثعلبي: لأجل أربعة أشياء: إما تعريف الله تعالى العباد ما لهم عنده من جزاء على خير وشر، أو امتحانهم بالإيمان في الدنيا، أو جعل ذلك علامة لأهل السعادة والشقاوة في العقبى؛ أو إقامة الحجة عليهم. انتهى.

قلت: الأحسن أن يقال: الحكمة في إظهار العدل وبيان الفضل حيث أنه تعالى يزن مثاقيل الذر من أعمال العباد ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠].

لطيفة: جاء ما يقتضي تضعيف الحسنات إلى عدد معلوم، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام آية ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة آية ٢٦١]، وذلك يقتضي أن الحسنة إلى سبع مائة حسنة، وجاء أيضًا ما لا يقتضي العدد المعلوم. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة الزمر آية ١٠] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾.

وعن أبي عثمان النهدي قال: (قدمت إلى مكة حاجًا أو معتمرًا، فلقيت أبا هريرة، فقلت: بلغنى عنك أنك تقول: الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف حسنة. فقال: لم أقل ذلك ولكني قلت: إن الحسنة تضاعف بألفي ألفي ضعف، ثم قال: قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾).

وقال الحسن: وإن تك حسنة يضاعفها أحب إلي من قول العلماء من أن الجسنة الواحدة تضاعف مائة ألف حسنة؛ لأن التضعيف الذي قالوه يكون مقداره معلوما، وأما على هذه العبارة التى في كتاب الله تعالى فغير معلوم.

لطيفة في حبط أعمال الكافرين: قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان آية ٢٣] وقال تعالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة آية ٢١٧]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم آية ١٨] إلى غير ذلك من الآيات، هذا كله بالنسبة إلى الآخرة.

وأما في الدنيا فإن الله يجازيهم بها، ففي مسلم عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر

فيطعم بحسنات ما عامل بها الله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها"[١].

وفي طريق آخر: "إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يؤخر له حسناته في الآخرة، ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته"[٢].

قلت: لكن لو أسلم الكافر فإنه يعتد بحسناته التى سلفت في حال كفره كما هو ظاهر الحديث.

وقد اختلف العلماء: هل توزن أعمال الكافرين أو الوزن خاص بأعمال المؤمنين؟

فقال بعضهم: توزن أعمال الكافرين لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف آية ٩] أي: يجحدون، قاله مجاهد. وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة آية ٨-٩]. وأما قوله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف آية ١٠٥] كما استدل به من قال بعدم وزن أعمالهم، أي: وزنًا يعتد به فلا نكرمهم ولا نعطيهم، وهذا مجاز عن عدم الاعتداد بهم كذا قيل.

قال القرطبي: فإن قيل: إذا وزن عمل الكافر بما يقابله في الكفة الأخرى؟

قلنا: ما كان منه من صلة الأرحام وأفعال البر ونحو ذلك غير أن الكفر إذا قابلها رجح عليها.

وقال أيضًا: الميزان لا تكون في حق كل أحد؛ فإن الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا ينصب لهم ميزان، وكذلك من يعجل به إلى النار لا يقام لهم وزن، وبقية الكفار ينصب لهم الميزان. انتهى.

قلت: فظهر من هذا أن قوله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ محمول على من يعجل به للنار والآيات الأخر في حق بقية الكافرين؛ فإذا لا تعارض بين الآيات ولا مجاز في الآية. فتأمل.

وقال بعضهم: خيرات الكافر توزن ويجزى بها، إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة، فجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبي طالب، وورد أيضًا آيات بحسابهم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨١٠.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٨٨٦.

حِسَابَهُمْ ﴾ ﴿ سورة الغاشية آية ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد آية ٤٠] أي: حساب من كفر، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد آية ١٨].

فصل في ذكر الحساب

وقد ورد به في التنزيل آيات، قال الثعلبي: ومعنى (الحساب) تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم على ما قد نسوه من ذلك، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة آية ٦].

وقال بعضهم: معنى كونه تعالى محاسبًا لخلقه؛ أنه تعالى يُعلمهم ما لهم وما عليهم.

قال الفخر: بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية وكيفياتها بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب.

وقال بعضهم: إنه تعالى يكلم عباده في أحوال أعمالهم، وكيفية ما لها من الثواب والعقاب؛ لما في البخاري مرفوعًا: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه"[1].

قال الفخر: فمن قال: إن كلامه ليس بصوت ولا حرف، قال: إن الله تعالى يخلق في أذن المكلف سمعًا يسمع به كلامه القديم، كما أنه يخلق في عينيه رؤية يرى بها ذاته القديمة.

ومن قال: إنه صوت، قال: إن الله تعالى يخلق كلامًا يسمعه كلُّ مُكلَّف، إما أن يخلق ذلك الكلام في أذن كل واحد منهم أو جسم يقرب من أذنه، بحيث لا يبلغ قوة ذلك الصوت أن تمنع الغير من فهم ما كلف.

قال: وهذا هو المراد من كونه تعالى محاسِبًا لخلقه، ونقل ابن عباس: (أن لا حساب على الخلق، بل يقفون بين يدي الله تعالى يعطَوْن كتبهم بأيمانهم، ويقال: هذه سيئاتكم قد تجاوزت عنها، ثم يعطون حسناتهم، ويقال: هذه حسناتكم قد ضاعفتها لكم).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٤٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٨٤٣ , ١٨٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٧٧٨٢، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٤: ص١٧٦، وأخرجه ابن جماعة في مشيخة ابن جماعة ف: ج ٢: ص٤٤٩، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٢١٧، وأخرجه ابن منده في التوحيد حديث رقم: ٥٥٢، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد ف: ج ١: ص٦٦، وأخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين ج ١: ص ١٨٢، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في البر والصلة حديث رقم: ٣٢٥، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في ذم الهوى حديث رقم: ١١٦٥.

وهذا معارض بالأحاديث الصحيحة والآيات الصريحة، ففي مسلم قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن عمله ما عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟**"[1].

وأخرج ابن المبارك، وأبو داود، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، والنسائي، وابن ماجة عن أبي هزيرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، يقول الله تعالى لملائكته: انظروا إلى صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان ينقص منها شيئا قال الله تعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذلك**"[2].

وفي النسائي عن ابن مسعود مرفوعًا: "**أول ما يحاسب عليه العبد صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء**"[3].

فإن قيل: قد ورد في التنزيل ما يدل على عدم سؤالهم، قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن آية ٣٩]، قال الحسن وقتادة: (لا يسألون عن ذنوبهم؛ لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبتها الملائكة).

أجيب بأنهم لا يسألون سؤال استفهام؛ لأنه تعالى عالم بكل أعمالهم وإنما يسألون سؤال التقرير.

فيقال لهم: فعلتم كذا، أو يقال: إنهم يسألون في موطن دون موطن، رواه عكرمة عن ابن عباس نظير قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات آية ٣٥]، وقال في آية أخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر آية ٣١] فللناس يوم القيامة حالات والآيات مخرجة باعتبار تلك الحالات.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤١٦، وأخرجه الدارمي حديث رقم: ٥٣٧، وأخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى حديث رقم: ٤٩٤, ٤٩٣، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١١١٧٧ , ١١١، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم: ٨٤٧، وأخرجه الآجري في أخلاق العلماء حديث رقم: ٥٧ , ٥٦، وأخرجه ابن عساكر الدمشقي في ذم من لا يعمل بعلمه حديث رقم: ١ , ٢.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم:٤١٣، وأخرجه النسائي حديث رقم:٤٦٥، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٨٦٤، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم:١٤٢٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ٢٦٢، وأخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم:٩١٥.

(٣) أخرجه النسائي حديث رقم: ٣٩٩١.

واختلفوا في المسئول عنه ومن المسئول؟ فقال ابن عباس: (عن لا إله إلا الله). وقال الضحاك: (عن خطاياهم). وقال القرطبي: عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا﴾ [الإسراء آية ٣٦]. وقال: ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن آية٧]. وقال: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر آية ٩٢-٩٣] فهذه الآية تقتضي سؤالهم أجمعين عن كل شيء.

قال الفخر: ولا معنى لقول من يقول: إن السؤال إنما يكون عن الكفر وعن الإيمان، بل السؤال واقع عنهما وعن جميع الأعمال؛ لأن اللفظ عام يتناول الكل، والضمير من قوله تعالى: ﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ عائد على جميع المكلفين الأنبياء وغيرهم، ومما يدل على سؤالهم أجمعين صريحًا قوله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف آية ٦].

قال الفخر: هذه الآية تدل على أنه تعالى يحاسب كل عباده؛ لأنهم لا يخرجون عن أن يكونوا مرسلين أو مرسلا إليهم، ويبطل قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء عليهم السلام ولا الكفار. انتهى.

ويمكن الجواب أن يقال: لا حساب علي الأنبياء حساب مناقشة، قال النسفي في "بحر الكلام": الأنبياء لا حساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، والعشرة المبشرة بالجنة، هذا في حساب المناقشة أما حساب العرض فلا، وهو أن يقال: فعلت كذا وعفوت عنك. وحساب المناقشة، لم فعلت كذا؟.

وقال القرطبي وغيره: وهذا العموم مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب، كما سيأتي.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر آية ٨] قال: "الأمن والصحة"[١].

وعن مجاهد في الآية، قال: (كل شيء من لذة الدنيا). وعن قتدة في الآية: (إن الله سائل كل ذي نعمة فيما أنعم عليه). وعن علي في الآية قال: (من أكل خبز البُرِّ وكان له ظل، وشرب الماء الفرات مبردًا).

وفي مرفوع ابن مسعود: "ما من عبد يخطو خطوة إلا ويُسأل عنها ما أراد بها؟"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٩٤٦٦.

وفي مرفوع أبي هريرة: "إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة أن يقال له: أَلَمْ أُصِحَّ جِسْمَكَ؟ وَأَرْوِيكَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ؟ والذي نفسي بيده؛ من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد"(٢).

وأخرج البزار وأبو نعيم بسند حسن عن ابن عباس مرفوعًا: "مَا فَوْقَ الإِزَارِ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ، وَظِلُّ الْحَائِطِ، وَجَرَّةُ الْمَاءِ، فَضْلٌ يُحَاسَبُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ يُسْأَلُ عَنْهُ "(٣).

وأخرج أحمد والبيهقي وأبو نعيم عن الحسن مرفوعًا: "ثَلاثٌ لا يُحَاسَبُ بِهِنَّ الْعَبْدُ: ظِلُّ خُصٍّ يَسْتَظِلُّ بِهِ، وَكِسْرَةٌ يَشُدُّ بِهَا صُلْبَهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ "(٤).

ويروى: " أشد الناس حسابا الصحيح الفارغ، وما كثر مال رجل إلا كثر حسابه"(٥).

قلت: وبالجملة فالأخبار في هذا الباب كثيرة، والحاصل أن العبد يُسأل عن كل شيء، ولقد أحسن من قال(٦) [الوافر]: شعر

ولو أنا إذا مُتنا تُركنا ... لكان الموتُ راحةَ كل حي

ولكنا إذا متنا بُعثنا ... ونُسأل بعده عن كل شي

فصل في ذكر حساب البهائم

عن يحيى بن جعدة قال: (إن أول خلق الله يحاسب يوم القيامة الدواب والهوام، حتى يقضي بينها، حتى لا يذهب شيء بظُلامَة، ثم يجعلها ترابًا، ثم يبعث الثقلينَ الإنس والجن فيحاسبهم، فيومئذ يتمنى الكافر: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [النبأ آية ٤٠]).

وأخرج الحاكم عن ابن عمرو قال: (إذا كان يوم القيامة مُدت الأرض مد الأديم، وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش؛ فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين

==

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٥٠٧٤، وابن عساكر في تاريخ دمشق ج٦/ ٥٣.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٦٤، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٥٨٧، وأخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٧٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ١٣١.

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٥٠٣٦.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد حديث رقم: ٦٤، وأبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٥٠٣٦.

(٥) أخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٥٩٧.

(٦) الأبيات للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

الدواب، حتي يقضي للشاة الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها: كوني ترابا، فيراها الكافر فيقول: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾).

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن أبي هريرة قال: (يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء، فيبلغ من عدل الله أن يأخذ للجَمَّاء من القرناء، ثم يقول: كوني ترابًا. فذلك حين يقول الكافر: ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾).

وبعضهم جعل مؤمني الجن كالبهائم في أنه إذا حاسبهم يعودون ترابًا، والصواب: لا، وقد مر الكلام على تفصيل هذا في آخر فصل خلق الجن.

وأخرج أحمد وأبو نعيم عن عمران الجوني، قال: (حُدِثتُ أن البهائم إذا رأت بني أدم قد تصدعوا من بين يدي الله صنفين، صنفًا إلى الجنة وصنفًا إلى النار، تناديهم البهائم: يا بني آدم؛ الحمد لله الذي لم يجعلنا اليوم منكم، لا جَنة نرجو، ولا عقابا نخاف).

وأخرج ابن وهب عن أبي ذر قال: (والذي نفس محمد بيده؛ ليسألن الشاة فيم نَطَحَتْ صاحبتها، وليسألن الجماد فيم نكب أصبع الرجل).

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض"[1].

فصل في حساب الناس والإتيان بالشهود

قال الله تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف آية ٦]. قال: ابن عباس في هذه الآية: (يُسأل الناس جميعًا عما أجابوا المرسلين، والمرسلين عما بلغوا).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء آية ٧١]. قال مجاهد وقتادة: (بنبيهم). واختاره الطبري فيما حكى عنه مكي. وقال جماعة من المفسرين: المراد بالإمام هنا الكتاب. قال الثعلبي: رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى علي مرفوعًا في هذه الآية: "يدعون بإمام زمانهم، وكتاب رسولهم، وسنة نبيهم"[2].

قلت: كلا القولين صحيح؛ لوقوع كل منهما ذلك اليوم.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم:٣٤٨٢، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٢٠، وأخرجه النسائي حديث رقم: ١٤٨٢، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٢٨١٤.

(٢) ذكره الفتني في تذكرة الموضوعات حديث رقم:٥٦٠.

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ ﴾ [الزمر آية ٦٩]. قال المفسرون: يعني الكتب التي فيها أعمال العباد، وجيء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم، وأما الشهداء هنا فقال ابن عباس: (هم الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة إذا جحدت أممهم). وقيل: (هم الحفظة الموكلون بالعبد). وقال السُّدى: هم الذين يستشهدون في طاعة الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق آية ٢١]، قال مكي: المراد بها في قول أكثر العلماء البّر والفاجر، وقال الضحاك: المراد بها المشركون.

واختلفوا في السائق، فقيل: إنه من الملائكة، وهو قول جمهور المفسرين كابن عباس وغيره. وقيل: إنه قرينها من الشياطين.

وفي الصحيح عن ابن مسعود مرفوعًا: "ما منكم من أحد إلا وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ من الجن، قالوا: وَإِيَّاكَ يا رسول الله؟ قال: وَإِيَّايَ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير"[1].

(والشهيد) قال ابن عباس وجمع من المفسرين إنه: العمل. وقال الضحاك: إنه من أنفسهم الأيدي والأرجل، وقال مجاهد: السائق والشهيد ملكان.

إذا تقرر هذا فقد ذكر العلماء: أن أول من يُسأل ويحاسب اللوح المحفوظ، ثم إسرافيل، ثم جبريل، ثم أصحاب الشرائع.

أخرج أبو الشيخ: (أول من يحاسب يوم القيامة: اللوح المحفوظ، يُدعى به ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فيقول الله: من يشهد لك؟ فيقول: إسرافيل، فيُدعى إسرافيل ترعد فرائصه، فيقال له: هل بلغك اللوح المحفوظ؟ فإذا قال: نعم. قال اللوح: الحمد لله الذي نجاني من سوء الحساب).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨١٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٤٣٧٨ , ٣٧٩٢ , ٣٦٤٠، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ٦٣٨، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٤١٧، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ٢٨١، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم: ٨٢٤، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٥٩٣، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٥٢٢، وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ٨٦٠، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في تلبيس إبليس حديث رقم: ٣١، وأخرجه مجاهد بن جبر في تفسير القرآن حديث رقم: ٢٩٥٧ , ٨٤٨، وأخرجه محمد بن إسحاق الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار حديث رقم: ١١.

وأخرج أيضًا قال: (إذا كان يوم القيامة دُعي إسرافيل ترعد فرائصه فيقال: ما صنعت فيما أدى إليك اللوح؟ فيقول: بلغت جبريل. فيدعى جبريل ترعد فرائصه. فيقال: ما صنعت فيما بلغك إسرافيل؟ فيقول: بلغت الرسل. فيؤتى بالرسل فيقال: ما صنعتم فيما أدى إليكم جبريل؟ فيقولون بلغنا الناس. فهو قوله: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف آية ٦].

وأخرج البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغت؟ فيقول: نعم. فتدعى أمته فيقال لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير وما أتانا أحد. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة آية ١٤٣] الآية"[١].

وأخرج ابن جرير وابن مردوية عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلا ود أنه منا، وما من نبي كذبه قومه إلا ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه"[٢]. والكوم: هو الشيء المرتفع.

وقال جمع من المفسرين في قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٣] [البقرة:١٤٣]: أن أمة محمد تشهد يوم القيامة للأنبياء على أممهم بالتبليغ، فيقول الله لهم: شهدتم على من لم

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٤٨٧، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٩٦١، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٩٣٩، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٣٣٦, ١٣٣٢.

(٢) أخرجه الحربي في غريب الحديث حديث رقم: ٩٢٥.

(٣) قال الرازي: اختلف الناس في أن الشهادة المذكورة في قوله تعالى ﴿ لّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النـاس ﴾ تحصل في الآخرة أو في الدنيا. فالقول الأول: إنها تقع في الآخرة، والذاهبون إلى هذا القول لهم وجهان. الأول: وهو الذي عليه الأكثرون: أن هذه الأمة تشهد للأنبياء على أممهم الذين يكذبونهم، روي أن الأمم يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله تعالى الأنبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم، فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الأمم من أين عرفتم فيقولون: علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق، فيؤتى بمحمد عليه الصلاة والسلام، فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاء شَهِيداً ﴾ [النساء: ٤١] وقد طعن القاضي في هذه الرواية من وجوه:

==

أولها: أن مدار هذه الرواية عن أن الأمم يكذبون أنبياءهم وهذا بناء على أن أهل القيامة قد يكذبون، وهذا باطل عند القاضي، إلا أنا سنتكلم على هذه المسألة في سورة الأنعام في تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ والله رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ * انظر كَيْفَ كَذَبُواْ على أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنعام: ٢٣، ٢٤].

وثانيها: أن شهادة الأمة وشهادة الرسول مستندة في الآخرة إلى شهادة الله تعالى على صدق الأنبياء، وإذا كان كذلك فلم لم يشهد الله تعالى لهم بذلك ابتداء؟ وجوابه: الحكمة في ذلك تمييز أمة محمد صلى الله عليه وسلم في الفضل عن سائر الأمم بالمبادرة إلى تصديق الله تعالى وتصديق جميع الأنبياء، والإيمان بهم جميعاً، فهم بالنسبة إلى سائر الأمم كالعدل بالنسبة إلى الفاسق، فلذلك يقبل الله شهادتهم على سائر الأمم ولا يقبل شهادة الأمم عليهم إظهاراً لعدالتهم وكشفاً عن فضيلتهم ومنقبتهم. وثالثها: أن مثل هذه الأخبار لا تسمى شهادة وهذا ضعيف لقوله عليه الصلاة والسلام: « إذا علمت مثل الشمس فاشهد » والشيء الذي أخبر الله تعالى عنه فهو معلوم مثل الشمس فوجب جواز الشهادة عليه.

الوجه الثاني: قالوا معنى الآية: لتشهدوا على الناس بأعمالهم التي خالفوا الحق فيها قال ابن زيد: الأشهاد أربعة. أولها: الملائكة الموكلون بإثبات أعمال العباد. قال تعالى: ﴿ وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١] وقال: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] وقال: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لحافظين * كِرَاماً كاتبين * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُون ﴾ [الإنفطار: ١٠-١٢]. وثانيها: شهادة الأنبياء وهو المراد بقوله حاكياً عن عيسى عليه السلام: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ على كُلّ شَيْء شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧] وقال في حق محمد صلى الله عليه وسلم وأمته في هذه الآية: ﴿لّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس وَيَكُونَ الرسول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ وقال: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاء شَهِيداً ﴾ [النساء: ٤١]. وثالثها: شهادة أمة محمد خاصة. قال تعالى: ﴿ وَجِيء بالنبيين والشهداء﴾ [الزمر: ٦٩] وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُومُ الأشهاد ﴾ [غافر: ٥١]. ورابعها: شهادة الجوارح وهي بمنزلة الإقرار بل أعجب منه قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾ [النور: ٢٤] الآية، وقال: ﴿اليوم نَخْتِمُ على أفواههم ﴾ [يس: ٦٥] الآية. القول الثاني: أن أداء هذه الشهادة إنما يكون في الدنيا وتقريره أن الشهادة والمشاهدة والشهود هو الرؤية يقال: شاهدت كذا إذا رأيته وأبصرته، ولما كان بين الإبصار بالعين وبين المعرفة بالقلب مناسبة شديدة لا جرم قد تسمى المعرفة التي في القلب: مشاهدة وشهوداً، والعارف بالشيء: شاهداً ومشاهداً، ثم سميت الدلالة على الشيء: شاهداً على الشيء لأنها هي التي بها صار الشاهد شاهداً، ولما كان المخبر عن الشيء والمبين لحاله جارياً مجرى الدليل على ذلك سمي ذلك المخبر أيضاً شاهداً، ثم اختص هذا اللفظ في عرف الشرع بمن يخبر عن حقوق الناس بألفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة، إذا عرفت هذا فنقول: إن كل من عرف حال شيء وكشف عنه كان شاهداً عليه والله تعالى وصف هذه الأمة بالشهادة، فهذه الشهادة إما أن تكون في الآخرة أو في الدنيا لا جائز أن تكون في الآخرة، لأن الله تعالى جعلهم عدولاً في الدنيا لأجل أن يكونوا شهداء وذلك يقتضي أن يكونوا شهداء في الدنيا، إنما قلنا: إنه تعالى جعلهم عدولاً في الدنيا لأنه تعالى قال: ﴿ وكذلك جعلناكم أُمَّةً ﴾ وهذا إخبار عن الماضي فلا

تحضروا؟ فيقولون: أي ربنا ـ وأنت أعلم ـ جاءنا رسولك ونزل إلينا كتابك، فنحن نشهد بما عهدت إلينا وأعلمتنا به. فيقول الله: صدقتم.

وفي مرفوع ابن مسعود. قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: "اقرأ، فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾[النساء آية ٤١] الآية، دَمَعَتْ عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: حسبنا الله"[١].

وأخرج مسلم عن جابر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع: "أنتم تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قالوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فقال: اللَّهُمَّ اشْهَدِ"[٢].

= =

أقل من حصوله في الحال، وإنما قلنا: إن ذلك يقتضي صيرورتهم شهوداً في الدنيا لأنه تعالى قال: ﴿ وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس ﴾ رتب كونهم شهداء على صيرورتهم وسطاً ترتيب الجزاء على الشرط، فإذا حصل وصف كونهم وسطاً في الدنيا وجب أن يحصل وصف كونهم شهداء في الدنيا، فإن قيل: تحمل الشهادة لا يحصل إلا في الدنيا، ومتحمل الشهادة قد يسمى شاهداً وإن كان الأداء لا يحصل إلا في القيامة قلنا: الشهادة المعتبرة في الآية لا التحمل، بدليل أنه تعالى اعتبر العدالة في هذه الشهادة والشهادة التي يعتبر فيها العدالة، هي الأداء لا التحمل، فثبت أن الآية تقتضي كون الأمة مؤدين للشهادة في دار الدنيا، وذلك يقتضي أن يكون مجموع الأمة إذا أخبروا عن شيء أن يكون قولهم حجة ولا معنى لقولنا الإجماع حجة إلا هذا، فثبت أن الآية تدل على أن الإجماع حجة من هذا الوجه أيضاً، واعلم أن الدليل الذي ذكرناه على صحة هذا القول لا يبطل القولين الأولين لأنا بينا بهذه الدلالة أن الأمة لا بد وأن يكونوا شهوداً في الدنيا وهذا لا ينافي كونهم شهوداً في القيامة أيضاً على الوجه الذي وردت الأخبار به، فالحاصل أن قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى الناس ﴾ إشارة إلى أن قولهم عند الإجماع حجة من حيث أن قولهم: عند الإجماع يبين للناس الحق، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ الرسول عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ يعني مؤدياً ومبيناً، ثم لا يمتنع أن تحصل مع ذلك لهم الشهادة في الآخرة فيجري الواقع منهم في الدنيا مجرى التحمل لأنهم إذا أثبتوا الحق عرفوا عنده من القابل ومن الراد، ثم يشهدون بذلك يوم القيامة كما أن الشاهد على العقود يعرف ما الذي تم وما الذي لم يتم ثم يشهد بذلك عند الحاكم [مفاتيح الغيب: ٢/ ٣٩٣-٣٩٤].

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٠٥٠، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٨٠٢.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٢١٩، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ١٩٠٥، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٣٠٧٤، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ١٨٥٠، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٨٢٧، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١١٣٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٤٩.

فصل في شهادة الأعضاء والأزمنة والأمكنة

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس آية ٦٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت آية ٢١] الآيات.

أخرج مسلم عن أنس قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك، فقال: "هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه يوم القيامة، يقول: يا رب أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. فيقول: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعمالهم. فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ"(١). أي: أجادل وأخاصم وأدافع.

وأخرج أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر مرفوعًا: "إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الْأَفْوَاهِ: فَخِذُهُ من الرجل الشمال"(٢).

وفي ابن جرير عن أبي موسى الأشعري: (يدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد، ويقول: أي رب، وعزتك لقد كتب علي هذا المَلك ما لم أعمل، فيقول له المَلك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك؛ فإذا فعل ذلك خُتم على فيه. قال أبو موسى: فإني أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى، ثم تلا: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يس آية ٦٥]).

وقال المفسرون في قوله تعالى حكاية عن المشركين: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام آية ٢٣] أنهم إذا رأوا يوم القيامة مغفرة الله وتجاوزه عن أهل التوحيد قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد، فيقولون: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فيقول الله تعالى لهم: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص آية ٦٢]، ثم يختم على أفواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالكفر.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٧٩٧٠، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٣٩٧٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٦٠٠.

(٢) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٦٩٢٣، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم:٩٢١.

وأخرج أبو يعلى، والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، قال: "إذا كان يوم القيامة عُيِّرَ الكافرُ بعمله، فجحد وخاصم، فيقال: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك. فيقول: كذبوا. فيقول: أهلك وعشيرتك. فيقول: كذبوا. فيقول: احلفوا فيحلفون ثم يُصْمِتُهُمُ الله وتشهد عليهم ألسنتهم، فيدخلهم النار"(١).

وأخرج أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن حبان، والبيهقي عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة آية ٤] قال: "أتدرون ما أَخْبَارُهَا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإن أَخْبَارَهَا أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا. فذلك أَخْبَارُهَا"(٢).

وأخرج الطبراني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تحفظوا من الأرض؛ فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًا إلا وهي مخبرة"(٣).

وأخرج أبو نعيم عن معقل بن يسار مرفوعًا: "ليس من يوم يأتي على ابن آدم إلا يُنَادى فيه: يا ابن آدم؛ أنا خلق جديد، وأنا فيما تعمل عليك غدًا شهيد، فاعمل فيَّ خيرًا أشهد لك به غدًا، فإني لو قد مضيت لم ترني أبدًا. ويقول الليل مثل ذلك"(٤).

وعن عطاء الخراساني: (ما من عبد يسجد سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة، وبكت عليه يوم يموت).

وعن ابن عمرو: (من سجد في موضع عند شجر أو حجر شهد له يوم القيامة عند الله تعالى).

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٦٠٥، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٣٩٢، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٨٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج :١٧ ص ٢٣١، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٤٢٩٧، وأخرجه أسد بن موسى في الزهد حديث رقم: ٩٢.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٢٩، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٦٢٩، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٨٦٥٠، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٦٠.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٤٥٩٦.

(٤) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٢٥٧٧.

وأخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري: أنه قال لعبد الرحمن: (إني أراك تحب الغنم والبادية، فإذا كُنْتَ في غنمك أو باديتك فَأَذَّنْتَ للصلاة فارفع صوتك بالنداء؛ فإنه لا يسمع صوت المؤذن جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة).

وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن أنس مرفوعًا: "إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله حفظته ذنوبه، وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض، حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب"(١).

فصل في حساب المؤمنين ومن يكلمه الله ومن لا يكلمه

قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [الزلزلة آية ٧-٨]. قال ابن عباس في هذه الآية: (ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرًا ولا شرًا في الدنيا إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته ويعذبه بسيئاته).

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعرض عليه صغارها ويُخَبَّأُ عنه كبارها، فيقول: عملت يوم كذا وكذا وكذا، وهو يقر ليس ينكر، وهو مشفق من الكبائر أن تجيء، فيقال: اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة. فيقول: إن لي ذنوبًا لا أراها هنا. فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه"(٢).

وعن أبي هريرة: " ليأتين ناسٌ يوم القيامة ودوا أنهم استكثروا من السيئات، قيل: مَنْ هم؟ قال: الذين بدَّل الله سيئاتهم حسنات"(٣).

وأخرج الشيخانِ عن ابن عمر: أنه سُئِلَ: كيفَ سمعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى: "يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملتَ كذا وكذا. فيقول: نعم. فيقول: عملت كذا وكذا. فيقول: نعم. ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا

---

(١) أخرجه المنذري في الترغيب والترهيب حديث رقم: ٤٧٥٦، وأخرجه ابن عساكر الدمشقي في التوبة حديث رقم: ١٢.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٩١، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٢١١.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٢٥٢.

أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فينادى به على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين"[1].

وأخرج البيهقي عن أبي موسى قال: (يؤتى بالعبد يوم القيامة فيستره ربه بينه وبين الناس فيرى خيرًا، فيقول: قد قبلتُ، ويرى شرًا فيقول: قد غفرتُ، فيسجد عند الخير والشر، فيقول الناس: طوبى لهذا العبد الذي لم يعمل شرًا قط).

وأخرج أبو نعيم عن بلال بن سعد قال: (إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة، حتى يوقفه عليها يوم القيامة، وإن تاب منها).

وأخرج الشيخان عن عدي بن حاتم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب يحجبه ولا ترجمان يترجم له، فيقول: أولم أُوتِكَ مالًا؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أرسل إليك رسولا؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن يساره فلا يرى إلا النار، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار، فليتقِ أحدكم النار ولو بشق تمرة؛ فإن لم يجد فبكلمة طيبة"[2]. قال العلماء: ذلك يكون على الصراط والنار محيطة به.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال أعرابي: "يا رسول الله؛ مَنْ يحاسب الخلقَ يوم القيامة؟ قال: الله. قال: نجونا ورب الكعبة. قال: وكيف يا أعرابي؟ قال: لأن الكريم إذا قَدَرَ عفا"[3].

وقال القرطبي: عند الحساب يكلم الله المؤمنين من غير ترجمان إكرامًا لهم، ولا يكلم الكفار، بل تحاسبهم الملائكة إهانة لهم وتمييزًا عن أهل الكرامة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٢٤٤١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٧١، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٨٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٥٧٩١ ,٥٤١٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٥٥، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١١٧٨، وأخرجه أبو أمية الطرسوسي في مسنده حديث رقم: ٢٦، وأخرجه محمد بن إسماعيل البخاري في خلق أفعال العباد حديث رقم: ٣٢٩، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٢٣٢.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم:١٤١٣، وأخرجه الطبراني حديث رقم: ٢٢٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٧٤، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه حديث رقم: ٦٩٢.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج١/ ٢٤٧، وأخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله حديث رقم: ٢٥، والسخاوي في المقاصد الحسنة حديث رقم: ٧٩٩.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: رجل على فضل ماء بالطريق يمنع منه ابنَ السبيلِ، ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، ورجل يبايع رجلًا بسلعة بعد العصر، فحلف بالله لقد أُعطى بها كذا فصدقه ولم يعط بها"[(١)].

وأخرج مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر"[(٢)].

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: أشيمط زانٍ، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته لا يشترى إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه"[(٣)].

وأخرج أحمد والطبراني بسند جيد عن معاذ بن جبل مرفوعًا: "مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا، فَاحْتَجَبَ عَنْ أُولِي الضَّعَفِ وَالْحَاجَةِ، احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٢١٢، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٠٩، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ١٥٩٥، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٥٩٧٧ , ١١٩ , ١١٤، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٩٠ , ٢٨٨، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٦٠١١ , ٥٩٧٥، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ١٠: ص١٧٧،ج ١٠: ص١٧٧،ج ٨: ص١٦١، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم: ٨٨٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٢١، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٥٧٧.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٠٨، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٤٤٥٨، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٢٢٠٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٠٩٦٩ , ٢٠٩٢٤ , ٩٨٦٧، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ١١٨ , ١١١، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٩٤٦ , ٩٦٢١ , ٦٠٠٧، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٤: ص١٩١، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم ٤٠٢٤، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٤٧٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٢١، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ٦١١١.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢١٥٧٠، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٤٨١.

فصل في ذكر سرعة الحساب
(من نُوقِشَ فيه هلك والله أعلم)

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [غافر آية ١٧] وصف سبحانه وتعالى نفسه بسرعة حساب الخلائق مع كثرة عددهم وكثرة أعمالهم، ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه.

روي: أنه تعالى يحاسبُ الخلقَ في قدر حلب شاة. وروي في مقدار فواق ناقة. وروي في مقدار لمحة كذا، حكاه الزمخشري في تفسيره، والله تعالى على ما يشاء قدير[1].

قال الحسن: (حسابه أسرع من لمح البصر). حكاه الثعلبي عنه. وقال ابن عطية: قيل لعلي بن أبي طالب: (كيف يحاسبُ الله الخلائق يوم القيامة؟ فقال: كما يرزقهم في يوم).

وفي الحديث: " لا ينتصف النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار".

وقد قيل: إنه سبحانه إذا حاسب واحدًا فقد حاسب جميع الخلائق. قال بعضهم: من غريب حكم الآخرة أن الرجل يؤتى به إلى الله فيوقفه وتوزن حسناته وسيئاته، وهو يظن أن

---

(١) قال الرازي: ذكروا في معنى كونه تعالى سريع الحساب وجوهاً أحدها: أن محاسبته ترجع إما إلى أنه يخلق علوماً ضرورية في قلب كل مكلف بمقادير أعماله ومقادير ثوابه وعقابه، أو إلى أنه يوصل إلى كل مكلف ما هو حقه من الثواب أو إلى أنه يخلق سمعاً في أذن كل مكلف يسمع به الكلام القديم، أو إلى أنه يخلق في أذن كل مكلف صوتاً دالاً على مقادير الثواب والعقاب وعلى الوجوه الأربعة فيرجع حاصل كونه تعالى محاسباً إلى أنه تعالى يخلق شيئاً، ولما كانت قدرة الله تعالى متعلقة بجميع الممكنات، ولا يتوقف تخليقه وإحداثه على سبق مادة ولا مدة ولا آلة ولا يشتغله شأن عن شأن لا جرم كان قادراً على أن يخلق جميع الخلق في أقل من لمحة البصر وهذا كلام ظاهر، ولذلك ورد في الخبر أن الله تعالى يحاسب الخلق في قدر حلب ناقة وثانيها: أن معنى كونه تعالى: ﴿ سَرِيعُ الحساب ﴾ أنه سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم، وذلك لأنه تعالى في الوقت الواحد يسأله السائلون كل واحد منهم أشياء مختلفة من أمور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير أن يشتبه عليه شيء من ذلك ولو كان الأمر مع واحد من المخلوقين لطال العد واتصل الحساب، فأعلم الله تعالى أنه ﴿ سَرِيعُ الحساب ﴾ أي هو عالم بجملة سؤالات السائلين، لأنه تعالى لا يحتاج إلى عقد يد، ولا إلى فكرة وروية، وهذا معنى الدعاء المأثور «يا من لا يشغله شأن عن شأن» وحاصل الكلام في هذا القول أن معنى كونه تعالى ﴿ سَرِيعُ الحساب ﴾ كونه تعالى عالماً بجميع أحوال الخلق وأعمالهم ووجه المجاز فيه أن المحاسب إنما يحاسب ليحصل له العلم بذلك الشيء فالحساب سبب لحصول العلم فأطلق اسم السبب على المسبب وثالثها: أن محاسبة الله سريعة بمعنى آتية لا محالة.[مفاتيح الغيب:٣/ ٢٠٨].

الله تعالى ما حاسب أحدًا سواه، وقد حوسب في تلك اللحظة آلاف ألوف وما لا يمكن حصره.

قلت: ولعل السر في هذا وتقريبه للعقول أن معنى الحساب ما قال المفسرون: تعريف الله عز وجل الخلائق مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم على ما قد نسوه، وهذا قريب للعقل جدًا بأن يخلق الله في قلوبهم العلوم الضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب في لحظة واحدة. تأمل.

وقيل: معنى الآية سريع مجيء الحساب، والقصد بالآية: الإنذار يوم القيامة. حكاه ابن عطية. وحكى أيضًا أنه قيل: الحساب هنا المجازاة.

وقال مكي في "الهداية": معنى كونه سبحانه سريع الحساب أنه يغفر السيئات ويضاعف الحسنات لمن عمل ذلك ولا كُلْفَةَ، والله أعلم.

أخرج البزار والطبراني عن ابن الزبير مرفوعًا: " من نُوقش الحساب هلك"[1].

وأخرج الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من نوقش الحساب عذب، فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟! [الانشقاق آية ٨] قال: ليس ذلك الحساب، ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب"[2].

وأخرج أحمد وابن جرير والحاكم بسند صحيح عن عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته: " اللهم حاسبني حسابا يسيرًا. فلما انصرف قلت: يا رسول الله؛ ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، أي من نوقش الحساب يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن يكفر عنه من سيئاته، حتى الشوكة يشاكها"[3].

---

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢١٩٨، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٦٤٩، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٨٨٦.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٣٦، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٧٧، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٣٠٩٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٤٤٣٦ , ٢٤٠٨٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٥٧، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ١٢٤٩، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ٣٣٨، وأخرجه مجاهد بن جبر في تفسيره في: ج ٢: ص ٧١٤، وأخرجه مجاهد بن جبر في تفسير القرآن حديث رقم: ٢٤٠٩، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٤: ص ٢٣٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٤٠٥١.

وأخرج ابن المبارك وأحمد بسند صحيح عن محمد بن أبي عميرة الصحابي ـ أحسبه رفعه ـ قال: (لو أن عبدًا جُرَّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا في طاعة الله لحقره ذلك اليوم، وَلَوَدَّ أنه رد كيما يزداد من الأجر والثواب)(١).

وأخرج أحمد في "الزهد": (أوحى الله إلى داود أنذر عبادي الصديقين فلا يعجبوا بأنفسهم، ولا يتكلوا على أعمالهم؛ فإنه ليس أحد من عبادي أنصبه للحساب وأقيم عليه عدلًا إلا عذبته من غير أن أظلمه).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل"(٢).

وأخرج الشيخان عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سددوا وقاربوا وأبشروا؛ فإنه لا يدخل الجنة أحدًا عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة"(٣).

ولمسلم من حديث جابر: "لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَلَا يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ، وَلَا أَنَا إِلَّا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ"(٤).

واستشكل هذا بقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل آية ٣٢] وأجيب بحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، وأما أصل دخولها والخلود فيها فبفضل الله ورحمته، بدليل ما روي عن ابن مسعود قال: (تجوزون على الصراط بعفو الله، وتدخلون الجنة برحمة الله، وتقتسمون المنازل بأعمالكم).

وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه علي أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعونه رجل جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم

---

(١) أخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١١٣٨.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٤٦٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨١٦.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٤٦٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٢٠.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨١٩.

به آناء الليل وأطراف النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله له: بل أردت أن يقال: فلان قارىء، فقد قيل ذلك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب. قال: فما عملت فيما آتيتك؟.قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جواد، فقد قيل ذلك. ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله فيقول الله: فيماذا قتلت؟ فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قُتلت. فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. فيقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذلك. فأولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة"[١].

وأخرج الطبراني عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا: "يبعث الله عبدًا لا ذنب له، فيقول الله: بأي الأمرين أحب إليك أن أجزيك بعملك، أو بنعمتي عندك؟ قال: رب؛ أنت تعلم أني لم أعصك، قال: خذوا عبدي بنعمة من نعمي، فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة، فيقول: رب بنعمتك ورحمتك"[٢].

وفي الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعًا: "والذي نفسي بيده؛ إن الرجل ليجيء يوم القيامة بعمل لو وضع على جبل لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد تستنفذ ذلك كله، لولا ما يتفضل الله من رحمته"[٣]. والأخبار في هذا كثيرة، والله أعلم.

فصل في من يدخل الجنة بغير حساب

(وذلك قبل حساب الخلق ووضع الموازين وأخذ الصحف)

أخرج الشيخان عن ابن عباس قال: خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سوادًا كثيرًا فرجوت أن يكون أمتي، فقيل لي: هذا موسى

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٨٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ٤١٨، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٤٠٨، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٨٢٤، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٧٩.

(٢) أخرجه أبو القاسم الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٣٩٠، وأخرجه أيضا في المعجم الكبير حديث رقم: ١٤٠.

(٣) أخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم:١٥٨١، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٥٩٦.

وقومه. ثم قيل: انظر، فرأيت سوادًا كثيرًا، فقيل لي: هؤلاء أمتك، ومع هؤلاء سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب. فتفرق الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتذاكر أصحابه فقالوا: أما نحن فولدنا في الشرك، ولكن قد آمنا بالله ورسوله، هؤلاء أبناؤنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. فقام عكاشة بن محصن فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: نعم. ثم قام آخر فقال: أنا منهم؟ فقال: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ"[1].

وأخرج الترمذي وحسنه عن أبي أمامة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي"[2].

وأخرج أحمد والبزار والطبراني عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن ربي أعطاني سبعين ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب. فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته. قال: قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفًا. قال عمر: فهلا استزدته، قال: قد استزدته فأعطاني هكذا، وفرج بين يديه وبسط باعيه وحثا"[3]. قال هشام: هَذَا مِنَ اللهِ لَا يُدْرَى مَا عَدَدُهُ.

وأخرج البزار عن أنس مرفوعًا: "يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب. فقال أبو بكر: يا رسول الله زدنا. قال: وهكذا فقال عمر: يا أبا بكر؛ إن شاء الله أدخلهم الجنة بحفنة واحدة"[4].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال صلى الله عليه وسلم: " أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم كأحسن كوكب دري في السماء، أضاءت

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٤١, ٥٧٥٢, ٥٧٠٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٢١, ٢٢٠, ٢١٨، والترمذي حديث رقم: ٢٤٤٦، والدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٢٣, ٢٨٠٧.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٣٧، وابن ماجه حديث رقم: ٤٢٨٦

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٧٠٨، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٢٦٨، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٢٤٦.

(٤) أخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٧١٩٧.

قلوبهم على قلب واحد لا تباغض بينهم ولا تحاسد، لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين يرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم"[١].

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أنس مرفوعًا، قال: "إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعي سيوفهم على رقابهم تقطر دمًا فازدحموا على باب الجنة، فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياءً يرزقون. ثم ينادي منادٍ: ليقم من أجره على الله، فليدخل الجنة ثم ينادي مناد: ليقم من أجره علي الله، فليدخل الجنة الثانية ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، قال: ومن الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس، ثم ينادي الثالثة: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. فقام كذا وكذا ألفًا فدخلوها بغير حساب"[٢].

وفي مرفوع أسماء بنت يزيد: "يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، فيقوم منادٍ ينادي: أين الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادى : أين الذين كانت تتجافي جنوبهم عن المضاجع؟ فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يعود فينادى: ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب، ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون"[٣].

وأخرج البخاري عن زيد بن أرقم مرفوعًا: " ما ابتلي عبد بعد ذهاب دينه بأشد من بصره، ومن ابتلي ببصره فصبر حتى يلقى الله لقي الله ولا حساب عليه"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٥٤, ٣٢٤٦، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٣٥، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٣٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم٧١٢٥, ٧١١٢ :، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٣٧، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٣٠٠, ١٣٢، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٣٥, ٣٣٣، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ١٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ١٩٩٨.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٧١٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٩٣٤٠، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٢٢٢، وأخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده حديث رقم: ١٠١، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ١٧٦، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال حديث رقم: ١٥١.

(٤) أخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤٣٤٢.

وفي حديث جابر: " من مات في طريق مكة ذاهبا أو راجعًا لم يعرض ولم يحاسب"(١).

وحديث أبي هريرة: "يا رسول الله؛ هل فينا رجل يدخل الجنة بغير حساب؟ قال: نعم، كل رحيم صبور"(٢).

وحديث أبي أيوب الأنصاري مرفوعًا: "طالب العلم، والمرأة المطيعة لزوجها، والولد البار بوالديه، يدخلون الجنة بغير حساب"(٣).

وحديث أبي هريرة مرفوعًا: "أن شدة الحساب لا تصيب الجائع إذا احتسب"(٤).

وحديث أنس مرفوعًا: "من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة؛ فإن قضيت خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب"(٥).

وحديث عائشة مرفوعًا: " من ربى صبيًا حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله"(٦).

وحديث عطاء مرفوعًا: "ما من مسلم أو مسلمة يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقي عذاب القبر وفتنة القبر، ولقي الله لا حساب عليه، وجاء يوم القيامة ومعه شهود يشهدون له أو طائع".

فصل في دخول الفقراء قبل الأغنياء

أخرج مسلم عن ابن عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن فقراء أمتي يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفًا"(٧).

---

(١) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ١١٦٨.

(٢) أخرجه ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال حديث رقم: ٢٧١.

(٣) أخرجه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين ج١/ ٢٥٥.

(٤) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه حديث رقم:٩٨٨، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٩٩٩٨.

(٥) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٦٩٦٤، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٣٥٢، وأخرجه المعافى بن زكريا في الجليس الصالح الكافي حديث رقم: ٦١١.

(٦) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق حديث رقم: ٦٦٢.

(٧) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٨١، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رسم: ٦٥٤٢.

وأخرجه الطبراني وزاد: "فقيل: صفهم لنا، قال: الدَّنِسَةُ ثِيَابُهُمْ، الشَّعِثَةُ رُءُوسُهُمْ، الَّذِينَ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ عَلَى السُّدَّاتِ، وَلا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ، يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلا يُعْطَوْنَ كُلَّ الَّذِي لَهُمْ "(١).

وأخرج أحمد وأبو نعيم عن عبيد بن عمير، قال: (يجيء فقراء المهاجرين يوم القيامة تقطر رماحهم وسيوفهم دمًا، فيسألون أن يدخلوا الجنة فيقال لهم: انتظروا حتى تحاسبوا، فيقولون: وهل أعطيتمونا شيئا تحاسبون عليه؟ فينظر في ذلك فلا يوجد إلا أكوارهم التي هاجروا عليها، فيقول الله: أنا أحق من أوفي بعهده، ادخلوا الجنة. فيدخلون الجنة قبل الناس بخمس مائة عام).

وأخرج أحمد عن بعض الصحابة مرفوعًا: " تدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الأغنياء بأربع مائة عام"(٢).

قال السيوطي: إن هذه الأحاديث غير متعارضة، وإن الفقراء متفاوتوا الحال.

قال القرطبي: فقراء المهاجرين يسبقون سباق الأغنياء منهم بأربعين خريفًا، ويسبقون غير سباق الأغنيء بخمس مائة عام، وكذلك فقراء كل قرن يسبقون سباق أغنيائهم بأربعين وغير سباقهم بخمس مائة.

وفي مرفوع بن المسيب: "الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة، فتخرج إليهم منها ملائكة فيقولون: ارجعوا إلى الحساب. فيقولون: عَلامَ نُحَاسَبُ؟ والله ما أُفِيضَتْ علينا الأموال في الدنيا فنقبض فيها ونبسط، وما كنا أمراء نعدل ونجور، ولكن جاءنا أمر الله فعبدناه حتى أتانا اليقين"(٣).

وأخرج أحمد بسند جيد عن ابن عباس مرفوعًا: " التقى مؤمنان على باب الجنة، مؤمن غني ومؤمن فقير، كانا في الدنيا، فَأُدْخِلَ الفقير الجنة وَحُبِسَ الغني ما شاء الله أن يحبس، ثم أُدْخِلَ الجنة فلقيه الفقير فقال: يا أخي ما حبسك؟ والله لقد حبست حتى خفت عليك.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٤٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٥٣، وابن ماجه حديث رقم: ٤١٢٢، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٧٧٩٣، والدارمي حديث رقم: ٢٨٤٤.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الزهد حديث رقم: ٢٨٣، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء حديث رقم: ١١٩٦٧.

فيقول: يا أخي؛ إني حبست بعدك محبسا فظيعًا كريهًا، وَمَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ حَتَّى سَالَ مِنِّي الْعَرَقُ مَا لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ لَصَدَرَتْ عَنْهُ رِوَاءً"[1].

وأخرج أحمد مرفوعًا قال: " اثنتان يكرههما ابن آدم: يكره الموت، والموت خير له من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب"[2].

وأخرج الإسماعيلي في معجمه بسند ضعيف عن أبي هريرة مرفوعًا: "إذا كان يوم القيامة يقول الله: أين الجبارون والمتكبرون؟ فيأتون فيقومون قدام ربهم، فقال ابن عباس: يا رسول الله كم يقفون؟ قال: يقفون مثل الدنيا مرتين، ثم يقول: أين أصحاب الخير والمعروف واليقين والرحمة؟ فيقومون شاخصين إلى ربهم. فيقول الله لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ادخلوها بسلام"[3].

فصل في ذكر بعث النار

وهو أنه إذا تردد الناس إلى الأنبياء ووقعت الشفاعة العظمى من النبي صلى الله عليه وسلم أمر الله تعالى آدم عليه السلام بأن يخرج بعث النار قبل الحساب والميزان.

أخرج البخاري عن أبي هريرة: أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ آدَمُ فَتَرَاءَى ذُرِّيَّتُهُ، فيقال: هذا أبوكم آدم. فيقول: لبيك وسعديك. فيقول: أخرج من بعث النار من ذريتك، فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول: من كل مائة تسعة وتسعين، فقالوا: يا رسول الله؛ إذا أخذ منا من كل مائة تسعة وتسعين فماذا يبقى؟ قال: إِنَّ أُمَّتِي فِي الْأُمَمِ كَالشَّعَرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ "[4]. قال ابن حجر: هذا أول شيء يقع يوم القيامة.

وأخرج الحاكم وأبو يعلى عن أنس قال: لما نُزِّلت: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج آية ١] على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسير له، رفع بها صوته حتى ثاب إليه أصحابه فقال: "أتدرون في أي يوم هذا؟ يوم يقول الله لآدم: يا آدم؛ قم فابعث بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فكبر ذلك على المسلمين، فقال: سددوا وقاربوا وأبشروا، فوالذي

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٦٦، وأخرجه أيضا ابن حنبل في الزهد حديث رقم: ٢٣٤٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٣١١٢، وأبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم: ٦١٥٤.

(٣) أخرجه أبو بكر الإسماعيلي في معجم أسامي شيوخه في: ج ٢: ص ٥٩٥.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٢٩، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٦٥٢[illegible].

نفسي بيده؛ ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في ذراع الدابة، فإن معكم الخليقتين، ما كانتا مع شيء إلا كثرتاه يأجوج ومأجوج ومن هلك من كفرة الجن والإنس"[1].

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة مرفوعًا: "يقول الله: يا آدم؛ لولا أني لعنت الكذابين، وأبغضت الكذب والخلف وأوعدت عليه لرحمت اليوم ولدك أجمعين، ولكن حق القول مني لئن كُذبت رسلي وعصي أمري لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين، ويقول الله: يا آدم؛ إني لا أدخل النار أحدا ولا أعذب أحدًا إلا من علمت بعلمي أني لو رددته إلى الدنيا لعاد إلى شر ما كان فيه، ويقول الله: يا آدم؛ قد جعلتك حكمًا بيني وبين ذريتك، قم عند الميزان وانظر ما يُرفع إليك من أعمالهم، فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة، حتى تعلم أني لا أُدخل النار منهم إلا ظالمًا"[2].

وأخرج الشيخان عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يُجاء بالكفار يوم القيامة". وفي لفظ: "يقول الله: لأهون أهل النار عذابًا، أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: أردت منك أهون من ذلك وأنت في صلب آدم، لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي"[3].

فصل في الحوض والكوثر

وكلاهما ثابت بإجماع أهل السنة والجماعة.

قال الحافظ السيوطي في "البدور السافرة": قد ورد ذكر الحوض من رواية بضع وخمسين صحابيًا، منهم الخلفاء الأربعة، وأُبي بن كعب، وأنس بن مالك، والبراء بن عازب، وجابر، وأبو هريرة، وعائشة، وأم سلمة، إلى أن عد الجميع.

قال القرطبي: ذهب صاحب "القوت" وغيره إلى أن الحوض بعد الصراط، والصحيح أنه قبله. وهكذا قال الغزالي: ذهب بعض السلف إلى أن الحوض يورد بعد الصراط. وهو غلط من قائله.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٦٦، وأخرجه أبو يعلى حديث رقم: ٣١٢٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٦: ص ٤٥٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٣١.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٥٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٠٧، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم ١١٩٠٣، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٢٤٣.

قال القرطبي: والمعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط؛ فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشًا. فناسب تقديمه.

قال ابن عباس: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي رب العالمين، هل فيه ماء؟ قال: "إي والذي نفسي بيده؛ إن فيه لماء، وإن أولياء الله ليردون حياض الأنبياء".

وقد ورد عند الترمذي: (أن لكل نبي حوضًا). ويقال: إن حوض صالح ضرع ناقته.

قال القرطبي: والصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين: أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثرًا.

(والكوثر) من كلام العرب: الخير الكثير.

قال السيوطي: وقد ورد التصريح في حديث صحيح عند الحاكم وغيره بأن الحوض بعد الصراط، ورجحه القاضي عياض.

قال السيوطي: فإن قيل: إذا خلصوا قرب دخول الجنة فلم يحتج إلى الشرب منه؟

قلت: كلا، بل هم محبوسون هناك لأجل المظالم، فكان الشرب في موقف القصاص، ويحتمل الجمع بأن يقع الشرب من الحوض قبل الصّراط لقوم، وتأخيره بعده لآخرين بحسب ما عليهم من الذنوب حتى يذهبوا منها على الصراط، ولعل هذا أقوى. انتهى.

قلت: هذا كلام في غاية التحقيق جامع للقولين وهو دقيق.

قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة وهي أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم عليها أحد قط، حيث تقرر هذا.

ففي البخاري عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ. قالوا: يا رسول الله؛ أَتَعْرِفُنَا يومئذ؟ قال: نعم، لَكُمْ سِيمَاءُ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ"[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧٧٦٠، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٣٥٨، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٤٤.

وأخرج ابن ماجة عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: "إن لي حوضًا ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض مثل اللبن، آنيتهُ عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة"(١).

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "حَوْضِي مَا بَيْنَ عُمَانَ وَأَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ مِثْلُ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا"(٢).

وأخرج ابن حبان، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي بردة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء مسيرة شهر، عرضه كطوله، فيه ميزابان من الجنة، أحدهما ورق والآخر ذهب، أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، فيه أباريق عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة"(٣).

وأخرج مسلم عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله؛ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قال: "والذي نفس محمد بيده؛ لآنِيَتُهُ أكثر من عدد نجوم السماء [في الليلة الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، يَشْخَبُ](٤) فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل"(٥).

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعًا قال: "حوضي كما بين عدن وعمان، فيه أكاويب عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا، وإن ممن يرده علي من أمتي الشعثة

---

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٠١.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧٧٦٠.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٤٥٨، والحاكم في المستدرك ج١/٧٦، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ٧٧٣، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٧٢٢، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٥٦.

(٤) ما بين المعكوفتين في أصل صحيح مسلم كالآتي: لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ.

(٥) أخرجه مسلم حديث رقم: ٦١٢٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٠٨١٩، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٧٢١، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٣٧.

رءوسهم، الدنسة ثيابهم، لا ينكحون المتنعمات، ولا يحضرون السدد". يعني: أبواب السلاطين. "الذين يعطون كل الذي عليهم، ولا يعطون كل الذي لهم"(١).

(والأكاويب): جمع كوب وهو كوز لا عروة له.

وأخرج الحاكم عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أنا فرط لكم على الحوض، وإن سعته ما بين الكوفة إلى الحجر الأسود، وَآنِيَتُهُ عدد النجوم"(٢). إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة.

قال القرطبي: ظن بعض الناس أن هذه التحديدات في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف، وليس كذلك، وإنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة مخاطبًا لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها، وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول: (مسيرة شهر). والمعنى المقصود: أنه حوض كبير متسع الجوانب، وكان من حضره ممن يعرف تلك الجهات يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها..

وأما الكوثر: فأخرج الشيخان عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجرى فيه الماء، فإذا مسك أَذْفَرُ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أَعْطَاكَهُ الله"(٣).

وأخرج مسلم عن أنس قال: غفي رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة، ثم رفع رأسه مبتسمًا فقال: "إنه أنزل على آنفا سورة، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٨٠٢، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٥٤٦، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية حديث رقم: ٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ١٧٧، وابن حبان في المجروحين ج٢/ ١٣، والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه ج١/ ١٦٤.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٩٦٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٤٠٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٣٦٥ , ١١٧٤١ , ١١٥٩٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٧٩، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٦٠٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٨٢٣ , ٣٧٢٦، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٢٢٥١، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٤: ص ٦٨٦، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ١٣٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٦٦.

حتى ختمها. قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هو نهر أعطانيه ربي في الجنة عليه خير كثير، ثم ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنِيَتُهُ عدد الكواكب"(١). الحديث.

وفي الترمذي وصححه عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكوثر نهر في الجنة حافتاه من الذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج"(٢).

لطيفة: أخرج ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود قال: (يُحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط، وأجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن كسا لله كساه الله، ومن أطعم لله أطعمه الله، ومن سقى لله سقاه الله، ومن عمل لله أغناه الله، ومن عفا لله أعفاه الله).

وأخرج ابن خزيمة والبيهقي عن سلمان مرفوعًا: "من سقى صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة"(٣).

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة مرفوعًا قال: " من أتاه أخوه متنصلًا فليقبل ذلك منه محقًا كان أو مبطلًا؛ فإن لم يفعل لم يرد عليَّ الحوض"(٤). (التنصل): الاعتذار.

وأخرج الطبراني عن عائشة مرفوعًا قال: "من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل عذره لم يرد علي الحوض"(٥).

فصل في ذكر الصراط

وقد أخبر به الصادق المصدوق، والإيمان به واجب، وهو جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعر وأحد من السيف، يعبره أهل الجنة، وتزل به أقدام أهل النار، وأنكره أكثر المعتزلة؛ لأنه لا يمكن العبور عليه، وإن أمكن فهو تعذيب للمؤمنين.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٤٠٣، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٦٣٩.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٣٦١، والطبري في جامع البيان ج٢٤/ ٣٧٩، وهناد بن السري في الزهد حديث رقم: ١٣٢.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ١٧٧٨، والبيهقي في شعب الإيمان ج٣/ ٣٠٦.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ١٥٤.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٢٩٥.

والجواب: أن الله تعالى على ما يشاء قدير، فالقادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمنين، وذكر بعضهم: أن الصراط خلق من حين خلقت جهنم.

أخرج أحمد عن عائشة مرفوعًا: "**لجهنم جسر أدق من الشعرة، وَأَحَدُّ من السيف، عليه كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ**[1] **تأخذ من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ. فناج مسلم، ومخدوش مسلم، وَمُكَوَّرٌ في النار على وجهه**"[2].

وأخرج ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم عن أبي سعيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يوضع الصراط بين ظَهْرَانَيْ جهنم، عليه حَسَكٌ كَحَسَكِ السَّعْدَانِ، ثم يَسْتَجِيزُ الناس، فناج مسلم، ومخدوش به، ثم ناج ومحتبس به، ومنكوس فيها**"[3].

وأخرج ابن جرير والبيهقي عن ابن مسعود قال: (الصراط على جهنم مثل حد السيف، فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم تمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم).

وأخرج هناد عن ابن مسعود قال: (يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم، فتمر الناس على قدر أعمالهم، أولهم كلمح البصر، ثم كمر الريح، ثم كأسرع البهائم، ثم كذلك حتى يمر الرجل سعيًا، وحتى يمر الرجل مشيًا، ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه، يقول: رب لما أبطأت بي؟ فيقول: لم أبطئ بك، إنما أبطأ بك عملك).

وأخرج البيهقي عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**الصراط كحد السيف، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي وإني لأقول: يا رب سلم سلم، فالزالات والزالون يومئذ كثير**"[1].

---

(١) قال الليث: الحسك: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم. قال: وكل ثمرة يشبهها نحو ثمرة القطب والسعدان والهراس فهو حسك، والواحدة حسكة، قال: والحسك من أدوات الحرب ربما اتخذ من حديد فصب حول العسكر.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٤٢٧١.

(٣) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٨٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٨٥، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٦٣٤، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٤٩٣، وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ١٢٦٨ .

وأخرج الحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام قال: "إذا كان يوم القيامة يبعث الله الخليقة أمة أمة ونبيا نبيا، حتى يكون أحمد وأمته آخر الأمم مركزًا، ثم يوضع جسر على جهنم، ثم ينادي مناد: أين أحمد وأمته؟ فيقوم فتتبعه أمته برها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائهم فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبي صلى الله عليه وسلم والصالحون معه"(٢). الحديث.

وفي الطبراني من حديث ابن عباس مرفوعًا: "وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نورًا، وكل منافق نورًا؛ فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات، فقال المنافقون: ﴿انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣]. وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[التحريم:٨]. فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا"(٣).

وأخرج ابن شاهين بسند ضعيف عن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم قال: "يا بني هاشم؛ اشتروا أنفسكم من الله، فإني لا أملك لكم من الله شيئا. قالت عائشة: يا رسول الله؛ ويكون يوم لا يغني عنا من الله شيء. قال: نعم، في ثلاثة مواطن: عند الميزان، وعند النور والظلمة، من شاء أتم نوره، ومن شاء تركه في ظلمه، وعند الصراط، من شاء سلمه وأجازه إياه، ومن شاء كبكبه في النار. فقالت عائشة: يا رسول الله؛ قد علمت الموازين، وقد علمنا النور والظلمة، فما الصراط؟ قال: طريق بين الجنة والنار، وهو مثل حد الموسى، والملائكة صافون يمينا وشمالا يخطفونهم بالكلاليب مثل شوك السعدان، وهم يقولون: رب سلم سلم، وأفئدتهم هواء، من شاء سلمه ومن شاء كبكبه"(٤).

وأخرج الترمذي وحسنه، والبيهقي عن أنس قال: "سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: أنا فاعل. قلت: يا رسول الله؛ فأين أطلبك؟ قال: اطلبني أول ما

==

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج١/ ٣٣٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٣٧٦،ج ٤: ص٥٨٩، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٥٤٥، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٠٧٠.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٦٨.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم:١١٢٤٢.

(٤) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٩٢٦، وأخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٨٩٠.

تطلبني على الصراط. قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان. قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض؛ فإني لا أُخطِئُ هذه الثلاث مواطن"[١].

قال السيوطي: هذا الحديث يدل على أن الميزان على الصراط، وعلى أن الحوض ليس قبل الصراط بل بعده وبعد الميزان.

لطيفة: أخرج ابن عساكر عن الفضيل بن عياض قال: (بلغنا أن الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة، خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستو أدق من الشعرة، وأحد من السيف على متن جهنم، لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشية الله).

وقال مجاهد والضحاك في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد آية ١١]: أنه الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف عام سهلًا وصعودًا وهبوطًا.

وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعًا: " من مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها ثبت الله قدميه يوم تذل الأقدام"[٢].

وفي مرفوع أبي هريرة: " علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله برأيك"[٣].

وروى البيهقي والطبراني مرفوعًا: " أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته؛ فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة على الصراط"[٤].

وعن وهب: (قال داود: يا رب من أسرع مرا على الصراط؟ قال: الذين يرضون بحكمي وألسنتهم رطبة من ذكري).

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة مرفوعًا: "من فرج عن مسلم كربة جعل الله له يوم القيامة شبعتين من نور على الصراط، يستضيء بضوئهما عالم لا يحصيهم إلا رب العزة".

وأخرج الشيخان عن ابن عمر، ومسلم عن جابر، والحاكم عن أبي هريرة، وابن عمرو، والطبراني عن الهرماس بن زياد قالوا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إياكم والظلم؛ فإنه هو الظلمات يوم القيامة"[١].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٣٣.
(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٩١٤٦.
(٣) أخرجه عبد الله الأنصاري في ذم الكلام وأهله حديث رقم: ٣٥٣.
(٤) أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال حديث رقم: ٢٩.

فصل في الخصام والقصاص بين الناس

(وذلك بعد المرور على الصراط)

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر آية ٣١].

أخرج أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه، والبيهقي عن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: لما نزلت قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر آية ٣٠-٣١]، قال الزبير: **"يا رسول الله؛ أيكون علينا ما بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: نعم؛ ليكون عليكم ذلك حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه. قال الزبير: والله إن الأمر لشديد"**[٢].

وأخرج البخاري والإسماعيلي في مستخرجه، واللفظ عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر آية ٤٧]، قال: **" يخلص المؤمنين من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده؛ لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله في الدنيا"**[٣].

قال ابن حجر: واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: إنها تتمة الصراط، وهى طرفه الذي يلي الجنة. وقيل: إنها صراط آخر، وبه جزم القرطبي، وقال: إن في الآخرة صراطين: صراط لعموم الخلق وصراط للمؤمنين. والأول هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط، نعم صرح ابن برّجان في **"الإرشاد"** بأن الكفار لا يمرون على الصراط.

وفي أحاديث ما يشهد له، وفي أحاديث أخر ما يقتضي خلاف ذلك، وأنهم يمرون فحملت على المنافقين، وعلى قول القرطبي لا إشكال.

==

(١) أخرجه البخاري من حديث ابن عمر حديث رقم: ٢٤٤٧، ومسلم حديث رقم: ٤٦٨٣. وأخرجه مسلم من حديث جابر حديث رقم: ٢٥٨١، وأخرجه الحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن عمرو ج١/ ١١٠، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط من حديث الهرماس بن زياد الباهلي حديث رقم:٦٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٣٦، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٤٣٧، والحاكم في المستدرك ج٢/ ٢٤٩.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٣٥.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن البصرى قال: بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **يحبس أهل الجنة بعدما يجوزون الصراط حتى يؤخذ لبعضهم من بعض ظلاماتهم في الدنيا، ويدخلون الجنة، وليس في قلوب بعضهم علي بعض غل**"(١).

وأخرج أحمد والبخارى في "الأدب"، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقى عن عبد الله بن أنيس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**يُحشر الله العباد يوم القيامة عراة غرلا بهما، قلنا: وما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة. قلنا: وكيف؟ وإنما نأتى عراة غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات، وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر آية ١٧]**"(٢).

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبى هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**يَقْتَصُّ الْخَلْقُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى الْجَمَّاءُ مِنَ الْقَرْنَاءِ، وَحَتَّى لِلذَّرَّةُ مِنَ الذَّرَّةِ** "(٣).

وأخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**"(٤).

وأخرج الترمذى وحسنه، وابن ماجة، والطبراني، واللفظ له، وابن مردويه، عن ابن عباس: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " **يأتى المقتول متعلقا رأسه بإحدى يديه، مُتَلَبِّبًا قاتله باليد الأخرى، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، حتى يأتى العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلنى. فيقول الله للقاتل: تعست. وَيُذْهَبُ به إلى النار**"(٥).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ٨٤٦٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٥٦١٢، وأخرجه الطبراني حديث رقم: ٢١١١٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج٢/ ٤٣٧، والبيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم:١٣١.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٨٥٣٨.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٣٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٨٠.

(٥) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٠٢٩، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٢٦٢١، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٤٢١٧.

وأخرج البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: " من كان عنده مظلمة لأخيه فَلْيَتَحَلَّلْهُ منها؛ فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم من قبل أن يُؤْخَذَ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات أخيه فَطُرِحَتْ عليه"(١).

وأخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتى قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فقعد فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فيطرح عليه، ثم طرح في النار"(٢).

وأخرج النسائي عن ابن مسعود مرفوعًا: "أول ما يحاسب عليه العبد صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء"(٣).

وأخرج الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده، وهى مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده، وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٣٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ج٦/ ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٥٨٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤١٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٢٠٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٥٩ , ٤٤١١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٦: ص٩٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٤٩٩، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٠١٧، وأخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين ج ١: ص ٢١٢،ج ١: ص ٦٣، وأخرجه محمد بن إسحاق الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار حديث رقم: ١١٦.

(٣) أخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٣٩٩١، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٣٤٣٩، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ٢١٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في معجمه حديث رقم: ٢٨٦، وأخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث رقم: ٧٩١.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧١٣٨ , ٥١٨٨ , ٨٩٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٣٠، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ١٧٠٥، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٢٩٢٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٥٨٦٧ , ٥١٤٥ , ٤٤٨١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم:

وأخرج ابن حبان، وأبو نعيم، عن أنس مرفوعًا: "أن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته"(١).

وأخرج الطبراني عن ابن عباس مرفوعًا: "ما من أمير على عشرة إلا سُئِلَ عنهم يوم القيامة"(٢).

وأخرج أحمد وابن حبان عن عائشة مرفوعًا: "يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط"(٣).

وأخرج الدينوري عن محمد بن واسع قال: (بلغني أن أول من يدعى للحساب يوم القيامة القضاة).

وأخرج ابن ماجة والبزار عن ابن مسعود يرفعه: "يؤتى بالقاضي يوم القيامة فيوقف على شفير جهنم؛ فإن أمر به دفع فيها فهوي فيها سبعين خريفا"(٤).

==

٤٤٩١ , ٤٤٩٠ , ٤٤٨٩، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٧٠٣١ , ٧٠٣٠ , ٧٠٢٧، وأخرجه ابن الجارود النيسابوري في المنتقى من السنن المسندة حديث رقم: ١٠٦٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج :٧ ص٢٩١،ج ٨: ص١٦٠، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٥٣٢٩، وأخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني حديث رقم: ٩٩١، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٢١٢١، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٥٦٨٠ , ٥٦٧٦ , ٥٣٧٧، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٨٣١، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٢٩٥١.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم:٤٤٩٢، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ١٤٢٣٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٢١٦٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٣٩٤٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٠٥٥، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ١٠: ص٩٦، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٦٥٠، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٦٧٢٢، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٦١٩.

(٤) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٣٩٤٢، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٩٣٩.

وعن ابن عمر مرفوعًا: "لا يلي أحد من أمر الناس شيئا إلا أوقفه الله على جسر جهنم، فزلزل به الجسر زلزلة، فناج أو غير ناج، لا يبقى منهم عظم إلا فارق صاحبه؛ فإن هو لم ينج ذهب به في جب مظلم كالقبر في جهنم، لا يبلغ قعره سبعين خريفا"(١).

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم بين الظلمة والوعرة لقيه المظلوم فيعرفه، وعرف ما ظلمه به، فما برح الذين ظُلِمُوا يقضون من الذين ظَلَمُوا حتى ينزعوا ما في أيديهم من الحسنات؛ فإن لم يكن له حسنات رد عليهم من سيئاتهم، حتى يورده الدرك الأسفل من النار"(٢).

وأخرج الحاكم، والبيهقي وصححه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ترفع للرجل الصحيفة يوم القيامة حتى يرى أنه ناج، فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما تبقى حسنة، ويزداد عليه من سيئاتهم"(٣).

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة الباهلي قال: "إن في جهنم جسرًا له سبع قناطر، فيُجاء بالعبد حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى، قيل له: ماذا عليك من الدين؟ فيقول: يا رب علي كذا وكذا. فيقال له: اقض دينك. فيقول: ما لي شيء. فيقول: خذوا من حسناته. حتى ما يبقى له حسنة حتى إذا فنيت حسناته قيل: قد فنيت، فيقال: خذوا من سيئات من يطلبه فركبوا عليه"(٤).

وأخرج ابن المبارك، وأبو نعيم، وابن أبي حاتم، عن ابن مسعود قال: (يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة فينصبان على رءوس الأولين والآخرين، فينادي مناد: هذا فلان ابن فلان، من كان له حق فليأت إلى حقه، فتفرح المرأة أن يدور لها الحق على ابنها أو أخيها أو زوجها ﴿فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون آية ١٠١] فيغفر الله من حقه ما يشاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئا. فيقول: يا رب فنيت الدنيا، من أين أوتيهم حقوقهم؟ قال:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٤٦٤، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة حديث رقم: ٥٣٩٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٩٧٦.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٢/ ٣٩.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٤٩٣.

خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق بقدر طلبته. فإن كان وليًا لله ففضل له مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله الجنة، ثم قرأ علينا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وإن كان عبدًا شقيًا قال الملك: رب فنيت حسناته وبقى طالبون كثيرون. قال: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكًا إلى النار).

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن ابن مسعود مرفوعًا: "أنه يكون للوالدين على ولدهما دين؛ فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به، فيقول: أنا ولدكما. فيودان لو كان أكثر من ذلك"(١).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قذف مملوكه وهو بريء مما قال، أقيم عليه الحد يوم القيامة"(٢).

وأخرج أبو يعلى، والطبراني، بأسانيد جياد عن أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا وصيفة له فَأَبْطَأَتْ، حتى اسْتَبَانَ الغضب في وجهه، فخرجت فوجدتها تلعب ببهمة، فدعوتها وبيده سواك، فقال: "لَوْلا مَخَافَةُ الْقِصَاصِ لأَوْجَعْتُكِ بِهَذَا السِّوَاكِ"(٣).

وأخرج الطبراني عن واثلة مرفوعًا قال: "مَنْ قَذَفَ ذِمِّيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسِيَاطٍ مِنْ نَارٍ"(٤).

وأخرج أبو داود عن عدة من الصحابة مرفوعًا قال: " أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(٥).

وعن إبراهيم النخعي قال: (كانوا يقولون: إذا قال الرجل للرجل: يا كلب، يا حمار، يا خنزير، قال الله يوم القيامة: أتراني خلقته كلبًا، أو خنزيرًا، أو حمارًا؟!).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٥٢٦.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٨٥٨، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٦٦٢، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٥١٦٥، وأخرجه الدارقطني في سننه حديث رقم: ٣٤٦٠، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٢٤٣.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٦٩٠١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٨٨٩، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٣٣٢٠.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٥.

(٥) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٣٠٥٢، وقال: عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَبْنَاءِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ، عَنْ آبَائِهِمْ دِنْيَةً، عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم.

وأخرج الأصبهاني عن ابن عمر مرفوعًا قال: "كم من جار متعلق بجاره يقول: يا رب سل هذا: لِمَ أغلق عني بابه ومنعني فضله؟"[1].

وأخرج البزار عن أنس مرفوعًا قال: "ويلٌ للمالك من المملوك، وويل للمملوك من المالك، وويل للغني من الفقير، وويل للفقير من الغني، وويل للشديد من الضعيف، وويل للضعيف من الشديد"[2].

وبالجملة فالأحاديث في هذا مما يطول ذكرها، والحاصل: أن الله تعالى لا يترك لأحد عند أحد مثقال ذرة، بل ورد عن علي مرفوعًا قال: " إن أحدكم ليدع تشميت أخيه إذا عطس فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه". أخرجه الأصبهاني.

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: (من عطس عنده أخوه المسلم فلم يشمته كان دينا يأخذه به يوم القيامة).

قلت: هذا محمول عند العلماء فيما إذا حمد العاطس.

لطيفة: أخرج الحاكم عن أبي أمامة مرفوعًا: " من تداين بدين وفي نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه، وأرضى غريمه بما شاء، ومن تداين بدين وليس في نفسه وفاؤه ثم مات اقتص الله لغريمه منه يوم القيامة"[3].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل عمل ابن آدم له؛ إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به "[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق حديث رقم: ٣٤٦.

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٨٨٠، وأخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق حديث رقم: ٥٢٤.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٢٣.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٩٢٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١١٥٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٦٣٨, ٣٨٢٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٩٨١٩, ٩٤٢١، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه حديث رقم: ١٧٩١، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٢٦٧٦، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ١٤٤٠، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٤: ص٢٧٣.

سُئِلَ سفيان بن عينيه عن معنى هذا الحديث، فقال: (إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله تعالى ما بقي عليه من المظالم، ويدخله بالصوم الجنة).

وأخرج سعيد بن منصور والحاكم والبيهقي عن أنس مرفوعًا قال: "رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب؛ خُذْ لي مظلمتي من أخي. فقال الله: أعط أخاك مظلمته. فقال: يا رب، لم يبق من حسناتي شيء. فقال الله للطالب: كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب، يتحمل من أوزاري. وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم، يوم يحتاج الناس إلى أن يُحمل عنهم من أوزارهم. فقال الله للطالب: ارفع رأسك فانظر في الجنان. فرفع رأسه فقال: يا رب؛ أرى مدائن من فضة مرتفعة وقصورًا من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ أو لأي صِدِّيقٍ؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن. قال: يا رب، ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه. قال: بما يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب؛ إني قد عفوت عنه. قال الله: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك: اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم؛ فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة"(١).

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أنس مرفوعًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا التقى الخلائق يوم القيامة فَأُدْخِلَ أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجمع؛ تتاركوا المظالم بينكم وثوابكم عَلَيَّ"(٢).

وأخرج أيضًا عن أم هانيء مرفوعًا: "إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ثم ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد؛ إن الله عز وجل قد عفا عنكم.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٧٦، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٥٩٠، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله حديث رقم: ١١٨، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة حديث رقم: ١٠١٣٨.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥١٤٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله حديث رقم: ١١٦.

فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلمات، فينادي مناد: يا أهل التوحيد؛ ليعف بعضكم عن بعض وعلي الثواب"(١).

قال الغزالي: هذا محمول على من تاب من الظلم ولم يعد إليه، وهم الأوابون في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء آية ٢٥]. قال القرطبي: وهذا تأويل حسن.

فصل في الانصراف من الموقف إلى ما أعد الله للسعداء والأشقياء

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ [الزلزلة آية ٦]. قال المفسرون: يصدرون من موقف الحساب، فيأخذ أهل الجنة ذات اليمين، وأهل النار ذات الشمال.

وحكى الثعلبي في تفسير: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم آية ٨٥] عن علي رضي الله عنه عنه مرفوعًا قال: "إذا حان الانصراف من بين يدي الله تعالى تلقت الملائكة المؤمنين بنوق بيض، رحالها وأزمتها الذهب، على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا، فيلبس كل مؤمن حلته، ثم يستوون على مراكبهم، فتهوى بهم النوق حتى تنتهي بهم إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر آية ٧٣]".

وقد مر قول علي رضي الله عنه: (ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها من ذهب، ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت، وإن نهموها طارت).

وأما ما يجدون من ريح الجنة قبل الوصول إليها، ففي حديث أبي هريرة: "أن ريحها يوجد من مسيرة خمس مائة عام"(٢).

وفي حديث جابر: "ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام"(٣).

وأما اغتسالهم عند باب الجنة، فعن علي رضي الله عنه قال: (يُساقون إلى أبواب الجنة فيجدون عند بابها شجرة، يخرج من تحت ساقها عينان، يعمدون إلى إحداهما فيتطهرون، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تتغير نضارتهم بعدها أبدا، كأنما دهنوا بالدهن، ثم يعمدون إلى الأخرى فيشربون منها، فأذهب ما في بطونهم من أذى أو قذى، وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة، يقولون: سلام عليكم).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ١٣٣٦.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٤٤.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٦٦٤.

وأما كونهم يجدونها مفتحة، فقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْـوَابُ﴾ [ص:٥٠] قال بعضهم: والحكمة في أنهم يجدونها مفتحة حتى لا يقفوا هناك؛ لأن دار الفرح والسرور لا تُغلق، بخلاف أهل النار فإنهم يجدونها مغلقة الأبواب، كما هي حال السجون، فيقفون هناك حتى يفتح لهم إهانة لهم. قال بعضهم: ويرد على هذا قوله عليه السلام: "أنا أول من يفتح باب الجنة"(١). الحديث. انتهى.

قلت: ويمكن الجواب بأن يقال: إنه عليه الصلاة والسلام يسبقهم إلى الجنة فيفتحها لهم، فيأتي أهلها بعد ذلك فيجدونها مفتحة.

وأما ازدحامهم على أبواب الجنة، ففي الترمذي والبيهقي عن ابن عمر مرفوعًا: "**باب أمتي الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجد ثلاثا، ثم إنهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول**"(٢).

وأخرج مسلم عن عُتبة بن غزوان، قال: (ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنه، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام).

وأما تلقى الغلمان لهم، ففي الثعلبي من قول علي رضي الله عنه: (أنهم إذا اغتسلوا من أحد العينين اللتين عند باب الجنة وشربوا من الأخرى تلقتهم الملائكة، قال: وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به، ويقولون: أبشر قد أعد الله لك كذا وكذا. فينطلق غلام من غلمانه فيسعى إلى أزواجه من الحور العين، فيقول: هذا فلان -باسمه الذي كان في الدنيا- قد قدم. فيستخفهن الفرح حتى يخرجن إلى أسكفة الباب، فيجيء فيدخل الدار، فإذا سرر موضونة: وأكواب موضوعة، ونمارق مصفوفة، وزرابى مبثوثة، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه، فإذا هو قد أسس على جبل من اللؤلؤ، ما بين أخضر وأصفر وأبيض، من كل لون، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه، ثم يرفع طرفه إلى سقفه. -وذكر أنه كالبرق- قال: فيقول: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾. قال: فتناديهم الملائكة: ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف آية ٤٣] وسيأتي إن شاء الله تعالى تتمة الكلام على هذا. وذكر نعيمهم وما أعد الله لهم فيها بعد دخولهم.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٦٦٥١، وأخرجه ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية حديث رقم: ٢٥٦٤.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٤٨، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٣٧.

وأما أهل النار، فقال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[مريم: ٨٦]. أي: عطاشًا مشاة على أرجلهم، قد تقطعت أعناقهم من العطش. (والورد): جماعة يردون الماء، اسم على لفظ المصدر. قاله الثعلبي.

وقال الإمام الفخر: في هذه الآية ما يدل على أنهم يساقون إلى النار إهانة لهم واستخفافًا بهم كنعم عطاش تُساق إلى الماء الورد والعطاش.

وفي مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: "إن أهل الأصنام والأنصاب إذا يتساقطوا في النار، ولم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر وغير أهل الكتاب، فيُدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم: ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم، كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار". الحديث.

"ثم يُدعى النصارى فيقال لهم: ماذا كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيقال لهم: ألا تردون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار"[1]. الحديث.

وقال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر آية ٧١]. أي: يُساقون سوقا عيفا، يسحبون على وجوههم إلى النار زمرًا أفواجًا، بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة بعد أن يقفوا على بابها حتى تفتح أبوابها؛ لأنها لا تفتح إلا بعد مجيئهم، وفي وقوفهم حينئذ مذلة، وهكذا حال السجون بخلاف أهل الجنة، ثم إذا دخلوا أهل النار النار دفعتهم الزبانية إليها كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾[الطور آية ١]. أي: يدفعون دفعا، فإذا وقفوا على النار، قالوا: يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا، والواحد من خزنة النار يسوق الأمة وحده، وعلى رقبته جبل يرميهم في النار، ويرمى بالجبل عليهم.

قال عمرو بن دينار: إن الواحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٦، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٧٤٣.

وقال الثعلبي وغيره في قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان آية١٢]. (تغيظًا) أي: صوتا يغيظ. (وزفيرا) أي: غليانًا يفور كالغضبان، إذا غلا صدره من الغضب. وقال مطرف: التغيظ لا يسمع، والمعنى: رأوا لها تغيظًا وسمعوا لها زفيرًا.

وقال مكي في قوله تعالى: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ [الملك آية٧] أي: صوت الشهيق، (والشهيق) الصوت الذي يخرج من الجوف بشدة كصوت الحمار، وهي تفور بهم كما تغلي القدور. قال مجاهد: تفور بهم كما يفور الحب القليل في الماء الكثير.

ومعنى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [الملك آية ٨] أي: تكاد جهنم تتفرق وتتقطع من الغيظ على الكفار. وسيأتي الكلام على صفة النار وصفة العذاب وما أعد الله لأهلها فيها.

تنبيه: في ورود النار، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾[مريم آية٧١-٧٢] الآية. اختلف العلماء: ما المراد بالورود في هذه الآية؟

.فقيل: المراد به الدخول حقيقة، أخرج أحمد، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعًا، ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فذكرت له، فقال وأهوى بإصبعيه إلى أذنيه صمتا: إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **" لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا"**(١).

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن مجاهد، قال: (خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس، فقال ابن عباس: الورود الدخول. وقال نافع: لا. فقرأ ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء آية ٩٨]، وقال: وردوا أم لا؟ وقرأ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود:٩٨] أوردوها أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل تخرج منها أم لا؟).

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٤١١١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٨٧، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٤٧ ,٧٧٤٦، وأخرجه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث حديث رقم١١٣٤ :، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١١٠٦.

وبذلك قال ابن مسعود، وعكرمة، وكثير من المفسرين، ورجحه القرطبي، وقيل: المراد بالورود المرور على الصراط، ورجحه النووي.

أخرج هناد عن الكلبي قال: ورودها الممر عليها. وأخرج البيهقي عن الحسن قال: الورود الممر عليها من غير أن يدخلها.

وأخرج الطبراني، والبيهقي، عن خالد بن معدان قال: (إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: ربنا ألم تعدنا أن نرد النار؟ قال: بلى، ولكنكم مررتم عليها وهى خامدة).

وأخرج ابن جرير، عن غنيم بن قيس قال: (ذكروا ورود النار، فقال كعب: تمسك النار الناس كأنها متن إهالة حتى تستوى عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم، ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي. قال: فتخسف بكل ولى لها، هى أعلم بهم من الرجل بولده، ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم).

وقيل: المراد بالورود الإشراف عليها والاطلاع إليها والقرب منها؛ لأنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم، فيرونها وينظرون إليها حالة الحساب، ثم ننجي المتقين بالأمر بهم إلى الجنة ونذر الظالمين فيها جثيا بالأمر بهم إلى النار، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص آية ٢٣] أي: أشرف عليه ولم يدخله.

لطيفة: أخرج أحمد، وسعيد بن منصور، والحاكم، والبيهقي، عن قيس بن أبى حازم قال. (بكى عبد الله بن رواحة، فقالت له إمرأته: ما يبكيك؟ قال: إني أنبئت أني وارد النار ولم أنبأ أني صادر عنها).

وأخرج أحمد عن الحسن، قال: (قال رجل لأخيه: هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم. قال: فهل أتاك أنك صادر عنها. قال: لا. قال: ففيم الضحك إذًا؟ فما رؤي ضاحكًا حتي مات). والله سبحانه أعلم.

فصل في ذكر الشفاعة الخاصة

وهى فيمن استحق النار من المؤمنين أن لا يدخلها، وفيمن دخل النار أن لا يخرج منها، وهي التي تكذب بها المبتدعة - قبحهم الله-، واحتجت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة آية ٤٨]. وقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر آية ١٨] وذهبت المعتزلة أيضًا إلى أن من دخل النار

فهو خالد فيها؛ لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة، وهذا مذهب باطل بإجماع أهل السنة.

أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب أنه خطب فقال: (سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالدجال، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذبون بعذاب القبر، ويكذبون بالشفاعة، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا).

وعن أنس قال: (من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها، ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب). وقيل له: إن قوما يكذبون بالشفاعة. قال: فلا تجالسوا أولئك.

وأخرج البيهقي قال: ذكروا عند عمران بن حصين رضي الله عنه الشفاعة. فقال رجل: يا أبا نجيد؛ إنكم لتحدثونا أحاديث لم نجد لها أصلا في القرآن. فغضب عمران بن حصين، وقال للرجل: "أقرأت القرآن؟ قال: نعم. قال: هل وجدت صلاة العشاء أربعًا، وصلاة المغرب ثلاثًا، والفجر ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم هذا؟ ألستم عنا أخذتموه؟ وأخذناه عن نبي الله صلى الله عليه وسلم؟ ووجدتم في كل أربعين درهما درهما، وفي كل كذا شاة، وفي كل بعير كذا، أوجدتم في القرآن هكذا؟ قال: لا. قال: ووجدتم في القرآن: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج آية ٢٩] أوجدتم طوفوا سبعًا، واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم هذا في القرآن؟ عمن أخذتموه؟ ألستم أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: بلى. قال: أوجدتم في القرآن لا جلب ولا جنب ولا شغار في الإسلام؟ قالوا: لا. قال: فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر آية ٧] وإنا أخذنا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم أشياء ليس لكم بها علم"[1].

وأخرج البزار، والطبراني، وأبو نعيم بسند حسن، عن علي بن أبي طالب، مرفوعًا قال: "أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى: أرضيت يا محمد؟ فأقول: أي رب رضيت"[2].

وأخرج أحمد، والطبراني، والبزار بسند جيد، عن معاذ بن جبل، وأبي موسى مرفوعًا، قال: "إن ربي خيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة أو الشفاعة؟ فاخترت لهم الشفاعة،

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج١/ ٢٥، و الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٤٧.

(٢) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٣٨، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٠٦٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٣٨٣٣.

وعلمت أنها أوسع لهم، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا "[١]. وأخرج الطبراني مثله عن أنس[٢].

وأخرج أحمد، والطبراني، والبيهقي بسند صحيح، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خُيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترتُ الشفاعة؛ لأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَأُ، أَتَرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ؟ لا، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ"[٣].

وأخرج الحاكم والبيهقي وصححاه، عن أم حبيبة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أُرِيتُ ما تلقى أمتى من بعدي، وسفك بعضهم دماء بعض فأحزنني، وسبق ذلك من الله كما سبق في الأمم قبلهم، فسألته أن يُولِيَنِي فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل "[٤].

وأخرج أحمد، والبيهقي، والطبراني، عن بريدة مرفوعًا: "إني أشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من شجر ومدر"[٥].

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "آتي جهنم فأضرب بابها، فَيُفْتَحُ لي، فأدخلها فأحمد الله بمحامد ما حمده أحد قبلي مثله، ولا يحمده أحد بعدي، ثم أُخْرِجُ منها من قال: لا إله إلا الله مخلصًا، فيقوم إلي أناس من قريش فينتسبون إليّ فأعرف نسبهم ولا أعرف وجوههم، فأتركهم في النار"[٦].

وأخرج ابخاري عن عمران بن حصين عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ويدخلون الجنة ويسمون الْجُهَنَّمِيِّينَ"[٧].

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أبي أمامة مرفوعًا، قال: "نِعْمَ الرَّجُلُ أَنَا لِشِرَارِ أُمَّتِي. قيل: كيف يا رسول الله؟ قال: أما شرار أمتي فيدخلهم الله الجنة بشفاعتي، وأما خيارهم فيدخلهم الله الجنة بأعمالهم"[١].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢١٥١٩، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٦٧٤.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٠١٣.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٥٤٢٩، والبيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد ج١/ ١٦١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ٦٨.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٢٤٣٣، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٣٦٠.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٨٤٥.

(٧) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٦٦، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣١٥، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧٤٠.

وفي رواية غير واحد: "أن شفاعته عليه الصلاة والسلام لأهل الكبائر من أمته".

وأخرج ابن أبي عاصم عن أنس يرفعه قال: "ما زلت أشفع إلى ربي وَيُشَفِّعُني حتى أقول: أي ربي شفعني فيمن قال: لا إله إلا الله. فيقول: هذا ليس لك يا محمد، ولا لأحد، هذه لي، وعزتي وجلالي ورحمتي لا أدع في النار أحدا يقول: لا إله إلا الله"(٢).

لطيفة: أخرج الطبراني عن ابن عمر مرفوعًا: "أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب من قريش والأنصار، ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن، ثم سائر العرب، ثم الأعاجم، وأول من أشفع له أولو الفضل"(٣).

وفي رواية: "أول من أشفع له من أمتي: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل الطائف".

وأخرج البيهقي بسند جيد عن عثمان بن عفان مرفوعًا: " من غش العرب لم يدخل في شفاعتي "(٤).

فصل في شفاعة غير النبى صلى الله عليه وسلم من الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء والصالحين والمؤذنين والأولاد

ففي حديث البيهقي من حديث ابن مسعود: (لا يشفع أحد في أكثر مما يشفع فيه نبيكم، ثم الملائكة، ثم النبيون، ثم الصديقون، ثم الشهداء).

وأخرج ابن ماجة والبيهقي عن عثمان بن عفان مرفوعًا، قال: " يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء"(٥). وأخرجه البزار وزاد في آخره: "ثم المؤذنون".

==

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٤٨٣، وأبو نعيم في الحلية حديث رقم: ١٥٤٦٥.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٨٢٨، وأبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٧٨٦، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٤٣٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٥٥٠.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٩٢٨، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٢٠٠، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٣٥٤، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٥٣، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه حديث رقم: ٦١٤٢، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٧.

(٥) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣١٣، وأخرجه الآجري في أخلاق العلماء حديث رقم: ٣٠، وأخرجه ابن عبد البر القرطبي في جامع بيان العلم وفضله حديث رقم: ١٥٢.

وفي رواية للبيهقي عن ابن مسعود مرفوعًا: " ليدخلن الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا في النار برحمة الله وشفاعة الشافعين"[١].

وأخرج الديلمي من حديث ابن عمر مرفوعًا: "يقال للعالم اشفع في تلامذتك ولو بلغت عدد نجوم السماء".

وأخرج أبو داود وابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعًا: " الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته"[٢].

وأخرج لبزار والبيهقي بسند صحيح عن أنس مرفوعًا: "أن الرجل يشفع في الرجل والرجلين والثلاثة".

وأخرج الترمذي والحاكم وصححاه، والبيهقي عن عبد الله بن أبي الجدعاء: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم قالوا: سواك يا رسول الله. قال: سواي"[٣]. قال بعضهم: يقال: إنه عثمان بن عفان.

وأخرج البيهقي عن الحسن مرفوعًا: " يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر"[٤].

وصحح الحاكم رواية: "إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعة أكثر من مضر، وإن من أمتي من سيعظم النار حتى يكون أحد زواياها"[١].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٥٠٩.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٢٥٢٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٤٦٦٠، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٩: ص١٦٤، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤٠٨٥، وأخرجه الربيع بن حبيب في مسنده حديث رقم: ١٠٠٤، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٥: ص ٦٣٣،ج ٢٣: ص ٤٥٣.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٤٣٨، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣١٦، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٠٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٥٤٣١ , ١٥٤٣٠، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٧٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٧٠،ج ١: ص٧٠، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٣٧٩، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ٥٧١، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٨٦٦، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٧٤٥٨، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٢٧.

(٤) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج٦/ ٣٧٨، ةالحاكم في المستدرك ج ٣: ص٤٠٥، وأخرجه أحمد بن حنبل في الزهد حديث رقم: ٢٠١٢.

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: (لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار حتى إن إبليس الأبالس ليتطاول لها رجاء أن تصيبه).

وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعًا قال: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه ولا فخر، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأول داخل الجنة ولا فخر، إني لَأَشْفَعُ فَأُشَفَّعُ حتى إِنَّ مَنْ أَشْفَعُ لَهُ [لَيَشْفَعُ] فَيُشَفَّعُ، حتى إن إبليس ليتطاول في الشفاعة"[2].

وأخرج أبو يعلى والبيهقي عن أنس مرفوعًا قال: "إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار: يا فلان أما تعرفني؟ فيقول: لا والله ما أعرفك: من أنت؟ فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا فاستسقيتني شربة من ماء فسقيتك. قال: قد عرفتك. قال: فاشفع لي بها عند ربك: فيسأل الله فَيُشَفِّعُهُ فيه، ويخرج من النار"[3].

وأخرج أبو يعلى والطبراني عن أنس مرفوعًا قال: " تُعرض أهل النار يوم القيامة صفوفًا فيمر بهم المؤمنون، فيرى الرجل من أهل النار الرجل من المؤمنين، قد عرفه في الدنيا فيقول: يا فلان؛ أما تذكر يوم استعنتني في حاجة كذا وكذا، فيذكر ذلك المؤمن فيشفع له إلى ربه فيشفعه فيه"[4].

وفي لفظ البيهقي: "أما تذكر يوم اصطنعت إليك في الدنيا معروفًا".

وفي لفظ ابن ماجة: "يمر الرجل على الرجل فيقول: يا فلان؛ أما تذكر يوم بعثتني بحاجة كذا وكذا فذهبت لك، فيشفع له".

وفي مسند إسحاق بن راهويه مرفوعًا: "ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد أطفال لم يبلغوا الحدث، إلا جئ بهم حتى يقفوا على باب الجنة، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فيقولون: أندخل ولم يدخل أبوانا؟ فيقال لهم في الثانية أو الثالثة: ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم"[5].

==

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٩٣.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٠٨٢.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٣٤٩٠.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٤٠٠٦، والطبراني في الأوسط حديث رقم: ٦٥١١.

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٢٠٧٤.

تنبيه: أخرج الشيخان، والحاكم، والدارقطني من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن المؤمنين الفائزين: "إذا رأوا أنهم قد نجوا وبقي إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا"(١).

زاد الحاكم: "ويحجون معنا ويجاهدون معنا قد أخذتهم النار. فيقول الله: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، وبعضهم قد غاب في النار إلى قدميه وإلى أنصاف ساقيه".

زاد الحاكم: "وإلى ركبتيه وإلى حقويه فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون فيقال: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا".

وقال أبو سعيد: "فإن لم تصدقوني فاقرءوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء آية ٤٠] فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار جل جلاله وعز سلطانه ولا إله غيره: بقيت شفاعتي. فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقوامًا قد امتحشوا".

زاد الحاكم: "لم يعملوا له عمل خير قط فيلقون في نهر يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافيته كما تنبت الحبة في حميل السيل، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل في رقابهم الخواتيم، فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن جل وعلا، أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه".

لطيفة: وردت الأحاديث بشفاعة الإسلام والقرآن والأعمال الصالحة، ولا يقال: أنها أعراض، فكيف يصح تصورها بصورة الأجسام؟ لأنا نقول الأعمال والمعاني كلها مخلوقة لله تعالى، ولها صور عند الله وإن كنا لا نشاهدها، وقد نص أرباب الحقيقة على أن من أنواع الكشف الوقوف على حقائق المعاني وإدراك صورها بصورة الأجسام، والأحاديث شاهدة لذلك وهي كثيرة وأقواها ما أخرجه الحاكم وابن خزيمة عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا: "أن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها، ويبعث الجمعة زهراء منيرة، أهلها يحفون بها كالعروس تهدى إلى كريمها، تضيء لهم يمشون في ضوءها، ألوانهم كالثلج بياضا، وريحهم

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٤٠، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٨٢، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٧٧.

يسطع كالمسك، يخوضون في جبال الكافور، ينظر إليهم الثقلان لا يطرفون تعجبًا حتى يدخلون الجنة لا يخالطهم أحد إلا المؤذنون المحتسبون"[١].

وفي حديث مسلم: "يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران، كأنهما غَمَامَتَانِ، أو غَيَايَتَانِ، أو ظلتان سوداوتان بينهما شرق، أو كأنهما فِرْقَانِ من طير صواف، يحاجان عن صاحبهما"[٢]. والأحاديث في هذا كثيرة.

فصل في سعة رحمة الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾ [الزمر:٥٣] الآية. وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر آية ٤٩] إلى غير ذلك من الآيات.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة: سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييئس من الجنة، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار"[٣].

وأخرج البزار، والطبراني بسند حسن، عن ابن عباس مرفوعًا: "أن الله عز وجل خلق مائة رحمة، رحمة منها قسمها بين الخلائق، وتسعة وتسعون إلى يوم القيامة"[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٢٧٧.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٨٠٧.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٤٦٩، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٥٣، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ١٠٣٦، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٦٩٩.

وقال ابن حجر في فتح الباري ١٨/ ٢٩١: قال ابن الجوزي: رَحْمَة اللهَّ صِفَة مِنْ صِفَات ذَاته، وَلَيْسَ هِيَ بِمَعْنَى الرِّقَّة الَّتِي فِي صِفَات الْآدَمِيِّينَ، بَلْ ضَرَبَ ذَلِكَ مَثَلًا لِمَا يُعْقَل مِنْ ذِكْر الْأَجْزَاء وَرَحْمَة الْمَخْلُوقِينَ وَالْمُرَاد أَنَّهُ أَرْحَم الرَّاحِمِينَ. قُلْت: الْمُرَاد بِالرَّحْمَةِ هُنَا مَا يَقَع مِنْ صِفَات الْفِعْل كَمَا سَأُقَرِّرُهُ فَلَا حَاجَة لِلتَّأْوِيلِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَائِل الْأَدَب جَوَاب آخَر مَعَ مَبَاحِث حَسَنَة وَهُوَ فِي "بَاب جَعَلَ اللهَّ الرَّحْمَة مِائَة جُزْء".

وَقَالَ اِبْن أَبِي جَمْرَة: يَحْتَمِل أَنْ يَكُون سُبْحَانه وَتَعَالَى لَمَّا مَنَّ عَلَى خَلْقه بِالرَّحْمَةِ جَعَلَهَا فِي مِائَة وِعَاء فَأَهْبَطَ مِنْهَا وَاحِدًا لِلْأَرْضِ.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: يَجُوز أَنْ يَكُون مَعْنَى "خَلَقَ" اِخْتَرَعَ وَأَوْجَدَ، وَيَجُوز أَنْ يَكُون بِمَعْنَى قَدَّرَ، وَقَدْ وَرَدَ خَلَقَ بِمَعْنَى قَدَّرَ فِي لُغَة الْعَرَب فَيَكُون الْمَعْنَى أَنَّ اللهَّ أَظْهَرَ تَقْدِيره لِذَلِكَ يَوْم أَظْهَرَ تَقْدِير السَّمَاوَات وَالْأَرْض.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٢٠٤٧.

وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت مرفوعًا: "قسم ربنا رحمته مائة جزء، فأنزل منها جزءًا في الأرض، فهو الذي تتراحم به الناس والطير والبهائم، وبقيت عنده مائة رحمة إلا رحمة واحدة لعباده يوم القيامة".

وأخرج أحمد، والبزار، وأبو يعلى بسند صحيح، عن أنس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم ونفر من أصحابه وصبي في الطريق، فلما رأت أم الصبي القوم خَشِيَتْ عَلَى وَلَدِهَا أَنْ يُوطَأَ، فأقبلت تسعى وتقول: ابْنِي ابْنِي، وَسَعَتْ فَأَخَذَتْهُ. فقال القوم: يا رسول الله؛ ما كانت هذه لِتُلْقِيَ ابنها في النار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وَلَا اللهُ لَا يُلْقِي حَبِيبَهُ فِي النَّارِ"[1].

وأخرج الشيخان نحوه عن عمر بن الخطاب وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا "[2].

وأخرج البزار بسند صحيح عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بعض مغازيه، فبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طير، فأقبل أحد أبويه حتى سقط في يد الذي أخذه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تعجبوا؛ فإن هذا الطير أخذ فرخه، فأقبل حتى سقط في أيديهم، فوالله لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه"[3].

وأخرج البزار أيضًا بسند حسن عن أبي سعيد مرفوعًا: "لو تعلمون قدر رحمة الله لاتَّكَلْتُمْ عليها ".

وأخرج البيهقي عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا: "والذي نفسي بيده؛ ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة ما خطرت علي قلب بشر، والذي نفسي بيده؛ ليغفرن يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تصيبه"[4].

وأخرج أبو القاسم عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا: "إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه، أخرج كتابا من تحت العرش، إن رحمتي سبقت غضبي، وأنا أرحم الراحمين. قال:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١١٦٠٧ .

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٩٩٩، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٥٦.

(٣) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٨٧.

(٤) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٦، وأخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله حديث رقم: ٩٤.

فيخرج من النار مثل أهل الجنة". قال: وأكثر ظني أنه قال: "مِثْلَيْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَاتِقِهِ وَنَحْرِهِ: عُتَقَاءُ الله"[1].

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة مرفوعًا: "أمر الله بعبد إلى النار، فلما وقف على شفيرها التفت فقال: أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسنًا، فقال الله: ردوه، أنا عند ظن عبدي بي"[2].

لطيفة: أخرج الطبراني، والحاكم عن أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحشر هذه الأمة يوم القيامة على ثلاثة أصناف: فصنف يدخلون الجنة بغير حساب، وصنف يحاسبون حسابًا يسيرًا ويدخلون الجنة، وصنف يجيئون على حمائلهم كأمثال الجبال الراسية، فيقول الله للملائكة وهو أعلم بهم: من هؤلاء؟ فيقولون: ربنا عبيد كانوا يعبدونك لا يشركون بك شيئا، وعلى ظهورهم الخطايا والذنوب، فيقول: حُطُّوهَا عَنْهُمْ، وضعوها على اليهود والنصارى، وَأَدْخِلُوهُمْ الجنة برحمتي"[3].

وأخرج ابن ماجة، والبيهقي عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه أمة مرحومة، عذابها بأيديها؛ فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار"[4].

وأخرج مسلم عن أبي موسى رفعه: "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال يغفرها الله لهم ويضعها على اليهود"[5].

وأخرج أيضًا من وجه آخر بلفظ: "إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول: هذا فداؤك من النار"[6].

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه حديث رقم: ٦١.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٤٤٨.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٧٩، والحاكم في المستدرك ج١/ ٥٨.

(٤) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٢٩٢، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٨٤، والروياني في مسنده حديث رقم: ٤٦٧، وأخرجه أبو حنيفة في مسنده ف: ٤،ج ١: ص ١٥٥، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٥٣٧، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٧٢٢، وأخرجه محمد بن طولون الصالحي في الأربعين في فضل الرحمة والراحمين ف :ج ١: ص ٣٨.

(٥) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٧٠، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٩٠.

(٦) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٦٨.

قال القرطبي: ومعنى (يضعها على اليهود والنصارى) أنه يضاعف عليهم عذاب كفرهم وذنوبهم، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم، وجرم مذنبي المسلمين لو أخذوا بذلك؛ لأنه تعالى لا يؤاخذ أحدًا بذنب أحد، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٦٤] وله أن يضاعف لمن يشاء العذاب، ويخفف عمن يشاء بحكم إرادته ومشيئته والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثامن
في ذكر الجنة ونعيمها
(رزقنا الله سبحانه وتعالى إياها بمنه وكرمه)

وقد جعلتها ثامن أبواب هذا الكتاب؛ لأن لها ثمانية أبواب، وقد مر سابقًا أن دخولها ليس بالأعمال ولا غيرها، وإنما هو بفضل الله تعالى ورحمته، وإن الفقراء يسبقون الأغنياء إليها بخمس مائة عام على ما مر وتقدم قريبًا، أنهم يجدونها مُفتحة لهم الأبواب، وأنهم يزدحمون على أبوابها مع عظم اتساعها، وأن الغلمان تتلقاهم، وأن أزواجهم من الحور العين يستخفن الفرح حتى يخرجن من القصور لملاقاتهم.

وسنشرع فيما وعدنا به سابقًا فنقول: أخرج مسلم عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنا أول من يقرع باب الجنة"[١]. وفي رواية أخرى لمسلم: "آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أُمِرْتُ ألا أفتح لأحد قبلك"[٢].

وأخرج أبو يعلى والأصبهاني عن أبي هريرة مرفوعًا: "أنا أول من يفتح له باب الجنة، إلا أني أرى امرأة تبادرني فأقول: ما لك؟ أو من أنت؟ فتقول: أنا امرأة قعدت على أيتامي"[٣].

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن عن عمر بن الخطاب مرفوعًا قال: "الجنة حرمت على الأنبياء حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٩٨، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٤٨١، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٤٨٧، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٩٦٤.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٩٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١١٩٨٩، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٢٧١، وأخرجه أبو طاهر السلفي في معجم السفر حديث رقم: ١٠١٨، وأخرجه ابن مسلمة الأموي في المشيخة البغدادية للأموي فى: ج ١: ص١٩٠، وأخرجه ابن جماعة في مشيخة ابن جماعة فى: ج ١: ص٣١٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٠٤، وأخرجه نعيم بن حماد في الزهد حديث رقم: ٤٠٠، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٣٥.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٦٦٥١.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٩٤٢.

وفي حديث جابر: "يا رسول الله؛ أي الخلق أول دخولًا الجنة يوم القيامة؟ قال: الأنبياء. قال: ثم من؟ قال: الشهداء. قال: ثم من؟ قال: مؤذنو الكعبة. قال: ثم من؟ قال: مؤذنو بيت المقدس. قال: ثم من؟ قال: ثم مؤذنوا مسجدي هذا. قال: ثم من؟ قال: ثم سائر المؤذنين على قدر أعمالهم".

وفي حديث صححه البيهقي: "أول من يدعى إلى الجنة الحمادون، الذين يحمدون الله في السراء والضراء"[1].

وأما صفة أهل الجنة: ففي الشيخين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دُري في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الأَلُوَّةُ[2]، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم، ستين ذراعًا في السماء"[3].

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن ابن عمر مرفوعًا قال: "والذي نفسي بيده؛ إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام"[4].

وأخرج أحمد، والطبراني، وابن أبى الدنيا بسند حسن، عن أبي هريرة مرفوعًا: "يدخل الجنة أهل الجنة جردًا، مردًا، بيضًا، جعدًا، مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، وهم على خلق آدم، وطوله ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع"[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في الدعوات حديث رقم: ١٠٧، والطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٣٠٢، وفي المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٠٣٣، وفي المعجم الكبير حديث رقم: ١٢٣٤٥، وأخرجه أيضا في الدعاء حديث رقم: ١٧٦٨.

(٢) قال الأصمعي: هو العود الذي يُتبخَّر به؛ وأراها كلمة فارسية عُرِّبت. قال أبو عبيد: وفيها لغتان: الأَلوّة والأُلوة بفتح الألف وضمها؛ ويقال: الأَلْوَة خفيف.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٥٤, ٣٢٤٦، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٣٥، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٣٣، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم٧١٢٥, ٧١١٢ ،، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٣٧، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٣٢, ٣٣٠٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٣٥, ٣٣٣, ٢٩٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ١٦.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٥٩٥.

وأخرج الترمذي، وأبو يعلى، وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد مرفوعًا، قال: "من مات من أهل الدنيا من صغير أو كبير يُرَدُّونَ بني ثلاثين سنة في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار"[٢].

وأخرج الطبراني عن المقداد بن الأسود مرفوعًا: "يحشر الناس ما بين السقط إلى الشيخ الفاني أبناء ثلاث وثلاثين، في خلق آدم، وحسن يوسف، وقلب أيوب، مكحلين ذوي أفانين"[٣]. أي: شعور وجمم، ولعل المراد بقوله: (يحشر) أي: عند دخول الجنة، والأطفال يأتون الموقف كهيئتهم، وعند الدخول يكونون في الجنة كالبالغين.

قال القرطبي: تكون الآدميات في الجنة على سن واحد، وأما الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار على ما اشتهت أنفس أهل الجنة.

وأخرج أبو الشيخ وابن عساكر عن جابر مرفوعًا: "ليس أحد يدخل الجنة إلا جردًا مردًا إلا موسى بن عمران؛ فإن لحيته تبلغ سرته، وليس أحد يُكنى في الجنة إلا آدم عليه السلام، [فَإِنَّهُ يُكَنَّى أَبَا مُحَمَّدٍ][٤] "[٥].

قال الحفاظ: حديث: "إن لإبراهيم الخليل ولأبي بكر الصديق لحية في الجنة". لم يصح، وكذا ما ورد في الطبراني: "من أن أهل الجنة جردًا مردًا؛ إلا موسى فإن له لحية تضرب إلى سرته".

وما ذكر القرطبي: أن ذلك ورد في حق هارون أخيه أيضًا، وبعضهم أنه ورد في حق آدم، ولا يعلم ثبوت شيء من ذلك أصلا.

وأخرج ابن المبارك عن ابن شهاب قال: (لسان أهل الجنة عربي).

قال القرطبي: ولسانهم إذا خرجوا من القبور سرياني.

==

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٧٨٧٤، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٤٢٢، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ١٥، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٢٦٩.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٦٢، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ١٧.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦٠٤، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٦٢٦.

(٤) ما بين المعكوفتين في الأصل: (له لحية سوداء إلى سرته)، ولعل ما أثبتناه هو الصحيح.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ١٠٤٥، وابن عساكر في تاريخ دمشق ج٧/ ٣٨٧.

وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة قبل أن يدخلوا الجنة بالسريانية؛ فإذا أدخلوا الجنة تكلموا بالعربية. انتهى.

قلت: وفيه بحث فإن القرآن ناطق بتكلمهم بالعربية قبل دخول الجنة، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾ [يس آية ٥٢] ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت آية ٢١]: وكذلك لسان أهل النار، قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف آية ٧٧] وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر آية ٣٧]، اللهم إلا أن يكون ذلك من باب حكاية المعنى جمعًا للقولين، فليتأمل.

وذكر المفسرون، والبيهقي، وابن أبي حاتم، من طريق عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب في قول الله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر آية ٧٣]، قال: (يساقون حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة، يخرج من تحت ساقها عينان تجريان، فعمدوا إلى إحداهما فشربوا منها، فذهب ما في بطونهم من أذى أو قذى أو بأس، ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تغير أبشارهم بعدها أبدًا، ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان، ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر آية٧٣]، ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما تطيف أهل الدنيا بالحميم، يقدم من غيبته فيقولون: أبشر بما أعد الله لك من الكرامة، ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين، فيقول: قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا. فتقول: أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته. فيستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها، فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه، فإذا جزل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون، ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه، فإذا مثل البرق لولا أن الله قدره له لا أن يذهب ببصره، ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواج وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة، فنظر إلى تلك النعمة ثم تلوا وقالوا: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف آية ٤٣] الآية. ثم ينادي منادٍ: تحيون فلا تموتون أبدًا وتقيمون فلا تظعنون أبدًا وتصحون فلا تمرضون أبدًا). هكذا أخرجوه من هذا الطريق موقوفًا. قال الحافظ: وهو أصح وأشهر، وروي من وجه آخر مرفوعًا.

وأخرج ابن أبي الدنيا من طريق الحارث الأعور عن علي قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم آية ٨٥] قلت: يا رسول الله؛ ما الوفد إلا الركب؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمِ اسْتُقْبِلُوا بِنُوقٍ بِيضٍ لَهَا أَجْنِحَةٌ، عَلَيْهَا رِحَالُ الذَّهَبِ، شُرُكُ نِعَالِهِمْ نُورٌ يَتَلأْلأُ، كُلُّ خُطْوَةٍ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ فَيَنْتَهُونَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، يَنْبُعُ مِنْ أَصْلِهَا عَيْنَانِ، فَإِذَا شَرِبُوا مِنْ إِحْدَاهُمَا جَرَتْ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ، وَإِذَا تَوَضَّئُوا مِنَ الأُخْرَى لَمْ تَشْعَثْ شُعُورُهُمْ أَبَدًا، فَيَضْرِبُونَ الْحَلْقَةَ لِيَفْتَحَهُ، فَلَوْ سَمِعْتَ طَنِينَ الْحَلْقَةِ يَا عَلِيُّ، فَيَبْلُغُ كُلَّ حور أَنَّ زَوْجَهَا قَدْ أَقْبَلَ، فَتَسْتَخِفُّهَا الْعَجَلَةُ، فَتَبْعَثُ قَيِّمَهَا لِيَفْتَحَ لَهُ الْبَابَ، فَلَوْلا أَنَّ اللهَ عَرَّفَهُ نَفْسَهُ، لَخَرَّ سَاجِدًا مِمَّا يَرَى مِنَ النُّورِ وَالْبَهَاءِ، فَيَقُولُ: أَنَا قَيِّمُكَ الَّذِي وُكِّلْتُ بِأَمْرِكَ، فَيَتْبَعُهُ، فَيَقْفُو أَثَرَهُ، فَيَأْتِي زَوْجَتَهُ فَتَسْتَخِفُّهَا الْعَجَلَةُ، فَتَخْرُجُ مِنَ الْخَيْمَةِ، فَتُعَانِقُهُ، وَتَقُولُ: أَنْتَ حِبِّي، وَأَنَا حِبُّكَ، وَأَنَا الرَّاضِيَةُ فَلا أَسْخَطُ أَبَدًا، وَأَنَا النَّاعِمَةُ فَلا أَبْؤُسُ أَبَدًا، وَأَنَا الْخَالِدَةُ فَلا أَظْعَنُ أَبَدًا، فَيَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ أَسَاسِهِ إِلَى سَقْفِهِ مِائَةُ أَلْفِ ذِرَاعٍ، مَبْنِيٌّ عَلَى جَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، طَرَائِقُ حُمْرٌ، وَطَرَائِقُ خُضْرٌ، وَطَرَائِقُ صُفْرٌ، لَيْسَ مِنْهَا طَرِيقَةٌ تُشَاكِلُ صَاحِبَتَهَا، فَيَأْتِي الأَرِيكَةَ، فَإِذَا عَلَيْهَا سَرِيرٌ، عَلَى السَّرِيرِ سَبْعُونَ فِرَاشًا، عَلَيْهَا سَبْعُونَ زَوْجَةً، عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً، يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ بَاطِنِ الْحُلَلِ، يَقْضِي جِمَاعَهُنَّ فِي مِقْدَارِ لَيْلَةٍ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ مُطَّرِدَةً، أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، صَافٍ لَيْسَ فِيهِ كَدَرٌ، وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَمْ تَعْصِرْهَا الرِّجَالُ بِأَقْدَامِهَا، وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ بُطُونِ الْمَاشِيَةِ، فَإِذَا اشْتَهَوُا الطَّعَامَ، جَاءَتْهُمْ طَيْرٌ بِيضٌ تَرْفَعُ أَجْنِحَتَهَا، فَيَأْكُلُونَ مِنْ جَوَانِبِهَا، مِنْ أَيِّ الأَلْوَانِ شَاءُوا، ثُمَّ تَطِيرُ فَتَذْهَبُ، وَفِيهَا ثِمَارٌ مُتَدَلِّيَةٌ، إِذَا اشْتَهَوْهَا انْشَعَبَ الْغُصْنُ إِلَيْهِمْ، فَيَأْكُلُونَ مِنْ أَيِّ الثِّمَارِ اشْتَهَوْا، إِنْ شَاءَ قَائِمًا، وَإِنْ شَاءَ مُتَّكِئًا وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن آية ٥٤] وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ خَدَمٌ كاللؤلؤ"[١].

وذكر المفسرون وحكاه الثعلبي عن الضحاك في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر آية ٣٤]، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة استقبلهم الولدان والخدم

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٧، وأخرجه ابن أبي زمنين الأندلسي في تفسير القرآن العزيز حديث رقم: ١٦٠.

كأنهم اللؤلؤ المكنون. قال: فيبعث الله ملكًا من الملائكة معه هدية من رب العالمين فيكسوه من كسوة الجنة فيلبسه. قال: فيريد أن يدخل الجنة. فيقول الملك: كما أنت، فيقف ومعه عشرة خواتم من خواتم الجنة هدية من رب العالمين، فيضعها في أصابعه مكتوب في أول خاتم منها: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. وفي الثاني: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق آية٣٤]. وفي الثالث: (رفعت عنكم الأحزان والهموم)، وفي الرابع: (وزوجناكم الحور العين)، وفي الخامس: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر آية٤٦]. وفي السادس: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾. وفي السابع: ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[المؤمنون آية١١١]، وفي الثامن: (صرتم آمنين لا تخافون أبدًا)، وفي التاسع: (رافقتم النبيين والصديقين والشهداء)، وفي العاشر: (سكنتم في جوار من لا يؤذي الجيران)، ثم يقول الملك: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾، فلما دخلوا بيوتًا ترفع قالوا: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾[فاطر آية ٣٤-٣٥]الآية.

وأخرج الطبراني، والبيهقي، عن سلمان الفارسي مرفوعًا: **" لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ إِلا بِجَوَازٍ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا كِتَابٌ مِنَ اللهِ لِفُلانِ بْنِ فُلانٍ، أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ "**[1].

وأخرجه أيضًا المقدسي في صفة الجنة من وجه آخر عن سلمان بلفظ: **" يُعطى المؤمن جوازًا على الصراط: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية"**[2].

وذكر المفسرون، وأخرجه البيهقي، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان آية ٢٠]، قال: (هو استئذان الملائكة عليهم، لا يُدخل عليهم إلا بإذن).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٩٨٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦١٩١، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه حديث رقم: ١١٩١، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٤٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٩٨٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦١٩١، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه حديث رقم: ١١٩١، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٤٧.

وعن أبي سليمان في الآية قال: (الملك الكبير أن رسول رب العزة يأتيه بالتحف واللطف فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليهم، فيقول للحاجب: أستأذن عليَّ وليَّ الله، فإني لست أصل إليه. فيعلم ذلك الحاجب حاجبًا آخر وحاجب بعد حاجب، فيأذن له، ومن داره إلى دار السلام، باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن، وهو يدخل على ربه بلا إذن).

وعن الحسن البصرى مرفوعًا: " إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين، على خيل من ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان آية ٢٠] ".

وقيل في الآية غير ذلك، وسيأتي الكلام مفصلا على نعيم أهل الجنة إن شاء الله تعالى.

فصل في ذكر صفة أهل الجنة

قد مر في صدر هذا الكتاب أنها مخلوقة الآن خلافًا للخوارج، وأنها فوق السماء السابعة تحت العرش خلافًا لابن حزم، حيث قال: إنها في السماء السادسة. وتقدمت الأدلة على ذلك، وها نحن نشرع في بيان صفتها وما أعد الله فيها لأولياءه، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران آية ١٣٣].

أخرج الحاكم وصححه، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي صلي الله عليه وسلم فقال: أَرَأَيْتَ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، فَأَيْنَ النَّارُ؟ قال: "أَرَأَيْتَ اللَّيْلَ الَّذِي قَدْ أَلْبَسَ كُلَّ شَيْءٍ، فَأَيْنَ جَعَلَ النَّهَارَ؟" قال: الله أعلم. قال: "كَذَلِكَ يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ"[1].

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر". قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:١٧][2].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ٣٦٠.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٩٨, ٤٧٧٩, ٤٧٧٩، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٢٧, ٢٨٢٦, ٢٨٢٥، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٩٢, ٣١٩٧، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٢٨، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٢٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٣٦٠, ١٠٠٥١, ٩٦٨٨، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٦٩، وأخرجه النسائي في السنن

وأخرج الطبراني بسند جيد عن ابن عباس مرفوعًا قال: "لما خلق الله جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل"[١].

وأخرج البزار، والطبراني، والبيهقي عن أبي سعيد مرفوعًا، قال: "خلق الله الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك، وقال لها: تكلمي. فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. فقالت الملائكة: طوبى لك منزلة الملوك"[٢].

وأخرج ابن أبي شيبة، والطبراني، وابن أبي الدنيا بسند حسن، عن ابن عمر قال: سُئِل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة، كيف هي؟ قال: "من يدخل الجنة يحيى لا يموت، وينعم لا ييأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، قيل: يا رسول الله؛ كيف بناؤها؟ قال: لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها مسك أذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران"[٣].

وأخرج أحمد، والترمذي، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: قلنا: يا رسول الله؛ حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: "لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وملاطها المسك، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا ييأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه"[٤]. (المِلاط) بكسر الميم: الطين الذي يجعل بين اللبن في البناء.

==

الكبرى حديث رقم: ١١٠١٩، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ١١٦٧، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٢٧٦، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٣٥.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٥١٨، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٠.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٥٣٢.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه حديث رقم: ٣٤٩٥٠، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٢٠، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٤.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٢٥، وأحمد في مسنده حديث رقم: ٧٩٨٣، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٨٧.

وأخرج البزار، والبيهقي، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ومجامرهم الألوة، وأمشاطهم الذهب، ترابها زعفران، وطينه مسك".

وأخرج البزار والبيهقي عن أبي سعيد مرفوعًا قال: "إن الله أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ثم شقق فيها الأنهار، وغرس فيها الأشجار، فلما نظرت الملائكة إلى حسنها وزهرتها، قالت: طوبى لكِ منازل الملوك".

وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري: أن ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة، فقال: " دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ مِسْكٌ خَالِصٌ"[1]. أصل (الدرمك): الدقيق الأبيض.

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، عن أبي زميل، أنه سأل ابن عباس: (ما أرض الجنة؟ قال: مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة. قال: فقلت: ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي تكون فيها طلوع الشمس، فذلك نورها، إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير. قلت: فما أنهارها؟ أفي أخدود؟ قال: لا، ولكنها تجرى على وجه الأرض، لا تفيض ههنا ولا ههنا. قلت: فما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة، فيها ثمر كأنه الرمان؛ فإذا أراد ولي الله منها كسوة انحدرت إليه من غصنها، فانفلقت له عن سبعين حُلة، ألوانًا بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت).

وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات وأبو الشيخ عن سهل بن سعد مرفوعًا قال: "إن في الجنة مراغًا من مسك مثل مراغ دوابكم في الدنيا"[2].

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير قال: (أرض الجنة فضة).

وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: (حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ودرجها اللؤلؤ والياقوت، ورضراضها اللؤلؤ، وترابها الزعفران).

(الرضراض) بفتح الراء وبضادين معجمتين: صغار الحصى.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور، وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة، فتجتمع فيها أهل الجنة، أولهم وآخرهم فيتعارفون، فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم المسك، فيرجع الرجل إلى

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٣٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ١٧٦١.

زوجته وقد ازداد حسنًا وطيبًا، فتقول: لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة، وأنا بك الآن أشد إعجابًا"[١].

وأخرج أبو الشيخ عن مغيث بن سمي قال: (إن في الجنة قصورًا من ذهب، وقصورًا من فضة، وقصورًا من ياقوت، وقصورًا من زبرجد، ترابها المسك والزعفران).

وأخرج ابن المبارك، والطبراني، وأبو الشيخ، والبيهقي، عن عمران بن حصين، وأبي هريرة قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة آية ٧٢]، قال: " قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشًا من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونًا من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفًا ووصيفة، ويعطى المؤمن في كل غداة من القوة ما يأتي على ذلك كله أجمع"[٢].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن عمر بن الخطاب قال: (في الجنة قصر له أربعة آلاف مصراع، على كل باب خمس وعشرون ألف من الحور العين، لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد).

وأخرج الشيخان من مرفوع سهل: "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"[٣].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعًا: "خلق الله جنة عدن بيده، بناؤها لبنة من درة بيضاء، ولبنة من ياقوتة حمراء، ولبنة من زمردة خضراء، ملاطها المسك، وحشيشها الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ، وترابها العمبر، ثم قال لها: انطقي. فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾. فقال: وعزتي وجلالي؛ لا يجاورني فيكِ بخيل"[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٨.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٥٥، وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ج ١١: ص ٥٥٨

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٤١٥ , ٣٢٥٠، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٣٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٥١٤٤ , ١٥١٣٩ , ١٥١٣٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤١٧، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٩ :ص١٥٨، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ٩٥٩، وأخرجه علي بن الجعد الجوهري في مسنده حديث رقم: ٢٩٢٨، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٢٥٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٧٥١٤.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٠.

وفي حديث آخر قال: "وعزتي وجلالي، لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث. قالوا: يا رسول الله ما الديوث؟ قال: الذي يقر السوء في أهله "(١).

وأخرج ابن ماجة، وابن حبان، والبيهقي، وأبو داود، والبزار، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، عن أسامة بن زيد مرفوعًا، قال: " ألا هل مشمر للجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطردة، وثمرة نضيجة، وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة، ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية. قالوا: يا رسول الله؛ نحن المشمرون لها. قال: قولوا: إن شاء الله. قال القوم: إن شاء الله"(٢).

وأخرج الترمذي، وابن أبي الدنيا، عن سعد بن أبي وقاص مرفوعًا، قال: "لَوْ أَنَّ مَا يُقِلُّ ظُفُرٌ مِمَّا فِي الْجَنَّةِ بَدَا لَتَزَخْرَفَتْ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا أَسَاوِرُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُوم"(٣).

وفي الترمذي من حديث أبي هريرة: قلت: يا رسول الله؛ ما الجنة؟ ما بناؤها؟ قال: " لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وتربتها الزعفران، من دخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، ولا تبلى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم"(٤). الحديث.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٤١، والخرائطي في مساوئ الأخلاق حديث رقم:٤٢٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم:٤٣٣٢، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٨١، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٥٩١، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٤٢١، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٣٦٤، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٩١، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم١٢ :، وأخرجه ابن المنذر في تفسير القرآن حديث رقم: ٢٠٥٧.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٣٨.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٢٥، وأخرجه محمد بن فضيل الضبي في الدعاء حديث رقم: ١٢٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٤.

وأخرج البيهقي عن عبد الملك بن أبي بشر، رفع الحديث قال: "مَا مِنْ يَوْمٍ إِلا وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ يَسْأَلانِ، تَقُولُ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ؛ قَدْ طَابَتْ ثَمَرَتِي، وَاطَّرَدَتْ أَنْهَارِي، وَاشْتَقْتُ إِلَى أَوْلِيَائِي، عَجِّلْ إِلَيَّ بِأَهْلِي. وَتَقُولُ النَّارُ: اشْتَدَّ حَرِّي، وَبَعُدَ قَعْرِي، وَعَظُمَ جَمْرِي، عَجِّلْ إِلَيَّ بِأَهْلِي"(١).

وأخرج الأصبهاني في الترغيب: (أوحى الله تعالى إلى عيسى: يا عيسى؛ لو رأت عينك ما أعددت لعبادي الصالحين لذاب قلبك، وزهقت نفسك؛ اشتياقا إليه).

لطيفة: أخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أبي هريرة مرفوعًا، قال: "تراح رائحة الجنة من مسيرة خمس مائة عام، ولا يجد ريحها منان بعمله، ولا عاق، ولا مدمن خمر"(٢).

وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعًا، قال: "ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، والله لا يجد ريحها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌّ إزاره خيلاء"(٣).

وأخرج أبو داود، وابن ماجة، وابن حبان، والحاكم وصححه، عن أبي هريرة مرفوعًا: "من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة"(٤).

وأما عدد الجنات ودرجاتها: فقال تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص:٥٠]، وقال تعالى: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف آية ١٠٧]، وقال: ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة آية ٨٩]، وقال: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم آية ١٥]، وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت آية٢٨]، وقال: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام آية ١٢٧].

قال القرطبي: قيل: الجنات سبع: دار الجلال، ودار السلام، ودار الخلد، وجنة عدن، وجنة المأوى، وجنة نعيم، والفردوس.

وزاد بعضهم: (عليين) في حديث البراء مرفوعًا: "إن عليين تحت العرش". وقيل: إن أهل عليين ينظرون إلى الجنة؛ فإذا أشرف رجل أشرقت له الجنة. وقالوا: قد طلع علينا رجل من أهل عليين.

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٧٤.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم: ٤٣٥١.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٦٦٤.

(٤) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٣٦٦٤، وابن ماجه حديث رقم:٢٥٢، وابن حبان في صحيحه حديث رقم:٧٨، والحاكم في المستدرك ج١/ ٨٥.

فعلى هذا الجنان ثمان، وقيل: أربع فقط، واختاره الحليمي، لما أخرج أحمد، والطيالسي، والبيهقي، عن أبي موسى مرفوعًا، قال: "جنان الفردوس أربع: جنتان من ذهب، حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة، حليتهما وآنيتهما وما فيهما"[1]. الحديث.

وهذه الأربع توصف بالمأوى، والخلد، والعدن، والسلام، وقال ابن زيد: (هي أربع، جنتان للمقربين السابقين، فيهما من كل فاكهة زوجان، وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين).

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن"[2].

وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: (كان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها أخرى، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة، وقال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن آية ٦٢] قال: وهي التي لا يعلم الخلائق ما فيها. قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة آية ١٧]).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان؛ فإن حقًا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها. قالوا: يا رسول الله؛ أفلا ننبيء الناس بذلك؟ قال: إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنة وأعلا الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة"[3].

المراد بوسط الجنة: خيارها وأفضلها. وقال ابن حبان: (وسطها في العرض وحوله الجنان وأعلاها في الارتفاع).

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٩٢٣١، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢١٧.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم:٤٨٧٨، ومسلم حديث رقم: ١٨٢.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٢٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٤٦١١ , ٧٣٩٤، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٢٤٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٢٥، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم٥٨٥٠ :، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٤١٩.

وأخرج الترمذي، والحاكم، والبيهقي، عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، قال: " إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، ومن فوقها يكون العرش، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس"[١].

وعن أبي هريرة: "الفردوس جبل في الجنة من مسك، من أصله تتفجر أنهار الجنة".

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد مرفوعًا قال: " إن في الجنة مائة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لوسعتهم"[٢].

وفي حديث آخر قال: "في الجنة مائة درجة، بين كل درجتين ما بين السماء والأرض، أول درجة منها دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة، والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلا الله".

وأخرج البيهقي عن عائشة مرفوعًا: " عدد درج الجنة عدد آي القرآن، فمن دخل الجنة من أهل القرآن فليس فوقه درجة "[٣].

قال الخطابي: من استوفي جميع القرآن استوفي أقصى درج الجنة في الآخرة، ومن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك.

وأخرج أبو داود وصححه، والترمذي، وابن ماجة، وابن حبان، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[٤].

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف آية ٧٢]، أي: درجاتها ونعيمها لا نفس دخولها، فإنما هو بفضل الله تعالى ورحمته، كما مر.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٢٨، والبيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٩: ص١٥٨، وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية حديث رقم: ٤٣، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٥: ص ٤٣٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٨٢ , ٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٣١.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج٢/ ٣٤٧.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم:٢٩١٥، وابن ماجه حديث رقم:٣٧٨١، وابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٦٧٦٠، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ١٠٠٥.

وفي الحديث: " من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة واحدة "[١].

وأخرج ابن المبارك في الزهد عن أبي المتوكل الناجي مرفوعًا: " إن الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له برق يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك، فيقال: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول: أخي فلان كنا نعمل في الدنيا جميعًا، وقد فُضِّلَ عَلَيَّ هكذا؟! فيقال: إنه كان أفضل منك عملًا. ثم يُجْعَلُ في قلبه الرضا حتى يرضى "[٢].

وأخرج ابن المبارك، وأبو نعيم، عن عوف بن عبد الله قال: (إن الله ليدخل خلقًا الجنة فيعطيهم حتى يتملوا، وفوقهم ناس في الدرجات العلى، فإذا نظروا إليهم عرفوهم، فيقولون: يا ربنا؛ إخواننا كنا معهم، فبم فضلتهم علينا؟ فيقال: هيهات هيهات، إنهم كانوا يجوعون حين تشبعوا، ويظمأون حين ترون، ويقومون حين تنامون، ويشخصون حين تخفضون).

وأخرج أبو يعلى بسند جيد عن أبي هريرة مرفوعًا: " إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة الرفيعة فما يبلغها بعمل، فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغها "[٣].

وأخرج الديلمي عن أبي هريرة مرفوعًا قال: " إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم ".

وأخرج الأصبهاني عن أبي هريرة مرفوعًا: " إن في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة: إمام عادل، وذو رحم وصول، وذو عيال صبور ".

وأخرج هناد عن ابن عباس، قال: (يرفع الله للمسلم ذريته وإن كانوا في العمل دونه؛ ليقر الله عينه، ثم قرأ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١] الآية.

وأخرج أبو نعيم عن سعيد بن جبير: أنه سُئِلَ عن أولاد المؤمنين. فقال: (هم مع خير آبائهم إن كان الأب خيرًا من الأم فهو مع الأب، وإن كانت الأم خيرًا من الأب فهو مع الأم).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٤٥٤.

(٢) أخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ١٠٠.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٦٠٩٥.

وأخرج ابن مردوية مرفوعًا: "إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده. فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك. فيقول: يا رب؛ قَدْ عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ. فَيُؤْمَرُ بالإلحاق بهم"(١).

وأخرج أبو نعيم عن سلمان مرفوعًا قال: "ما من عبد يحب أن يرفع في الدنيا درجة فارتفع إلا وضعه الله في الآخرة درجة أكبر منها وأطول، ثم قرأ: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا﴾ [الإسراء آية ٢١]"(٢).

وأخرج سعيد بن منصور، وابن أبي الدنيا بسند صحيح، عن ابن عمر قال: (لا يصيب عبد من الدنيا شيئا إلا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عليه كريمًا).

وأخرج الحاكم عن أُبي بن كعب مرفوعًا قال: "من سره أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه، ويعط من حرمه، ويصل من قطعه"(٣).

وأما أبواب الجنة وسعتها: فأخرج الشيخان عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "في الجنة ثمانية أبواب، باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون"(٤).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي من أبواب الجنة، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، فقال أبو بكر:

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٢٢٤٨.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٥٤٥٤.

(٣) أخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك ج ٢: ص٢٩٥، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق حديث رقم: ٥٧.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٥٧، ومسلم حديث رقم: ١١٥٤، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ١٠٣٤، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٧٩٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٨٣.

يا رسول الله؛ ما على من أحد من ضرورة من أيها دعي، فهل يدعى أحد منها كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم"[١].

قال القرطبي: قيل: الدعاء من جميعها دعاء تنويه وإكرام، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل.

وأخرج أحمد عن أبى هريرة مرفوعًا: " لكل أهل عمل باب من أبواب الجنة يدعون منه بذلك العمل "[٢].

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة مرفوعًا: " إن في الجنة بابًا يقال له: الضحى؛ فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابكمح فادخلوه برحمة الله "[٣].

وأخرج الديلمي عن ابن عباس مرفوعًا: "للجنة باب يقال له: باب الفرح، لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان".

وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء"[٤].

وأخرج أحمد، والبيهقي، عن عتبة بن عبد السلمي مرفوعًا: "ما من عبد يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل"[٥].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ١٨٦٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٠٢٩، وابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧٥٧٧، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٢٩٧، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٠٦٢، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٣١.

(٢) أخرجه احمد في مسنده حديث رقم: ٩٥٠٨.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٠٦٠.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٣٧، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ١٦٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٦٩٤٢ ,١٦٨٦٣، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٦٠٧ ,٦٠٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ١: ص٧٨،ج ٢: ص٩٢٧، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٩٢٤، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٣٤.

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٧١٩٢، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٣٦

وفي حديث جابر: "من سقى عطشانًا فأرواه فتح له باب من أبواب الجنة، فقيل له: ادخل منه، ومن أطعم جائعًا فأشبعه وسقي عطشانًا فأرواه فتحت له أبواب الجنة كلها، فقيل له: ادخل من أيها شئت". إسناده ضعيف.

وفي البخاري: (قيل لوهب: أليس مفتاح الجنة: لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك؛ وإلا لم يفتح لك).

وأما سعة الأبواب: ففي مسلم: " أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام"[1]. أي: ممتلىء.

وعن أبي سعيد مرفوعًا: "ما بين مصراعي الجنة مسيرة أربعين سنة".

وأخرج ابن المبارك عن الحسن مرفوعًا: "للجنة ثمانية أبواب، بين كل مصراعين من أبوابها مسيرة أربعين سنة".

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا، أو سبع مائة ألف -شك في أحد العددين- متماسكين، آخذ بعضهم بيد بعض، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر"[2].

وأما غرف الجنة: فقال الله تعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر آية ٢٠]، وقال: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ آية ٣٧]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان آية ٧٥].

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تراءون الكوكب الغائر من الأفق من المشرق، أو المغرب، لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله؛ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى والذي نفسي بيده؛ يشاهد أدناهم مكان خليله كالأخ في

---

(١) أخرجه لبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٣٧.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٥٤ , ٦٥٤٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٢١، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢١٩١١، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٣٧٠، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٢٣٩، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٧٨٢، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٤١.

أفق السماء منيرها، وكلهم راض، وقد مُنحوا الرضا، وقد طهرت من كل غل الصدور، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين"(١).

وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما تتراءون الكواكب في السماء ".

وأخرج الحكيم الترمذي عن سهل بن سعد في هذه الآية قال: "الغرفة من ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها قصمٌ ولا وصمٌ".

وأخرج أبو نعيم عن أبي جعفر في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان:٧٥]، قال: (على الفقر في دار الدنيا).

وأخرج هناد عن عبيد بن عمير مرفوعًا: "إن أدنى أهل الجنة منزلًا لرجل له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها"(٢).

وعن أبي هريرة قال: (دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة، وسطها شجرة تنبت الحلل، يأخذ بإصبعيه سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان).

وأخرج زاهر بن طاهر عن أنس مرفوعًا قال: " إن في الجنة لغرفًا، ليس لها معاليق من فوقها ولا عماد من تحتها، قيل: يا رسول الله؛ وكيف يدخلها أهلها؟ قال: يدخلونها أشباه الطير، قيل: يا رسول الله؛ لمن هي؟ قال: لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى"(٣).

وأخرج الطبراني عن بريدة مرفوعًا قال: "إن في الجنة غرفًا يرى ظواهرها من بواطنها، وبواطنها من ظواهرها، أعدها الله للمتحابين فيه، والمتزاورين فيه، والمتباذلين فيه"(٤).

وأخرج البزار وأبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعًا قال: "إن في الجنة لعمدًا من ياقوت عليها غرف من زبرجد، لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدري، قلنا: يا رسول الله؛ من يسكنها؟ قال: المتحابون في الله، والمتباذلون في الله، والمتلاقون في الله"(١).

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٩٣، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٧٧٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٤٨.

(٢) أخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ١٢٦.

(٣) أخرجه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ج٢/ ٢٠٦.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٩٠٣.

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المتحابين في الله لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي، فيقال: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل"[٢].

وأخرج أحمد، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عمرو، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قانتًا والناس نيام"[٣].

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن علي مرفوعًا قال: "إن في الجنة غرفًا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن طيب الكلام، وأفشى السلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل والناس نيام"[٤].

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال: قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بغرف الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: إن في الجنة غرفًا من أصناف الجوهر، يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات والشرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، قلنا: يا رسول الله؛ لمن هذه الغرف؟ قال: لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام. قلنا: يا رسول الله؛ ومن يطيق ذلك؟ قال: أمتي تطيق ذلك، وسأخبركم عن ذلك، من لقي أخاه فسلم عليه أو رد عليه السلام فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام، ومن صلى العشاء الآخرة وصلى الغداة في جماعة فقد

==

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٥٨٧، وابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٦١٣, ٢٧٥٩، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٢٥٩, ١٠٢١٠, ٧٣٥٠، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٤٣٢، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه حديث رقم: ٤٩٨.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١١٤٢٠.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٣٤٠، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٠٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٢١،ج ١: ص٨٠، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٧٠٢، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٢٨٧٣، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٣٤٦٧، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٥١، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٧٤٠٨، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٩٢٧.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ١٩٨٤، والبيهقي في البعث والنشور ٢٥٢.

صلى بالليل والناس نيام، واليهود والنصارى والمجوس"[١]. قال البيهقي: إسناده غير قوي إلا أنه يقوى بما قبله.

وأما أنهار الجنة وعيونها: فقال تعالى: ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾، وقال تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد آية ١٥] الآية. وقال تعالى ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا﴾ [الإنسان: ١٨]، وقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان آية ٦].

أخرج ابن حبان، والحاكم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، والطبراني، عن أبي هريرة مرفوعًا، قال: "أنهار الجنة تفجر من جبل مسك"[٢].

وأخرج ابن المبارك والبيهقي عن مسروق قال: (أنهار الجنة تجري من غير أخدود).

وأخرج أبو نعيم وابن مردويه والضياء عن أنس مرفوعًا قال: "لعلكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض، لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض، حافتاه خيام اللؤلؤ، وطينها المسك الأذفر. قلت: يا رسول الله؛ ما الأذفر؟ قال: الذي لا خلط معه"[٣].

وأخرجه ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعًا، قال الترمذي: وهو أشبه بالصواب، وأخرج الترمذي وصححه، والبيهقي عن معاوية بن جندب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار منها بعد"[٤].

وقال المفسرون: في قوله تعالى: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [محمد آية ١٥] أي: غير متغير، منتن. وقال كعب في تفسير هذه الآية: (نهر دجلة نهر مائهم، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار تخرج من نهر الكوثر).

وقيل عن كعب غير هذا: (﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ [محمد آية ١٥] يعني: كلبن الدنيا يتغير إذا بقي أيامًا. ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ احترز من غير المصفي؛ لأن المصفي أسوغ وألذ).

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٥٣، وأبو نعيم في الحلية حديث رقم: ٢٨٢٤.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٠٨، وابن أبي حاتم في تفسيره حديث رقم: ٣٢٨٣.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم: ٨٤٩٧.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٧١.

وأخرج ابن أبي الدنيا بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال: (إن في الجنة نهرًا يقال له: البيدخ، عليه قباب من ياقوت، تحته جواري نابتات، يقول أهل الجنة: انطلقوا بنا إلى البيدخ، فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري؛ فإذا أعجب رجلٌ منهم بجارية مس معصمها فتتبعه وينبت مكانها أخرى).

وأخرج أحمد، والدارقطني، عن المعتمر بن سليمان قال: (إن في الجنة نهرًا ينبت الجواري الأبكار).

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعًا: "في الجنة نهر يقال له: الريان، عليه مدينة من مرجان، لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن"[1].

وأما العيون: فقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلا ﴾ [الإنسان آية ١٨] أي: (حديدة الجرية).

قال مقاتل: (تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهلها، وشراب أهل الجنة من برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ [الرحمن آية٦٦]، أي: (فائضتان بالماء لا ينقطع). والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة.

قال ابن عباس: (ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة).

وقال ابن مسعود: (ينضخان على أولياء الله بالمسك والكافور).

وقال أنس: (نضاختان بالمسك والعنبر، ينضخان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا).

وقال سعيد بن جبير: (ينضخان بألوان الفاكهة).

وقال البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن آية ٥٠]: (هما خير من النضاختين).

قال ابن عباس: (يجريان بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة).

قال مكي: (روي أن حصباها الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، وترابها الكافور، وحماتها المسك، وحافتاها الزعفران).

قال الثعلبي: قيل: يجريان من جبل من مسك.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج٥٤/ ١٩٩.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان آية ٦]، قال: معهم قطبان من ذهب يفجرونها بها تتبع قطبانهم، بمعنى يفجرونها، أي: يفجرون تلك العين كيف شاءوا في منازلهم وقصورهم. (والتفجير): الإسالة للماء والإجراء له.

وعن الحسن مرفوعًا: "أربع عيون في الجنة:عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر الله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾. والأخرى: الزنجبيل، و﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ من فوق إحداهما التي ذكر الله سلسبيلا والأخرى التسنيم".

وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين آية ٢٧]: (سُمى تسنيمًا لأنه يتسنم فينصب عليهم انصبابًا من فوقهم من غرفهم ومنازلهم، يجرى من جنة عدن إلى أهل الجنة).

وقال ابن عباس وابن مسعود: (تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صرف للمقربين ويمزج لأصحاب اليمين).

وقال ابن مسعود: (تسنيم: عين في الجنة تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفًا).

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان آية ٥]، الأبرار: هم الذين يرون الله في أداء فرائضه واجتناب محارمه.

وقال محارب بن دثار: (إنما سُموا أبرارًا؛ لأنهم بروا الآباء والأبناء، فكما أن لوالديك عليك حقًا كذلك لولدك عليك حقٌ).

وفسَّر مكي الكأس بالقدح الذي فيه الخمر. قال: (لا يقال له كأس حتى يكون فيه الخمر؛ فإن كان فارغًا فهو زجاجة، ومعنى كون ﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ أي: أن طيب رائحة الشراب كالكافور).

وقيل: الكافور هنا اسم لعين ماء في الجنة، فعلى هذا يكون عينا بدلًا من الكافور.

قال الثعلبي: هي عين في دار النبي صلى الله عليه وسلم تتفجر إلى دور الأنبياء والمرسلين والمؤمنين.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا﴾ [الإنسان آية ١٧]، أي: يمزج بالزنجبيل. وقال ابن جبير: (الزنجبيل: اسم للعين التي يشرب منها المقربون صرفًا، ويمزج لأهل الجنة والعرب، تضرب المثل بالخمر إذا مزجت بالزنجبيل، وكانوا يستطيبون ذلك، فخوطبوا على ما يعرفون).

وقال المفسرون كابن عباس وابن مسعود وقتادة ومجاهد والحسن في قوله تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾ [المطففين آية ٢٥]، الآية. أي: يسقون من الخمر.

وقال أهل اللغة: هو صفو الخمر. وقال أبو عبيد: الخالص من الشراب. وقيل: هي الخمرة البيضاء.

ومعنى (مَخْتُومٍ) يعني: مخلوطًا. قاله ابن مسعود وغيره.

ومعنى ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ أي: خلطه مسك وليس بخاتم يختم به.

وقال علقمة: (طعمه وريحه مسك). وقال ابن عباس: (طيب الله شرابه، وكان ختمه بالمسك). وقال قوم: يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك.

وقال أبو الدرداء: (هو شراب أبيض مثل الفضة، يختمون به شرابهم، ولو أن رجلا من أهل الجنة أدخل إصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح من أهل الدنيا إلا وجد طيبها).

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الواقعة آية ١٨] قال: الخمر. ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ﴾ قال: ليس فيها صداع. ﴿وَلا يُنْزِفُونَ﴾ قال: لا تذهب عقولهم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ آية ٣٤]، قال: ممتلئا.

واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور آية ٢٣] فقال قتادة: (لا لَغْوٌ) لا باطل. وقال مقاتل: لا فضول فيها. وقال ابن المسيب: لا رفث فيها. وقال ابن زيد: لا سباب فيها ولا تخاصم. وقال الثعلبي: لا تذهب بعقولهم فيلغوا ويرفثوا. وقال ابن عطاء: أي لا لغو يكون في مجلس جنات عدن الساقي فيه الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم تحية من عند الله والقوم أضياف الله.

وقال ابن عباس: (لا تَأْثِيمٌ) أي: لا بغي ولا كذب، وقال الضحاك: لا يكذب بعضهم بعضا.

وفي تفسير مكي عن النخعي قال: إن الرجل من أهل الجنة تقسم له شهوة مائة رجل من أهل الدنيا وأكلهم ونهمتهم؛ فإذا أكل سقي شرابا طهورًا، فيصير رشحًا يخرج من جلده أطيب من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته ويتلذذون بشرب خمر الجنة، كما قال تعالى: ﴿بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ [الصافات آية ٤٦]

وأخرج أحمد، والنسائي، وهناد، والبيهقي بسند صحيح، عن زيد بن أرقم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم؛ تزعم أن أهل

الجنة يأكلون ويشربون. فقال: "والذي نفسي بيده؛ إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة"، قال: فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة. قال: "حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل ريح المسك، فإذا كان ذلك ضمر له بطنه"(١).

وحديث جابر مرفوعًا: "أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتغوطون، ولا يبولون، ولا يبزقون، ولا يمخطون طعامهم جشًا، ورشح كرشح المسك"(٢). والآثار في هذا كثيرة.

لطيفة: أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري رفعه: "أيما مؤمن سقى مؤمنًا شربة على ظمأ سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم"(٣).

وأخرج الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة"(٤).

وأخرج البيهقي من حديثه مرفوعًا: "من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب لم يشربها في الآخرة وإن دخل الجنة".

وأما شجر الجنة: فهي كثيرة لا يحيط بها إلا خالقها، وها نحن نذكر بعضها فمنها شجرة طوبى.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٨٨٢٦، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٤١٤، وهناد في الزهد حديث رقم: ٩٠، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٦٤، وأبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤٣٠١، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٢٦٣، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٠٠٥.

(٢) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٩٩٢، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٢٧٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣١٦، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٦٢.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٧١٧، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في البر والصلة حديث رقم: ٤٢٨.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٥٧٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٠٠٤، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٥٦٧١، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٠٩٠، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ١٥٩٧، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٦٧٥٠, ٥١٦١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٨: ص٢٨٧، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٥١٩٨، وأخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني حديث رقم: ٧١٤، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم ١٨٤٠ :، وأخرجه الشافعي في مسنده حديث رقم: ١٣٤١.

قال الفخر في تفسيرقوله تعالى: ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ [الرعد آية٢٩] روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلى والحلل، وأن أوراقها ترى من وراء سور الجنة".

وحكى الأصم: (أن هذه الشجرة في دار النبي صلى الله عليه وسلم، وفي دار كل مؤمن منها غصن).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، اقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]"(١).

وأخرجه أحمد، وزاد في آخره: "وأن ورقها ليخمر الجنة".

وأخرجه هناد، وزاد في آخره: فبلغ ذلك كعبًا فقال: (والذي أنزل التوراة على موسى؛ والقرآن على محمد؛ لو أن رجلا راكبًا على حقةٍ أو جزعة، ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغه حتى تسقط هرمًا، إن الله غرسها بيده، وإن أفنانها من وراء سور الجنة، وما في الجنة نهرٌ إلا وهو يجري في أصل تلك الشجرة).

وأخرج ابن حبان عن أبي سعيد: أن رجلا قال: يا رسول الله؛ ما طوبى؟ قال: "شجرة مسيرة ظلها مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها".

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: (في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يقول الله لها: تفتقي لعبدي عما شاء فتنفتق عن فرس بلجام وسرجه وهيئته كما يشاء، وتنفتق له عن الراحلة برحلها وزمامها وهيأتها كما شاء، وعن الثياب).

وقال مغيث بن سمي: (طوبى: شجرة في الجنة لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة، ثم دار بها لم يبلغ المكان الذي ارتحل منه حتى يموت هرمًا، وما من الجنة أهل إلا وغصن من تلك الشجرة متدل عليهم منها، فإذا أرادوا أن يأكلوا من الثمرة تدلت لهم، فأكلوا منها ما شاءوا، وعليها طير مثل البخت، فيجيء الطير فيأكل منه قديد أو شواءً ثم يطير).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٥١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣١، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٩٣، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٦١، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٠٣٨، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٤٥٧ , ١١٨٣، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٧١، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٢: ص ٣١٧،ج ٧: ص ١٦٨.

وقال عبيد بن عمير: (هي شجرة في جنة عدن في دار النبي صلى الله عليه وسلم لم يخلق الله عز وجل لونًا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد، ولا يخلق الله عز وجل فاكهةً ولا ثمرةً إلا وفيها منها، ينبع من أصلها عين الكافور والسلسبيل، كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله عز وجل بأنواع التسبيح).

وسأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم: "فقال: يا رسول الله؛ أفي الجنة فاكهة؟ قال: نعم، فيها شجرة طوبى هي بطابق الفردوس. قال: أي شجر أرضنا تشبه بها؟ قال: ليس تشبه شيئا من شجر أرضك، ولكن هل أتيت الشام؟ قال: لا يا رسول الله. قال: فإنها شجرة تشبه شجرة بالشام تدعى الجوز، تنبت على ساق واحد ثم تنتشر من أعلاها. قال: وما عظم أصلها؟ قال: لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر ترقوتها هرمًا، قال: هل فيها عنب؟ قال: نعم. قال: ما عظم العنقود منه؟ قال: مسيرة شهر للغراب ألا يقع ولا يفتر. قال: وعظم الحبة منه؟ قال: وهل ذبح أبوك تيسًا من غنمه عظيًما قط؟ قال: نعم. قال: فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال: ادبغي هذا ثم أفرغي لنا منه دلوًا نروي به ما شئنا؟ قال: نعم. قال: فإن تلك الحبة تشبعني وأهل بيتي، قال: نعم، وعامة عشيرتك"[1]. أخرجه أحمد، وابن حبان، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي، عن عتبة بن عبد السلمي.

وقال وهب بن منبه: (إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، زهرها رياض، وورقها برود، وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، وحشيشها مسك، يخرج من أصلها أنهار الجنة الماء والخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة).

وفي تفسير مكي في قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ روي عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في تفسير هذه الآية: (إنها شجرة على ساق يسير الراكب في ظلها من نواحيها كلها مائة عام للراكب المجد. قال: فينزل أهل الغرف وأهل الجنة فيجلسون مجالس في ظلها فيتحدثون ويذكرون لهو الدنيا، فيأمر الله ريحًا في الجنة فتحرك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا).

وفي مسلم عن سهل بن سعد، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها". قال أبو حازم: فحدثت به النعمان، فقال:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم:١٠٣، والطحاوي في مشكل الآثار حديث رقم:٥٦٨٧.

حدثنى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها ومنها سدرة المنتهى"(١).

أخرج الترمذي وصححه عن أسماء بنت أبي بكر: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر سدرة المنتهى، قال: "يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب، فيها فراش الذهب كأنها ثمرها القلال"(٢). (الفنن) بفتح الفاء والنون: الغصن. وقد مر الكلام عليها في صدر الكلام بأحسن من هذا فراجعه.

ومنها النخل، وهي مذكورة في القرآن في مواضع. قال أبو عبيدة: (إن نخل الجنة نضيد ما بين أصله إلى فرعه، وثمرها كأمثال القلال، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى).

وقال مطرف: (نخل الجنة عروقها فضة، وجذوعها ذهب، وسعفها حلل، وقنوانها در، وهي أحلى من العسل، وألين من الزبد، ليس لها عجم).

وعن ابن عباس: (نخل الجنة ذهب أحمر، وعروقها زمرد أخضر، وثمرها كالقلال، أحلى من الشهد وألين من الزبد، لا عجم لها).

وقال ابن جبير: (نخل الجنة جذوعها من ذهب، وعروقها من ذهب، وفروعها من زمرد، وسعفها كسوة لأهل الجنة، وثمرها كالدلاء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من العسل، ليس لها عجم).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٨٨١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣١، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٩٢, ٢٥٢٣، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٣٩, ٢٨٣٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٢٦٦, ١١٦٦٠, ٩٧١٩، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم ٥١٩، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ١٢١٤, ١١٦٥، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٧٠٥٣, ٦٦٥٠، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٨٥٣، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٢١٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٥١٩، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٩٣٩، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٥٧٨، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٧٠٢, ٦٩، وأخرجه مجاهد بن جبر في تفسير القرآن حديث رقم: ٣١٢٩، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٢: ص ٣١٥،ج ٣١٦: ص ٢٢، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١١٩٤, ٣٠٢، وأخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٣٥٤٥، وأخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين ج ١: ص ٣٧.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٤١.

قلت: ولا تعارض بين كلام المفسرين؛ فإن منها هكذا وهكذا، وأخرج البيهقي بسند حسن عن سلمان: (أنه أخذ عودًا صغيرًا، ثم قال: لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تبصره، قيل: فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاه الثمر).

وأخرج الترمذي وحسنه، وابن حبان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب، ومنها الرمان والعنب"(١).

قال: الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن آية ٦٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [النبأ آية ٣١-٣٢]. وقال المفسرون: يعني: كرومًا وأعنابًا. قال مسروق: العنقود اثنا عشر ذراعًا.

وأخرج هناد عن ابن عمرو، قال: (العنقود في الجنة أبعد من صنعاء، وهو بعمان بالشام).

(عمان) بفتح العين والميم المشددة: قرية قديمة بالشام من أرض البلقاء، ومنها السدر وهو النبق.

قال الله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة آية ٢٨] أي: لا شوك له كأنه خضد شوكة، أي: قطع. ومنه الحديث في المدينة:(لا يخضد شوكها ولا يعضد شجرها). قاله ابن عباس وعكرمة، وقال الضحاك ومقاتل: (هو الموقر حملا). قال ابن جبير: (ثمرها أعظم من القلال). وقال ابن كيسان: (هو الذي لا أذى فيه، وليس شيء من ثمر الجنة في غلفه كما يكون في الدنيا مثل الباقلاء وغيره، بل هو كله مأكول ومشروب ومشموم ومنظور إليه).

وأخرج البيهقي عن أبي أمامة: "قال أعرابي: يا رسول الله؛ لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال عليه السلام: وما هي؟ قال: السدر فإن لها شوكا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾، يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، فإنها تنبت [ثمرا] ثم ينفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونًا من الطعام ما منها لون يشبه الآخر"(٢). وأخرج الطبراني مثله من حديث عتبة بن عبيد.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٢٤.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٧٦، وأخرجه الحاكم النيسابوري في المستدرك ج ٢: ص٤٧٦.

ومنها الطلح قال الله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة آية ٢٩] قال أكثر المفسرين كابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم: (هو الموز). ومعنى منضود أي: بعضه على بعض. قاله ابن عباس.

وقال قتادة: (شجر موقر بالحمل من أسفله إلى أعلاه). وفسر أهل اللغة (الطلح) بأنه عند العرب شجر عظام لها شوك. قال السدى: (يشبه طلح الدنيا، ولكن ثمره أحلى من العسل).

وبالجملة فأنواع الغرس والفواكه كثيرة، وقد جمع الله الفواكه بقوله: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن آية ٦٨] ففسر لنا منها ما فسر ويبقى منها ما لا يعلمه إلا الله، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [محمد آية١٥].

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي، عن البراء بن عازب في قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا﴾ [الإنسان آية ١٤]، قال: (إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قيامًا وقعودًا ومضطجعين على أي حالة شاءوا).

وأخرجا أيضًا عن مجاهد، قال: (أرض الجنة من وَرِق، وترابها مسك، وأصول شجرها ذهب وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد، والورق والثمار بين ذلك، فمن أكل قائمًا لم تؤذه، ومن أكل مضطجعًا لم تؤذه، ومن أكل جالسًا لم تؤذه، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا﴾).

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن آية ٤٦]، أي: بستانان من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، ترابها الكافور والعنبر، ودقاقها المسك الأذفر، طول كل بستان مائة سنة، وفي وسط كل بستان دار من نور جنة لخوف ربه وجنة لترك شهوته.

وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن آية ٥٢]، قال: (ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتي الحنظل).

لطيفة: أخرج الترمذي، والحاكم وصححه، عن جابر: أن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "من قال: سبحان الله العظيم، غرست له نخلة في الجنة"(١).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٤٦٥ , ٣٤٦٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٥٠١،ج ١: ص٥١٢، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٢٣٣، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث

وأخرج الحاكم وصححه، وابن ماجة، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسًا، فقال: "هل أدلك على غرس خير لك منه؟ قلت: ما هو؟ قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يغرس لك بكل واحدة شجرة"[١].

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة قال: (ما من عبد يسبح الله تسبيحة أو يحمده تحميدة أو يكبره تكبيرة إلا غرس الله له بها شجرة في الجنة، أصلها من ذهب، وأعلاها من جوهر، مكللة بالدر والياقوت، ثمارها كثدي الأبكار، ألين من الزبد، وأحلى من العسل، كلما جنى منها شيئا عاد مكانه، ثم تلا: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة آية ٣٣]).

وأما طيور الجنة: فقال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الواقعة آية ٢١]، ففي الترمذي عن أنس بن مالك قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر؟ فقال: "نهر أعطانيه الله في الجنة، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طير أعناقها كالجذر". قال عمر: إن هذه لناعمة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكلها أنعم منها"[٢].

وذكر ذلك مكي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وروي عن ابن مسعود مرفوعًا أنه قال: "ما هو إلا أن تشتهي الطائر في الجنة وهو يطير، فيقع بين يديك مشويًا".

قال: ويروى أن الرجل من أهل الجنة يجني الفاكهة، فيخطر على قلبه غيرها وهي في يده، فتحول التي جنى إلى جنس التي خطرت بقلبه، ويخطر بقلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى.

وفي الثعلبي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: "إن في الجنة لطيرًا فيه سبعون ألف ريشة، فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة، ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون مثل الثلج، وألين من الزبد، وأعذب من الشهد، ليس فيه لون يشبه صاحبه ثم يذهب فيطير"[٣].

==

رقم: ١٢١٢، وأخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٣٠٨٦, ٦٧، وأخرجه البيهقي في الدعوات الكبير حديث رقم: ١١٨.

(١) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٣٨٠٧، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٥١٢.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٤٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٤: ص ٦٨٧.

(٣) أخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ١١٩.

فصل في ذكر الحور العين
رزقنا الله منهن أزواجًا بمنه وكرمه

حكى الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة آية٢٢] عن أنس مرفوعًا، قال: "خلق الله الحور العين من تسبيح الملائكة، فليس فيهن أذى". وحكاه الثعلبي أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ [الواقعة آية ٣٥] وروي في الحديث: "أنهن خلقن من المسك الذي هو على ساحل بحر الحيوان".

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة مرفوعًا: "خلق الحور العين من الزعفران"[1]. وأخرج البيهقي مثله عن أنس مرفوعًا، وعن ابن عباس موقوفًا، وعن مجاهد كذلك.

وأخرج ابن المبارك عن زيد بن أسلم قال: (إن الله لم يخلق الحور العين من تراب؛ إنما خلقن من مسك وكافور وزعفران).

واختلف المفسرون في تسميتهن بالحور العين[2]:

فقال مجاهد: (سُميت حورًا لأنه يحار فيها الطِرف، بادٍ مخ ساقها من وراء ثيابها، فينظر الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون).

وقال مكي: (سُمي نساء الجنة بالحور لبياضهن، ومنه قيل للدقيق: الحواري. ومنه الحواريون لبياض ثيابهم. قال: والحَور في العَيْن: هو شدة سواد الحدقة مع بياض ما حولها، والعِين: هن الكبيرات الأعين. يقال: امرأة عيناء، ورجل أعين كبير العين).

وقد وصفهن الله تعالى في كتابه بأوصاف فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن آية ٥٨] أي: كأنهن الياقوت في صفائه، يرى مخها من فوق اللحم، وحللها كما يرى السلك في داخل الياقوت.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٨٨، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٨١٣.

(٢) قال الرازي: وأما الحور فقال الواحدي أصل الحور البياض والتحوير التبييض، وعين حوراء إذا اشتد بياض بياضها واشتد سواد سوادها، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون حور عينيها بياضاً في لون الجسد، والدليل على أن المراد بالحور في هذه الآية البيض قراءة ابن مسعود بعيس عين والعيس البيض، وأما العين فجمع عيناء وهي التي تكون عظيمة العينين من النساء، فقال الجبائي رجل أعين إذا كان ضخم العين واسعها والأنثى عيناء والجمع عين، ثم اختلفوا في هؤلاء الحور العين، فقال الحسن هن عجائزكم الدرد ينشئهن الله خلقاً آخر، وقال أبو هريرة إنهن ليسوا من نساء الدنيا [مفاتيح الغيب:١٤/ ٢٠].

ففي الترمذي عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا: "أن المرأة من نساء الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكًا ثم استصفيته لرأيته من ورائه"(١).

وأخرج أحمد، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: "ينظر إلى وجهها في خدرها أصفي من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك"(٢).

وقال تعالى: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن آية ٧٢]، قال مجاهد: (محبوسات في الخيام لا يبرحنه). وقال الحسن: (محبوسات ليس بطوافات في الطرق).

(والخيام): جمع خيمة، قال ابن عباس: (الخيمة لؤلؤة واحدة أربعة فراسخ في أربعة فراسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب).

وفي مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا"(٣).

وأخرج البيهقي عن أنس مرفوعًا قال: "لما أُسرى بي دخلت في الجنة موضعًا يسمى: البيدخ، عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، فقلن: السلام عليك يا رسول الله، قلت: يا جبريل؛ ما هذا النداء؟ قال: هؤلاء المقصورات في الخيام، واستأذن ربهن في السلام عليك،فأذن لهن وطفقن يقلن: نحن الراضيات، فلا نسخط أبدًا، ونحن الخالدات فلا نظعن أبدًا، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، وقال تعالى: ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات آية٤٨-٤٩]".

قال مجاهد: (قاصرات الطرف علي أزواجهن، فلا يبغين غير أزواجهن).

وقال ابن عباس: (قاصرات الطرف عن غير أزواجهن، والبيض اللؤلؤ المكنون).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٣٢، وابن حبان في صحيحه حديث رقم:٧٣٩٦.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٣٩.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٩، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١١٩٢.

وقال تعالى: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن آية ٧٠] ففي الحديث: "خيرات الأخلاق حسان الوجوه"(١).

وقال المفسرون: ليس بذربات، ولا دفرات، ولا فجرات، ولا متطلعات، ولا متشرقات، ولا متسلطات، ولا مائلات، ولا طوافات في الطرق، ولا يغرن ولا يؤذين.

قال ابن مسعود: (لا مرحات، ولا طماحات، ولا نجرات، ولا ظفرات، حور عين كأنهن بيض مكنون).

وقال الأوزاعي: (خيرات ليس بذربات اللسان، ولا يغرن، ولا يؤذين).

وقال تعالى: ﴿ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [النساء آية ٥٧] أي: من الغائط والبول والحيض والنفاس والمخاط والبزاق والمني والقيء والولد وكل قذر وكل دنس.

وقال تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة آية ٣٧] قال الحسن: (العُرب المعشقات لبعولتهن).

قال ابن عباس: (العُرب العواشق لأزواجهن).

وقال ابن زيد: (تقول لزوجها: وعزة ربي؛ ما أرى في الجنة أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلني زوجك وجعلك زوجي).

وقال ابن عباس أيضًا: (العروب الملقة لزوجها). وقال أيضًا: (العروب الغنجة). يقال: غنجت الجارية غنجًا: حسن شكلها. وفي القاموس كالصحاح (الغنج) الشكل.

وقال بعض أهل اللغة: (العروب) في قول أهل المدينة الشكلة. وفي قول أهل العراق الغنجة.

وقال الحسن: (الأتراب المستويات بسن واحد). والأتراب: جمع ترب فهن مستويات على ميلاد امرأة واحدة، بنات ثلاث وثلاثين سنة.

وأخرج الطبراني عن أم سلمة قالت: قلت: يا رسول الله؛ أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿حُورٌ عِينٌ﴾. قال: "حور: بيض. عين: ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر. قلت: يا رسول الله؛ فأخبرني عن قول الله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن آية ٥٨] قال: صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لا تمسه الأيدى. قلت: فأخبرني عن قول الله: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾. قال: خيرات الأخلاق حسان الوجوه. قلت: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ قال: رقتهن كرقة الجلدة التي في داخل البيضة مما يلي القشر.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣١٤١.

قلت: يا رسول الله؛ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾. قال: هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطًا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى. قال: عربًا: معشقات محببات. أترابًا: على ميلاد واحد. قلت: يا رسول الله؛ أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. قلت:يا رسول الله؛ وبم ذلك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن، ألبس الله وجوههن النور، وأجسادهن الحرير، بيض الألوان، خضر الثياب، صفر الحلي، مجامرهن الدرُّ، وأمشاطهن الذهب، يقلن: ألا نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدًا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كنا له وكان لنا. قلت: يا رسول الله؛ المرأة تتزوج الزوجين والثلاثة والأربعة في الدنيا، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها منهم؟ قال: إنها تخير فتختار أحسنهم خلقًا، فتقول: يا رب؛ إن هذا كان أحسنهم معي خلقًا في دار الدنيا فزوجنيه، فقال عليه الصلاة والسلام: يا أم سلمة؛ ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة"[1].

وقال حذيفة لامرأته: إنْ سرك أن تكوني زوجتي في الجنة إن جمعنا الله فيها فلا تتزوجي من بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها. وخطب معاوية أم الدرداء فأبت، وقالت: سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " المرأة لآخر أزواجها في الآخرة"[2]. وقال: إن أردتِ أن تكوني زوجتي في الآخرة فلا تتزوجي من بعدي.

وقال عبد الغافر: نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض، ويتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها: نحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، ونحن خيرات حسان خبئنا لأزواج كرام. قالت عائشة رضي الله عنها: (إن الحور العين إذا قلن هذه المقالة أجابهن المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصليات وما صليتن، ونحن الصائمات وما صمتن، ونحن المتوضئات وما توضأتن، ونحن المتصدقات وما تصدقتن. فغلبنهن والله).

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي، عن الشعبي في قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن آية ٥٦] قال: هن نساء الدنيا خلقهن الله في الخلق الآخر كما قال: ﴿إِنَّا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣١٤١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٨٧٠.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣١٣٠، وابن حجر في المطالب العالية حديث رقم:١٧١٨.

أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة آية ٣٥-٣٧] ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن آية ٥٦].

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ قال: " **عَجَائِزُكُنَّ فِي الدُّنْيَا عُمْشًا رُمْصًا** "[١].

وأخرج البيهقي، وابن المنذر عن الحسن قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "**لا يدخل الجنة عجوز. فبكت عجوز، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز، إنها يومئذ شابة، إن الله يقول: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾**"[٢].

وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الحور العين بأوصاف تتشوق لها النفوس، أخرج الطبراني، والبيهقي، عن ابن مسعود، قال: " **إن المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم من تحت سبعين حلة، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء**".

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعا، قال: " **لو أن حورًا بزقت في بحر لعذب ذلك البحر من عذوبة ريقها** "[٣].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عباس، قال: " **لو أن حورًا أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنه مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها، ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض**".

وأخرج أيضًا عن ابن عباس، قال: (لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل).

وأخرج عن كعب، قال: (لو أن يدًا من الحور العين دليت من السماء لأضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا).

وأخرج أحمد، وأبو يعلى بسند حسن، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول، ثم تأتيه امرأته فينظر وجهه في خدها أصفي من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة تمسكها تضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه، فيرد عليها السلام ويسألها: من أنت؟ فتقول: أنا من المزيد، وإنه ليكون عليها سبعون**

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٩٦.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٤٦.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٣٦٤.

ثوبا فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وإن عليها التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب "[١].

وأخرج البزار، والطبراني، عن سعيد بن عامر بن حذيم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أشرفت، لملأت الأرض ريح مسك، ولأذهبت ضوء الشمس والقمر "[٢].

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا، ولأضاءت ما بينهما، ولتاجها على رأسها خير من الدنيا وما فيها"[٣].

وأما عدد الأرواح في الجنة: فأخرج الشيخان عن أبي هريرة: أنهم تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما في الجنة أحد إلا وله زوجتان، إنه ليرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة ما فيها عذب"[٤].

وأخرج الترمذي وصححه، والبزار، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "يُزَوَّجُ العبد في الجنة بسبعين زوجة. قيل: يا رسول الله، أَيُطِيقُهَا؟ قال: يُعْطَى قُوَّةَ مِائَةٍ"[٥].

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم، واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء"[٦].

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن أبي أوفي مرفوعًا، قال: " إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمس مائة حوراء، أو أربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف ثيب، يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره من الدنيا "[٧]. ثم أخرجه عن عبد الرحمن بن سابط موقوفًا عليه وصححه.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١١٣١٨، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ١٣٨٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٥٥١٢.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣١٤٨.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٥٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٤.

(٥) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٣٦، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٧١٢٣.

(٦) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٦٢، وابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٣٢٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٠١، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٤٠٤.

(٧) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٧٣.

وأخرج أبو نعيم في صفة الجنة، وأبو الشيخ عن ابن أبي أوفي مرفوعًا، قال: " يزوج كل رجل من أهل الجنة بأربعة آلاف بكر، وثمانية آلاف أيم، ومائة حوراء، فيجتمعن في كل سبعة أيام، فيقلن بأصوات حسان لم يسمع الخلائق بمثلهن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكنا له"[١].

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن أنس قال: حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "حدثنى جبريل، قال: يدخل الرجل على الحوراء فتستقبله بالمعانقة والمصافحة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فبأى بنان تعاطيه؟ لو أن بعض بنانها بدا لغلب ضوءه ضوء الشمس والقمر، ولو أن طاقة من شعرها بدت لملأت ما بين المشرق والمغرب من طيب ريحها، فبينما هو متكئ معها على أريكتة إذا شرف عليه نور من فوقه فيظن أن الله أشرف علي خلقه، فإذا حوراء تناديه: يا ولي الله؛ أما لنا فيك دولة؟ فيقول: من أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق آية٣٥] فيتحول عندها، فإذا عندها من الجمال والكمال ما ليس مع الأولي، فبينا هو متكيء علي أريكته إذ أشرف عليه نور من فوقه وإذا حوراء أخرى تناديه: يا ولى الله، أما لنا فيك من دولة؟ فيقول: ومن أنت يا هذه؟ فتقول: أنا من اللواتى قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة آية ١٧] فلا يزال يتحول من زوجة إلى زوجة"[٢].

وأخرج أبو نعيم عن كثير بن مرة قال: (إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أمطر لكم؟ فلا يتمنون شيئا إلا مطروا. قال كثير: إن أشهدني الله ذلك لأقولن: أمطرينا جوارى مزينات).

وأما قوة جماع أهل الجنة: فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾ [يس آية ٥٥]. قال ابن عباس وابن مسعود وعكرمة والأوزاعى في افتضاض الأبكار.

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أنس مرفوعا، قال: "يُعطى المؤمن في الجنة قوة مائة في الجماع ".

---

(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة حديث رقم: ٤٠٢، وأبو الشيح في العظمة حديث رقم:٦٠٣.
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٨٨٧٧.

وأخرج البزار، والطبراني بسند صحيح، عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله؛ هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال: " **إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء**"[١].

وأخرج أبو يعلى، والبيهقي بسند حسن، عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة كما نفضي إليهن في الدنيا؟ قال: "**والذي نفس محمد بيده؛ إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**"[٢].

وأخرج الحارث ابن أبي أسامة، وابن أبي حاتم، عن الهيثم الطائي، وسليم بن عامر: **أن** النبي صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن البضع في الجنة، فقال: "**نعم بقبل شهي، وذكر لا يمل، وإن الرجل ليتكىء فيها المتكأ مقدار أربعين سنة لا تتحول عنه، ولا تمله، يأتيه ما اشتهت نفسه ولذت عينه** "[٣]. مرسل رجاله ثقات.

وأخرج هناد، والبيهقي، عن أبي هريرة: **أنه** سُئِل: هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال: (نعم، بذكر لا يمل، وفرج لا يحفي، وشهوة لا تنقطع). وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة، والبزار مصرحًا برفعه.

وأما صفة جماعهم: فأخرج أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي، عن أبي أمامة: أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل يتناكح أهل الجنة؟ فقال: "دَحَامًا، دَحَامًا، **وَلَكِنْ لا مَنِيَّ، وَلا مَنِيَّةَ** "[٤].

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل يتناكح أهل الجنة؟ قال: " **نَعَمْ، بِذَكَرٍ لا يَمَلُّ، وَشَهْوَةٍ لا تَنْقَطِعُ، دَحْمًا دَحْمًا** "[٥].

وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن البول والجنابة عرق يسيل من تحت ذوائبهم إلى أقدامهم مسك** "[٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ١٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧١٨، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٦٥، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٨٨، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٧٢.

(٣) أخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٢٢٣.

(٤) أخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٦١٩.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٦٧٤.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧٧٤١.

وأخرج الأصبهاني عن أبي الدرداء قال: "ليس في الجنة منى ولا منية".

وأخرج هناد عن إبراهيم النخعي قال: (جماع ما شئت ولا ولد).

وأخرج أيضًا عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قال: أَنَطَأُ فِي الْجَنَّةِ؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده، دَحْمًا دَحْمًا، فَإِذَا قَامَ عَنْهَا، رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا"[١].

وأخرج البزار، والطبراني، وأبو الشيخ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، قال: "أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكارا".

وأخرج عبد الله بن أحمد عن ابن عمرو قال: (إن المؤمن كلما أراد زوجته وجدها عذراء).

وأما كون لهم أولاد: فأخرج الترمذي وحسنه، والبيهقي، وأبو الشيخ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعا، قال: "المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي"[٢].

قال الترمذي: اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم: (في الجنة جماع ولا يكون ولد). هكذا يُروى عن طاوس، ومجاهد، والنخعي.

وقال محمد -يعني: البخاري-: قال إسحاق بن إبراهيم في هذا الحديث: إذا اشتهي ولكن لا يشتهي وكذا روي في حديث لقيط أن أهل الجنة لا يكون لهم ولد. انتهى.

وقال جماعة: بل فيها الولد إذا اشتهاه الإنسان ورجحه الأستاذ أبو سهل الصعلوكي وقواه الحافظ السيوطي. وقال: المنفي ترتب الولادة على الجماع غالبا كما هو في الدنيا، والمثبت هنا حصول الولد عند اشتهائه كما يحصل الزرع عند اشتهائه ولا زرع في الجنة في سائر الأوقات. انتهى.

لطيفة: أخرج الترمذي وحسنه، وابن ماجة، عن معاذ بن جبل مرفوعا، قال: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: قاتلك الله؛ فإنما هو عندك خيل يوشك أن يفارقك إلينا"[٣].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٠٢.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٦٣، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٣٨، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٣٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٦٧٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٠٤، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٥٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ١١٧٤، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٢٠١٤.

وأخرج ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: (يقال للمرأة من نساء أهل الجنة وهي في السماء: أتحبين أن نريك زوجك في الدنيا؟ فتقول: نعم، فيكشف لها عن الحجب، وتفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاهده بالنظر حتى تستبطئ قدومه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب، ولعله يكون بينه وبين زوجته ما يكون بين النساء وأزواجهن فيشق ذلك عليها، وتقول: ويحك؛ دعيه من شرك إنما هو معك ليال قلائل).

وأخرج الطبراني عن عائشة مرفوعا قال: **"ما من عبد يصبح صائما إلا فتحت له أبواب السماء، وسبحت أعضاؤه، واستغفر له أهل السماء؛ فإن صلى ركعة أو ركعتين تطوعا أضاءت له السموات نورا، قلن أزواجه من الحور العين: اللهم اقبضه إلينا فقد اشتقنا إلى رؤيته"**[1].

وأما فرش أهل الجنة: فقال الله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ [الواقعة آية ٣٤].

أخرج أحمد، والترمذي وحسنه، وابن حبان، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ قال: **"ما بين الفراشين كما بين السماء إلى الأرض"**[2]. ولفظ الترمذي قال: **"ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمس مائة عام"**[3]. قال الترمذي: قال بعض أهل العلم في تفسير معناه: أن الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي أمامة في قوله تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾قال: (لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفا).

وأخرجه الطبراني عنه مرفوعا بلفظ: **"لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف"**[4].

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن آية ٥٤]، أخبرتم بالبطائن فكيف بالظهائر؟ قال الثعلبي: البطائن ما يلي الأرض. وقال ابن عباس: الظهائر من نور جامد.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٢٧٥١٥، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٠٥، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣١١، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ١٥٧.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٤٠.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٧٩٤٧.

وقال ابن عباس أيضًا في قوله: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [الواقعة آية ١٥] أي: مرمولة بالذهب. وقال أبو عبيد: موضونة: منسوجة قد دخل بعضها بعضا. وعن عكرمة: مشتبكة بالدر والياقوت قد دخل بعضها بعضا كما توضع حلق الدرع بعضها في بعض.

قال الكلبي: طول كل سرير مائة ذراع؛ فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت؛ فإذا جلس عليها ارتفعت.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ [الإنسان آية ١٣]، الأرائك من لؤلؤ وياقوت، قال ابن عباس: (لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة، فإن كان سرير بغير حجلة لا يكون أريكة، وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة، فإذا اجتمعا كانت أريكة). والأرائك جمع أريكة، وفسرها أكثر المفسرين بالأسرة في الحجال.

وأخرج البيهقي من طريق أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ قال: مصفوفة. وفي قوله: ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن آية ٧٦] قال: المجالس: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [الرحمن آية ٧٦] قال: الزرابي. ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ [الغاشية آية ١٥] قال: المرافق.

وقال الحسن: الرفرف البسط، وقال أيضًا: هو مرافق خضر.

وقال مجاهد وابن جبير: هو رياض الجنة جمع رفرفة. وقال مجاهد: الزرابي الديباج، وقال ابن جبير: العبقرى عتاق الزرابى وهى الطنافث الثخان التى لها خمل رقيق. قاله ابن عباس واحدتها زربية. وقال ابو عبيد: الزرابى البسط.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ هى الوسائد، جمع نُمرقة بضم النون والراء، والإستبرق هو ما غلظ من الديباج وحسن، والسندس هو الديباج الرقيق.

وأما لباس أهل الجنة: فقال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف آية ٣١]، قال الفخر وغيره: السندس: الديباج الرقيق، والإستبرق الديباج الغليظ.

وأخرج النسائي، والطيالسى، والبزار، والبيهقي بسند جيد، عن ابن عمرو قال: قال رجل: يا رسول الله؛ أخبرنا عن ثياب أهل الجنة، أخلق يخلق أم نسيج ينسج؟ فضحك بعض القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مم تضحكون؟! من جاهل يسأل عالما، ثم قال: بل تتشقق عنها ثمر الجنة مرتين"(١). وأخرج البزار، وأبو يعلى، والطبراني، مثله من حديث جابر بسند صحيح.

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٣٩١، والبزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٤٣٤.

وأخرج البيهقي عن أبي الخير مرثد بن عبد الله قال: (في الجنة شجرة تنبت السندس منه تكون ثياب أهل الجنة).

وأخرج ابن المبارك عن أبي هريرة قال: (إن أراد المؤمن درة مجوفة فيها أربعون بيتًا في وسطها شجرة تنبت الحلل فيذهب فيأخذ بإصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان).

وأخرج مسلم عن أبي هريرة مرفوعا قال: **"من يدخل الجنة ينعم فيها لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه"**[1].

وعن عكرمة: (أن الرجل من أهل الجنة ليلبس الحلة فتلون من ساعته سبعين لونا).

وعن كعب قال: (لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم).

لطيفة: أخرج الشيخان عن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **" من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"**[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٨، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨١٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٩١٢٥ , ٩٠٢٦ , ٧٩٨٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٨٧، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم٢٧٠٦ :، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٣٦، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٤٢٨، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٦١١، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠٢٠١، وأخرجه الهيثمي في بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث حديث رقم: ١٠٧٨، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٤٢٠، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ٦٠٥، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٩٤ , ٢٥٨، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٨: ص ٦٢٣، وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ١٠٧٥، وأخرجه محمد بن فضيل الضبي في الدعاء حديث رقم: ١٢٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في فضائل شهر رمضان حديث رقم: ١٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ١٢ , ١١ , ٤.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٨٣٤ , ٥٨٣٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٠٧٦ , ٢٠٧٦، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٨١٧، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٣٥٨٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٥٦٨٦ , ١٠٧٩٥ , ١٨٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٤٣٧ , ٥٤٣٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص١٤١،ج ٤: ص١٩١، وأخرجه أبو عوانة

وأخرج الطيالسى بسند صحيح، والنسائي، وابن حبان، والحاكم، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه"[1].

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي رافع، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كفن ميتا كساه الله من سندس وإستبرق الجنة "[2].

وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعا قال: "من عزى مصابا كساه الله حلتين من حلل الجنة لا تقوم لهما الدنيا".

وأما حلية أهل الجنة: فقال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [الحج:٢٣] وقال تعالى: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان آية ٢١].

اختلف المفسرون في الجمع بين الآيتين، فقيل: إن الأساور التى من الفضة للرجال والتى من الذهب للنساء، وقيل: إن الرجال يحلون تارة بالفضة وتارة بالذهب؛ ليجمعوا بين محاسن الحلية. وقيل: إنهم يحلون سوارا من ذهب وسوارا من فضة.

قال القرطبى: قال المفسرون: ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. قالوا: ولما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك.

وأخرج الترمذي، والحاكم وصححه، البيهقي عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ فقال: إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب.

==

الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٨٥١٣, ٨٥١١, ٨٥٠٦، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٩٥٠٩ .

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٩٥٣٤، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٤٣٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٥٤،ج ١: ص٣٦٢، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٢٠٧٣، وأخرجه عمر بن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال حديث رقم: ٤١٦، وأخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق حديث رقم: ١٠١، وأخرجه البيهقي في الآداب حديث رقم: ٣٧١.

وأخرج الطبراني، والبيهقي بسند حسن، عن أبي هريرة مرفوعا، قال: "**لو أن أدنى أهل الجنة حلية عدلت حليته بحلية أهل الدنيا جميعا لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعا** "(١).

وأخرج أبو الشيخ عن كعب الأحبار قال: (إن لله ملكا يصوغ حلى أهل الجنة من يوم خلق إلى أن تقوم الساعة، ولو أن حليا أخرج من حلى أهل الجنة لذهب بضوء الشمس).

لطيفة: أخرج الشيخان عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء**"(٢).

وأخرج النسائي والحاكم عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمنع أهل الحلية والحرير ويقول: "**إن كنتم تحبون حلية الجنة وحريرها فلا تلبسونها في الدنيا** ".

وأما أواني أهل الجنة: فقال تعالى: ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ ﴾ [الزخرف:٧١] وقال: ﴿بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ﴾ [الإنسان آية ١٥].

وأخرج البيهقي عن ابن عمرو في قوله: ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ﴾ قال: (يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس في الأخرى).

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا ﴾ قال: (آنية من فضة وصفاؤها كصفاء القوارير ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾. قال: قدرت للكف).

وقال أيضًا: (لو أخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتي تجعلها مثل جناح الذباب لم ير الماء من ورائها، ولكن قوارير الجنة بياض الفضة في صفاء القوارير).

وقال أيضًا: (ليس في الجنة شيء إلا وقد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة).

وقال أيضًا: (الأكواب الجرار من الفضة).

وقال مجاهد: (الآنية الأقداح، والأكواب المكوبات، وتقديرها: أنها ليست بالملأى التى تفيض ولا ناقصة تقدر).

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٢٦٦ ,٣٠٢.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٥٣، وابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٦٢٣، وأبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٦٦٦، وأبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم. حديث رقم: ٥٨٤، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٤٢، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ١: ص٥٦.

وأما مراكب أهل الجنة: فأخرج الطبراني والبيهقي بسند جيد عن عبد الرحمن بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل. فقلت: يا رسول الله؛ هل في الجنة خيل؟ قال: " إن أدخلك الله الجنة كان لك فيها فرس من ياقوت، له جناحان يطير بك حيث شئت "(١).

وأخرج الترمذي والبيهقي عن بريدة: أن رجلا قال: يا رسول الله؛ هل في الجنة خيل؟ قال: "إن يدخلك الله الجنة فلا تشأ أن تركب على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت". قال آخر: يا رسول الله؛ هل في الجنة إبل؟ فلم يقل له مثل الذي قال لصاحبه. فقال: "إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك"(٢).

وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نعيم الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب، وأنهم يؤتون في يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة، لا تروث، ولا تبول، يركبونها حتى ينتهوا حيث يشاء الله "(٣).

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ، والأصبهاني عن على مرفوعا قال: " إن في الجنة شجرة يخرج من أعلاها حلل، ومن أسفلها خيول بلق من ذهب، سرجها وزمامها الدر والياقوت، وهن ذوات الأجنحة، خطوها مد البصر، لا تروث، ولا تبول، فيركبها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم: يا رب قد أطفئوا نورنا، من هؤلاء؟ فيقال: إنهم كانوا ينفقون وكنتم تبخلون، وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون "(٤).

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة قال: (الغنم من دواب الجنة).

وأما غلمانهم: فقال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤] أى: في بياضه وصفائه. قال مكى: يطوف عليهم غلمان في الجنة بكئوس الشراب المتقدم ذكره. وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان آية ١٩].

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٩٦، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٢٧٩.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٤٣، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٩٤.

(٣) أخرجه نعيم بن حماد في الزهد حديث رقم: ٢٣٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٤٦.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢٤٩، وأبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٥٨٨.

قال قتادة: ذكر لنا أن رجلا قال: يا نبي الله؛ هذا الخادم فكيف بالمخدوم؟ قال: "والذي نفسي بيده؛ إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب"(١). حكاه مكي.

وأخرج ابن المبارك، وهناد، والبيهقي، عن ابن عمرو قال: (إن أدني أهل الجنة منزلا من يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه، وتلا هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعا قال: "إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم"(٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى من يغدو ويروح عليه خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليس مع صاحبه).

وقد نبه غير واحد أن الولدان والحور جنس غير جنس بني آدم، وقال الثعلبي: قالت عائشة رضى الله عنها قال: النبي صلى الله عليه وسلم: " إن أدنى أهل الجنة من ينادى الخادم من خدمته فيجيبه ألف، كل يقول: لبيك لبيك ".

وقال أيضا عن أنس بن مالكك أنه تلا هذه الآية: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ إلى قوله: ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٣-٢٤] ثم قال: (إنها قبة من درة مجوفة، طولها في الهواء ستون ميلا، ليس فيها صدع ولا وصل، وفي كل زاوية منها أهل. وقال: لها أربعة آلاف مصراع من ذهب، يقوم على كل باب منها سبعون ألفا من الملائكة مع كل ملك هدية من الرحمن، ليس مع صاحبه مثلها، ولا يدخلون إلا بإذنه بينه وبينهم حجاب).

وقد مر أول الباب: أن المراد بالملك الكبير في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان آية ٢٠] ما قال مجاهد: هو استئذان الملائكة عليهم، لا يدخل عليهم إلا بإذن فراجعه.

وأما سماع أهل الجنة: فقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم آية ١٥] قال: يلذذون بالسماع. وبه قال يحيى بن كثير، والأوزاعى، وغيرهما.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ج٢١/ ٥٨٩.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢١٠.

قال الأوزاعي: ليس من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم.

وفي الثعلبي: قال إبراهيم: إن في الجنة أشجارًا عليها أجراس من فضة؛ فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحًا من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لماتوا طربا.

وقال أبو هريرة: (لأهل الجنة سماع شجرة أصلها من ذهب، وثمرها اللؤلؤ والزبرجد يبعث الله ريحا فيحرك بعضه بعضا، فما سمع أحد شيئا أحسن منه).

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة مرفوعا قال: "إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب، وفروعها من زبرجد ولؤلؤ، فتهب لها ريح، فتصفق فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه"[1].

وأخرج الأصبهاني عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله؛ هل في الجنة سماع فإني أحب السماع؟ قال: "نعم والذي نفسي بيده؛ إن الله ليوحي إلى شجر الجنة أن أسمع عبادي الذين شغلوا أنفسهم عن المعازف والمزامير بذكري، فيسمعهم بأصوات ما سمع الخلائق مثلها قط بالتسبيح والتقديس".

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال: (إذا أراد أهل الجنة أن يطربوا أوحى الله إلى رياح يقال لها: الهفافة، فدخلت في أجام قصب اللؤلؤ الرطب فحركته، فضرب بعضه بعضا فتطرب الجنة، فإذا طربت لم يبق في الجنة شجرة إلا وردت).

وأخرج ابن أبي الدنيا والضياء بسند صحيح عن ابن عباس قال: (في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام، فيخرج أهل الجنة من الغرف وغيرهم، فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا).

قلت: وهذه الشجرة شجرة طوبى كما مر ذلك عن مكي.

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال: (إن في الجنة نهرًا طول الجنة، حافتاه العذارى قياما متقابلات يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق، حتى ما يرون أن في الجنة لذة مثلها، قيل: يا أبا هريرة؛ وما ذاك الغناء؟ قال: التسبيح والتحميد والتقديس والثناء على الرب).

---

(١) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة حديث رقم: ٤٢٥.

وأخرج الطبراني والبيهقي عن أبي أمامة مرفوعا قال: **"ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزمار الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه"**(١).

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام. وإن مما يغنين: نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنه"**(٢).

وأخرج أحمد والبيهقي عن مالك بن دينار قال: (مقام داود عليه السلام عند ساق العرش، فيقول الرب: يا داود؛ مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا. فيقول: يا رب؛ كيف وقد سلبتنيه؟ فيقول: إني سأرده عليك اليوم. فيندفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنة).

لطيفة: أخرج ابن أبي الدنيا والأصبهاني عن محمد بن المنكدر قال: (إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أسكنوهم رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوا حمدى وثنائى، وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

وأخرج الدينورى عن مجاهد قال: (ينادى مناد يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أصواتهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشياطين؟ قال: فيجعلهم الله في رياض الجنة من مسك. فيقول للملائكة: أسمعوا عبادى تحميدى وتمجيدى، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

وأما سوق أهل الجنة: فأخرج مسلم عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إن في الجنة لسوقا، فيها كثبان من المسك يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالًا، فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا،**

---

(١) أخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١٦١٨، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٧٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٢٥٩، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٤٩١٧.

فيقول لهم أهلوهم: والله؛ لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا. فيقولون: وأنتم والله لقد إزددتم بعدنا حسنا وجمالا"(١).

وفي الترمذي عن سعيد بن المسيب: أنه لقى أبا هريرة رضي الله عنه، فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. قال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور، وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا، وفيه قال: ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة، حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان؛ أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب تغفر لي؟ فيقول: بلى، فسعة مغفرتي بلغت بك منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط. ويقول ربنا: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة لم تنظر العيون إلى مثله، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا. قال: فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم من دنى، فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا فيتلقانا أزواجنا، فيقلن: مرحبا وأهلا؛ لقد جئت وإن بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار"(٢). الحديث.

وأخرج الترمذي والبيهقي وابن أبي الدنيا عن على مرفوعا قال: "إن في الجنة لسوقا، ما فيها لا بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها"(٣). قال الترمذي: حديث غريب.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٤، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٣٦٢١.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٤٩، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٣٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٣٨.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٥٠.

وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعا قال: "إن في الجنة لسوقا، ما فيها لا بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء، فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها"(١). قال الترمذي: حديث غريب.

وأخرج الطبراني عن جابر مرفوعا قال: "إن في الجنة لسوقا، لا يباع فيه ولا يشترى، ليس فيها إلا الصور، فمن أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها".

وأما زرع أهل الجنة: فأخرج البخارى عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع (٢) فقال له: ألست فيما شئت؟ قال: بلى، ولكني أحب أن أزرع. قال: فبذر فبادر الطرف نباته واستواه واستحصاده، فكان أمثال الجبال، فيقول الله: دونك يا ابن آدم؛ فإنه لا يشبعك شيء "(٣).

وأخرج الطبراني وأبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعا قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قام رجل فقال: يا رب؛ ائذن لي في الزرع. فيأذن له، فيبذر حبة فلا يلتفت حتى يكون طول كل سنبلة اثنى عشر ذراعًا، ثم لا يبرح مكانه حتى يكون منه ركام أمثال الجبال "(٤).

وأما زيارة أهل الجنة إخوانهم: فأخرج البزار، والبيهقي، وابن أبي الدنيا، وأبو الشيخ بسند حسن، عن أنس مرفوعا قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء بسرير هذا حتى يحاذى سرير هذا، فيتحدثان، فيتكئ هذا ويتكئ هذا، ويتحدثان بما كان في الدنيا، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان؛ أتدرى يوم غفر الله لنا يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغُفِرَ لنا "(٥).

وأخرج الطبراني وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب مرفوعا قال: "إن أهل الجنة يتزاورون على نجائب بيض كأنهن الياقوت، وليس في الجنة من البهائم إلا الإبل والطير"(٦).

---

(١) أخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ٩.

(٢) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٩٢.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٢٣٤٨.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧٢٧٢، وأبو الشيخ في العظمة رقم: ٥٩١.

(٥) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٦٦٨، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٩٩، وأبو الشيخ في العظمة حديث رقم: ٦١٠.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٤٠٦٩، وابن أبي الدنيا في صفة الجنة رقم: ١٠١.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: (إن أهل الجنة ليتزاورون على العيس الجون، عليها رجال ملس تثير مناسمها غبار المسك، خطام أحدها خير من الدنيا وما فيها).

(العيس): إبل في بياضها ظلمة خفيفة. (والمناسم) بنون وسين مهملة: جمع منسم وهو باطن خف البعير.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، والضياء وحسنه، عن عائشة قالت: "جاء رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله؛ إنك لأحب إليّ من نفسي، ومن أهلي، ومن ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك وما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك؛ فإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك. فلم يرد عليه شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء آية ٦٩]".

وسيأتي زيارة أهل الجنة ربهم ونظرهم إليه آخر الكتاب وهى الخاتمة.

فصل في أدنى أهل الجنة منزلة

أخرج أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع درجات، وهو على السادسة، وفوقه السابعة، وإن له ثلاث مائة خادم، ويغدى عليه كل يوم ويراح بثلاث مائة صحفة من ذهب، في كل صحفة لون ليس في الأخرى، وإنه ليلذ آخره كما يلذ أوله. وإنه ليقول: يا رب؛ لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم، ولم ينقص مما عندي شيء، وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة، وإن الواحدة منهن ليأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض"[1].

وأخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وينصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء"[2].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٠٥٤٩، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة رقم: ١٠٢٣٦.

(٢) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٣٢٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٠١، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٤٠٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٢١٦.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة قال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنى من يغدو ويروح عليه خمسة عشر ألف خادم، ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليس مع صاحبه).

وفي الثعلبي: (أن أدنى أهل الجنة من ينادى الخادم من خدمته، فيجيبه ألف، كل يقول: لبيك لبيك).

وعن الحسن البصرى مرفوعا: "أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لها أجنحة من ذهب: ﴿إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان آية ٢٠] ".

وأخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة رفعه قال: "سأل موسى ربه فقال: يا رب؛ أخبرني بأدنى أهل الجنة منزلة. قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: إى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وقد أخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت. فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت يا رب. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك. قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر"[1].

وأخرج مسلم أيضًا عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيرجع فيقول الله: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأي، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأي، فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، فيقول: أتسخر بى وأنت الملك؟ فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه، فكان يقال: ذلك أدنى أهل الجنة منزلة "[2].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٨، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٢٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٢٩، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٣٥.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٧١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٨، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣٣٩، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٤٢٨.

وأخرج مسلم أيضًا عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين. فترفع له شجرة فيقول: إي رب أدنني من هذه الشجرة فلأستظل بظلها وأشرب من مائها. فيقول الله: يا بن آدم؛ لعلى إن أعطيتكها تسألنى غيرها، فيقول: لا يا رب. ويعاهده ألا يسأله غيرها وربه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول: أى ربى أدننى من هذه لأشرب منها من مائها وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا بن آدم؛ ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها؟ فيدنيه منها، ثم يرفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأولين، فيقول: أى رب أدننى من هذه لا أسألك غيرها. فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أى رب أدخلنيها، فيقول: أيرضيك إن أعطيتك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يارب؛ أتستهزئ بى وأنت رب العالمين؟! فيقول: إني لا أستهزئ منك ولكنى على ما أشاء قادر"(١).

وفي الترمذي عن ابن عمر مرفوعا قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة آية ٢٢-٢٣]"(٢).

وفي مسلم عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة". وفي طريق آخر قال: "يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ثم ينشيء الله لها خلقا ما شاء"(٣).

وأخرج الدارقطني، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي الدنيا، من طرق حديث ابن مسعود الطويل، وفيه قال عن الذي يمر ونوره على إبهام

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٩٠، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٣٧٠٦.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٣٣٠، وعبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٨١٩.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٣٨٢، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٤٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٥٢٤، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٣١٠.

قدمه فيحثو على وجهه ويديه ورجليه: "تخر يد وتعلو يد وتخر رجل وتعلق رجل، فلا يزال كذلك حتى يخلص، فإذا خلص وقف عليها فقال: الحمد لله الذي نجاني منك، فقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا، فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة من خلل فيقول: يا رب أدخلني الجنة، فيقول الله: أتسألني الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول: يا رب اجعل بيني وبينها حجابًا، لا أسمع حسيسها. فيدخل الجنة ويرفع له منزل أمام ذلك، فيقول: يا رب أعطني ذلك المنزل. فيقول الله له: فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره. فيقول: لا وعزتك يا رب. وأي منزل يكون أحسن منه فيعطى ويسكت. فيقول الله: ما لك لا تسأل؟ فيقول: يا رب قد سألتك حتى استحيتك وأقسمت حتى استحييتك. فيقول الله: ألم ترض أن أعطيك مثل الدنيا منذ خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافها؟ فيقول: أتهزأ بي وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب تعالى من قوله، فيقول: لا ولكني على ذلك قادر سل. فيقول: ألحقني بالناس، فيقول: الحق بالناس. فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنى من الناس رُفع له قصر من درة مجوفة، فيخر ساجدا، فيقال: ارفع رأسك ما لك؟ فيقول: رأيت ربي. فيقال: إنما هذا منزل من منازلك. فينطلق فيستقبله رجل فيقول: أنت ملك؟ فيقول: إنما أنا خازن من خزانك، وعبد من عبيدك، تحت يدي ألف قهرمان غلى مثل ما أنا عليه، فينطلق أمامه فيفتح له القصر وهو من درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، فتستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء سبعون ذراعًا، فيها ستون بابًا، كل باب يفضي إلي جوهرة خضراء مبطنة بحمراء، كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف، فيدخل فإذا هو بحوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفا، عما كان قبل ذلك فيقول: لقد ازدادت في عيني سبعين ضعفًا. وتقول له مثل ذلك فيقال له: أشرف. فيشرف. فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصرك. فقال عمر رضي الله عنه عند ذلك: يا كعب؛ ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد عن أدنى أهل الجنة منزلا، فكيف أعلاهم؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله خلق دارا جعل فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة، ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة، ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة آية ١٧] وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء، وجعل فيهما ما ذكر من

الحرير والسندس والإستبرق وأراهما من شاء من خلقه من الملائكة، فمن كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيم الجنة إلا دخلها من ضوء نور وجهه حتى إنهم يستنشقون ريحه، ويقولون: واها لهذه الريح الطيبة، لقد أشرف علينا اليوم رجل من أهل عليين. فقال عمر: ويحك يا كعب؛ إن هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها. فقال كعب: يا أمير المؤمنين؛ إن لجهنم زفرة ما من ملك مقرب ولا نبى إلا يخر لركبتيه حتى يقول إبراهيم الخليل: نفسي نفسي. وحتى لو كان لك عمل سبعين نبيا إلى عملك لظننت أن لا تنجو منها ".

قال الحاكم: هذا صحيح وطريق الحق، قال ابن راهويه: صحيحة متصلة رجالها ثقات.

لطيفة: أخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: وما أفضل من ذلك؟ فيقول: أنا أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا"[١].

وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري، وأبى هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ينادى منادٍ: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا "[٢].

فذلك قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]. وأخرج الطبراني، والضياء وصححه، عن جابر يرفعه: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله: يا عبادى؛ هل تسألوني شيئا فأزيدكم؟ قالوا: يا ربنا؛ ما خير مما أعطيتنا. قال: رضواني أكبر"[٣].

نسأله سبحانه أن يرضى عنا، آمين.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٥١٨، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٢، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٥٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١١٤٢٥.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٣٨، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٣٢٤٦، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ٨٠٥٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٩٠٢٥.

الباب التاسع
في ذكر النار وعذابها
(أعاذنا الله تعالى منها بمنه وكرمه)

أخرج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعا: " ما رأيت مثل النار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها "(١).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تحاجت النار والجنة، فقالت النار: أوثرت بالجبارين والمتكبرين، وقالت الجنة: لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، فقال الله للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء، وقال للجنة: إنما أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تعالى رجله فتقول: قط قط. فهنالك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض، فلا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله ينشيء لها خلقا"(٢).

وأخرج الشيخان عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق آية ٣٠] حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط بعزتك وكرمك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشيء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة"(٣).

وأخرج الشيخان عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء"(٤).

وأخرج الشيخان عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء"(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٦٠١، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ٧٩١، وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ٢٧.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٤٩، ومسلم حديث رقم: ٢٨٤٨.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٨٤٨، ومسلم حديث رقم: ٢٨٤٩.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٤١، ومسلم حديث رقم: ٢٧٤٠.

(٥) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٤٧, ٥١٩٦، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٧٣٩.

وأخرج مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**ألا أخبركم بأهل الجنة؛ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار كل عتل حواظ مستكبر**"(١).

قال القرطبي: يعنى ضعيفا في أمور الدنيا قويا في أمر دينه. والعتل: الجافي الشديد الخصومة. وقيل: الأكول الشروب الظلوم. وقيل: الفظ الغليظ الذي لا ينقاد لخير. والحواظ الجموع المنوع. وقيل: الجافي القلب وقيل الكثير اللحم.

وأخرج البزار عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**أكثر أهل الجنة البله**"(٢).

قال العلماء: المراد البله في أمر دنياهم؛ لقلة اهتمامهم بها وهم في الآخرة أكياس. قال الأزهرى: الأبله: الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه. وقال القتبى: البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس.

فصل في صفة النار

أخرج الطبراني عن عمر بن الخطاب قال: جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "**يا جبريل؛ مالى أراك متغير اللون؟ قال: ما جئتك حتى أمر الله بمفاتيح النار. فقال: يا جبريل صف لي النار. قال: إن الله أمر بجهنم فأوقد عليها ألف عام حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة لا يضيء شررها ولا يطفيء لهيبها، والذي بعثك بالحق لو أن قدر ثقب إبرة فتح من جهنم لمات من في الأرض كلهم جميعا من حره، ولو أن خازنا من خزنة جهنم برز إلى أهل الدنيا فنظروا إليه لمات من في الأرض كلهم من قبح وجهه ومن نتن ريحه، ولو أن حلقة من حلق سلسلة**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٦٥٧, ٤٩١٨، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥٦, ٢٨٥٥، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٦٠٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٨٢٥٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٥٦٧٩، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٥٥١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ١٠: ص١٩٤، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٣٣٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٤٧٧، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٤٧٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٣٢٥٨, ٣٢٥٧, ٣٢٥٥، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٢٩٣.

(٢) أخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٣٣٩, ٦٣٣٩، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ٩٩٠, ٩٨٩، وأخرجه المعافى بن عمران في الزهد حديث رقم: ١٠٦.

أهل النار التى نعت الله في كتابه وضعت على جبال الدنيا لأرفضت وما تقارت حتى تنتهى إلى الأرض السفلى".

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم آية ٦] هى حجارة في النار من كبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا فأعدها للكافرين.

قال القرطبى: خصت حجارة الكبريت بذلك؛ لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب؛ سرعة الاتقاد، ونتن الرائحة، وكثرة الدخان، وشدة الالتصاق بالأبدان، وقوة حرها إذا حميت.

وقيل في هذه الأحجار: إنها الأصنام التى كانوا يعبدونها في الدنيا دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء آية ٩٨] الآية.

وحكى الثعلبي في هذه الحجارة: أن أهل النار إذا عيل صبرهم بكوا وشكوا فتنشأ سحابة فيفرحون ويرفعون رءوسهم إليها فتمطر حجارة عظاما كحجارة الرحا فتزداد النار التهابا وإيقادًا كنار الدنيا إذا زيد حطبها زاد لهبها. وذكر بعضهم أن ذلك خاص بنار الكافرين.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نار بنى آدم التى يوقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم. قالوا: يا رسول الله؛ إن كانت لكافية. قال: فإنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها "[1].

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: "هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم"[2].

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، ولو أنها غمست في البحر مرتين ما

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٦٥، ومسلم حديث رقم: ٢٨٤٥.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم:٨٧٢٣، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٤٨.

استمتعتم بها، وايم الله إن كانت لكافية، وإنها لتدعو الله أو تستجير الله أن لا يعيدها في النار أبدا"(١).

وحديث ابن مسعود: "إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من تلك النار، ولو أنها ضربت في البحر مرتين ما انتفعتم منها بشيء"(٢).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر من حرها، وأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها"(٣).

وأما شررها: فقال تعالى: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴾ [المرسلات:٢٣-٣٣]. قال ابن عباس وابن مسعود: مثل القصور والبنيان والمدائن في العظم. وقيل: الخشب العظام المقطعة، وقيل: أصول النخل والشجر العظام.

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٩٠، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣١٨، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٤٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٩٨٤٥ , ٧٢٨٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٦٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٩٣، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٢٨٨، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٨٦٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٣٣٤، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم: ٨٢٩، وأخرجه فراس بن يحيى الهمداني في مسانيد فراس رواية أبي نعيم حديث رقم: ٤٣، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٢٢٤٦، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٠٠، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ١٤٨.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم:٤٣١٨.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٦٠، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٦١٩ , ٦١٨، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٩٢، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٣١٩، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٤٥، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٢٨ , ٢٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠١٦٠ , ٩٦٣٩ , ٧٢٠٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٤٦٦ , ١٥١٠، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ١٠١٥، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ١٣٨٠ , ١٣٧٩، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٥٧٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ١: ص٤٣٧، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٦٦٨ , ٦٦٦، وأخرجه مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني حديث رقم: ١٨٤.

وأما دخانها: فقال تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة آية ٤٣] لا بارد ولا كريم. قال الثعلبي وغيره: دخان شديد السواد. وقال ابن زيد: هو جبل في جهنم يشعب إليه أهل النار وقال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات آية ٣٠]. قال الثعلبي وغيره: يعنى دخان جهنم إذا ارتفع انشعب ثلاث شعب، فأما النور فيقف على رءوس المؤمنين، والدخان يقف على رءوس المنافقين، واللهب الصافي على رءوس الكافرين.

لطيفة: أخرج البيهقي عن أبي سعيد وأبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم حار فقال العبد: **لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم؛ اللهم أجرنى من حر جهنم قال الله لجهنم: إن عبدى استجار بى منك وأني قد أجرته. وإذا كان يوم شديد البرد فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم؛ اللهم أجرنى من زمهرير جهنم، قال الله لجهنم: إن عبدى استجار بى من زمهريرك وأني قد أجرته. قالوا: وما زمهرير جهنم؟ قال: جب يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض**"[1].

وأما أبواب النار: فقال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ [الحجر آية ٤٤]. قال ابن عباس في هذه الآية: جهنم، والسعير، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم والهاوية، وهى السفلى. وقال ابن جريج أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم ثم الهاوية. حكاه الفخر وابن جرير.

وفي "الإحياء" للغزالي خلاف هذا الترتيب فقال: الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الهاوية، ثم الجحيم.

قال القرطبى: الباب الأول يسمى جهنم وهو أهون عذابا من غيره، وهو مختص بعصاة هذه الأمة وسمى بذلك؛ لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فتأكل لحومهم والهاوية آخرها وهى أبعدها قعرا.

قال الإمام الفخر: الظاهر أن جهنم والعياذ بالله طبقات، والظاهر أيضًا أن شرها أسفلها.

---

(١) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في نقض الإمام أبي سعيد على المريسي العنيد فى: ج ١: ص ٣٢٤، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٣٨٧، وأخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة حديث رقم: ٣٠٧.

وحكى الزمخشري والثعلبي والفخر: أن أصحاب الطبقة الأولى أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم ثم يخرجون. والثانية للنصارى والثالثة لليهود والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين.

وحكى الزمخشري عن ابن عباس أنه قال: جهنم لمن ادعى الربوبية، ولظى لعبدة النار، والحطمة لعبدة الأصنام، وسقر لليهود، والسعير للنصارى، والجحيم للصابئين والهاوية للمنافقين.

واختلف المفسرون في هذه الطبقات هل بعضها فوق بعض؟ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء آية ١٤٥] أو قرار جهنم مقسوم على سبعة أقسام لكل قسم باب معين قولان، قال الليث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ الدرك أقصى قعر جهنم. قال الضحاك: الطبق إذا كان بعضه فوق بعض، والدرك إذا كان بعضه أسفل من بعض.

وأخرج هناد، وابن المبارك، وأحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (أبواب جهنم هكذا، ووضع إحدى يديه على الأخرى وفرج بين أصابعه). يعني: بابا فوق باب سبعة أبواب فيملأ الأول، ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ثم الخامس ثم السادس ثم السابع.

وفي حديث لقيط بن عامر مرفوعا: **"إن الجنة لها أبواب ما منهن بابان، إلا وبينهما مسيرة الراكب سبعين عاما، وأن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان، إلا وبينهما مسيرة الراكب سبعين عاما"**[١].

أخرجه عبد الله بن أحمد، والطبراني، والحاكم وصححه، وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا وجبة. فقال: **"أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: إن هذا حجر أُرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حتى انتهى إلى قعرها"**[٢].

وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: سمع النبي صلى الله عليه وسلم صوتا هاله فأتاه جبريل فقال: **"ما هذا الصوت يا جبريل؟ فقال: هذه صخرة هوت من شفير جهنم من**

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٦٠.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٧١٢٥، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم:٧٧٣١.

سبعين عاما، فهذا حين بلغت قعرها فأحب الله أن يسمعك صوتها فما رُئي رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ملء فيه حتي قبضه الله"[١].

وأخرج الترمذي عن عتبة بن غزوان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم، فتلقي فيها سبعين عاما ما تفضى إلى قرارها"[٢]. قال: وكان عمر يقول: أكثروا ذكر النار؛ فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامعها حديد.

لطيفة: أخرج الشيخان عن أبي هريرة: سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن العبد يتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب"[٣].

وفي الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها سبعين خريفا في النار "[٤].

وعن عطاء الخراساني: (إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكربا وحرا وأنتنها ريحا للزناة الذين ركبوا بعد العلم).

وأما أودية جهنم وجبالها ونحوها: فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة آية ١]. وقال تعالى: ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدثر آية ١٧].

أخرج أحمد والترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وابن أبي الدنيا وهناد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ويل: وادى في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره، والصعود: جبل في النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى وهو كذلك أبدا "[٥].

وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن أبي سعيد موقوفا وقال ابن مسعود: (ويل: وادى في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار جعل للمكذبين).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم:٨٩٥.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٧٥.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٤٧٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٩٩٠.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣١٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧١٧٤.

(٥) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣١٦٤، وأحمد في مسنده حديث رقم: ١١٣١٥، والطبري في جامع البيان ج٢/ ١٦٧، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٦٧.

وقال النعمان بن بشير: (الويل: وادٍ من قيح في جهنم لو سيرت فيه الجبال لانماعت من حره).

وأخرج ابن جرير عن عثمان بن عفان مرفوعا قال: (الويل جبل في النار).

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم آية ٥٩] الغي: وادٍ في جهنم. وقيل: نهر في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم، وقيل: نهر حميم في النار يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات.

وفي حديث أبي أمامة: (قلت: وما غي وآثام؟ قال: نهران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكر الله في كتابه: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ يلق آثاما).

وفي تفسير القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [الكهف آية ٥٢] قال أنس بن مالك: هو واد في جهنم من قيح ودم. وعن عكرمة: هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافته حيات مثل البغال الدهم، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار.

وأخرج ابن المبارك عن شفي الأصبحي قال: (إن في جهنم جبلا يدعى: صعودا. يطلع فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يرقاه. وإن في جهنم قصرا يقال له: هوى. يُرمى الكافر من أعلاه فيهوى أربعين خريفا قبل أن يبلغ أصله. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه:٨١] وإن في جهنم واديًا يدعى: آثاما. فيه حيات في فقار إحداهن مقدار سبعين قلة من السم والعقرب منهن مثل البغلة الموكفة وإن في جهنم واديا يدعى: غيا. يسيل قيحًا ودمًا).

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك آية ١١] قال: (سحق: وادٍ في جهنم).

واختلف المفسرون في الفلق، فأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير عن كعب قال: (الفلق بيت في جهنم إذا فتح صاح أهل النار من شدة حره).

وقال ابن عباس: (الفلق سجن في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من حره).

وقال الكلبي: (الفلق واد في جهنم). وقال ابن عمر: (شجرة في النار). وقال السدى: (جب في جهنم).

وحكى مكى عن أبي هريرة مرفوعا قال: "**الفلق جب في جهنم مغطى**"[١]. وقيل: الفلق اسم من أسماء جهنم.

وقال جابر بن عبد الله، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، والقرطبي، وأبو زيد: (الفلق هو الصبح). وقال عمر بن عبسة: (الفلق: بئر في جهنم إذا سعرت جهنم فمنه تسعر وإن جهنم لتتأذى بها كما يتأذى بنو آدم من جهنم).

وأخرج البيهقي عن على مرفوعا قال: "**تعوذوا بالله من جب الحزن. قيل: يا رسول الله؛ وما جب الحزن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعده الله للقراء المرائين**"[٢].

وأخرج الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة مرفوعا قال: " **تعوذوا بالله من جب الحزن، قالوا: وما جب الحزن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة**"[٣].

ولفظ ابن ماجة: " **أربع مائة** ". قيل: يا رسول الله من يدخله؟ قال: "**القراء المراءون بأعمالهم**". نعوذ بالله من ذلك.

وأخرج ابن المبارك والضياء عن أبي هريرة مرفوعا قال: " **إن في جهنم واد يقال له: ململم. إن أودية جهنم تستعيذ بالله من حره**".

وأخرج البخارى في التاريخ والبيهقي وابن عساكر وابن منده عن الحجاج الثمالى الصحابى: أن نفير بن مجيب حدثه -وكان من قدماء الصحابة- قال: (إن في جهنم سبعين ألف وادٍ، في كل وادٍ سبعون ألف شعب، في كل شعب سبعون ألف دار، في كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف بئر، في كل بئر سبعون ألف ثعبان، في شدق كل ثعبان سبعون ألف عقرب، لا ينتهى الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك كله).

وأخرج أبو نعيم عن حميد بن هلال قال: (حُدِثْتُ أن في جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض، تضيق على أقوام بأعمالهم).

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢٤: ص ١٩٦،ج ٢٤: ص ٧٤٢.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٠٩٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٨١.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٣٨٣.

وأخرج ابن وهب عن كعب قال: (إن في النار بئرا ما فتحت أبوابها بعدما غلقت، ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله إلا وتستعيذ بالله من شر ما في تلك البئر، مخافة أن يكون فيها من عذاب الله ما لا طاقة لها به، ولا صبر لها عليه، وهى الدرك الأسفل من النار).

وفي الثعلبي عن عبد الله بن مسعود: (إن في الدرك الأسفل من النار توابيت من حديد تطبق عليهم، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[النساء آية ١٤٥]).

وأما سرادق النار: فقال تعالى: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف آية ٢٩]. واختلف المفسرون في تفسير السرادق على أقوال: أحدها لابن زيد: أنه حائط من نار محيط بهم كسرادق الفسطاط. وقال ابن عباس ونحوه للكلبي قال: هو عنق يخرج من النار محيط بالكفار كالحظيرة.

وثانيها لمعمر: هو دخان محيط بالكفار يوم القيامة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ ﴾ [المرسلات آية ٣٠].

وثالثها: هو البحر المحيط الذي في الدنيا: (أحاط بهم سرادق الدنيا). أى: بحرها المحيط بها.

قال مكى: وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "البحر هو جهنم، وتلا هذه الآية، وقال: لا أدخله أبدا ما دمت حيا ولا تصلني منه قطرة".

وأخرج أحمد والبيهقي بسند رجاله ثقات عن يعلى بن أمية: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " البحر هو جهنم"[1].

وأخرج البيهقي عن ابن عمر مرفوعًا قال: "لا يركب البحر إلا غازٍ أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر نارًا".

وأخرج أحمد، والترمذى، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لسرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة"[2].

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٧٥٠٠، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٩٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ٤: ص٣٣٤، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٥٢ , ٤٥١، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٥: ص ٢٤٦.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٩٩٩٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٦٠٠، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٣٨٩، وأخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده حديث رقم: ١٣١.

وأما حيات النار وعقاربها: فقال تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل:٨٨]. قال المفسرون في هذه الآية: (زيدوا عقارب لها أنياب كالنخل الطوال). صحح ذلك الحاكم عن ابن مسعود.

وأخرج أحمد، والطبراني، والحاكم وصححه، والبيهقي، عن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن في النار لحيات كأمثال أعناق البخت، تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفا، وإن في النار عقارب أمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حموها أربعين خريفا** "[1].

وأخرج ابن المبارك، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، من طريق مجاهد، عن يزيد بن شجرة، قال: (إن لجهنم جبابًا في ساحل كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخاتي وعقارب كالبغال، فإذا سأل أهل النار التخفيف. قيل: اخرجوا إلى الساحل، فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوبهم وما شاء الله من ذلك، فتكشطها فيرجعون، فيبادرون إلى معظم النار ويسلط عليهم الجرب حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم. فيقال: يا فلان هل يؤذيك؟ فيقول: نعم. فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين).

وأخرج الحاكم عن ابن عمرو مرفوعا: "**الأرض الرابعة فيها كبريت. قالوا: يا رسول الله؛ أللنار كبريت؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت، لو أرسل فيها الجبال الرواسي لماعت. والخامسة: فيها حيات جهنم إن أفواهها كالأودية تلسع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على عظم. والسادسة: فيها عقارب جهنم إن أدنى عقربة منها كالبغال الموكفة تضرب الكافر ضربة ينسيه ضربها حر جهنم**"[2]. نسأل الله العافية.

لطيفة: أخرج أبو يعلى بسند جيد عن أنس مرفوعا قال: " **الذباب كله في النار إلا النحل**"[3]. وفي الحديث: " **كل مؤذ في النار** ".

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٧٢٦٠، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٥٩٣.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٩٤.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٤٢٣١، وابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٢٣٣٥، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٧٥٤٨, ٧٥٤٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٤٨٢, ١٥٧٥، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٤٨٧.

قال القرطبي: وفي تأويله وجهان؛ أحدهما: أن كل من أذى الناس في الدنيا فهو معذب في النار يوم القيامة. والثاني: أن كل ما يؤذى من السباع والهوام وغيرهما في النار معد لعقوبة أهل النار.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن حذيفة بن اليمان قال: أسر إليّ النبي صلي الله عليه وسلم فقال: "يا حذيفة؛ إن في جهنم لسباعا من نار، وكلابا من نار، وكلاليب من نار، وسيوفا من نار، وأنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضوًا عضوًا، ويلقونهم إلي تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضوا عاد مكانه عضوًا جديدا، وأما السلال والأغلال، والقيود، والمقامع، فقال تعالى: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ﴾ [غافر آية ٧١] وقال: ﴿ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [إبراهيم آية ٤٩]، وقال: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج آية ٢١]"[1].

أخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والبيهقي، عن ابن عمرو قال: "تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ﴾ إلى قوله: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ [غافر آية ٧٢] فقال: لو أن رصاصة من هذه ـ وأشار إلى جمجمة ـ أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمس مائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها"[2]. قال أبو عيسى: هذا إسناد صحيح.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة:٣٢] الذراع: سبعون باعا، والباع ما بينك وبين مكة، وهو يومئذ بالكوفة.

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن المنكدر قال: (لو جمع حديد الدنيا كله ما خلا منها وما بقى ما عدل حلقة من حلق جهنم).

وأخرج ابن المبارك عن كعب قال: (إن حلقة من السلسلة التى ذكر الله في كتابه مثل جميع حديد الدنيا).

وفي الثعلبي عن سويد بن نجيح: (بلغنى أن جميع أهل النار في تلك السلسلة، ولو أن حلقة منها وضعت على جبال الدنيا لذابت من حرها).

وقال ابن عباس: (لو وضعت منها حلقة على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ١٢١.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٨٨، وأحمد في مسنده حديث رقم:٦٨١٧.

وأخرج البيهقي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١] قال: (يجمع بين رأسه ورجليه ثم يقصف كما يقصف الحطب).

وقال الضحاك: (يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره).

قال الثعلبي في قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ ﴾ [الحاقة آية ٣٠] يروى أنه يجتمع على شخص واحد من أهل النار مائة ألف من الزبانية فينقطع على أيديهم فلا يرى على أيديهم منه إلا الودك ثم يعاد خلقا جديدا. وأما معنى قوله: ﴿ فَغُلُّوهُ ﴾ فهو اجمعوا يديه إلى عنقه في الحديد. ومعنى: ﴿ صَلُّوهُ ﴾ أي: اجعلوه يصلى النار العظمي. ومعنى: ﴿اسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا على ما مر.

فعن ابن عباس: (السلسلة تدخل في استه ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما تنظم الجراد في العود ثم يشوى، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم:٤٩].

قال الثعلبي: مشدودين بعضهم إلى بعض، وقيل: مقرنين بالشياطين، بيانه قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات آية ٢٢] يعني: قرناؤهم من الشياطين.

وقال ابن زيد: مقرونة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم. بالأصفاد: بالقيود والأغلال وواحدها صفد، والأصفاد أيضًا: القيد.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج آية ٢١] فقال الإمام الفخر: المقامع: السياط. قال: وفي الحديث: "**لو وضعت مقمعة منها في الأرض فاجتمع عليها الثقلان ما أقلوها**".

قال الثعلبي: مقامع من حديد واحدها: مقمعة. سُميت بذلك؛ لأنها تقمع المضروب، أي: تذله.

أخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لو أن مقمعا من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلوه من الأرض، ولو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت**"[1].

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٧٦٢٣، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٦٠٠، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٣٨٨، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٥٣، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ٥٤.

وأخرج البيهقي عن أبي صالح قال: (إذا ألقى الرجل في النار لم يكن له منتهى حتى يبلغ قعرها، ثم تجيش به جهنم فترفعه إلى أعلاها، وما على عظامه مزحة لحم فتضربه الملائكة بالمقامع فتهوى به في قعرها فلا يزال كذلك).

قال الفخر في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج:٢٢] الإعادة ما تكون إلا بعد الخروج، والمعنى هنا: أن أهل النار يرفعهم لهبها حتى إذا كانوا في أعلاها ضربوا فهووا فيها سبعين خريفا، وقيل لهم: ذوقوا عذاب الحريق.

(والحريق) الغليظ من النار العظيمة الإهلاك، والحريق المحرق مثل الأليم والوجيع.

وأخرج الطبراني في الأوسط، وابن أبي حاتم، عن يعلى بن منبه مرفوعا قال: "**ينشيء الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة، ويقال لأهل النار: أى شيء تطلبون؟ فيذكرون سحابة الدنيا فيقولون: يا ربنا الشراب، فتمطرهم أغلالا يزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب عليهم**"[1].

وأخرج الدينورى عن صالح المرى قال: بلغنى أن أهل النار يعذبون بأنواع العذاب فكلما عذبوا بنوع من العذاب نقلوا إلى نوع أشد منه فيقولون: ربنا عذبنا كيف شئت بما شئت، ولا تغضب علينا؛ فإن غضبك أشد علينا من النار، إذا غضبت ضاقت علينا الأكبال والقيود والسلاسل والأغلال. وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ [ص آية ٣٨] قال: الكبول. وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ [المزمل آية ١٢] قال: الأنكال قيود من نار.

وأخرج أبو نعيم عن الحسن بن يحيى قال: (ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبه مكتوب عليه).

وأما ثياب أهل النار وفرشهم: فقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج آية ١٩]. وقال: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم آية ٥٠]. السرابيل: جمع سربال وهو القميص. قاله الفخر. والقطران من شجر يسمى الأسل يطبخ ويطلى به الإبل الجربة فتحرق الجرب حرارته، وقد تصل حرارته إلى داخل الجوف. قاله الإمام الفخر. ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو منتن الرائحة أسود اللون، فتطلى به جلود أهل النار، حتى يصير

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٤١٠٣، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره حديث رقم: ١٨٤٤٥.

ذلك الطلى كالسرابيل وهى القمص. قال: فيحصل بسببها أربعة أنواع من العذاب: نـذع الحرقة، وإسراع النار في جلودهم، واللون الوحش، ونتن الريح. قال: وأيضًا التفاوت بين قطران القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين النارين. وفي قراءة (من قطران) وهو النحاس المذاب الشديد الحرارة. كذا أخرجه ابن جرير، عن ابن عباس، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير.

وأخرج هناد، عن محمد بن كعب في قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف آية ٤١] قال: فراش. ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ قال: اللحف.

وأخرج أحمد، والبزار، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي بسند صحيح، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن أول من يُكسى حلة من النار إبليس، فيضعها على حاجبه، ويسحبها من خلفه، وذريته من بعده، وهو ينادى: يا ثبوراه. فيقال لهم: ﴿لا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [الفرقان آية ١٤]**"[١].

وأخرج أبو نعيم عن وهب بن منبه قال: (كُسي أهل النار والعري كان خيرا لهم، وأعطوا الحياة والموت كان خيرا لهم).

وأخرج مسلم عن أبي مالك الأشعري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب** "[٢].

ورواه ابن ماجة بلفظ: "**إن النائحة إذا ماتت ولم تتب قطع الله لها ثيابا من قطران ودرعا من لهب النار**"[٣].

وأما طعام أهل النار: فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ [الدخان آية ٤٣-٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء آية ٦٠] وهى شجرة الزقوم على قول أكثر المفسرين قاله الإمام الفخر.

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣١٩١ , ١٢١٥٠ , ١٢١٢٧، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٥٥، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٢٢٥، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١٧: ص ٤١٢، وأخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٥٠١١.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٩٣٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٢٤٠٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٤: ص٦٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٥٧٧، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٢٤٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٥٨١.

وقيل: هم اليهود، وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤-٦٥] قالك يعني الشياطين بأعيانهم وشبهاتهم لقبحها؛ لأن الناس إذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان وإن كان الشيطان لا يرى؛ لأن قبح صورها يتصور في النفس. قاله ابن عباس والقرطبي. وقيل: أراد بالشياطين: الحيات؛ لأن العرب تسمىٰ الحية القبيحة الخفيفة الجسم شيطانا.

أخرج الترمذي وصححه، والنسائي، وابن ماجة، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران آية ١٠٢] قال: **"لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا؛ لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه؟!"**[١].

وأخرج عبد الله بن أحمد، وأبو نعيم عن أبي عمران الجونى في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ [الدخان آية ٤٣] قال: بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها.

وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ [الغاشية:٦-٧]. اختلف المفسرون في الضريع.

فقال عكرمة: (الضريع: الشبرق شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض، فهو شوك تسميه قريش الشبرق ولا يقربه دابة ولا ترعاه إذا كان رطبا، فإذا يبس فهو ضريع، وهو سم وهو أخبث الطعام وأشنعه). قاله ابن عباس. وحكاه مكى عن عطاء أنه الشبرق. قال: وروي عن مجاهد، وقتادة، قال مكى: وعلى هذا القول كثير من أهل اللغة.

(والشبرق): شجر كثير الشوك تعافه الإبل، وأهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس، وغيرهم يسمونه الشبرق.

وقال ابن جبير: (الضريع: هو الحجارة). أخرجه ابن جرير، وهو قول لعكرمة.

وقال الحسن: (الضريع: الزقوم). وهو قول لابن جبير أخرجه ابن أبي حاتم.

وفي قول لابن عباس: (هو شيء تطرحه الأرض المالحة تسميه العرب من أهل اليمن: الضريع). وقال ابن زيد: (الضريع: هو الشوك اليابس وهو في الآخرة شوك من نار). أخرجه ابن جرير. وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي طلحة عن ابن عباس قال: (الضريع شجر من نار).

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم:٢٥٨٥، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٠٠٤.

وأخرج عبد الله بن أحمد من طريق نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس مرفوعا: "الضريع شيء يكون في النار أشبه الشوك، أمر من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حرا من النار، إذا طعمه صاحبه لا يدخل البطن، ولا يرتفع إلى الفم، فيبقى بين ذلك لا يسمن ولا يغني من جوع".

وأخرج ابن جرير، وابن أبي الدنيا، والحاكم، والبيهقي، من طريق عكرمة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل آية ١٣]. قال: له شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج.

وأخرج الحاكم وصححه، من طريق مجاهد، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ قال: شجر الزقوم.

وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة آية ٣٦] قولان: فقيل: إن الغسلين صديد أهل النار مأخوذ من الغسل كأنه غسالة فروجهم وجوارحهم. وقيل: إنه شجر يأكله أهل النار. قاله الضحاك والربيع.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: (ما أدرى ما الغسلين؟ ولكني أظنه الزقوم).

وأخرج من طريق عكرمة: (الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم). وأخرج من طريق أبي طلحة عن ابن عباس قال: (الغسلين: صديد أهل النار).

وأما شراب أهل النار: فقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [الكهف آية ٢٩] الآية. اختلف المفسرون في المهل: فقيل هو دردي الزيت. وقيل: الذائب من الفضة والنحاس. وقيل: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت. وقيل: هو القيح والدم. وقيل: ماء أسود، وإن جهنم سوداء وشجرها أسود وأهلها سود. قاله الضحاك. وقيل: هو ضرب من القطران. حكاه الإمام الفخر في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾ [إبراهيم آية ١٧] الآية.

أخرج أحمد، والترمذي، والنسائي، والحاكم وصححه، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن أبي الدنيا، والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ ﴾ [إبراهيم آية ١٦-١٧] قال: يقرب إلى جوفه فيكره فإذا دنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره. يقول الله:

﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد آية ١٥]. ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾ [الكهف آية ٢٩].

وأخرج أحمد، والترمذى، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: " ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه، ولوأن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا"[١].

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ قال: أسود كعكر الزيت، وفي قوله: ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة آية ٥٥]. قال: شرب الإبل العطاش.

وأخرج البيهقي عن مجاهد في قوله ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾ قال: هو داء يكون في الإبل فلا تروى وفي قوله: ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾. قال: القيح والدم.

واختلف المفسرون في الغساق: فقال مجاهد: (الغساق: الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من شدة برده). أخرجه عنه هناد. وقال عطية: (الغساق: الذي يسيل من صديدهم). أخرجه هناد أيضًا. وأخرج مثله عن إبراهيم وابن رزين.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والضياء، عن كعب قال: (غساق: عين في جهنم يسيل إليها حمة، كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غير ذلك، فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيه غمسة واحدة، فيخرج وقد سقط جلده عن العظام، ويعلق في كعبيه فيجر جلده ولحمه كما يجر الرجل ثوبه).

وقال الفخر وغيره من المفسرين في قوله تعالى: ﴿ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴾ [الحج: ١٩-٢٠] الحميم: الماء الحار. قال ابن عباس: (لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها). ومعنى (يصهر) أى: يُذاب إذا صب الحميم على رءوسهم فيذيب أمعائهم.

وفي الترمذي وصححه عن أبي هريرة مرفوعا قال: "إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه، وهو الصهر ثم يعاد كما كان"[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم:٢٥٨٤، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم:٢٧٦٢١، والحاكم في المستدرك ج٤/ ٦٠٠.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٨٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٦٤٧.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية آية ٥] أن انتهى حرها فليس فوقه حر. قال الحسن: (كانت العرب تقول للشيء إذا انتهى حره حتى لا يكون شيء أحر منه: قد أني حره. فقال الله: ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ قد أوقد عليها في جهنم منذ خلقت فأني حرها). أخرجه البيهقي.

وأخرج الطبراني وابن أبي الدنيا عن أنس مرفوعا قال: **" لو أن غربا من ماء جهنم جعل في وسط الأرض لأذى نتنه، وشدة حره ما بين المشرق والمغرب، ولو أن شرارة من شرر جهنم بالمشرق لوجد حرها من بالمغرب"**[1].

وأخرج هناد عن مغيث عن سمى قال: (إذا جيء بالرجل إلى النار، قيل له: أنظر حتى نتحفك. فيؤتى بكأس من سم الأفاعى والأساود إذا أدناها إلى فيه ميزت اللحم عن حدة والعظم عن حدة).

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو نعيم، عن سعيد بن جبير قال: (إذا جاع أهل النار استغاثوا شجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلودهم ووجوههم، ولو أن مارّا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل، وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره وجوههم التى سقطت عنها الجلود، ويصهر به ما في بطونهم يمشون وأمعائهم تساقط وجلودهم، ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور).

وأخرج الترمذي، والبيهقي، عن أبي الدرداء قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيغاثون بالطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغنى من جوع، فيستغيثون بطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوتها، وإذا دخلت بطونهم قطعت بطونهم فيقولون: ادعوا خزنة جهنم فيدعوا خزنة جهنم أن ادعوا ربكم أن يخفف عنا يوما من العذاب**

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم:٣٦٨١، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ٧٥.

فيقولون: أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا: بلى، قالوا: فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال"[1]. الحديث. وسيأتي تتمته.

فصل في صفة الزبانية

قال الله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر آية ٣٠]. أي: ملكا بأعيانهم. قال الثعلبي: وعلى هذا أكثر المفسرين ولا يستبعد هذا، فإنه إذا كان ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر ملكا يقدرون على عذاب بعض الخلق، قال قتادة: والزبانية في كلام العرب الشرط، وقد وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿غِلاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم آية ٦]. وقال الثعلبي: غلاظ في أخذهم أهل النار، شداد عليهم.

ويقال: غلاظ في الأخلاق شداد في القول فظاظ أقوياء لم يخلق الله فيهم الرحمة، وهم الزبانية تسعة عشر وأعوانهم من خزنة النار.

وفي حديث أنس مرفوعا قال: "والذي نفسي بيده؛ خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام، فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم، حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والأقدام".

قال أبو عمران الجونى: (بلغنا أن خزنة جهنم تسعة عشر ما بين منكبي أحدهم مسيرة خريف، ليس في قلوبهم رحمة، إنما خلقوا للعذاب، يضرب الملك منهم الرجل فيتركه طحينا من لدن قرنه إلى قدمه).

وقال ابن جريج: وصف النبي صلى الله عليه وسلم خزنة النار فقال: "كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي، يجرون شعورهم، لأحدهم مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة، وعلى رقبته جبل فيرميهم بالنار، ويرمى بالجبل عليهم ".

وقال عمرو بن دينار: (إن واحدًا منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر).

وأخرج ابن جرير عن كعب قال: (ما بين منكبى الخازن من خزنتها مسيرة مائة سنة، مع كل واحد منهم عمود وشعبتان يدفع به الدفع يصدع به في النار سبع مائة ألف).

وأخرج هناد عن كعب قال: (يؤمر بالرجل إلى النار فيبتدره مائة ألف ملك، ورئيس الزبانية هو مالك عليه السلام، وقد ذكره الله تعالى في كتابه).

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور رقم: ٥٤٧، وأخرجه الدينوري في المجالسة حديث رقم: ٨٤٦.

قال القتبي عن طاووس: (إن الله خلق مالكًا وخلق له أصابع على عدد أهل النار، فما من أهل النار معذب إلا ومالك يعذبه بأصبع من أصابعه، فوالله لو وضع مالك إصبعا من أصابعه على السماء لأذابها).

فصل في صفة أهل النار

وأخرج أبو يعلى، والبزار، والبيهقي، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون، وفيه رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه**"[1].

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن عمرو قال: (لو أن رجلا من أهل النار خرج إلى الدنيا لمات أهل الدنيا من وحشة منظره، ونتن ريحه).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا قال: "**ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**"[2]. وأخرجه البيهقي بلفظ: "خمسة أيام".

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "**ضرس الكافر في النار مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**"[3].

وأخرج الترمذي والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: "**ضرس الكافر في النار مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعده من جهنم ما بين مكة والمدينة، وغلظ جلده اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار**"[4].

قال ابن حبان وغيره: هو ملك باليمن، له ذراع معروف المقدار. وقيل: ملك بالعجم حكى ذلك المنذرى. وقال البيهقي: أراد بلفظ: (الجبار) التهويل. قال: ويحتمل أن يريد جبارا من الجبابرة.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٦٦٧٠، وابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٥٩٥، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٤٨.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٥٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥٤.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥٣، والطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٥٠٩، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٦٥.

(٤) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٧٨.

وأخرج أحمد، والترمذي، والحاكم وصححه، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وعرض جلده سبعون ذراعا، وعضده مثل البيضاء، وفخذه مثل ورقان، ومقعده من النار مثل ما بيني وبين الربذة "[١].

وأخرج الترمذي، والبيهقي، وهناد، عن ابن عمر مرفوعا قال: "إن الكافر لَيَجُرُّ لسانه فرسخين يوم القيامة يتوطأه الناس"[٢]. ولفظ الترمذي: "الفرسخ والفرسخين".

وأخرج أحمد، وأبو يعلى، والحاكم وصححه، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مقعد الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام، وكل ضرس مثل أحد، وفخذه مثل ورقان، وجلده سوى لحمه وعظامه أربعون ذراعًا "[٣].

وأخرج أحمد، والحاكم، والبيهقي، عن مجاهد، قال: قال لي ابن عباس: (أتدرى ما سعة جهنم؟ قلت: لا، قال: إن بين شحمة أذن أحدهم وبين عاتقه مسيرة سبعين خريفا، تجرى فيه أودية القيح والدم. قلت: أنهار؟ قال: لا، بل أودية).

وأخرج أحمد، والطبراني، والبيهقي، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ، حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِ مِئَةِ عَامٍ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ"[٤].

قلت: ولا تعارض بين هذه الأحاديث، وإن أجسادهم متفاوتة في العظم على حسب جرائمهم، فسبحان القادر على كل شيء.

أخرج ابن المبارك عن أبي هريرة قال: (ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد، يعظمون لتمتلىء منهم وليذوقوا العذاب).

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٨٤٨ , ٨١٤٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٩٥،ج ٤ : ص٥٩٨، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ١٣٨٧، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٥٣، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٦٨، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ٢٢ , ٢٠.

(٢) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٨٠، وابن أبي الدنيا في الأهوال حديث رقم: ١٢٦.

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٨٤٨، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ١٣٨٧.

(٤) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم:٤٧٨٥، وأخرجه أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٤٨٤.

وأخرج ابن ماجة، والحاكم وصححه، والبيهقي، عن الحارث بن أُقَيْشٍ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون أحد من زواياها".

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في فلان: "فخذه في جهنم مثل أحد وضرسه مثل البيضاء. قلت: لم ذاك يا رسول الله؟ قال: كان عاقا بوالديه"(١).

وأما قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء آية ٥٦]. أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عمر قال: (قرىء عند عمر: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ﴾ الآية. فقال معاذ: عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة. فقال عمر: هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وأخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من وجه آخر بلفظ: (تبدل في الساعة الواحدة عشرين مرة ومائة مرة).

وأخرجه البيهقي من وجه ثالث بلفظ: (تحرق وتجدد في مقدار ساعة ستة آلاف مرة).

وأخرج البيهقي عن الحسن في الآية قال: (تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم، قيل لهم: عودوا فيعودوا كما كانوا).

وعن لبن عمر في الآية قال: (إذا احترقت جلودهم بدلوا جلودا بيضاء أمثال القراطيس).

وأخرج ابن المبارك،عن خالد بن أبي عمران بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن النار تأكل أهلها حتى إذا طلعت على أفئدتهم انتهت، ثم تعود كما كانت، ثم تستقبله فتطلع فهو كذلك أبدا فذلك قوله: ﴿نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة:٦-٧]"(٢).

وأما قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون آية ١٠٤] الآية. أخرج الترمذي وصححه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٦٨٥٧.

(٢) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع في تفسير القرآن حديث رقم: ٢٩٩.

قال: " تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته"[١].

وأخرج هناد عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ قال: (مثل الرأس النضيح بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم).

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أبي هريرة، مرفوعا قال: "إن جهنم لما سبق إليها أهلها تلقتهم بعنق فلفحتهم لفحة فلم تدع لحما على عظم، إلا ألقته على العرقوب "[٢].

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود في قوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ قال: (تلفحهم لفحة فما أبقت لحما على عظم إلا لفحته فتسيل لحومهم على أعقابهم).

وأخرج ابن مردويه والضياء عن أبي الدرداء مرفوعا قال: في قوله تعالى: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ قال: "تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم على أعقابهم".

وأخرج هناد عن أبي رزين في قوله: ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر آية ٢٩] قال: (غيرت ألوانهم حتى اسودت).

وأما بكاء أهل النار وزفيرهم: فقال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة:٨٢] وقال: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنبياء آية ١٠٠].

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ قال: (الدنيا قليل نليضحكوا فيها ما شاءوا؛ فإذا انقطعت الدنيا وصاروا إلى الله استأنفوا بكاء لا ينقطع أبدا).

وأخرج ابن ماجة، وأبو يعلى، والبيهقي، وهناد، عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع، حتى يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الأخدود، ولو أرسلت فيها السفن لجرت "[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٣١٧٦ , ٢٥٨٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١١٤٢٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٢٤٦،ج ٢: ص٣٩٥، وأخرجه عبد الله بن المبارك في مسنده حديث رقم: ١٢٦، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٨٣٠، وأخرجه أحمد بن حنبل في الزهد حديث رقم: ١٠٥، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ١٠٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٢٧٨، وأبو نعيم في الحلية حديث رقم:٦١٣٠.

(٣) أخرجه لبن ماجه حديث رقم:٤٣٢٤، والبيهقي في البعث والنشور حديث رقم:٥٩٣، والبوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٧١.

وأخرج الحاكم وصححه عن عبد الله بن قيس مرفوعا قال: " إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم"[١].

وأخرج ابن أبي الدنيا والضياء كلاهما في صفة النار، عن زيد بن رفيع رفعه: "إن أهل النار إذا دخلوا النار بكوا الدموع زمانا، ثم بكوا القيح زمانا، فتقول لهم الخزنة: يا معشر الأشقياء؛ تركتم البكاء في الدنيا، هل تجدون اليوم من تستغيثون به؟ فيرفعون أصواتهم: يا أهل الجنة؛ يا معشر الآباء والأمهات والأولاد خرجنا من القبور عطاشا، وكنا طول الموقف عطاشا ونحن اليوم عطاش، فأفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله. فيدعون أربعين سنة ثم يجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف آية٧٧]، فييأسون من كل خير"[٢].

وأخرج هناد، والطبراني، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، والبيهقي، وعبد الله بن أحمد عن ابن عمرو، قال: (إن أهل النار ينادون مالكًا: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾. فيذرهم أربعين عاما لا يجيبهم، ثم يجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾. ثم ينادون ربهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون آية ١٠٧]. فيذرهم مثلي الدنيا لا يجيبهم، ثم يجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون آية ١٠٨]، قال: فما ينبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والبيهقي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ قال: (يمكث عنهم ألف سنة ثم يجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾).

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي، عن محمد بن كعب قال: (لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربعة، فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدا. يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ فيجيبهم الله: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١١-١٢]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة آية ١٢] فيجيبهم الله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة آية ١٤]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجيبهم: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم آية ٤٤]. ثم

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٦٠٥.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ٢١١.

يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيبهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر آية ٣٧]. ثم يقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون آية ١٠٦-١٠٧] فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فلا يتكلمون بعدها أبدا).

وأخرج الترمذي والبيهقي من حديث أبي الدرداء السابق: "أنهم إذا استغاثوا بالخزنة ولم تغثهم فيقولون: ادعوا مالكا، فيدعون مالكا فيقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ فيجيبهم: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾"(١).

قال الأعمش: (أنبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم. فيقولون: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ الآية. فيجيبهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. فعند ذلك ييئسوا من كل خير، وعند ذلك أخذوا في الزفير والحسرة والويل).

وأخرج ابن أبي الدنيا عن حذيفة مرفوعًا قال: "إن الله إذا قال لأهل النار: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ عادت وجوههم قطعة لحم ليس فيها أفواه ولا مناخير، تردد النفس في أجوافهم، وإنه ليسقط عليهم حيات من نار وعقارب من نار، لو أن حية منها نفخت بالمشرق لاحترق مَنْ بالمغرب، ولو أن عقربا منها ضربت أهل النار لاحترقوا من آخرهم، وأنها لتسلط عليهم فتكون بين لحومهم وجلودهم، وأنه ليسمع لها هناك كحلبة الوحش في الغياض"(٢).

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن أبي الدنيا، والبيهقي عن ابن مسعود قال: (إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من حديد فيها مسامير من حديد، ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت من حديد، ثم قذفوا في أسفل الجحيم، فما يرى أحدهم أنه يعذب في النار غيره. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء آية ١٠٠]).

وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ [هود آية ١٠٦]. قال: (صوت شديد، وصوت ضعيف).

وعن محمد بن كعب: (الزفير من التنفس، والشهيق من البكاء). أخرجه البيهقي.

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٤٧.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ٩٦.

وأخرج أبو نعيم والبيهقي عن سويد بن غفلة قال: (إذا أراد الله أن يُنْسِيَ أهل النار جعل لكل واحد منهم تابوتا من نار على قدره، ثم أقفل عليه بأقفال من نار، ثم يجعل ذلك التابوت في تابوت آخر من نار، ثم يقفل بأقفال من نار، ثم يضرم بينهما نار، فلا يرى أحد منهم أن في النار غيره، وذلك قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر:١٦]. وقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف آية ٤١]).

وأخرج ابن أبي حاتم عن يحيى بن أسيد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عن قول الله: ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ [الفرقان آية ١٣]، قال: **"والذي نفسي بيده؛ إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط"**[1].

وعن ابن عمرو في الآية: (مثل الزج[2] في الرمح). وأخرج ابن المبارك من طريق قتادة في الآية قال: ذكر لنا أن عبد الله كان يقول: (إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج على الرمح).

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة مرفوعا قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة:٨] قال: **"مطبقة"**.

وأخرج هناد عن الضحاك في قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾ قال: (مطبقة حائط لا باب لها).

وأما أهون أهل النار عذابا: فأخرج مسلم عن النعمان بن بشير: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار، يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا، وأنه لأهونهم عذابا "**[3].

وفي البخاري عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشرا كان من نار"**[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٥٠٠٥، وأخرجه عبد الله بن وهب في الجامع في تفسير القرآن حديث رقم: ٢٧٣.

(٢) الزُّجُّ بالضم: الحديدة التي في أسفل الرمح، والجمع: زِجَجَةٌ. بوزن عنبة.

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢١٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٨٠، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٥١٧، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٩٤، وأخرجه أحمد بن حنبل في الزهد حديث رقم: ٢٣٦١.

(٤) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٦٢.

وفي البخاري أيضًا عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان، فيغلى منها دماغه كما يغلى المرجل"[١].

وأخرج مسلم عن ابن عباس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وهو متنعل بنعلين يغلى منها دماغه"[٢].

وأخرج مسلم أيضًا عن ابن عباس أنه قال: يا رسول الله؛ هل نفعت أبا طالب بشيء؛ فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: "نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار "[٣]. وفي لفظ لمسلم: "وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح"[٤].

وفي مسلم عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " يقول الله عز وجل: لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو كانت لك الدنيا وما فيها، أكنت مفتديا بها؟ فيقول: نعم. فيقول: قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك "[٥].

وفي مسلم أيضًا عن أنس قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم؛ هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يارب. ويؤتي بأشد أهل الدنيا بؤسًا من أهل الجنة فيصبغ

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٦١.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢١٤.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٨٨٣، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢١١، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٥١٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١١.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢١٢، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٨١، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٥١١، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ٤٦٥، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٢.

(٥) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٥٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٠٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١١٩٠٣، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٤١٨٦، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٠١٧٠، والبيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ٤٦٨.

في الجنة صبغة، فيقال: يا ابن آدم؛ هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط"[١].

وأما أشد أهل النار عذابا: فأخرج الشيخان عن ابن مسعود: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون"[٢].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا قال: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من شتم الأنبياء، ثم أصحابي، ثم المسلمين"[٣].

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن ابن مسعود مرفوعا قال: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيًا، أو قتله نبي، أو إمام جائر، وهؤلاء المصورون "[٤].

وأخرج البخاري في التاريخ، والطيالسي، عن خالد بن الوليد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس عذابا يوم القيامة أشدهم عذابا للناس في الدنيا "[٥].

وفي الثعلبي عن عبد الله: (أن أشد الناس عذابا يوم القيامة ثلاثة: المنافق، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون).

قال صاحب "كنز الأسرار": وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى، أما أصحاب المائدة فقال تعالى: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة آية ١١٥]، وأما آل فرعون

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٠٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٢٦٩٩، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٥٢١، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٣٦: وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ١٦٣، وأخرجه أبو الفرج ابن الجوزي في الثبات عند الممات حديث رقم: ٢٤.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٩٥٠، ومسلم حديث رقم: ٢١١١ , ٢١١٠، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ٥٣٦٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٤٧٦٧ , ٣٥٤٨، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٩٧١٠ , ٩٧٠٩، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ١١٧، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ٢٥٦، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٩٨٢ , ١٩٦٨ , ١٩٦٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٥٢١٢ , ٥٢٠٩ , ٥١٠٧، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٣٠٦.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية حديث رقم: ٥٠١٦.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٥١٥، وأبو نعيم في الحلية حديث رقم: ٥١٤٠.

(٥) أخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ١٢٥٣، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٦، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٣٨٢٤.

فقال تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر آية ٤٦]، وأما المنافقون فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء آية ١٤٥] انتهى.

وأخرج ابن المبارك عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، قال: (توابيت من حديد تطبق عليهم في أسفل النار).

وعن كعب: (إن في النار لبئرا ما فتحت أبوابها بعد، مغلقة، ما جاء على جهنم يوم منذ خلقها الله إلا وتستعيذ بالله من شرها، وهى الدرك الأسفل من النار).

وأخرج مسلم عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون"[١]. الحديث.

نسأل الله سبحانه العافية، والوفاة على الإسلام، آمين. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٦٩٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٨٤، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٤٦٤، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم١٣٧٠ ، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٤٢٨، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد فى:ج ١: ص١٥٧، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ١: ص ٥٩٢،ج ١٩: ص ٣٨٢، وأخرجه عبد الله بن المبارك في الزهد والرقائق حديث رقم: ١٢٦٩.

الباب العاشر
في مسائل متفرقة

وهو خاتمة الأبواب من هذا الكتاب، وقد أحببت أن أذكر فيه عدة مسائل، يحمدها كل طالب وسائل.

المسألة الأولى: في خلود أهل الدارين فيهما، وذبح الموت بينهما، وأنهما باقيتان لا يفنيان، ولا يفنى أهلهما.

وذهبت الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما، قال التفتازاني: وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع، وليس عليه شبهة فضلا عن حجة، وإن أهل النار خالدون فيها لا ينقطع عنهم العذاب أبدا مؤبدا، خلافا لبعض المعتزلة والخوارج. كما سيأتي.

أخرج الشيخان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم: يا أهل النار؛ لا موت. ويا أهل الجنة؛ لا موت. كل خالد فيما هو فيه"[1].

وأخرج البخارى عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " يقال لأهل الجنة: خلود ولا موت. ولأهل النار: خلود ولا موت"[2].

وأخرج الشيخان عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي مناد: يا أهل الجنة؛ لا موت. ويا أهل النار؛ لا موت. فيزداد أهل الجنة فرحا إلي فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم"[3].

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة؛ هل تعرفون هذا؟

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٤٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥٢، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٦١٠٣.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٤٥، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٤٩, ٧٤٥٠، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٢٥٤، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٣٣٤٦ , ٣٧٥، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ٢٥٧.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٤٨، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥٣، وأخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم:٥٥٨٥.

فيشرئبون، وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت. ويقال: يا أهل النار؛ هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون، وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت. فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة؛ خلود فلا موت. ويا أهل النار؛ خلود فلا موت. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [مريم آية٣٩]"(١).

قوله: (فيشرئبون) بفتح أوله وسكون المعجمة وفتح الراء بعدها تحتية مهموزة ثم موحدة مشددة، أي: يمدون أعناقهم، ويرفعون رءوسهم للنظر.

وأخرج أبو يعلى، والبزار، والطبراني بسند صحيح، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، ثم ينادي مناديا: يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا. فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. فيذبح كما تذبح الشاة فيأمن هؤلاء وينقطع رجاء هؤلاء"(٢).

وأخرج الحاكم وصححه، وابن ماجة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُؤتى بالموت في هيئة كبش أملح، فيوقف على الصراط، فيقال: يا أهل الجنة؛ فيطلعون خائفين وجلين مخافة أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. فيقال: يا أهل النار؛ فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا مما هم فيه، فيقال: أتعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. فيؤمر به فيذبح على الصراط. فيقال للفريقين: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدا "(٣).

قال في "البدور السافرة":... الموت معنى وعرض، والأعراض لا تنقلب أجسامًا فكيف يأتي في صورة كبش فيذبح؟

فنقل الحكيم الترمذي: أن مذهب السلف في هذا الحديث الوقوف عن الخوض في معناه، فنؤمن به ونكل علمه إلى الله، وذهب جماعة إلى أن الموت جسم لا عرض، وأنه مخلوق في صورة كبش، والحية في صورة فرس، قال: وهذا هو المختار عندي في الجواب. انتهى.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٧٣٠، ومسلم حديث رقم: ٢٨٥١، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٨٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار حديث رقم: ٢٥٧.

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٢٨٩٨.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج١/ ٨٣.

وقد حررت الكلام في هذا، وفي حقيقة الموت في الباب الرابع فراجعه، وذكر بعضهم: أن الذي يتولى ذبحه جبريل، وقيل: يحيى بن زكريا عليهما السلام فثبت بها قررناه أن كلا من أهل الدارين خالد أبدا فيما هو فيه من نعيم أو عذاب. وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، وأجمعوا على أن عذاب الكفار لا ينقطع، كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وخالف في ذلك أبو الهزيل من المعتزلة وغيره فقالوا: ينقطع عذاب الكفار وله غاية ونهاية، واحتجوا بالمنقول والمعقول، فاحتجوا من القرآن بآيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ﴾ [هود آية ١٠٦-١٠٧] فدل هذا النص على انقطاع عذابهم؛ لأن مدة السماوات متناهية فلزم أن تكون مدة العقاب منقطعة.

الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ [هود آية ١٠٧] استثناء من مدة عقابهم وذلك يدل على زوال العذاب.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ آية ٢٣] فبين تعالى أن لبثهم في العذاب لا يكون إلا أحقابا معدودة.

وأما المعقول: فوجهان؛ أحدهما: أن معصية الكافر متناهية ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب ما لا نهاية له ظلم، وهو على الله محال.

وثانيهما: أن العقاب ضرر خال من النفع؛ فيكون قبيحًا لأن ذلك النفع لا يرجع إلى الله تعالى؛ لتعاليه عن النفع والضرر، ولا إلى العبد لأنه ضرر محض ولا إلى أهل الجنة لأنهم مشغولون بلذاتهم، فلا فائدة لهم في الالتذاذ بعقاب دائم في حق غيرهم.

وأجاب أهل الحق عن هذه الأدلة المذكورة من وجوه، فأجابوا عن قوله تعالى: ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ بوجهين، أحدهما: أن المراد سماوات الآخرة وأرضها بدليل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم آية ٤٨] وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر آية ٧٤] وكلاهما دائم، فوجب أن يكون خلودهم وعذابهم دائما بدوامهما، ونحو ذلك للضحاك. وثانيهما: أنه تعالى خاطب العرب على ما جرى به عرف التخاطب بينهم؛ لأن التأبيد والخلود له عندهم ألفاظ كقولهم: هو باق ما أينع الثمر، وأورق الشجر وما دجى الليل، وسأل سائل، وطرق طارق وما دامت السموات والأرض.

وأجابوا عن قوله تعالى: ﴿ إِلا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾ بوجوه:

أحدها لابن قتيبة، وابن الأنباري، والفقهاء: أن هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا نعقله البتة؛ فعلى هذا هو من المتشابه.

وثانيها: أنه ليس باستثناء، وإنما إلا بمعنى سوى كما تقول لي: عليك ألف درهم إلا الألفين التي لي عليك. أي: سوى الألفين، والمعنى: خالدين فيها قدر مدة دوام السماوات والأرض في الدنيا سوى ما شاء ربك من الزيادة عليها مما لا منتهى له.

وثالثها: أن المراد من هذا الاستثناء زمان وقوفهم في الموقف؛ فكأنه قال: ففي النار مادامت السماوات والأرض إلا وقت وقوفهم للمحاسبة؛ فإنهم في ذلك الوقت لا يكونون في النار.

ورابعها: أن هذا الاستثناء راجع إلى قول الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ لأن ذكر الزفير والشهيق مع الخلود يقتضي دوام ذلك فاستثناه تعالى من ذلك.

وخامسها: أن المراد بالاستثناء إنما هو انتقالهم من النار إلى البرد والزمهرير وسائر أنواع العذاب؛ فقد ذكر المفسرون: أن الزمهرير هو البرد الشديد المفرط؛ وأنه يقع به العذاب لأهل النار كما يقع بالنار، وأنهم يخرجون من النار إلى الزمهرير فيتبادرون من شدة الزمهرير إلى النار.

وسادسها: أن الاستثناء راجع إلى خروج أهل التوحيد من النار، وهو الظاهر من هذه الأقوال، وهو قول ابن عباس وقتادة وجماعة، ومال إليه الإمام فخر الدين.

قال الثعلبي: وعلى هذا القول فالاستثناء من غير جنسه. وأجابوا عن قوله: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ بوجوه، أحدها: أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]. وثانيها: لا نسلم أن الوقوف على أحقابا، بل المعنى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ لا يذوقون في تلك الأحقاب إلا الحميم والغساق من أنواع العذاب. وثالثها: أن المعنى يلبثون فيها أحقابا، كلما مضى حقب تبعه حقب، وإنما يدل على التوقيت لو نص على العدد عشرة أحقاب، أو خمسة أو غير ذلك. ورابعها: أن المراد أحقاب لا انقضاء لها، وحذف للعلم بحال أهل النار على ما دلت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

أخرج هناد عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ قال: (الحقب: ثمانون سنة، السنة ثلاث مائة وستون يوما، كل يوم ألف سنة).

قلت: لعمري؛ إن لبث الحقب الواحد من أعظم المصائب، فكيف بأحقاب لا انقضاء لها ولا انقطاع؟ نعوذ بالله من ذلك.

وأما استدلالهم بالمعقول فالوجه الأول مبنى على التحسين والتقبيح العقلي، ونحن لا نقول به لأن الشرع هو الذي يحسن ويقبح، وأيضًا فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء؛ لأنه لا حجر عليه فيما يفعله فأفعاله بالنسبة إليه كلها حسنة جميلة، وإنما يكون الشيء قبيحًا بالنسبة إلينا.

وأما الوجه الثاني فلم لا يعود النفع لأهل الجنة ويحصل لهم الالتذاذ بعذاب الذين يعاندونهم ويعادونهم في دار الدنيا ويسفكون دمائهم على دين الله تعالى الذي أدخلهم جنات النعيم، وأدخل أعدائهم دار الجحيم؛ فثبت بهذه الأجوبة أن ما استدلوا به غير معين لهم، بل يرد عليهم مع ما تقدم من الأحاديث الصحيحة والآيات الصريحة.

قلت: ومن أصرح الآيات في الرد عليهم قوله تعالى: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ [النساء:٥٧] فإن (الأبد) عبارة عن استغراق الزمن المستقبل الذي لا انقطاع له. فتأمل، وسنذكر أحاديث أخر غير ما مر.

أخرج الطبراني، والحاكم وصححه، عن معاذ بن جبل: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فلما قدم عليهم قال: "يا أيها الناس؛ إني رسول الله إليكم يخبركم أن المرد إلى الله إلى جنة أو نار خلود بلا موت، وإقامة بلا ظعن في أجساد لا تموت"(١).

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، وابن مردويه، عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو قيل لأهل النار: إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا؛ لفرحوا بها، ولو قيل لأهل الجنة: إنكم ماكثون عدد كل حصاة؛ لحزنوا، ولكن جعل الله لهم الأبد"(٢).

وأخرج مسلم عن ابن شداد(٣) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بما يرجع"(٤).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ١٦٥١.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠٣٨٤.

(٣) هو المستورد بن شدادالقرشي ت٤٥هـ.

(٤) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٦٠، وابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم. ٧٧٧.

وأخرج الضياء عن أبي الأخوص قال: قال ابن مسعود: (أى أهل النار أشد عذابا؟ فقال رجل: المنافقون. قال: صدقت. فهل تدرى كيف يعذبون؟ قال: لا. قال: يجعلون في توابيت من حديد تصمد عليهم، ثم يجعلون في الدرك الأسفل من النار في تنانير أضيق من زج يقال له: جب الحزن).

تنبيه: قال القرطبي: وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء، فقال: إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة، وإنه جائز في العقل إن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه، فيقال: وكذا جائز أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنبياء والأولياء النار يعذبون فيها وهذا فاسد مردود، بل كل من الفريقين خالد فيما هو فيه أبدا بإجماع المسلمين.

لطيفة: قال النسفي في "بحر الكلام": سأل قوم هل يعلم الله عدد أنفاس أهل الجنة والنار أم لا؟ فإن قلتم: لا، فقد وصفتم الله بالجهل. وإن قلتم: نعم، لزم أن أهل الجنة والنار يفنون. قال: والجواب أن نقول إن الله يعلم أن أنفاس أهل الجنة والنار ليست بمعدودة ولا تنقطع. فإن قيل: إذا قلتم بأنهم لا يفنون فقد سويتم بينهم وبين الله؟ قلنا لا؛ لأن الله أول قديم بلا ابتداء، آخر بلا إنتهاء، وأهل الجنة محدثون، وإنما يبقون ولا يفنون بإبقاء الله إياهم، والله باق لا بإبقاء أحد، فلا يكون تسوية بين الخالق والمخلوق، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة الثانية: في صفة عذاب الموحدين

أخرج أبو نعيم، والضياء، عن كعب قال: (يقول الله للزبانية: انطلقوا بالمصرين من أهل الكبائر من أمة محمد إلى النار. فتأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء، فتنطلق بهم إلى النار، وما من عبد يُساق إلى النار من غير هذه الأمة إلا مسودا وجهه، وقد وضعت الأنكال في قدميه والأغلال في عنقه إلا من كان من هذه الأمة؛ فإنهم يساقون بألوانهم، فإذا وردوا على مالك قال لهم: من أى أمة أنتم؟ فما ورد عليّ أحسن وجوها منكم. فيقولون: نحن من أمة القرآن. فيُنَادى: يا مالك؛ لا تُسود وجوههم فقد كانوا يسجدون في دار الدنيا. يا مالك؛ لا تغلهم بالأغلال فقد كانوا يغتسلون من الجنابة. يا مالك؛ لا تقيدهم بالأنكال فقد طافوا حول البيت الحرام. يا مالك؛ لا تلبسهم القطران فقد خلعوا ثيابهم للإحرام. يا مالك؛ قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها. فمنهم

من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى سرته، ومنهم من تأخذه إلى صدره).

وأخرج مسلم والحاكم عن سمرة بن جندب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن من أهل النار من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته** "[1].

وأخرج مسلم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يدخل قوم النار من هذه الأمة فتحرقهم النار إلا دارات وجوههم، ثم يخرجون منها** "[2].

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن شاهين، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن أصحاب الكبائر من موحدى الأمم كلها الذين ماتوا على كبائرهم غير نادمين ولا تائبين، من دخل منهم جهنم لا تزرق أعينهم ولا تسود وجوههم، ولا يقرنون بالشياطين ولا يغلون بالسلاسل، ولا يجرعون الحميم، ولا يلبسون القطران، حرم الله أجسادهم على النار من أجل التوحيد، وحرم صورهم على النار من أجل السجود، فمنهم من تأخذه النار إلى قدميه، ومنهم من تأخذه النار إلي عقبيه، ومنهم من تأخذه النار إلي فخذيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم، فمنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها، وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى**". الحديث.

وأخرج الحكيم في "نوادر الأصول" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **إن الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمتي ثم ماتوا عليها، فهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم، ولا تزرق أعينهم، ولا يغلون بالأغلال، ولا يقرنون مع الشياطين، ولا يضربون بالمقامع، ولا يطرحون في الأدراك، منهم من يمكث فيها ساعة ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها يوما ثم يخرج، ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج، ومنهم من**

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٤٧ـ ٢٨٤٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٩٥٩٦، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٥٨٦، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦٩٧٠، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٨٥٤، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٤٩٥، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٩١.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٩٣.

يمكث فيها سنة ثم يخرج، وأطولهم مكثا فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت، وذلك سبعة آلاف سنة ".

وقال صاحب "مطامح الأفهام" قد ورد في الآثار: (أن أقصى مكث أهل النار من أهل لا إله إلا الله تسع مائة سنة).

وفي "الإحياء" للغزالي: (أن المعذبين ينقسمون إلى من يعذب قليلا، وإلى من يعذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة. قال: وذلك آخر من يخرج من النار كما ورد في الخبر).

واعلم أن العصاة من الموحدين متفاوتون في العذاب كما مر قريبا لتفاوت أعمالهم في المعصية. أخرج الشيخان عن أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يُجاء بالرجل يوم القيامة فَيُلْقَى في النار، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه، فتجتمع أهل النار عليه فيقولون: أى فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه"[١].

(الاندلاق): الخروج بسرعة. (والأقتاب): الأمعاء. واحدها قتب بكسر القاف وسكون المثناه الفوقية آخرها باء موحدة.

وأخرج الخطيب في كتاب "اقتضاء العلم العمل" عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فقالوا: بما دخلتم النار وإنما دخلنا الجنة بتعليمكم؟ قالوا: إنا كنا نأمركم ولا نفعل"[٢].

وأخرج الخطيب والطبراني من حديث الوليد بن عقبة مرفوعا مثله. وأخرجه أحمد عن الوليد بن عقبة موقوفا: "ليدخلن أمراء النار ويدخل من أطاعهم الجنة. فيقولون لهم: كيف دخلتم النار وإنما دخلنا الجنة بطاعتكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمركم بأشياء نخالف إلى غيرها".

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس مرفوعا قال: "أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل أمكنه طلب العلم في الدنيا ولم يطلبه، ورجل علم علما فانتفع به من سمعه دونه"[٣].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٦٧، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢١٢٧٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ١٠: ص٩٤، وأخرجه أبو القاسم البغوي في مسنده حديث رقم: ٥٣، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ١٨.

(٢) أخرجه الخطيب في اقتضاء العلم حديث رقم: ٧٠.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ج٥١/ ١٣٧.

وأخرج ابن المبارك عن أبي الدرداء: " أن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالما لا ينتفع بعلمه ".

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه"(١).

فإن قلت: قد مر أن أشد الناس عذابا المنافقون وورد المصورون وهنا العلماء، فكيف هذا؟ قلت: ليس المراد أن العلماء أشد الناس على الإطلاق عذابا ولا كذلك المصورون، بل أشد الناس على الإطلاق عذابا المنافقون، فمصوروهم أشد منهم، وكذا مصورو كل فرقة، والعلماء أشد عصاة أهل التوحيد عذابا. لكن هل الأشد عذابا المصور الموحد أو العالم العاصي. فتأمل.

وأخرج الطبراني، وأبو نعيم، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الزبانية أسرع إلى فسقة القراء منهم إلى عبدة الأوثان، فيقولون: يبدأ بنا قبل عبدة الأوثان؟ فيقال لهم: ليس من يعلم كمن لا يعلم".

قلت: ولا يلزم من ذلك كونهم أشد عذابا.

وأخرج الدارمي في مسنده عن عبد الله بن أبي جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار "(٢).

وأخرج ابن المبارك عن عبد الله بن مسلم: أن ابن عمر سُئِلَ عن شيء فقال: لا أدرى، ثم أتبعها فقال: (أتريدون أن تجعلوا ظهورنا لكم جسورا في جهنم، أن تقولوا: أفتانا بهذا ابن عمر).

وأخرج أبو داود والترمذى والحاكم عن ابن عمرو وأبي هريرة قالا: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سُئِلَ عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار"(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ١٨٢، وأخرجه الآجري في أخلاق العلماء حديث رقم: ٦٨ ,٦٧، وأخرجه ابن عساكر الدمشقي في ذم من لا يعمل بعلمه حديث رقم: ٧.

(٢) أخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ١٥٧.

(٣) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٦٤٩، وأبو داود حديث رقم:٣٦٥٨، والحاكم في المستدرك ج ١: ص١٠١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ١٠١٩٧، وأخرجه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه في: ج ٢: ص١٨٢.

وأخرج الأصبهاني عن أنس مرفوعًا قال: "من كان ذا لسانين في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة"[1].

وأخرج الشيخان عن أم سلمة: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في جوفه نار جهنم"[2].

وأخرج الطبراني وأبو يعلى وأبو الشيخ عن أبي هريرة مرفوعا قال: "من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة، فيقال له: كُلْهُ مَيِّتًا كَمَا أَكَلْتَهُ حَيًّا. فَيَأْكُلُهُ وَيَكْلَحُ وَيَصِيحُ".

وأخرج البزار عن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن فروج الزناة ليؤذي أهل النار نتن ريحها".

وأخرج الشيخان عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن على الله عهدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال. قيل: يا رسول الله؛ وما طينة الخبال؟ قال: عُصارة أهل النار".

وأخرج البزار عن عمران: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من شرب الخمر سقاه الله من حميم جهنم".

وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء كان حقا على الله أن يدنيه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال".

وأخرج الطبراني عن أبي هريرة مرفوعا قال: " إن النوائح يجعلن يوم القيامة صفين، في جهنم صف عن يمينهم وصف عن يسارهم، فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب"[3].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الجلواز والشرط وأعوان الظلمة كلاب النار".

---

(١) أخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٦٦٩٩، وأخرجه ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٢٦٦٦، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ٤٦٣، وأخرجه هناد بن السري في الزهد حديث رقم: ١١٣٨، وأخرجه ابن أبي عاصم في الزهد حديث رقم: ٢١٧ , ٢١٦ , ٢١٤، وأخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب حديث رقم: ٣٧٦، وأخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق حديث رقم: ٢٩٧، وأخرجه ابن عساكر الدمشقي في ذم ذي الوجهين واللسانين حديث رقم: ٨.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم:٥٦٣٤، ومسلم حديث رقم:٢٠٦٧.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٢٢٩.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم عن عدى بن حاتم قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: "**يؤمر يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها ونظروا إليها واستنشقوا ريحها نودوا: أن اصرفوهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا. قال: ذلك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطوني من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني، أجللتم الناس ولم تجلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا لى، فاليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتم من الثواب**"[1].

وأخرج البيهقي عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة، فيقال لأحدهم: هلم، فيجيء بكربه وغمه فإذا جاءه أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر فيقال له: هلم هلم فيجئ بكربه وغمه، فإذا أغلق دونه فما يزال كذلك حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب الجنة فيقال له: هلم، فما يأتيه من الإياس**"[2].

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا الكلبى عن أبي صالح في قوله تعالى: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة آية ١٥] قال: (يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا. فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إليها أُغلقت دونهم، ويضحك منهم المؤمنون، فذلك قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين آية ٣٤-٣٥]). والأخبار في هذا أونحوه كثيرة، والله سبحانه أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٤٧٨، وأخرجه أيضا في المعجم الكبير حديث رقم: ١٩٩، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٥١٥١، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٥٩٩، وأخرجه الشوكاني في الفوائد المجموعة حديث رقم: ٤٤، وأخرجه الكناني في تنزيه الشريعة ج٢/ ٢٩٨.

(٢) أخرجه البيهقي في سعب الإيمان ج٥/ ٣١٠، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان حديث رقم: ٢٨٧، وأخرجه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والنميمة حديث رقم: ١٤٨، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في طبقات المحدثين حديث رقم: ١٠٢، وأخرجه ابن أبي زمنين الأندلسي في تفسير الكتاب العزيز حديث رقم: ٦.

المسألة الثالثة: في عدم خلود العصاة من الموحدين في النار وإن ماتوا من غير توبة

وذلك مذهب أهل السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة آية ٧]، ونفس الإيمان عمل خير لا يمكن أن يري جزاءه قبل دخول النار، ثم يدخل النار لأنه باطل بالإجماع فتعين الخروج من النار، قاله السعد التفتازاني. وللأحاديث الصحيحة الآتية المصرحة بعدم خلود أهل التوحيد في النار.

قال السعد: لعل المراد لا يدخلها دخول خلود، وإلا فكثير من عصاة المؤمنين يدخلها. فتأمل قاله المؤلف عفي عنه.

وذهب المعتزلة إلى أن من أدخل النار فهو خالد فيها؛ لأنه إما كافر أو صاحب كبيرة مات بلا توبة، إذ المعصوم والتائب وصاحب الصغيرة إذا اجتنب الكبائر ليسوا من أهل النار، وصاحب الكبيرة بلا توبة مخلد في النار، وهو مذهب باطل معارض بالنصوص الدالة على عدم الخلود. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف آية ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة:٧٢]، فالجنة إنما هي محرمة على المشرك، ومساواة غير المشرك بالمشرك غلط ظاهر.

.أخرج الشيخان عن عتبان بن مالك الأنصاري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إن الله حرم النار علي من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله"**[(١)].

وأخرج الشيخان عن أبي ذر قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: **" ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق. قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق. قلت: وإن زنا وإن سرق؟ قال: وإن زنا وإن سرق وإن رغم أنف أبي ذر"**[(٢)]. وأنا أقول: على رغم أنف المعتزلة.

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم:٦٦٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٦٦٠.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٨٢٧، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٩٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٠٩٥٤، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٣٦، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٧١، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٣٩٢٠، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٩٥٧، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٠، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٣٨٦.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني مثله سواء من حديث أبي الدرداء وآخرجه: "وإن رغم أنف أبي الدرداء"[١].

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار"[٢].

وأخرج عن معاذ بن جبل: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله علي النار. قال: يا رسول الله؛ أفلا أخبر بهذا فيستبشروا؟ قال: إذن يتكلوا". فأخبر بها معاذ عند موته تأثمًا.

وأخرج أيضًا عن ابن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "لا يدخل النار أحد". لعل المراد: لا يدخلها دخول، خلود وإلا فكثير من فساق المؤمنين يدخلها. فتأمل. قاله المؤلف عفي عنه.

وأخرج أيضًا عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر".

وأخرج أيضًا عن ابن مسعود قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة"[٣].

---

(١) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٦٩٧٨ , ٢٦٩٤٤ , ٨٤٦٨، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث وقم: ١١٤٩٦ , ١٠٨٩٩ , ١٠٨٩٨، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده حديث رقم: ٣٧، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤١٢٢، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٨٢٢٣، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٢١١٣.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ٣٠، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٦٣٨، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٢٦، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ١٣٦، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٩٠١، وأخرجه الشاشي في مسنده حديث رقم: ١٢١٢ , ١٢١١، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم: ١٧٨.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٨٧ , ٦٤٤٣ , ١٢٣٨، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٩٩٣ , ٩٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٦٤٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢١٥٨٥ , ١٨٥٥٩ , ٤٢١٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٣٢٦، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٣٠، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٢٣٥ , ٢٦٧، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٨٩٧، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه حديث رقم: ٢٩٣١، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ١٠: ص١٩٠.

وأخرج أيضًا عن جابر قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله؛ ما الموجبتان؟ قال: **"من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار"**[1].

وأخرج الحاكم عن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقا من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار: لا إله إلا الله "**[2].

وأخرج الشيخان عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم: **"من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة"**[3].

قال الحافظ السيوطي: والأحاديث في ذلك زائدة على حد التواتر.

وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يقول الله: أخرجوا من النار من ذكرني يوما، أو خافني في مقام "**.

وأخرج هناد من طريق جبير، عن الضحاك، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"إن لجهنم بابين أحدهما يسمى: الجوانية، والآخر يسمى: البرانية، فأما الجوانية فالتي لا يخرج منها أحد، وأما البرانية فالتي يعذب الله فيها أهل الذنوب من أهل الإيمان ما شاء الله أن يعذبهم، ثم يأذن الله للملائكة والرسل والأنبياء ولمن شاء من**

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٩٤، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٤٧٨٨, ١٤٧٧٨، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٢٦٧، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٧: ص٤٤، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ١٩٣، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ١٠٦٠، وأخرجه البيهقي في الاعتقاد إلى سبيل الرشاد في: ج ١: ص١٥٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٤، وأخرجه البغوي في معالم التنزيل حديث رقم: ٣٨٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٧٢، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٨٢٠٩، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٥٠٠، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٣٣.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٢٢٢، ومسلم حديث رقم:٢٨، ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٤٦٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٢٠١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٥١،ج ١: ص٧٢، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ١٢، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ١٢٨، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١٠٨٨٨, ١٠٨٨٧، وأخرجه عبد بن حميد في مسنده حديث رقم: ٥٥.

عباده الصالحين فيشفعون فيخرجون منها وهم فحم، فيلقون على شاطئ نهر الجنة يسمى: نهر الحيوان، فينضح عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في الحميل، فإذا استوت أجسادهم قيل: ادخلوا النهر. فيدخلون فيشربون منه ويغتسلون فيخرجون. فيقال لهم: ادخلوا الجنة ".

وأخرج الطبراني عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، ثم يقول: وعزتي؛ لا أجعل من آمن بي ساعة من نهار كمن لم يؤمن بي"[١].

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليتمجدن الله يوم القيامة على أناس لم يعملوا خيرا قط، فيخرجهم من النار بعدما احترقوا فيدخلهم الجنة برحمته بعد شفاعة من يشفع".

وفي مسلم من حديث أبي سعيد الخدري في شفاعة أهل الجنة لإخوانهم الذين في النار يقولون: "يا ربنا؛ كانوا يصومون ويصلون ويحجون فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار. فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار أحدهم إلى نصف ساقه وإلى ركبته، ثم يقولون: يا ربنا؛ ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به"[٢]. الحديث. وقد مر الكلام على الشفاعة آخر الباب السابع قبيل ذكر الجنة.

وأخرج أحمد وأبو يعلى والبيهقي بسند جيد عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يكون قوم في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يرحمهم الله فيخرجون منها، فيكونون في أدنى الجنة فيغتسلون في نهر يقال له: الحيوان، يسميهم أهل الجنة: الجهنميين، لو ضاف أحدهم أهل الدنيا لفرشهم وأطعمهم وسقاهم وزوجهم لا ينقصه ذلك شيئا "[٣].

وأخرج الطبراني عن المغيرة بن شعبة مرفوعا قال: "يخرج قوم من النار فيسمون في الجنة: الجهنميين، فيدعون الله أن يحول عنهم ذلك الاسم". الحديث.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٤١، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٣٩٧٦، وأخرجه القشيري في الرسالة القشيرية ف: ج ١: ص ٧٥.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٦، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٤٥٩، وأخرجه البغوي في معالم التتزيل حديث رقم: ١٢٩٤.

(٣) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٤٣٢٥، والبيهقي في البعث النشور حديث رقم: ٤٣٥.

وأخرج الطبراني، وهناد، وأبو نعيم، عن أنس مرفوعا قال: "إن ناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم، فيقول لهم أهل اللات والعزى: ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله، وأنتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيخرجهم، فيلقيهم في نهر الحياة فيبرءون من حرقهم كما يبرأ القمر من خسوفه، فيدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميين ".

وأخرج البزار عن ابن عمرو قال: "يأتى على النار زمان تخفق الرياح أبوابها ليس فيها أحد". يعني: من الموحدين.

قال القرطبى: والمراد بـ(النار) هنا الطبقة العليا التى هى للعصاة من المسلمين، وقد قيل: أنه ينبت على شفيرها الجرجير.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر آية ٢] هذا حيث يجمع الله بين أهل الخطايا من المسلمين والمشركين في النار، فيقول المشركون: ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون. فيغضب الله لهم فيخرجهم بفضله ورحمته.

أخرج الطبراني بسند صحيح عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن ناسًا من أمتى يعذبون بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله أن يكونوا، ثم يعيرهم أهل الشرك فيقولون: ما نرى ما كنتم فيه من تصديقكم نفعكم؟ فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله ثم قرأ رسول الله صلي الله عليه وسلم: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾"(١).

وأخرج الطبراني، وابن أبي عاصم، والبيهقي، عن أبي موسي قال:-قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:"إذا اجتمع أهل النار في النار وقوم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا: بلى. قالوا: فما أغني عنكم الإسلام وقد صرتم معنا في النار قالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا. فلما رأى ذلك من بقى من الكفار قالوا: يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾"(٢).

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم:٥١٤٦، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٢٠٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم:٧٢٩٣، وابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٨٤٣، وابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٢٣٢٤.

وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري: أنه سُئِلَ: هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾؟ قال: نعم، سمعته يقول: "يُخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نقمته منهم، لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون: تدعون أنكم أولياء الله في الدنيا، فما بالكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم، فتشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا بإذن الله، فإذا رأى المشركون ذلك قالوا: يا ليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم، فيسمون: الجهنميين، من أجل سواد وجوههم، فيقولون: يا ربنا؛ أذهب عنا هذا الاسم، فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة، فيذهب ذلك الاسم عنهم"[1].

وأخرج ابن أبي حاتم وابن شاهين من حديث علي السابق بعد قوله: "وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تفنى، فإذا أراد الله أن يخرجهم منها، قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والأوثان لمن في النار من أهل التوحيد: آمنتم بالله وكتبه ورسله، فنحن وأنتم اليوم في النار سواء، فيغضب الله لهم غضبا لم يغضبه لشيء فيما مضى، فيخرجهم إلى عين بين الجنة والصراط، فينبتون فيها نبات الطراثيث في حميل السيل، ثم يدخلون الجنة مكتوب في جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن، فيمكثون في الجنة ما شاء الله أن يمكثوا، ثم يسألون الله أن يمحو ذلك الاسم عنهم، فيبعث الله ملكا، فيمحوه، ثم يبعث الله ملائكة معهم مسامير من نار، فيطبقونها على من بقي فيها، ويسمرونها بتلك المسامير فينساهم الله على عرشه، ويشتغل عنهم أهل الجنة بنعيمهم ولذاتهم، وذلك قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾"[2].

لطيفة: أخرج أحمد، وأبو يعلى، والبيهقي بسند صحيح، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أن عبدًا لينادي في النار ألف سنة: يا حنان يا منان، فيقول الله لجبريل: اذهب فائتني بعبدي هذا. فينطلق جبريل، فيجد أهل النار منكبين يبكون، فيرجع إلى ربه فيخبره، فيقول: ائته، فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به، فيوقفه على ربه، فيقول: يا عبدي؛ كيف

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم:٨١١٠، وعبد بن حميد في مسنده حديث رقم:٨٦٣، وابن خزيمة في التوحيد حديث رقم:٤٣٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ١٢٣٢٦.

وجدت مكانك ومقيلك؟ فيقول: يا رب شر مكان وشر مقيل، فيقول: ردوا عبدي، فيقول: يا رب؛ ما كنت أرجو إذا أخرجتني منها أن تعيدني فيها، فيقول: دعوا عبدي"(١).

وفي "الإحياء" للغزالي عن الحسن أنه قال: يخرج ذلك الرجل من النار بعد ألف عام، وليتني كنت ذلك الرجل.

وفي "مطامح الأفهام" عن بريدة، عن الحسن: أن اسم هذا الرجل هناد.

وأخرج الدارقطني، والخطيب، عن ابن عمر مرفوعا قال: (آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة يقال له: جهينة، فيقول أهل الجنة: عند جهينة الخبر اليقين، سلوه هل بقي من الخلائق أحد؟).

تنبيه: أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأماتتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل"(٢).

قال القرطبي: هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية؛ لأنه أكدها بالمصدر، وذلك تكريما لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب.

قال: فإن قال قائل: فأي فائدة حينئذٍ في إدخالهم النار، وهم لا يحسون بالعذاب؟ قلنا: يجوز أن يدخلهم تأديبا لهم، وإن لم يذوقوا فيها العذاب، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجن، فإن الحبس عقوبة لهم، وإن لم يكن معه غل ولا قيد.

قال: ويحتمل أنهم يعذبون أولا وبعد ذلك يموتون، ويختلف حالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم، ويجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم غير أن آلامهم تكون أخف من آلام الكفار؛ لأن آلام الكفار المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء، دليله ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر آية ٤٥-٤٦]. فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم:١٢٩٩٨، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٤٢١٠.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٧، وابن ماجه حديث رقم: ٤٣٠٩.

وقال صاحب "**مطامح الأفهام**": يجوز أن يريد بالإماتة المذكورة أنه أنامهم، وقد سمى الله سبحانه النوم: وفاة؛ لأن فيه نوعا من إعدام الحس.

قال وفي حديث مرفوع: "**إذا أدخل الله الموحدين النار أماتهم فيها، فإذا أرادوا أن يخرجوا منها أمسهم العذاب تلك الساعة**"(١). والله أعلم.

المسألة الرابعة: في أصحاب الأعراف

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾ [الأعراف آية ٤٨]. وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف آية ٤٦].

(الأعراف) جمع عرف: وهو كل شيء مرتفع، ومنه عرف الديك.

وقد اختلف المفسرون في الأعراف، فقيل: إنه أعالي الحجاب المضروب بين الجنة والنار، وهو السور الذي ذكره الله عز وجل في قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾ [الحديد آية ١٣]. وهو قول أكثر المفسرين، قال الفخر، وبه قال ابن عباس.

وقيل: إنه الصراط. قاله الحسن بن الفضل، وهو مروي عن ابن عباس أيضًا.

وقيل: إنه جبل أحد؛ لما جاء في الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن أحدا يحبنا ونحبه، وإنه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار، يحبس عليه أقوام يعرفون كلًا بسيماهم، وهم إن شاء الله من أهل الجنة**"(٢).

وقال الحسن البصري، والزجاج: (إن معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ﴾ أي: الذي على معرفة أهل الجنة والنار رجال يعرفون من أهل الجنة والنار بسيماهم. قيل للحسن: هم أقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم. فضرب على فخذه، فقال: هم قوم جعلهم الله تعالى على تعرف أهل الجنة والنار، يميزون البعض من البعض، والله لا أدري لعل بعضهم الآن معنا).

---

(١) أخرجه الكلاباذي في بحر الفوائد حديث رقم:١٨٥.

(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٣٩٤ , ١٣٩٤، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٣١١٥، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٢٤٥، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٣٧٢٥، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٣٢١٥، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣١٣٩ , ٢٩٤٨، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة حديث رقم: ١١٦٦، وأخرجه ابن أبي زمنين الأندلسي في تفسير القرآن العزيز حديث رقم: ١١٤.

فإن قيل: في أي حاجة إلى ضرب هذا الصور بين الجنة والنار، وقد ثبت أن الجنة فوق النار، وأن النار أسفل سافلين؟

فالجواب أن يقال: بُعد إحداهما عن الأخرى لا يمنع أن يحصل بينهما سور حجاب. أشار إليه الإمام فخر الدين.

واختلف المفسرون في أصحاب الأعراف، فقيل: إنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فما كانوا من أهل الجنة، ولا من أهل النار، فأوقفهم الله تعالى على الأعراف؛ لكونه درجة متوسطة بين الجنة والنار، ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته، وهذا قول حذيفة وابن عباس، وابن مسعود، وابن جبير، والضحاك، والشعبي.

أخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وأبو الشيخ، والبيهقي، وهناد، عن حذيفة، قال: (أصحاب الأعراف قوم قصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، جعلوا هناك حتى يقضي بين الناس، فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربهم، فقال لهم: قوموا فادخلوا الجنة، فإني غفرت لكم).

وأخرج البيهقي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يُجمع الناس يوم القيامة فيؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، ويؤمر بأهل النار إلى النار، ثم يقال لأصحاب الأعراف: ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر أمرك، فيقال لهم: إن حسناتكم تجاوزت بكم النار أن تدخلوها، وحالت بينكم وبين الجنة خطاياكم، فادخلوا بمغفرتي ورحمتي"[1].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: (من استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف). وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله.

وأخرج البيهقي عن مجاهد قال: (أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وهم على سور بين الجنة والنار، وهم على طمع من دخول الجنة وهم داخلون).

وقيل: إنهم قوم خرجوا إلى الغزو بغير إذن آبائهم، فاستشهدوا، فحبسوا بين الجنة والنار.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبو الشيخ في تفاسيرهم، والطبراني، والحارث بن أسامة في مسنده، والبيهقي، عن عبد الرحمن المزني قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف، فقال: "هم ناس قُتلوا في سبيل

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٠٣.

الله بمعصيتهم آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النار قتلهم في سبيل الله"[1].

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف، قال: "هم قوم قُتلوا في سبيل الله وهم لآبائهم عاصون، فمنعوا من الجنة بمعصيتهم آباءهم، ومنعوا من النار بقتلهم في سبيل الله".

وأخرج الطبراني بسند ضعيف، عن أبي سعيد الخدري، قال: سُئِلَ رسول الله عن أصحاب الأعراف فقال: "هم رجال قُتلوا في سبيل الله وهم عصاة لآبائهم، فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار، ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة، وهم على سور بين الجنة والنار حتى تذبل لحومهم وشحومهم، حتى يفرغ الله من حساب الخلائق، فإذا فرغ من حساب خلقه، فلم يبق غيرهم، تغمدهم منه برحمة، فأدخلهم الجنة برحمته".

وقيل: هم قوم لهم ذنوب عظام من أهل الصلاة يعفو الله عنهم، ويمسكهم في الأعراف. وهو قول لابن عباس.

أخرج ابن جرير، والبيهقي من طريق بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: (الأعراف سور بين الجنة والنار، وأصحابه رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان جسيم أمرهم لله، يقومون على الأعراف، يعرفون أهل النار بسواد الوجوه، وأهل الجنة ببياض الوجوه، فإذا نظروا إلى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها، وإذا نظروا إلى أهل النار تعوذوا بالله منها، فأدخلهم الله الجنة فذلك قوله: ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف آية ٤٩]).

وأخرج هناد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في تفاسيرهم من طريق عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: (الأعراف: السور الذي بين الجنة والنار، وأصحاب الأعراف بذلك المكان حتى إذا أراد الله أن يعافيهم انطلق بهم إلى نهر يقال له: الحياة. حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك، فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم، وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يُعرفون بها، حتى إذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى، فقال: تمنوا ما شئتم، فيتمنون حتى إذا انقطعت أمنيتهم، قال الله: لكم الذي تمنيتم، ومثله سبعون ضعفا، فيدخلون الجنة، وفي نحورهم شامة بيضاء يُعرفون بها، يسمون مساكين أهل الجنة).

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره حديث رقم: ٨٥٠٠، والطبري في جامع البيان ج١/ ٢٢١.

وقيل: أصحاب الأعراف هم الأنبياء عليهم السلام، أجلسهم الله على أعالي ذلك السور تمييزا لهم على سائر أهل القيامة، وإظهارًا لشرفهم وعلو مرتبتهم ليكونوا مشرفين على أحوالهم ومعاذيرهم وعقابهم. حكاه فخر الدين، وحكاه ابن عطية، عن الزجاج.

وقيل: (هم العباس وحمزة وعلي وجعفر ذو الجناحين، يجلسون على موضع من الصراط يعرفون محبيهم ببياض الوجوه، ومبغضيهم بسواد الوجوه). رواه الضحاك عن ابن عباس.

وقيل: (إنهم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وهم من كل أمة). حكاه الزهري.

وقيل: (إنهم قوم صالحون فقهاء علماء). أخرجه هناد، عن مجاهد.

وقيل: (إنهم هم الشهداء). قاله المهدوي، وحكاه غير واحد من المفسرين.

وقيل: (إنهم الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار بسيماهم). أخرجه البيهقي عن أبي مخلد، فقيل له: الله يقول: ﴿وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ وأنت تزعم أنهم ملائكة. فقال: الملائكة ذكور لا إناث).

وفيه نظر؛ لأن الوصف بالرجولية لا بالذكورية، قاله الفخر. قال بعضهم: ولا يبعد إيقاع لفظ الرجال عليهم كما وقع على الجن في قوله تعالى: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الجن:٦].

وقيل: (أصحاب الأعراف قوم رضي عنهم آباءهم دون أمهاتهم، أو أمهاتهم دون آبائهم، لم يدخلهم الله الجنة؛ لأن آباءهم أو أمهاتهم غير راضين عنهم، ولم يدخلهم النار لرضا آبائهم، أو أمهاتهم عنهم، فيجلسون على الأعراف إلى أن يقضي الله بين خلقه، ثم يدخلهم الجنة).

وقيل: (هم أولاد المشركين. وقيل: هم الذين يراءون الناس في أعمالهم. وقيل: هم الذين ماتوا في الفطرة، ولم يبدلوا دينهم. وقيل: هم أولاد الزنا). رواه صالح المري، عن ابن عباس.

وقيل: (هم مساكين أهل الجنة). كما مر عن ابن عباس، حكاه الفخر عن عبد الله بن الحارث.

وقيل: هم قوم يطمعون أن يدخلوا الجنة، وما جعل الله لهم ذلك الطمع فيها إلا لكرامة يريدها بهم.

قلت: فهذه ستة عشر قولا ذكرناها فيهم للمفسرين، وفي "البدور السافرة" قال: القرطبي: حاصل الخلاف في تفسير أصحاب الأعراف اثنا عشر قولا أرجحها: أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. انتهى.

قلت: ولم أر من العلماء من جمع بين الأقوال التي وردت فيهم، ويمكن الجمع بين جميع الأقوال المتقدمة، وهو أن الجميع من أصحاب الأعراف جلسوا على السور المذكور، ومنازلهم متفاوتة فمنهم الشريف كالأنبياء والشهداء والفقهاء، ومنهم الوضيع كمن استوت حسناته وسيئاته، ومن سخط عليه آباؤه أوأمهاته. فتأمل، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة الخامسة: في أطفال المسلمين والمشركين

أما أطفال المسلمين، فالجمهور على أنهم في الجنة، وحكى الإمام أحمد وغيره الإجماع على ذلك، وكذلك نص الإمام الشافعي على أنهم في الجنة؛ للأحاديث المصرحة بذلك، وقد مر بعضها عند الكلام على أرواح المؤمنين.

قال ابن عبد البر: إجماع العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة، ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت فجعلتهم في المشيئة، وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا تجوز مخالفتهم، ولا يجوز على مثلهم الغلط، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "الشقي من شقي في بطن أمه"[1]. فمخصوص.

قال النووي: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن أطفال المسلمين في الجنة. وأما قوله عليه الصلاة والسلام لعائشة حين قالت عن صبي صغير مات للأنصار: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. "يا عائشة؛ إن الله خلق الجنة، وجعل لها أهلا، وهم في أصلاب

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٤٧، وأخرجه ابن ماجه حديث رقم: ٤٦، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٦٦٠٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦١٧٧, ٦١٦٩، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٠، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى في: ج ٧: ص٤٢٢، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٤٠٥، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٤٤٧، وأخرجه البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة حديث رقم: ٣١٢, ٢٩٨، وأخرجه القضاعي في مسنده حديث رقم: ١٣٢٥، وأخرجه عبد الله بن وهب في القدر وما ورد فيه من الآثار حديث رقم: ٣٥, ٣٢, ٣١، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ١٨٨, ١٧٨, ١٧٧، وأخرجه الفريابي في القدر حديث رقم: ١٣٩, ١٣٥, ١٣١، وأخرجه ابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى حديث رقم: ٨١٠, ٨٠٧, ٨٠٢، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ١٠٥٨, ١٠٥٧, ١٠٤٧.

آبائهم، وخلق النار، وجعل لها أهلا، وهم في أصلاب آبائهم"[١]. فلعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير دليل، أو قال ذلك قبل أن يعلم أن أطفال المسلمين في الجنة.

قال المازري: وهذا التوقف على ضعفه محله في غير أولاد الأنبياء، وأما أطفال المشركين وهو المقصود هنا، فاختلف العلماء فيهم قديما وحديثا، فقيل: إنهم في النار للأحاديث الواردة في ذلك، واختاره جمهور الحنابلة، وعليه الفتوى عندهم.

أخرج أبو يعلى، عن البراء، قال: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المسلمين، قال صلى الله عليه وسلم: "هم مع آبائهم". وسُئِلَ عن أولاد المشركين، فقال: "هم مع آبائهم".

وأخرج أحمد بسند ضعيف جدا عن عائشة: أنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين، فقال: "إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار"[٢].

وقال عبد الله بن قيس: سمعت عائشة تقول: سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين، فقال: "هم مع آبائهم. قلت: بلا عمل. قال: الله أعلم بما كانوا عاملين". وسألت عن ذراري المشركين، فقال: "هم مع آبائهم. قلت: بلا عمل. قال: الله أعلم بما كانوا عاملين"[٣].

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٦٣، والنسائي حديث رقم: ١٩٤٧، وابن ماجه حديث رقم: ٨٢.

(٢) أخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٢٥٢١٤، وأخرجه علي بن الجعد الجوهري في مسنده حديث رقم: ٢٩٦٩.

(٣) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٩٩ , ٦٥٩٨ , ١٣٨٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٦٢ , ٢٦٥٩ , ٢٦٥٩، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢١٣٨، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧١٤ , ٤٧١٢ , ٤٧١١، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ١٩٥٢ , ١٩٥٠ , ١٩٤٩، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٥٦٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٩٧٣٤ , ٩٦٦٦ , ٧٢٨١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٣٣ , ١٣١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٣٧٠، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٢٠٩٠ , ٢٠٨٨ , ٢٠٨٧، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ٢٣٦٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٦: ص٢٠٢،ج ٦: ص٢٠٣،ج ٦: ص٢٠٣، وأخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار حديث رقم: ٣٨٣٠، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٩٩٥، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٧٤٦ , ٢٥٠٤ , ٥٣٩، وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ١٦٧٢ , ١٦٧١.

قال الحفاظ: الأحاديث الواردة في هذا المعنى كلها ضعيفة، لا يقوم بها حجة أو منسوخة أو محمولة على من علم الله منه الكفر لو عاش، أو على من إذا امتحن لم يدخل النار.

وقيل: إنهم في الجنة للأحاديث الواردة بذلكن قال الإمام النووي وهو المذهب الصحيح المختار الذي صار إليه المحقق لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥]. وإذا كان لا يعذب العاقل لكونه لم تبلغه الدعوة فغير العاقل أولى، ولحديث الصحيحين: **"كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه"**(١).

أخرج البخاري عن سمرة في حديث المنام الطويل: أنه صلى الله عليه وسلم مر على شيخ تحت شجرة وحوله ولدان، فقال له جبريل: **"هذا إبراهيم وهؤلاء أولاد المسلمين وأولاد المشركين، قالوا: يا رسول الله؛ وأولاد المشركين. قال: نعم، وأولاد المشركين"**.

وأخرج ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين، فقال: **"هم مع آبائهم، ثم سألته بعد ذلك فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء آية ١٥]. فقال: هم على الفطرة. أو قال: في الجنة"**.

وقيل: إنهم خدم أهل الجنة للأحاديث الواردة بذلك، ونقله النسفي في بحر الكلام عن أهل السنة والجماعة، أخرج الطيالسي عن أنس: أنه سُئِلَ عن أطفال المشركين فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لم تكن لهم سيئات فيعذبون بها، فيكونوا من أهل النار، ولم تكن لهم حسنات فيجاوزون بها، فيكونوا من ملوك أهل الجنة، هم خدم أهل الجنة"**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٧٧٥ , ١٣٨٥ , ١٣٥٨، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢١٣٨، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٥٦٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٧١٤١ , ٧٣٩٦، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٢٩، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٦: ص٢٠٣، وأخرجه مالك في الموطأ برواية مصعب الزهري حديث رقم: ٩٩٥، وأخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٤٨٠، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ١١٤٥، وأخرجه الحسن بن علي الجوهري في مسنده حديث رقم: ٥٣٨.

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٢٢٥، وأخرجه أبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤٥١٦، وأخرجه الروياني في مسنده حديث رقم: ٨٣٨، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٦٩٩٣، وأخرجه ابن أبي الدنيا في العيال حديث رقم: ٢٠٦ , ٢٠٥.

وأخرج ابن جرير عن سمرة قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال: "هم خدم أهل الجنة".

وأخرج سعيد بن منصور عن سلمان، قال: "أطفال المشركين خدم أهل الجنة"[١]. وأخرج مثله عن ابن مسعود.

قال القرطبي: يدل على أنهم في الجنة، وأنهم خدم أهل الجنة ما ذكره جماعة من العلماء بالتأويل: أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الذر، أقروا له بالربوبية، ثم أعادهم في صلبه، ثم يكتب العبد في بطن أمه شقيا أو سعيدًا على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقيا عمر حتى يجري عليه القلم، فينقض الميثاق الأول بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيدا عمر حتى يجري عليه القلم، فيؤمن فيصير سعيدا، ومن مات صغيرا من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم، فهم مع آبائهم في الجنة؛ ومن مات من أولاد المشركين قبل أن يجري عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم لأنهم ماتوا علي الميثاق.

وقيل: إنهم في مشيئة الله لا يحكم عليهم بشيء لحديث الصحيحين، وهذا ما نقل عن الحمادين وابن المبارك وابن راهويه والشافعي، ونقله النسفي عن أبي حنيفة، واختاره شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحنبلي.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سُئِلَ عن أطفال المشركين فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين"[٢].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٥٣٥٥، وأخرجه ابن أبي الدنيا في العيال حديث رقم: ٢٠٦.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٦٥٩٩, ٦٥٩٨, ١٣٨٤، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٦٦٢, ٢٦٥٩, ٢٦٥٩، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢١٣٨، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧١٤, ٤٧١٢, ٤٧١١، وأخرجه النسائي في سننه حديث رقم: ١٩٥٢, ١٩٥٠, ١٩٤٩، وأخرجه مالك في الموطأ رواية يحيى الليثي حديث رقم: ٥٦٩، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٩٧٣٤, ٩٦٦٦, ٧٢٨١، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ١٣٣, ١٣١، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢: ص٣٧٠، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٢٠٩٠, ٢٠٨٨, ٢٠٨٧، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير حديث رقم: ٢٣٦٤.

وأخرجا مثله من حديث ابن عباس، وهذان أصح الأحاديث فيهم سندا ومعنى، وقيل: إنهم يمتحنون في الآخرة للأحاديث الواردة بذلك، وهذا ما صححه البيهقي في كتاب الاعتقاد.

قال الحافظ السيوطي: وعندي أنه لا تنافي بين الأحاديث، بل نقول بما دل عليه حديث الصحيحين أنهم في المشيئة، فيمتحنون في الآخرة، فمن كتبت له السعادة أطاع لدخول النار، فيرد إلى الجنة، ومن كتب له الشقاء امتنع، فيسحب إلى النار.

أخرج البزار وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الهالك في الفترة، والمعتوه، والمولود، يقول الهالك في الفترة: لم يأتني كتاب، ويقول المعتوه: رب؛ لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرا، ويقول المولود: رب لم أدرك العقل، فترفع لهم نار، فيقال لهم: ردوها فيردها من كان في علم الله سعيدًا لو أدرك العمل، ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل، فيقول الله تعالى: إياي عصيتم فكيف لو رسلي أتتكم"**[1].

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى، وقيل: إن أطفال المشركين يكونون في برزخ بين الجنة والنار. وقيل: يصيرون ترابا، ولا دليل لذلك، فصار حاصل ما فيهم سبعة أقوال، والله سبحانه وتعالى أعلم، والأحسن الوقف، وهو أنه لا يحكم عليهم بشيء، وهو ما اختاره ابن تيمية.

أخرج ابن حبان في صحيحه والبزار عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا يزال أمر هذه الأمة مقاربا ما لم يتكلموا في الولدان والقدر"**[2]. قال ابن حبان: يعني أطفال المشركين.

المسألة السادسة: في أهل الفترة ونحوهم

وقد كثرت فيهم الأقاويل، واختلف العلماء فيهم قديما وحديثا، وأهل الفترة هم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الرسول الأول، ولم يدركوا الثاني كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى، ولا لحقوا النبي صلى الله عليه وسلم، والفترة بهذا التفسير، تشمل ما بين كل رسولين كالفترة بين نوح وهود، لكن الفقهاء إذا تكلموا في الفترة فإنما يعنون

---

(١) أخرجه علي بن الجعد الجوهري في مسنده حديث رقم: ٢٠٣٨، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ١٠٧٦.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٦٧٢٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٣.

التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وذكر البخاري عن سلمان أنها كانت ست مائة سنة، إذا تقرر هذا فأخرج البزار وأبو يعلى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يؤتى بأربعة يوم القيامة، بالمولود، والمعتوه، ومن مات في الفترة، والشيخ الفاني، كل منهم يتكلم بحجته، فيقول الرب لعنق من النار: أبرز، ويقول لهم: إني كنت أبعث إلى عبادي رسلا من أنفسهم، وإني رسول نفسي إليكم، ادخلوا هذه، فيقول من كتب عليه الشقاء: يا رب أندخلها ومنها كنا نفر، ومن كتبت له السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعا، فيقول الله: أنتم لرسلي أشد تكذيبا ومعصية، فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار"(١).

وأخرج أحمد وابن راهويه في مسنديهما، والبيهقي في كتاب الاعتقاد، وصححه الأسود بن سريع أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: "أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام، والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام، وما أعقل شيئا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعونه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا"(٢).

وأخرج الثلاثة أيضًا من حديث أبي هريرة مرفوعا مثله، غير أنه قال في آخره: "فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما، ومن لم يدخلها يسحب إليها".

وأخرج الطبراني عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلا، وبالهالك في الفترة، وبالهالك صغيرا، فيقول الممسوخ عقلا: يا رب لو أتيتني عقلا ما كان من أتيته عقلا بأسعد بعقله مني. وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك، فيقول الرب: إني آمرتكم بأمر فتطيعون، فيقولون: نعم، فيقول: اذهبوا فادخلوا النار، قال: ولو دخلوها ما ضرتهم، فيخرج عليهم فرائص فيظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٤٢٢٤.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٥٨٦٦، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣٥٧، وإسحاق بن راهويه في مسنده حديث رقم: ٤١، والبيهقي في الاعتقاد ج١/ ١٣٥.

فيرجعون سراعا، ثم يأمرهم الثانية، فيرجعون كذلك، فيقول الرب: قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون، وعلى علمي خلقتكم، وإلى علمي تصيرون، ضميهم، فتأخذهم"(١).

وأخرج البزار عن ثوبان: أن النبي صلى الله عليه وسلم عظم شأن المسألة فقال: "إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم، فيسألهم ربهم، فيقولون: ربنا لم ترسل لنا رسولا، ولم يأتنا لك أمر، ولو أرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك. فيقول لهم ربهم: أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعونني فيه، فيقولون: نعم، فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول: اعهدوا لها فادخلوها، فينطلقون حتى إذا رأوها فرقوا فرجعوا، فقالوا: ربنا فرقنا منها، ولا نستطيع أن ندخلها، فيقول: ادخلوها داخرين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو دخلوها أول مرة كانت عليهم بردا وسلاما"(٢).

قلت: كذا نقل هذه الأحاديث الأئمة الحفاظ، ونقلها السيوطي عنهم في "البدور السافرة"، ولم يتعقبها بشيء، ولعلها ليست عامة في جميع أهل الفترة، بل مخصوصة بأقوام بأعيانهم..

قال العلامة المحقق الفقيه ابن حجر الهيثمي: أعلم أن الذي قرره العلماء، وأطبق عليه الأئمة أنه لا حكم قبل ورود الشرع، وأن تحكيم المعتزلة للعقل باطل، وكذا قول بعض: إن الإيمان وحده يجب بالعقل؛ لأن أدلته بلغت من الشهرة مبلغا لا يخفي على أحد، وليس كما زعموا، فقد قامت الأدلة المقررة في الأصول أنه لا حكم قبل الشرع، ومن جملة الأدلة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ [الإسراء آية ١٥]. قال المحققون: معناه لا عذاب على أحد في شيء فعله إلا بعد أن بلغته دعوة نبي له، ولم يؤمن به. وقيل في الآية غير ذلك، ولا تعويل عليه عند المحققين؛ لأن ما قلناه هو ظاهرها الذي لا يتبادر ذهن من له أدنى ذوق إلا إليه، وإذا تقررت هذه القاعدة التى مهدها الأشاعرة، والآية ظاهرة أو صريحة فيها علم أن المدار في الاعتقادات ليس إلا ما عليه أهل السنة والجماعة.

واعلم أن الحق الواضح الجلي الذي لا غبار عليه أن أبوي النبي صلي الله عليه وسلم ناجيان لا عقاب عليهما، وكذا أهل الفترة جميعهم، وهم من لم يرسل لهم رسول يكلفهم الإيمان به، فلا يرد من كان في زمن عيسى، ومن قبله من العرب؛ لأنهم أعني أنبياء بني

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط حديث رقم: ٧٩٥٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٤: ص٤٥٠، وأبو بكر البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٤١٦٩.

إسرائيل لم يرسلوا إلى العرب، فالعرب في زمن أولئك الأنبياء أهل فترة، كما أن الصحيح أنه لم يرسل أحد غير نبينا للجن، وإنما كان إيمان فرقة من الجن بموسى تبرعا منهم، كما أن تنصر أو تهود بعض العرب، إنما كان تبرعا منهم فهم مع ذلك باقون على كونهم من أهل الفترة؛ لأن تلك الرسل لم يؤمروا بدعايتهم إلى الله، وتكليفهم الإيمان، فلزم بقاؤهم على الفترة، وقد تقرر في أهلها أنه لا عذاب عليهم، نعم من ورد فيه حديث صحيح من أهل الفترة بأنه من أهل النار، فإن أمكن تأويله فذلك، وإلا لزمنا أن نؤمن بهذا الفرد بخصوصه، وإن لم يوافق ما مهده أئمتنا؛ لأن الأدلة الجزئية لا يقضى بها على الأدلة الكلية، وقد قررنا أن الأدلة الكلية ناصة على أنه لا تعذيب إلا بعد بلوغ البعثة إليهم.

فتأمل هذا الذي قررته ووضحته لتستريح به من اختلافات مبنية على مجرد الظواهر من غير تحقيق للمآخذ، ولا تمهيد للقواعد مما لم يحط كثير من المحدثين به، فأخذوا بظواهر رووها جامدين عليها لغفلتهم عما قرره الأئمة الذين عليهم المعتمد في تحقيق العلوم النقلية والعقلية، ومن سلك في الأدلة مسلك القول بمجرد الظواهر، ولم ينظر لما قرره الأئمة ومهدوه أتعب نفسه ولم يتحصل على شيء.

ثم قال ابن حجر: فإن قلت: قال الإمام النووي في شرح حديث ما رواه مسلم: "أن رجلا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: في النار، فلما قفا دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار"[1]. فيه أن من مات على الكفر فهو في النار لا تنفعه قرابة المقربين. وفيه أن من مات في الفترة على ما كان عليه العرب من عبادة الأوثان فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء. انتهى كلام النووي.

وهذا صريح في الحكم بكفر أبيه صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل الفترة.

قلت: النووي رحمه الله تعالى مشى في ذلك على القول في أهل الفترة أن من غير منهم وعبد الأوثان فهم في النار، وأجابوا عن آية: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ بأن المراد

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٠٦، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧١٨، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٣٤٢٢، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٢٨٩، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٥٠٣، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف: ج ٧: ص١٩٠، وأخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ١٠٨٩، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٣٥١٦.

الجنس، أي: قبل بعثة رسول لأهل الأرض بخلافهم بعد ذلك، والأصح: أن المراد حتى نبعث رسولا إليهم يدعوهم إلى الإيمان به، والعرب أهل الفترة المذكورون لم يبعث إليهم نبي يدعوهم إلى الإيمان فكيف يعذبون؟ ولا يكفي بعثة الأنبياء الذين لم يرسلوا إليهم؛ لأنهم لم يصدر منهم عناد ولا جحود، فلا موجب لعذابهم وعبادتهم للأوثان مع عدم من يكلفهم بتركها لا يفيدهم العذاب إلا عند من يقول بوجوب الإيمان بالعقل، وقد سبق أن هذا قول ضعيف لا يعول عليه، فاتضح أن الحق خلاف ما جرى عليه النووي، إلا أن يئول كلامه بأن مراده بقوله، أي: على قول لبعض العلماء، ولا يلزم من ذلك أنه معتمد لهذا القول ولا جازم به، وقد سبق النووي إلى الجري على القول الضعيف الإمام الفخر الرازي في بعض المواضع، حيث قال: من مات مشركا فهو في النار، وإن مات قبل البعثة؛ لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم، واستبدلوا بها الشرك، ولم يزل معلوما من الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه في النار، ولو لم يكن إلا ما فطر الله عباده عليه من توحيد ربوبيته، وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد في الأرض معلومة لأهلها. انتهى كلام الفخر ملخصا.

وجوابه: أنه قرر أن الله لا يعذب بهذه الفطرة وحدها، وهذا هو حجتنا، وأما قوله: لم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد معلومة، فجوابه: أن كل رسول إنما أرسل إلى قوم مخصوصين، فمن لم يرسل إليهم بشريعته لا يقتضي تكليفهم بها، ولا أنهم يعاقبون على خلافها، وجواب حديث مسلم السابق يحتمل أن أبا السائل أدرك البعثة، ولم يؤمن بها، وأما أبوه صلى الله عليه وسلم، فيحتمل أنه إنما قال فيه ذلك لمصلحة إيمان السائل، بدليل أنه لم يتدارك صلى الله عليه وسلم ذلك إلا بعد ما قفا، فظهر له من حاله أنه تعرض له فتنة، فأتى له بما هو من فن البلاغة اللائقة بباهر بلاغته صلى الله عليه وسلم، وهو المشاكلة على حد ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[المائدة آية١١٦]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى آية ٤٠]، ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران آية ٥٤].

وجواب ما صح من تعذيب أهل الفترة: " كرأيت عمرو بن لحي في النار"(١). على ما أشار إليه بعض المالكية من شراح صحيح مسلم: بأنها أخبار آحاد، فلا تعارض القطع أو يقصر التعذيب على من صح فيه، والله أعلم بالسبب أو يقصر علي من بدل أو غير بما لا يعذب؛ لأن أهل الفترة منهم من أدرك التوحيد ببصيرته فبدَّل، وغيَّر، وأشرك، وحلَّل، وحرَّم.

قيل: وهم الأكثر كعمرو بن لحي وأول من سن للعرب عبادة الأصنام، وشرع الأحكام، فبحر البحيرة، وسيب السائبة، وو صل الوصيلة، وحمى الحام، فالأحاديث محمولة على هؤلاء، والآيات ناطقة بكفرهم قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ ثم قال: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة آية ١٠٣]. الآية. انتهى كلام العلامة ابن حجر مع ما نقله عن المحققين، ملخصًا.

قلت: فهذا كله كلام في غاية التحقيق لا ينبغي العدول عنه، وينبغي المصير إلى أن المعذبين من أهل كل فترة هم منشأ التغيير، وأصله الذين غيروا وبدلوا على بصيرة، وأما من بعدهم ممن ليس لهم علم بأمر التوحيد فهم معذورون عند الله تعالى وأولئك لا عذر لهم، وطبقة أهل التغيير هم الذين يمتحنون في الآخرة، فمن كان منهم من أهل الغفلة لا مدخل له في شيء من التغيير والتبديل فمن الناجين، والمغير المبدل مع من وافقه على بصيرة فمن الهالكين، وبهذا انتظمت الأحاديث الواردة في ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة السابعة: في الجن من حيث الآخرة

وقد كثرت فيهم أقوال العلماء، وقد أسلفنا الكلام عليهم في باب خلق الإنس والجن، وها نحن نذكر نبذة هنا من أحوالهم في الآخرة، وقد مر هناك أنهم مكلفون في الجملة إجماعا لقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات آية ٥٦]. ويدخل كافرهم النار إجماعا، ومؤمنهم الجنة عند الأئمة الثلاثة خلافا لأبي حنيفة، وهم فيها كغيرهم على قدر ثوابهم خلافا لبعضهم.

---

(١) أخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٥٧، وفيه: " رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَؤُلَاءِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ". وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ.

أخرج أبو الشيخ عن ابن وهب: أنه سُئِلَ: هل للجن ثواب وعقاب؟ فقال: نعم، قال الله تعالى: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٨-١٩].

وأخرج عن ضمرة بن حبيب: أنه سُئِلَ: هل يدخل الجن الجنة؟ قال: نعم، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ [الرحمن آية ٥٦]. قال: للجن حسنات وللإنس حسنات.

وأخرج من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: (الخلق أربعة: فخلق في الجنة كلهم، وهم الملائكة. وخلق في النار كلهم، وهم الشياطين. وخلقان في الجنة والنار، وهم الجن والإنس، لهم الثواب وعليهم العقاب).

وأخرج من طريق جويبر عن الضحاك قال: (الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون). وقال مجاهد: (يدخلونها، ولكن لا يأكلون ولا يشربون).

وقال بعض العلماء: إنا نراهم في الجنة ولا يروننا عكس الدنيا.

قلت: وعلى القول بدخولهم الجنة كما هو مذهب الأئمة الثلاثة، فالظاهر أنهم يرون الله تعالى. أخرج الآجري عن عكرمة قال: قيل لابن عباس: (كل من دخل الجنة يرى الله؟ قال: نعم).

وذهب بعضهم أنه لا ثواب للجن إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابا مثل البهائم. وهو قول أبي حنيفة، حكاه عنه ابن حزم.

وفي الثعلبي عن أبي الزناد قال: (إذا قضي بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، قيل لسائر الحيوانات ومؤمني الجن: كونوا ترابا. فيعودون ترابا).

وأخرج أبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال: (مسلموا الجن لا يدخلون الجنة ولا النار).

وذهب عمر بن عبد العزيز: (أن مؤمني الجن حول الجنة).

أخرج البيهقي عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب، فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنيهم، فقال: علي الأعراف وليسوا في الجنة مع أمة

محمد، فسألناه: وما الأعراف؟ قال: حائط الجنة تجري فيه الأنهار، وتنبت فيه الأشجار والثمار"(١).

قلت: وهذا لا ينافي دخولهم الجنة بعد ذلك؛ لأنه يقع لهم قبل، ثم يدخلونها كأصحاب الأعراف. فتأمل.

قال القرطبي: وثبت السؤال للجن كما للإنس. في قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنعام آية ١٣٠] الآية. وقد مر الكلام على الجن مستوفي فيما يتعلق بهم في بابه فراجعه.

المسألة الثامنة: في أسماء يوم القيامة ومقداره

إنما سُمي يوم القيامة؛ لأن الناس يقومون فيه من قبورهم لحسابهم ولقيامهم لرب العالمين ماشاء الله، وقيام الروح والملائكة صفًا.

وقد سمى الله يوم القيامة في كتابه العزيز بأسماء كثيرة نحو مائة اسم، منها ما هو في القرآن بلفظه، ومنها ما أخذ بطريق الاشتقاق، وكثرة الأسماء دالة على عظم المسمى من ذلك الساعة لقربها، أو لأنها تأتي بغتة في ساعة، أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون أسرع من اللمحة، ويوم النفخة، ويوم الزلزلة، ويوم الرجفة، ويوم الناقور، ويوم الانشقاق، والانفطار، والانكدار، والانتشار، والتكوير، والتفجير، والتسجير، والتيسر، والتعطيل، والكشط، والطي، والمد، والدين، أي: الجزاء، والحساب، ويوم البعث، والنشور، والخروج، والحشر، والعرض، والتلاق، والجمع، والفرق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم آية١٤]. والصدع في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم آية٤٣] وهو بمعنى يتفرقون، ويوم الصدر في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ [الزلزلة آية ٦]. ويوم البعثرة، والفزع، والتناد، والذهاب، والحساب، والأشهاد،، وللدعاء، والسؤال، والقصاص، والوعد، والوعيد، والندامة، والحسرة، والتبديل، والمصير، والفصل، والقضاء، والحكم، والوزن، ويوم عقيم؛ لأنه لا يوم

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ١٠٨، قال بدر الدين العيني في عمدة القاري ٢٣/ ٧٤: اتفق العلماء على أن كافر الجن يعذب في الآخرة لقوله تعالى: ﴿النار مثواكم﴾ [الأنعام:٨٢١]، اختلفوا في مؤمني الجن هل يدخلون الجنة على أربعة أقوال، والجمهور على أنهم يدخلونها، حكاه ابن حزم في (الملل) عن ابن أبي ليلى وأبي يوسف وجمهور الناس قال وبه نقول. ونقل أيضا عن الشافعي وأحمد: وسُئِلَ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فقال: (نعم لهم ثواب وعليهم عقاب).

بعده، ويوم عظيم، وعسير، ومشهود، وعبوس قمطرير، ويوم تبلى السرائر، أي: تخرج المخبئات بالوزن، وقراءة الصحف، ويوم التغابنح لتغابن الخلق في المنازل، ويوم الفرار، والفتنة، والخلود، والجدال، ويوم الواقعة، والخافضة، والرافعة، والراجفة، والرادفة، والقارعة، والحاقة، والطامة، والصاخة، والصاعقة، والزلزلة، والغاشية، والآزفة، ويوم البكاء، ويوم البلاء، ويوم لا مرد له من الله، ويوم لا بيع فيه ولا خلال، ويوم لا يكتمون الله حديثا، ويوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، ويوم لا ينطقون، يوم لا ينفع مال ولا بنون، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم الأذان، وله أسماء غير ما ذكرنا والعرب تسمي الشيء بأسماء كثيرة، وتجعل له ألقابا عديدة؛ تعظيمًا لشأنه.

لطيفة: دخل طاوس على هشام بن عبد الملك، فقال له: (اتق الله، واحذر يوم الأذان، فقال: وما يوم الأذان؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف آية ٤٤]).

تنبيه: اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة:٥]. وقوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج آية ٤]. فمنهم من وقف، ومنهم من أجاب، فالواقف كابن عباس، وابن المسيب، وكل العلم إلى الله تعالى.

فابن عباس قال: (أيام سماها الله تعالى لا أدري ما هي، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم). حكاه عنه بعض المفسرين. وحكي مكي عنه أنه قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ إنه يوم القيامة.

وابن المسيب سُئِلَ عنها، فلم يدر ما يقول، فأخبر عن ابن عباس بالوقف فيها، وقال للسائل: (هذا ابن عباس قد اتقي أن يقول فيها وهو أعلم مني).

والمجيب عن الآيتين اختلفوا في الجواب عنها علي فرقتين:

الأولي: حملوا الآيتين على أن المراد بهما يوم القيامة، واختلفوا في الجمع بينهما علي أقوال، فقيل: إن اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة إنما أراد به علي الكافر، والمؤمن عليه كقدر صلاة صلاها في دار الدنيا. حكاه الثعلبي، وورد به الحديث كما مر.

وقيل: ليوم القيامة أول وليس له آخر، وفيه أوقات شتي بعضها ألف سنة، يعني: وأكثر وأقل. قاله الثعلبي.

وقيل: يجوز أن يكون هذا إخبار عن شدة هوله؛ لأن العرب تصف المكروه بالطول، وأيام السرور بالقصر، وإليه ذهب جماعة من المفسرين. وقاله الثعلبي.

وقيل: يوم القيامة خمسون موطنًا، كل موطن ألف سنة. وقال الحسن وقتادة: (هو يوم القيامة، وليس يعني أن مقدار هوله هذا، ولو كان كذلك لكان له غاية، وإنما هو مقدار موقفه من الحساب حتي يفصل بين الناس خمسون ألف سنة من سنين الدنيا؛ لأن ليوم القيامة أول وليس له آخر؛ لأنه يوم ممدود).

وقال ابن حزم: صح يقينًا أنه يوم القيامة.

وبهذا أيضًا جاءت الأخبار الثابتة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: وأما الأيام التى قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج آية ٤٧] فأيام أخر بنص القرآن.

وقال الكلبي: معنى ذلك المقدار أنه لو ولي محاسبة العباد الملائكة والجن والإنس في ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة. فيقول الله: وأنا أفرغ منه في ساعة واحدة.

ورد ابن حزم هذا التأويل، وقال بالضرورة: ندري أنه لو كلف جميع أهل الأرض محاسبة أهل عصر واحد فيما أضمروه، وفعلوه، ونطقوا به، وموازنة كل ذلك ما قاموا به في ألف ألف عام، فبطل هذا القول بيقين. انتهى.

والثانية: حملوا الآيتين على أن المراد بهما غير يوم القيامة، فقالوا: إن المراد بالآية التي فيها مقداره ألف سنة: أن الله تعالى ينزل الوحي مع جبريل عليه السلام من السماء إلي الأرض، ثم يعرج إليه، أي: يصعد جبريل بالأمر في يوم واحد من أيام الدنيا، وقدره مسيرة ألف سنة، خمس مائة نزول، وخمس مائة صعود. يقول: لو ساره أحد من بني آدم لم يسره إلا في ألف سنة، والملائكة يسيرونه في يوم واحد.

وقالوا في مقداره خمسين ألف سنة: المراد به من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره، فعن الثعلبي: من أسفل الأرضين إلى سدرة المنتهى التي هى مقام جبريل عليه السلام.

قال محمد بن إسحاق: (لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضعه لساروا خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه).

وقال الحكم عن عكرمة: (عمر الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، لا يدري أحدكم ما مضى؟ ولا كم بقي؟ إلا الله تعالى). وقيل غير ذلك، والله سبحانه أعلم.

المسألة التاسعة: في الجمع بين أخبار وردت في المحشر

أخرج الحاكم من طريق عكرمة، عن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله تعالى ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾ [المرسلات آية ٣٥]. ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات آية ٢٧]. ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة آية ١٩]. قال: أليس قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾؟ قال: بلى، قال: فإن لكل مقدار يوم من هذه الأيام كونا من الأكوان.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن رجلا سأله فقال: أرأيت قوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه آية ١٠٢]. وأخرى ﴿عُمْيًا﴾[1] [الإسراء:٩٧] قال: (إن يوم القيامة فيه حالات يكونون في حال زرقا، وفي حال عميا).

وحيث علمت هذا فلا يشكل قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن آية ٣٩].وقوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات آية ٢٤] وقوله: ﴿وَلا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا﴾ [النساء آية ٤٢] وقوله: ﴿وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام آية ٢٣]. ففي موطن يسألون، وفي آخر لا يسألون، وفي موطن يكتمون، وفي آخر لا يكتمون.

وكذا قوله لهم: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧] فإن الصمم والبكم يضاد كونهم يسألون ويجيبون، ويجحدون، ويلومون أعضاءهم، والحاصل أن لهم خمسة أحوال: حال البعث من القبور، وحال السوق إلى موضع الحساب وحال المحاسبة، وحال السوق إلي دار الجزاء، وحال مقامهم فيها، ففي الثلاثة الأول يكونون كاملي الحواس والجوارح، وفي الرابعة يسلبون السمع والبصر والنطق، وأما الخامسة فلها بدء ووصال، ففي بدئها ترد الحواس إليهم ليشاهدوا النار، وما أعد الله لهم فيها من العذاب، وما كانوا به يكذبون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا﴾ [الأنعام آية ٢٧]. الآية. ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى آية ٤٥]. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف آية ٣٨]. ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف آية ٧٧] الآية. إلى أن يقال لهم: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون آية ١٠٨]. فحينئذ يسلبون حواسهم.

---

(١) الآية: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.

ومما ظاهره التعارض ما أخرج الشيخان، والترمذي، عن ابن عباس قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وقال: "يا أيها الناس؛ إنكم تحشرون إلى الله حفاة مشاة عراة غرلا، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء آية ١٠٤] الآية. وأول من يكسى من الخلائق إبراهيم عليه السلام"[١]. والأحاديث في مثل هذا كثيرة.

وأخرج أبو داود، والحاكم وصححه، وابن حبان، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري: أنه لما احتضر دعا بثياب جدد يلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ المَيِّتَ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا"[٢].

وأخرج الحاكم، والبيهقي، وعبد الله بن أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن علي بن أبي طالب، أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم آية ٨٥]. فقال: (والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساقون سوقا، ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة، لم تنظر الخلائق إلى مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يقرعوا باب الجنة).

وأخرج ابن جرير عن أبي هريرة في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ قال: (على الإبل).

والجمع بين عراة وأن الميت يبعث في ثيابه، ما قال البيهقي: (بأن بعضهم يحشر عاريًا، وبعضهم بثيابه، ويخرجون من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة).

والجمع بين مشاة وركبانا، ما قال الحافظ ابن حجر: (يحتمل أن يمشوا وقتًا، ثم يركبوا، فيكونوا ركبانا، فإذا قاربوا المحشر، نزلوا فمشوا. قال: وأما الكفار فإنهم مشاة على وجوههم).

وجزم الحليمي والغزالي: (بأن الذين يحشرون ركبانا يركبون من قبورهم).

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٦٢٥، وأخرجه مسلم حديث رقم: ٢٨٦٣، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٣١٦٧.

(٢) أخرجه أبو داود حديث رقم: ٣١١٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١: ص٣٤٠، وابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٣١٦، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى فى: ج ٣: ص٣٨٤.

وقال بعضهم: (إنهم يمشون من قبورهم إلى الموقف، ويركبون من ثم جميعا) بينه وبين حديث الصحيحين.

قلت: والأحسن في الجمع أن يقال: الأخبار واردة على حسب أصناف الناس ومقاماتهم، يؤيده حديث أبي داود والبيهقي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف: ركبانا، ومشاة، وعلى وجوههم، فقال رجل: يا رسول الله؛ ويمشون على وجوههم؟ قال: الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم"(١).

وأخرج النسائي، والحاكم، والبيهقي، عن أبي ذر قال: حدثني الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "أن الناس يحشرون يوم القيامة على ثلاثة أفواج: طاعمين كاسين راكبين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم"(٢).

وأخرج الحاكم، والطبراني، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحشر الأنبياء يوم القيامة على الدواب ليوافوا المحشر، ويبعث صالح على ناقته، وأُبْعَثُ على البُراق، ويبعث أبنائي الحسن والحسين على ناقتين من نوق الجنة، فينادى بالأذان محضا، وبالشهادة حقا، حتى إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين، فقبلت ممن قبلت، وردت على من ردت "(٣). والله سبحانه وتعالى أعلم.

المسألة العاشرة: في النظر إلى الله تعالى وزيارة أهل الجنة ربهم سبحانه

اعلم أن رؤية الله عز وجل ثابتة في الآخرة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، جائزة بالإبصار في العقل واجبة بالنقل، وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين الله تعالى في الدار الآخرة.

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده حديث رقم: ٢٦٨٩، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات حديث رقم:١٠٦٨.

(٢) أخرجه النسائي حديث رقم: ٢٠٨٦، والحاكم في المستدرك ج ٢: ص٣٦٦، والبيهقي في شعب الإيمان ج١/ ٣١٨، وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأهوال حديث رقم: ٢٣٠.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣/ ١٥٢، والطبراني في المعجم الكبير حديث رقم: ٢٦٢٩.

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس آية ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة آية ٢٢-٢٣].

وأما السنة فقوله صلى الله عليه وسلم: " إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر"[١]. وقال السعد التفتازاني: وهو مشهور، رواه أحمد وعشرون من أكابر الصحابة.

وأما الإجماع فهو أن الأمة كانوا مجتمعين على وقوع الرؤية في الآخرة، وأن الآيات الواردة في ذلك محمولة على ظواهرها، قال فضل بن غسان: سمعت يحيى بن معين يقول: (عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية كلها صحاح).

إذا تقرر هذا فاعلم أن الله تعالى يراه المؤمنون من أهل الموقف في الموقف، ورد بذلك أحاديث صحيحة، ويراه أهل الجنة في الجنة بلا نزاع، وأما في الدنيا فلم تثبت فيها لنبي مرسل ولا ملك مقرب إلا للنبي صلى الله عليه وسلم على نزاع في ذلك، والصحيح أنه رآه بعيني رأسه، وهذه من خصوصياته.

وأخرج أبو نعيم وغيره، عن عبادة بن الصامت، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال، ثم قال: "واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا"[٢]. وأخرج أبو بكر بن أبي عاصم، والدارقطني مثله من حديث أبي أمامة.

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف آية ١٤٣] "قال: يا موسى؛ إنه لا يراني حي إلا مات، ولا

---

(١) أخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٥٤، وأخرجه أحمد في مسنده حديث رقم: ١٨٧٠٧، وأخرجه أبو حنيفة في مسنده حديث رقم: ٢٩، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبي حديث رقم: ٢٢٢٥، وهبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٨٢٩.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث رقم: ٧١٢٨، والنسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ٧٧١٦، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ١١٥٧، وأخرجه الدارمي في الرد على الجهمية حديث رقم: ١٨٢، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم: ٤٢٨، وأخرجه ابن خزيمة في التوحيد حديث رقم: ٢٧٠، وأخرجه هبة الله اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حديث رقم: ٨٤٨، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن حديث رقم: ١٤٤٦.

يابس إلا تَدَهْدَهَ، ولا رطب إلا تفرق، وإنما يراني أهل الجنة الذي لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسامهم"[١].

ولنذكر بعض أحاديث وردت في تفسير آيات في الرؤية، أخرج مسلم، والترمذي، وابن ماجة، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قال: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس آية ٢٦]"[٢].

قال القرطبي: قوله: "فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ". معناه: أنه ترفع الموانع عن الإدراك بأبصارهم حتي يروه علي ما هو عليه من نعوت العظمة والجلال، فَذِكْرُ الحجاب إنما هو في حق الخلق لا الخالق، تعالى وتقدس.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن أبي موسى الأشعري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: يا أهل الجنة؛ إن الله وعدكم الحسنى وزيادة الحسنى في الجنة"[٣]. والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن كعب بن عجرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ "الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن عز وجل"[٤].

وروى ابن عمر مرفوعا في الآية، قال: "الحسنى: الجنة، وزيادة قال: النظر إلى وجه الرحمن". وروي عن أنس مرفوعا مثل ذلك.

وروي عن أبي هريرة مرفوعا في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾. "الجنة والنظر إلى الرب تعالى".

وقال أبو بكر الصديق في الآية: "الحسنى: الجنة. والزيادة: النظر إلى وجه الله".

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء حديث قم: ١٥٥١٥.
(٢) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٣، والترمذي حديث رقم: ٣١٠٥، وابن ماجه حديث رقم: ١٨٧.
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ج١٢/ ١٥٨.
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان ج١٢/ ١٦٢.

وقال مثل ذلك في الآية علي بن أبي طالب، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، وابن مسعود، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة. قال البيهقي: هذا تفسير قد استفاض، واشتهر فيما بين الصحابة والتابعين، ومثله لا يقال إلا بتوقيف.

وأخرج الآجري، والبيهقي، وغيرهما عن ابن عباس في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة آية ٢٢]. قال: حسنة، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة آية ٢٣]. قال: نظرت إلى الخالق.

وعن عكرمة قال: (ناضرة من النعيم إلى ربها ناظرة، قال: تنظر إلى الله نظرا).

وعن محمد بن كعب القرظي في الآية قال: (نضر الله تلك الوجوه، وحسنها للنظر إليه).

وعن الحسن قال: النضرة: الحسن: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. قال: نظرت إلى ربها فنضرت لنوره.

وعن أشهب قال: (سأل رجل مالكا: هل يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة؟ فقال مالك: لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب، فقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين آية ١٥]. قيل: فإن قوما يزعمون أن الله لا يرى؟ فقال مالك: السيف السيف).

وقال الشافعي في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

قال الحافظ السيوطي: فهذه تفاسير هذه الآيات مسندة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين بلغت مبلغ التواتر عندنا معاشر أهل الحديث. انتهى.

ولنذكر بعض أحاديث الرؤية، أخرج الشيخان والدارقطني عن جرير قال: " كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر، لا تُضَامُّونَ في رؤيته"[1]. الحديث[1].

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٥٥٤، ومسلم حديث رقم: ٦٣٥، وأخرجه الدارقطني في الرؤيا حديث رقم: ٦٣.

قال البيهقي: كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي لا المرئي، والمعنى: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، وتنتفي معها المرية كرؤيتكم القمر لا تضامون، ولا تمترون فيه.

قال: (وتضامون) روي بتخفيف الميم، وضم أوله من الضيم، أي: لا يلحقكم في رؤيته ضيم، ولا مشقة. وبتشديدها والفتح على حذف إحدى التائين، والأصل: (لا تضامون) أي: لا يضام بعضهم بعضا كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي الذي لا يسهل إدراكه، فيتزاحمون عند ذلك، ينظرون إلى جهته يريد أنكم ترونه، وكل واحد في مكانه لا ينازعه في رؤيته أحد.

==

(١) قال ابن رجب: هذا الحديث نص في ثبوت رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ.إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ومفهوم قوله في حق الكفار: ﴿كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ.

قال الشافعي وغيره: لما حجب أعداءه في السخط دل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

والأحاديث في ذلك كثيرة جداً، وقد ذكر البخاري بعضها في أواخر " الصحيح" في " كتاب التوحيد"، وقد أجمع على ذلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من الإئمة وأتباعهم.

وإنما خالف فيه طوائف أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ونحوهم ممن يرد النصوص الصحيحة لخيالات فاسدة وشبهات باطلة، يخيلها لهم الشيطان، فيسرعون إلى قبولها منه، ويوهمهم أن هذه النصوص الصحيحة تستلزم باطلاً، ويسميه تشبيها أو تجسيما، فينفرون منه، كما خيل إلى المشركين قبلهم أن عبادة الأوثان ونحوها تعظيم لجناب الرب، وأنه لا يتوصل إليه من غير وسائط تعبد فتقرب إليه زلفا، وأن ذلك أبلغ في التعظيم والاحترام، وقاسه لهم على ملوك بني آدم، فاستجابوا لذلك، وقبلوه منه. وإنما بعث الله الرسل وانزل الكتب لإبطال ذلك كله، فمن اتبع ما جاءوا به فقد اهتدى، ومن أعرض عنه أو عن شيء منه واعترض فقد ضل.

وقوله: " كما ترون هذا القمر" شبه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي سبحانه وتعالى. وإنما شبه الرؤية برؤية البدر؛ لمعنيين: أحدهما: أن رؤية القمر ليلة البدر لا يشك فيه ولا يمترى. والثاني: يستوي فيه جميع الناس من غير مشقة.

وقد ظن المريسي ونحوه ممن ضل وافترى على الله، أن هذا الحديث يرد؛ لما يتضمن من التشبيه، فضل وأضل. واتفق السلف الصالح على تلقي هذا الحديث بالقبول والتصديق.

قال يزيد بن هارون: من كذب بهذا الحديث فهو بريء من الله ورسوله. وقال وكيع: من رد هذا الحديث فاحسبوه من الجهمية. وكان حسين الجعفي إذا حدث بهذا الحديث قال: زعم المريسي.[فتح الباري لابن رجب:٤/ ٣٦].

وأخرج الشيخان والدارقطني عن أبي هريرة، قال: قال الناس: يا رسول الله؛ صلى الله عليه وسلم هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **"هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك"**[1]. الحديث.

وأخرج الشيخان، والحاكم، والدارقطني، عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله؛ هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: **"أتضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا؟ قلنا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيه سحاب؟ قلنا: لا، قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤية إحداهما"**[2]. الحديث.

وأخرج البزار، والطبراني، وأبو يعلى، والآجري، والبيهقي، وابن أبي الدنيا من طرق جيدة عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"أتاني جبريل وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة، يعرضها عليك ربك؛ لتكون لك عيدا، ولقومك من بعدك. قال: ما لنا فيها؟ قال: لكم فيها خير. قلت: ما هذه النكتة السوداء فيها؟ قال: هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد، قلت: لم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك**

---

(١) أخرجه البخاري حديث رقم: ٧٤٣٨, ٦٥٧٤, ٨٠٦، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٨٤، وأخرجه الدارمي في سننه حديث رقم: ٢٨٠١، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ١٠٧٤٣, ١٠٥٢٣, ٧٨٦٨، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٢٩، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٤٢٢, ٤١٩، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٤٥٥، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٥٧٣, ١١٤٢٤، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ف:ج ١٠: ص٤١، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده حديث رقم: ٦٣٦٠، وأخرجه الطبراني في مسنده حديث رقم: ٣٠٧٢.

(٢) أخرجه البخاري حديث رقم: ٤٥٨١، وأخرجه مسلم حديث رقم: ١٠٥٥, ١٨٦, ١٨٤، وأخرجه الترمذي حديث رقم: ٢٥٥٧، وأخرجه أبو داود حديث رقم: ٤٧٣٠، وأخرجه ابن حنبل في مسنده حديث رقم: ٨٥٩٩، وأخرجه ابن حبان في صحيحه حديث رقم: ٧٤٤٥, ٧٣٧٧, ٤٦٤٢، وأخرجه أبو عوانة الإسفرائيني في مسنده حديث رقم: ٤٣٠، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في المسند المستخرج على صحيح مسلم حديث رقم: ٤٥٩, ٤٥٨، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى حديث رقم: ١١٤٢٤، وأخرجه عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حديث رقم: ١٢١٢.

أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور وجاء النبيون حتي يجلسوا عليها، ثم حف المنابر بكراس من ذهب، وجاء الصديقون والشهداء حتى يجلسون عليها، ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسون على الكثيب، فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى، حتى ينظرون إلى وجهه، وهو يقول: أنا الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، هذا محل كرامتي، فاسألوني، فيسألوه الرضا، فيقول عز وجل: رضاي أحلكم داري وأنزلكم كرامتي، فسلوني، فيسألوه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار ينصرف الناس يوم الجمعة، ثم يصعد تبارك وتعالى على كرسيه، ويصعد معه الشهداء والصديقون، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم درة بيضاء لا وصم فيها ولا فصم، أو ياقوتة حمراء، أو زبرجدة خضراء، منها غرفها وأبوابها، مطردة فيها أنهارها، متدلية فيها ثمارها، فيها أزواجها وخدمها، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة؛ ليزدادوا فيها كرامة، وليزدادوا فيها نظرا إلى وجهه تبارك وتعالى، ولذلك دعي يوم المزيد"[(١)].

وأخرج البزار والأصبهاني عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتاني جبريل في كفه مثل المرآة، في وسطها لمعة سوداء، قلت: يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها، قلت: ما هذه اللمعة السوداء؟ قال: هذه يوم الجمعة. قلت: وما يوم الجمعة؟ قال: يوم من أيام ربك عظيم، فذكر شرفه وفضله واسمه في الآخرة، وأن الله إذا صير أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وليس ثم ليل ولا نهار، قد علم الله مقدار تلك الساعات، فإذا كان يوم الجمعة في وقت الجمعة التى يخرج أهل الجمعة إلى جمعتهم، ينادى مناد: يا أهل الجمعة؛ اخرجوا إلى دار المزيد، فيخرجون في كثبان المسك. قال حذيفة: والله لهو أشد بياضا من دقيقكم هذا، فتخرج غلمان الأنبياء عليهم السلام بمنابر من نور، وتخرج غلمان المؤمنين بكراس من ياقوت، فإذا قعدوا، وأخذ القوم مجالسهم بعث الله عليهم ريحا تدعى: المُثِيرَة. فتثير عليهم المسك الأبيض، فتدخله في ثيابهم، وتخرجه من جيوبهم، فيقول الله: أين

---

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٨٧٧، وأخرجه الطبري في جامع البيان ج ٢١: ص ٤٥٧، وأبو يعلى في مسنده حديث رقم: ٤٠٨٩، والبيهقي في دلائل النبوة ج١/ ١٣٩، وابن أبي الدنيا في التوبة حديث رقم: ١٩٨.

عبادي الذين أطاعوني بالغيب، وصدقوا رسلي فهذا يوم المزيد؟ فيجتمعون على كلمة واحدة: إنا قد رضينا فارض عنا، ويرجع إليهم في قوله لهم: يا أهل الجنة؛ لو لم أرض عنكم ما أسكنتكم جنتي، فهذا اليوم المزيد، فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف الله الحجب، ويتجلى لهم، فيغشاهم من نوره، فلولا أن الله قضى ألا يموتوا لاحترقوا، ثم يقال لهم: ارجعوا إلى منازلكم، فيرجعون، وقد خفوا على أزواجهم، وخفين عليهم مما غشيهم من نوره، فلا يزال النور يتمكن حتى يرجعوا إلى منازلهم، فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا بصور، وجئتم إلينا بغيرها. فيقولون: تجلى لنا ربنا، فنظرنا إلى ما خفينا به عليكم. قال: فهم يتقلبون في مسك الجنة ونعيمها في كل سبعة أيام"[١].

وأخرج ابن ماجة، وابن أبي الدنيا، والدارقطني، والآجري، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. وذلك قول الله: ﴿سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ [يس آية ٥٨]. قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم، ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم، إشرافه سبحانه واطلاعه منزه عن المكان والحلول"[٢].

وأخرج البيهقي، وأبو نعيم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بينا أهل الجنة في مجلس لهم؛ إذ سطع عليهم نور على باب الجنة، فرفعوا رءوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف، فقال: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الزيادة. قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر، أزمتها زبرجد أخضر وياقوت أحمر، فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فيأمر الله بأشجار عليها الثمار، فتجيء جوار من الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله بكثبان من مسك

---

(١) أخرجه البزار في البحر الزخار حديث رقم: ٢٨٨١، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان ج١/ ١٣٩.

(٢) أخرجه ابن ماجه حديث رقم: ١٨٤، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة حديث رقم: ٩٨، وأخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم حديث رقم: ٢٢٢٣، وأخرجه محمد بن إسحاق الكلاباذي في بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار حديث رقم: ٢٤١.

أبيض أزفر فيثير عليهم ريحا يقال له: المثيرة. حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، وهي قصبة الجنة فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم. فيقول: مرحبا بالصادقين مرحبا بالطائعين، فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله، فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا، ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون، وقد أبصر بعضهم بعضا، قال عليه السلام: فذلك قول الله: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت آية ٣٢]"[1].

وأخرج الأصبهاني عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله إذا أسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، بعث الروح الأمين إلى الجنة، فقال: يا أهل الجنة؛ إن ربكم يقرئكم السلام، ويأمركم أن تزوروه إلى فناء الجنة. وهو أبطح الجنة، ترابه المسك، وحصباؤه الدر والياقوت، وشجره الذهب الرطب، وورقه الزبرجد، فيخرج أهل الجنة مستبشرين مسرورين غانمين سالمين من مجتمعهم، ثم تحل بهم كرامة الله، والنظر إلى وجهه تعالى، وهو موعود الله أنجزه لهم، فعند ذلك ينظرون إلى وجه رب العالمين، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. فيقول: كرامتي أمكنتكم من الجنة وأحللتكم داري".

وأخرج أبو نعيم عن علي، قال: "إذا سكن أهل الجنة الجنة، أتاهم ملك فيقول: إن الله يأمركم أن تزوروه، فيجتمعون فيأمر الله داود، فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل، ثم توضع مائدة الخلد، قالوا: يا رسول الله؛ وما مائدة الخلد؟ قال: زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب، فيطعمون، ثم يسقون، ثم يكسون، فيقولون: لم يبق إلا النظر إلي وجه ربنا عز وجل، فيتجلى لهم"[2].

---

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور حديث رقم: ٤٤٨.

(٢) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة حديث رقم: ٧٢٢.

(تم ولله الحمد)

وقد أفرغت فيه طاقتي وجهدي، وبذلت فيه فكري وقصدي، ولـولا طمـع واضـعه في الثواب ما كشف فضائحه، ولا عرض نفسه لتكيلم الألسنة الجارحة، فأسـأل الله أن يجـازيني بصنيعي الجميل الوفاة على الإسلام، وأن يدخلني ووالدي وإخواني دار السلام بسلام محمـد عليه الصلاة والسلام فرحم الله امرءًا نظر بعين الاعتبار إليه، ووقف على خطأ فأطلعني عليه، وحمدت الله ربي إذ هداني لما أبديت مع عجزي وضـعفي مـن لي بالخطـأ، فـأرد عنـه، ومـن لي بالقبول ولو بحرف، هذا ولم يكن قط في ظني أن أتعرض لذلك لعلمي بالعجز عـن الخـوض في تلك المسالك، فعسى الله ربي أن ينفع به نفعا جما، وأن يفتح به أعينـا عميـا، وقلوبـا غلفـا، وآذانا صما. وهو حسبي ونعم الوكيل.

كاتبه ومالكه: اسماعيل. غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين آمين.

فهرس


بحمد الله تم

